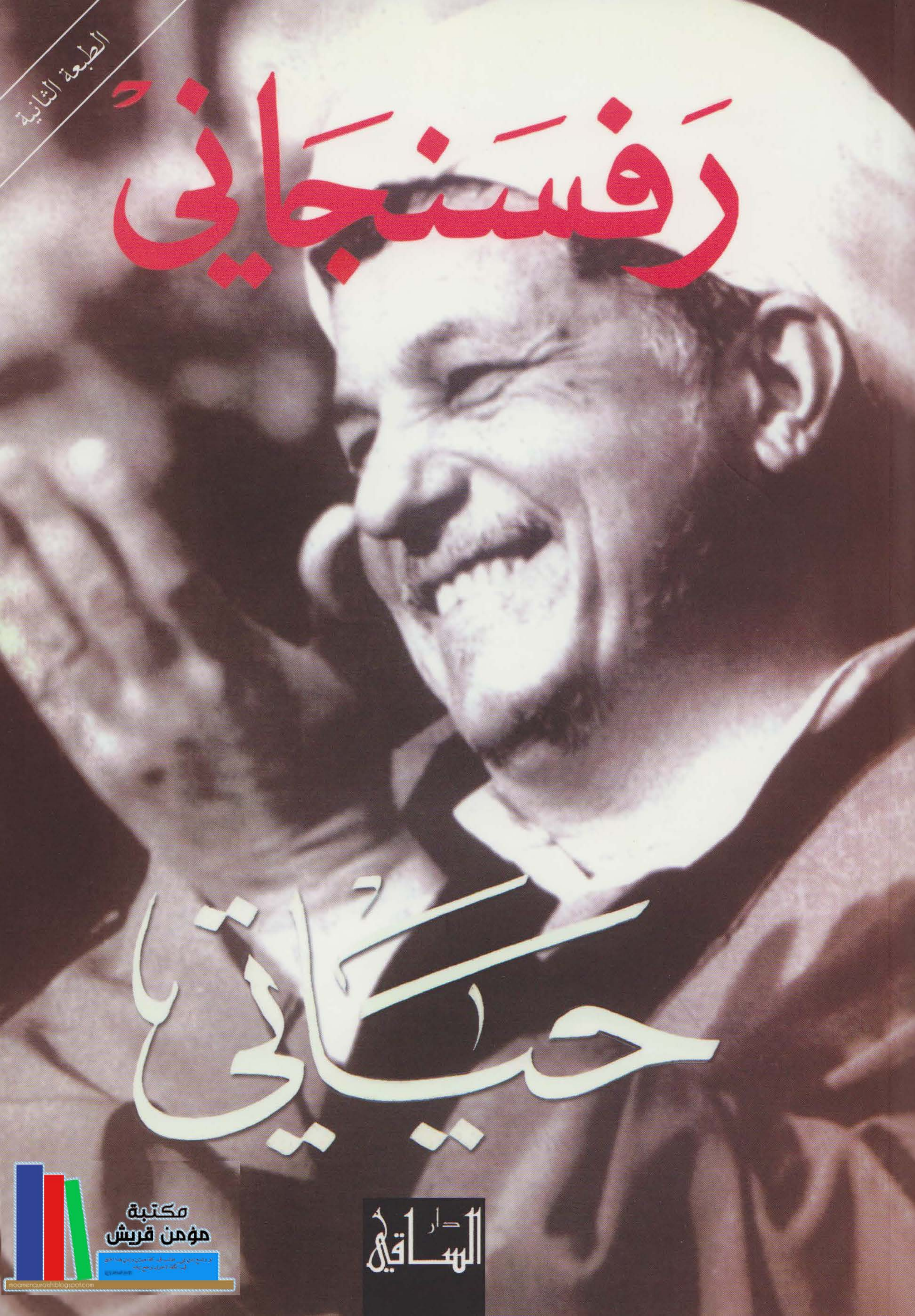

الطبعة الثانية
رفسنجاني
حياتي
دار الساقي
مكتبة
مؤمن قريش
moamenquraish.blogspot.com

حياتي

تصميم الغلاف : وليد فتوني

رفسنجاني

حياتي

تعريب

دلال عباس

إشراف

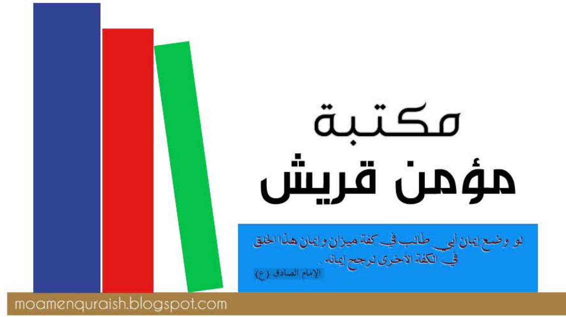
محسن رفسنجاني

مراجعة النص العربي

هاشمي رفسنجاني



دار الساقي



هاشمي رفسنجاني، دوران مبارزه: خاطرات، تصويرها، اسناد، كَاه شمار،
مكتب نشر معارف انقلاب، 1997

الطبعة العربية

الطبعة الأولى 2005
الطبعة الثانية 2012

ISBN 978-1-85516-457-4

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342 بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033-6114
هاتف: 961-1-866-442، فاكس: 961-1-866-443

email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

المحتويات

المقدمة

آلية تكوين مجتمع الثورة

الثورة الإسلامية في إيران، تراكمت إشعاعاتها على مدى ست عشرة سنة خلف السحب، تبعث الدفء والحياة قبل أن تسفر فيبين الصبح، وفي هذا التراكم تفاعل أحداث وتجارب وتجاذب، وها هي بعد عشرين سنة ونيف من صناعتها لفجرها، ما زالت تتمرد على الاستيعاب، وتأبى أن تصبح حزمة هي قبض يد، أو تلاوين حلم هي خطوط ريشة، وأنّى لنا من يفسر عملية دخول الفجر على الظلمة ليبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود غير العبارة التقليدية الواصفة للنتيجة ولإدراك حلوله في آفاقنا ببيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود. ولذلك يستعصي الفجر عن الامتلاك لأنه عصي على الإدراك، ولذلك أيضاً كان عصياً على أن يُحجَّم أو يعلب فتحوزه إمكانية النقل والانتقال، أو الاستيراد والتصدير. ولو كان كذلك لاحتكره الذين يبغون علواً في الأرض، ولكنه وعد ينزله الله على من كان لوراثة الأرض.

ما كان لنا أن ندرس آلية الثورة الإسلامية في إيران لأنها غير مستكملة الخطوط، وإن قلنا الآلية فلأننا لا نستطيع أن ندرس الثورة بروحيتها، وليس بالإمكان إلا تقرير النتائج، فهي الفجر في أمتنا، ولا نمتلك إلا آلية الحركة، في ماديات النتائج، وليس روحانية دوافعها، ولذلك لا نستطيع إلا أن نُقارنها بما عُرف من ثورات في العصر الحديث (الفرنسية ـ الإنكليزية ـ البلشفية) ونُبرِز فيها التمايز والخصائص، أو أن نأخذها بذاتها، بما التزمت به من استراتيجية منسجمة مع ثقافة شعبها وتاريخه وثوابته، وتجسيد هذا في آلية استعادته لذاته، ثم اعتبارها الحركة الأكثر إضاءة مما سبق، والحلقة الأكثر استجابة

لمتطلبات عصرها، والأكثر تواصلاً مع الطموحات وتجسيداً للتطلعات، وهذا لا يفصلها عن استمرارية ما سبق من تحركات ونهضات، ولا يبعدها من أن تكون الشاهد الذي عناه الإمام علي، من أن موقعة (الجمل) يشهدها مَن هُم في أصلاب الرجال وأرحام النساء.

نحسب أن آية الله الرئيس الشيخ هاشمي رفسنجاني قد انتصبت أمامه الثورة الإسلامية شاهداً لتلك الموقعة، يستحضر كل الشهادات التي كانت عبر التاريخ الإسلامي والتي قُطِّعت سبلها قبل الغاية المرتجاة، فجاءت نبضاً يضخ صدق مقالة في شهادة الثورة الإسلامية في هذا القرن، وإن كان هذا القرن قد امتازت إطلالته في إيران بثورة حق الناس بدستور ينظم شؤونهم وشؤون البلاد، وإذ غلبت عليهم جولة الباطل، فقد رسَّخت نهايته ركائز صولة الحق يقدمها هدية للقرن الواحد والعشرين وللشعوب المستضعفة ولكل من يقولون إنا كنا مستضعفين في الأرض.

نحسب أن سماحة الشيخ الرئيس قد تمثلت أمامه ما استبطنته الثورة الإسلامية من خصائص حركة التاريخ في إيران، وقد يكون هذا الرئيس الأكثر قراءة بين سياسيي الثورة الإسلامية لخصائص حركات النهوض في التاريخ الإيراني، وهو الذي جُس نبضه من خلال كتابه الهام «أمير كبير»، حيث تجري في عروقه كل ألوان الحياة الإيرانية.

وما يدعونا أيضاً لاعتبار التاريخ منتصباً أمام سماحة الشيخ الرئيس وبالأخص تاريخ القرن العشرين، هو أنه ختم كتابه بوقائع الأحداث الهامة، التي هيأت لنهوض الثورة ونجاحها.

ومن هذا الحسبان نفترض أن سماحته قد تهيب من أن يبرز مؤلفه على أنه تاريخ الثورة الإسلامية، لأن تاريخ هذه الثورة لم تكتمل خيوطه وأغراضه ولم تتم الإحاطة بكل جوانب الثورة وربما لم تتوفر بعد إمكانية استيعابها، إلى جانب أن استجماع الإشعاعات التي كوَّنت نسيجها ليس بالأمر الذي يُمَكِّن شخصاً واحداً من التوفر عليه أو الحصول عليه.

من هنا نرى أن هذا الكتاب أكثر من سيرة ذاتية وأقل من تاريخ ثورة، ولكنه مع ذلك يبرز نقاطاً جليلة الأهمية، ومن تفاصيل كل نقطة يمكن أن نلتئم على المجتمع الإيراني

بكامله من حيث المكونات الثقافية لعناصره المتنافرة التي أوقعت الصراعات وعناصره التي تآلفت أرواحها فأحدثت الثورة، وعناصره التي تجيشت بأجسادها ولكنها تباعدت بأغراضها فتوزعتهم الدروب قبل الثورة وأثناءها وبعدها، وما يساعد على رسم المواقع بالأقرب من الدقة، هو ذكر هذا الكم الكبير من الأشخاص في الموقع الذي يقتضي إيراد اسمه فيه.

واللافت والأهم هو أن هذا الكتاب يجيز لنا أن نعتبره آلية تكوين مجتمع الثورة، أو بالأحرى المجتمع الثوري، بما يفترض له من الاستمرار، وضمن آلية رسمها الإمام الخميني قدس سره متناسقة الخطوة ثابتة القدم محددة الهدف، دون انشغال بتفاصيل يمكن أن تهز ولو لشعرة هذا التحديد.

وهذه الآلية محكومة بأخلاقية تعطي لكل ذي حق حقه، وتحافظ له على موقعه، لا يختلف هذا الأمر إن كان ائتلاف أو اختلاف، نستشف هذا من تحليلات سماحة الشيخ الرئيس أو إبداء وجهة نظره في أمر، ويستشف أن دوافع هذا السلوك هي من تأثيرات الإمام الخميني إن كان بالخطاب المباشر أو بالإشارة والسلوك والتريث في الأمور مع عدم الإفصاح، وكأنه يريد مجتمعاً عنده قابلية لكل شيء، متوفر على كل إمكانية، وإن اتفق أن كان في تحليل سماحة الشيخ الرئيس شيء من الشبهة فيعود إلى عدم وقوفه على دقائق الأمر.

وبعد هذا فلا نظن أن الأمر يحتاج إلى شرح أسباب ترجمة هذا الكتاب ونشره، فبالأساس، التعريف عن الثورة الإسلامية الإيرانية ورجالاتها وأي حركة نهوض إسلامي، هو من الواجب علينا، ومن الواجب أيضاً أن نتحرى الحقائق في ما تؤديه، وهذا الكتاب وثيقة ممن شهد الثورة الإسلامية الإيرانية بالبصر والبصيرة حاملاً روحه على راحتيه ملقياً بها في حومة الصراع متوخياً أن ينال رضا ربه بالشهادة فكُتِب له الحياة بالنصر.

ومن خلال وقائع الكتاب، والمهام التي اضطلع بها سماحة الشيخ الرئيس، يبدو لنا أن الشهادة لم تكن شهادة مراقب بل شهادة مندمج فكرياً، فاعلٍ عضوياً، ثائر حركياً مما لا يتأتى لغير الرئيس الشيخ رفسنجاني ومن بحكمته أن يقدم شهادة صدق.

أما بالنسبة للملاحق فقد آثرنا أن نختار ما يشير إلى موقف الثورة، من خلال قيادتها، من القضية الفلسطينية بالخصوص، والقضايا العربية بالعموم، ومن موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية، وموضوع الاهتمام بشؤون البلدان المستضعفة.

الفصل الأول
المكونات الثقافية الذاتية

أسرتي

اسم والدي: الحاج ميرزا علي هاشمي بهرماني.

واسم والدتي: ماه بي بي صفريان. كان اختيار اسم «هاشمي» لعائلتنا، مع أننا لسنا من السادة الهاشميين، سببه أن اسم جد والدنا كان الحاج هاشم، وكان صاحب أملاك شاسعة في المنطقة، وإمكانات كبيرة، وكان متعدد الزيجات، وبقي من نسله عدة عوائل باسم هاشمي بإضافة سابقة أو لاحقة خاصة لكل منها: هاشمي پور، هاشمي بهرماني، هاشميان وغير ذلك.

تلقى أبي قدراً من العلوم الحوزوية بحدود المعالم والمطوّل. وما أتذكره، أن السبب في أنه يعيش في الريف، كان إلى حدّ ما، الضغوطات التي يتعرض لها المتدينون في العهد البهلوي. ولقد ارتضت عائلتنا بالطبع الحياة في الريف، ولقد كان أبي موضع تقدير الناس، يرجعون إليه في الأمور الاجتماعية والدينية، ويعمل على حلّ خلافاتهم.

في شهر رمضان، كان الناس ينظّمون برامج الإفطار والسحور وصلاة الصبح، باستماعهم إلى صوته مؤذناً وقارئاً للمنظومة المنسوبة إلى الإمام علي «لك الحمد يا ذا الجود والمجد العلي».

كان لسيرته وأفعاله تأثير كبير في التربية الدينية والأخلاقية لأبنائه وأقاربه وأنسبائه. وكان يأنس كثيراً لقراءة القرآن وأشعار مولوي وسعدي، وكان يتلوها أحياناً بصوت عالٍ،

يصحو دائماً قبل مطلع الفجر، ويقضي وقتاً طويلاً على سجادة الصلاة، وكنا نستيقظ من النوم عندما نسمع صوت مناجاته. في الليالي أيضاً كان يقضي وقتاً طويلاً بعد صلاة المغرب بقراءة النوافل والتعقيبات والقرآن والأذكار، إلى أن يحين موعد صلاة العشاء.

من أخلاقه الحميدة أنه كان عادة، حين نُضوج أحد المحاصيل، يستقبل في الحديقة أو المزرعة عدداً من محتاجي القرية، يعطي كلاً منهم حصّةً، وكان هذا الوضع يتكرر في جميع الفصول، مثلاً في أوان نضج العنب والرمان والبطيخ والشمام والجزر واللفت والقمح والشعير والذرة، كان يقوم بعمل الخير هذا، وفي طريق العودة إلى المنزل كان يقدم ما يحمله، هدية إلى الذين يلتقيهم في الطريق.

اسم قريتنا «بهرمان»، إحدى قرى «نوق» القديمة في منطقة رفسنجان. «بهرمان» معناها: الياقوت الأحمر، ولعل من أسباب هذه التسمية الامتيازات الطبيعية التي حظيت بها هذه القرية ـ كالماء العذب، والقنوات الجارية ـ أو لعل هذا الاسم قديم يعود إلى ما قبل الإسلام.

من القرى المتصلة ببهرمان «نعمت آباد» «قاسم آباد». .

كانت عائدات أملاكنا في هذه القرية، مصدر رزق عائلتنا. كان سهمنا منها ـ بعد أن كبرنا ـ بنسبة اثنتي عشرة وِحدة من كل ست وتسعين وِحدة.

كانت أمي وهي من أهل هذه القرية نفسها، في السنة الأولى من عمرها عندما قتل أبوها الحاج محمد رضا ـ الذي كان رجلاً فاضلاً قتله أحد الأشرار الذي لم تُكشَف هويته ـ وكانت إضافة إلى أنها ربّة منزل تساعد أبي في أمور الحياة، وكان لها، على الرغم من كونها أميّة، معرفةٌ جيدة بخواص الأعشاب الطبّية، معرفتها هذه وتجاربها عادت بالفائدة على أفراد العائلة وأهل القرية، ولا زلنا حتى الآن نستفيد أحياناً من تلك التجارب نفسها.

كان والدي إضافة إلى عمله، يقوم في القرية نفسها بالخدمات الدينية، ووعظ الناس وإرشادهم إلى حدّ ما، وكان يميل إلى التحرر من أي عملٍ يمكن أن يربطه بشكل من الأشكال بأجهزة الدولة ـ حتى توزيع القسائم في زمن الحرب ـ.

أسرتنا تضم خمسة أخوة وأربع أخوات، توفي ثلاثة منهم. لم يكن مستوى معيشتنا ـ بالنسبة إلى مستوى الحياة في القرية ـ سيئاً. وكانت عدة عائلات أخرى تعيش بالمستوى نفسه، أما الباقون فقد كان وضعهم أدنى دخلاً (وِحدة أو وِحدة ونصف) من كل ٩٦ وحدة، كانوا من العمال والأجراء المَوْسِميين. أما المُلاّك الأساسيون فقد كان وضعهم أفضل من وضعنا، يعيشون في المدينة، ولا يقضون في القرية أكثر من شهر أو شهرين في السنة.

في المسار

تاريخ ولادتي في شهادة الميلاد العام ١٣١٣هـ.ش [١٩٣٤م] ولا فرق يُذكر بين هذا التاريخ وبين تاريخ مولدي الحقيقي، وتدل القرائن على أن الفرق بين التاريخين ليس أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر.

لا أذكر في عهد الطفولة سوى تلك الألعاب والتسليات الطفولية المعروفة. أتذكر بعض الخواطر الأكثر جدّية من مرحلة الكُتّاب: كُتّاب السيد حبيب الله، الذي كان رجلاً جدّياً وكنا نحسب له حساباً. كان بعض أطفال القرية يذهبون للدراسة في المدرسة الرسمية، التي كانت تبعد عن القرية حوالى الفرسخين، يقصدها الأطفال على الدّراجات أو مشاةً. ولقد فضّل والدنا أن يُدخِلنا إلى الكُتّاب؛ وقد بدأت الدرس في الخامسة من عمري ـ برفقة أخي المرحوم الحاج قاسم ـ الذي كان يكبرني بسنتين.

في الكتَّاب كانوا يُدرّسوننا في كتب المدرسة الرسمية، إضافة إلى القرآن، ومواد أخرى مثل «گلستان سعدي»، و«نصاب الصبيان».

منذ السابعة من عمري إستفدت من معارف الوالد ـ إضافة إلى دروس الكتّاب ـ. فالتقدم الدراسي تابعٌ لاستعدادات الأفراد وجهودهم، وغير مرتبط بالأوقات المحصورة في البرامج المدرسية.

تعلمنا الخط على يد ابنة صاحب الكتّاب التي كان جميلة الخط، وهي لا تزال حتى الآن على قيد الحياة. بعد ذلك بثلاث سنوات، توفي السيد حبيب الله، وتولّت مسؤولية التدريس في كتّاب القرية سيدة كانت تدعى «زوجة الشيخ»، وهي زوجة الشيخ عبد اللّه

الذي كان صاحب الكتّاب في هذه القرية قبل السيد حبيب الله.

في هذه المرحلة قرأنا «مختار نامه» و«معراج نامه» و«بوستان سعدى» ـ إضافة إلى ما ذكرته آنفا ـ، إلى جانب الدراسة كنا نساعد العائلة في الزراعة وتربية المواشي والدواجن، وبخاصة في فصل جني الفستق، حيث كنا نبقى في البستان. إلى جانب العمل، كان هنالك لعب وتسلية ـ مثل المصارعة، واللعب بالصولجان ـ لم تكن هذه الألعاب قليلة التأثير في روحيتنا ونشاطنا. لذلك كنا نشعر بعد إنجاز العمل بالاستقلال والشعور بالذات.

الوضع الاجتماعي

في تلك الأيام، كانت مشاكل جدية تواجه الناس في تأمين الحاجات الضرورية، وغدا الفقر والعوز دافعين للسرقة، وكانت المنازل في قريتنا تتعرض أحياناً لغارات اللصوص، وكنا نشعر بفقدان الأمن. مع هذا لم نقتنِ بندقية، ولم أذهب إلى الصيد مطلقاً مع أن بعض أقاربنا كانوا يصطادون.

كان لدينا مخزن، وكان يقال إنه محميٌّ من الحشرات، وسبب هذه الحماية، أن جدتي لأبي التي كانت امرأة أمية وشديدة الإيمان، قد قرأت عليه دعاءً.

كانت مخازن الغلال تُبنى على نمط العِمارة التقليدي بحيث يكون بابها وحيطانها وسقفها غير ظاهرة، كان الناس الآخرون يُخبِئون محاصيلهم كالقمح تحت الأرض، ولكننا نحن استخدمنا ذلك القبو، واللافت أن محتوياته كانت لا تتعرض لأذى الحشرات كمحتويات الأقبية الأخرى.

في تلك الأيام كانت الجندية، والتجنيد الإجباري أمر يخيف الناس، بسبب الحرب، وبسبب أعمال السخرة ـ كتعبيد الطرقات ـ التي كانت تُفرَض على المجندين.

كان للأموال النقدية أيضاً قيمة خاصة، وعندما كان بعض الأشخاص يسافرون خارج القرية، ويعودون ومعهم مال نقدي، يكون ذلك مثيراً بالنسبة إلينا.

لم يكن استخدام المذياع شائعاً، فأنا لم أرَ مذياعاً قبل مغادرتي القرية.

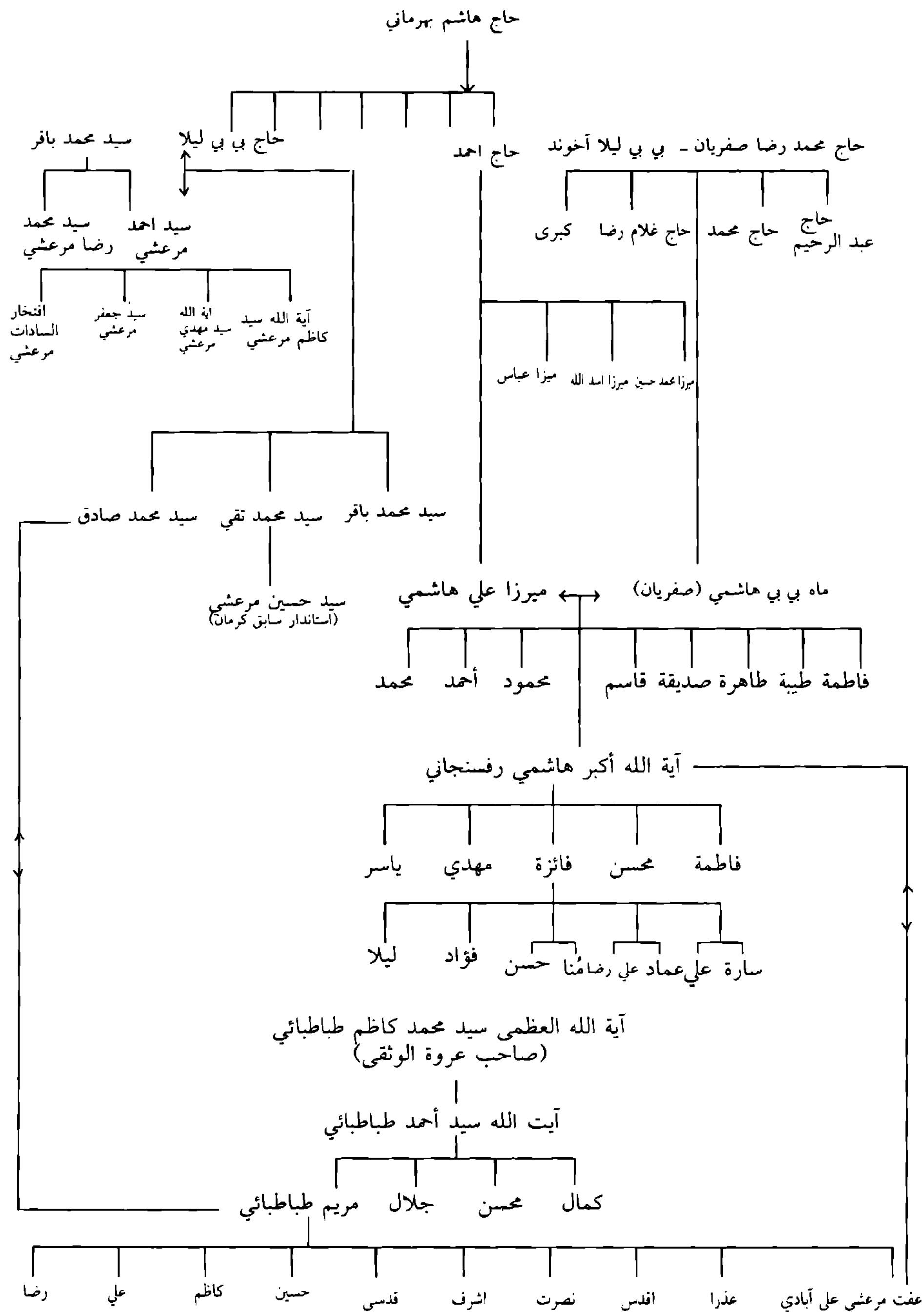
كان الناس يقضون أوقات فراغهم بالأحاديث وسماع الحكايات، وكان لقراءة مجالس العزاء تأثير حَسَن، وبخاصة في رمضان ومحرم وصفر. في هذه المواسم كان الأطفال يرددون «المراثي»، وكنا نحن أيضاً من بين منشديها.

كان عمي ـ ميرزا عباس ـ والد الشيخ محمد،[١] والشيخ حسين،[٢] فقيهاً متعلماً، وكان خطيب مسجد القرية.

كانت قريتنا من منظار ثقافي ـ مقارنةً مع قرى أخرى ـ أعلى مستوى من غيرها، وكانت سبّاقة في الثورة التي عمّ تأثيرها رفسنجان كلّها.

(١) إمام الجمعة الحالي في رفسنجان.

(٢) نائب رفسنجان في مجلس الشورى الإسلامي، من الدورة الأولى وحتى الدورة الرابعة.


حاج هاشم بهرماني
سيد محمد باقر
حاج بي بي ليلا
حاج احمد
حاج محمد رضا صفريان - بي بي ليلا آخوند
سيد محمد رضا مرعشي
سيد احمد مرعشي
كبرى
حاج غلام رضا
حاج محمد
حاج عبد الرحيم
افتخار السادات مرعشي
سيد جعفر مرعشي
آية الله سيد مهدي مرعشي
آية الله سيد كاظم مرعشي
ميرزا عباس
ميرزا اسد الله
ميرزا محمد حسين
سيد محمد صادق
سيد محمد تقي
سيد محمد باقر
سيد حسين مرعشي
(استاندار سابق كرمان)
ميرزا علي هاشمي
ماه بي بي هاشمي (صفريان)
محمد
أحمد
محمود
قاسم
صديقة
طاهرة
طيبة
فاطمة
آية الله أكبر هاشمي رفسنجاني
ياسر
مهدي
فائزة
محسن
فاطمة
ليلا
فؤاد
حسن
منا
علي رضا
عماد
علي
سارة
آية الله العظمى سيد محمد كاظم طباطبائي
(صاحب عروة الوثقى)
آيت الله سيد أحمد طباطبائي
مريم طباطبائي
جلال
محسن
كمال
رضا
علي
كاظم
حسين
قدسي
اشرف
نصرت
اقدس
عذرا
عفت مرعشي علي آبادي

هاجس السفر إلى قم

شيئاً فشيئاً، لم يعد الكُتّاب بقادرٍ على الإجابة عن تساؤلاتنا، وقد تولى ابن عمي الشيخ محمد إدارة الكتّاب لمدة من الزمن، وكنت أنا مساعدَه، وقد بقيتُ في القرية حتى الرابعة عشرة، وابن عمي هو الذي اقترح فكرة السفر إلى قم، لم يوافق والده، خوفاً من أن لا نتحمّل حياة الوحدة في الغربة، فطلب إليّ أن أناقش أباه لأقنعه وأحصل على موافقته. منذ تلك اللحظة أحسست بالغربة، وتزايد هذا الإحساس في أثناء الطريق، وما إن طرحت المسألة أمام عمي حتى انفجرتُ باكياً، فضحك الأقارب وسألوني: كيف يمكنك أن تتحمل الغربة وهذه حالتك؟ مع هذا، وافق عمي، ولقد كانت الرغبة بالعلم والثقافة لديّ أقوى مما كانت عليه لدى أخي، فقد انصرف هو أكثر إلى الأعمال الزراعية وتربية الدواجن.

في الكتّاب، كنت أحب الكتب والمطالعة أكثر منه، وقد ظهر هذا الفرق منذ اليوم الأول لدخولنا الكتّاب، فعلى الرغم من أنني كنت الأصغر، حفظت الدرس الأول ونلت جائزةً، كما أنني كنت أكثر جرأةً وإقداماً.

كانت العادة عند البدء بالتعلم، أن تُقدّم إلى معلم الكتّاب هديةٌ: هي عبارة عن حلوى توضع في صينية وتغطّى بقطعة قماش، وعندما كنت أحِس أن حَمْلها على هذا النحو متعبٌ، كنت أضع الحلوى في قطعة القماش وأحملها على كتفي.

في كل الأحوال، تقرر أن نسافر إلى قم، وصادف أن قافلةً كانت تستعد لزيارة كربلاء، وكان الوالدان وعدد من الأقارب في عداد أفرادها، وكان القرار أن نسافر معهم إلى قم، ليُتاح لهم تجيهزنا هنالك.

السفر المثير

كان ذلك في خريف العام ١٣٢٧هـ.ش [١٩٤٨م] ـ وقد كان القرويون يعملون في بعض فصول السنة، وفي بعضها الآخر ـ وبخاصة الشتاء ـ لا يعملون ـ. جمعنا الفستق والقطن وكان الصيف قد ولّى ومضى، وخزّنا القمح والبذور كالعادة. بعض التفاصيل لا أذكرها بدقة: أكُنا نحن الذين نغرس البذور أم أن الفلاحين هم الذين يقومون بذلك ويتولى أخي (المرحوم الحاج قاسم) الإشراف على ذلك...؟

في كل الأحوال، تهيّأنا للسفر، وكان أول سفر لي خارج القرية، قبل ذلك، كنت قد جرّبت مرّة واحدة مغادرة القرية، إلى مسافة لا تبعد أكثر من فرسخ واحد، قطعنا المسافة بين القرية والطريق العام على البغال، لم يكن في قريتنا سيارة في ذلك الحين، وكان السفر على البغال والحمير مريحاً، كانوا يفرشون ظهورها بحيث يرتاح المسافرون ولا ينالهم أي أذى. البعض، سافروا سيراً على الأقدام، وكانت المسافة بين القرية وطريق عام «رفسنجان ـ يزد» سبعة فراسخ، وكانت تستغرق عادة يوماً كاملاً. توقفنا في قرية قريبة من الطريق العام، تدعى «بياض». دخلنا منزل أحد مُلّاك القرية ـ الذي كان يقيم في كرمان ـ قدموا لنا الطابق العلوي وكان مشرفاً على الجادّة. انتظرنا هنالك ثلاثة أيام قبل أن نعثر على سيارة تُقِلّنا، لندرة السيارات في تلك الأيام. ركبنا فوق الحمولة، وكان الطقس بارداً جداً، فتدثّرنا بألحفتنا لنشعر بالدفء. وعند الصباح تقريبا وصلنا إلى يزد، وكانت هذه المرة الأولى التي أشاهد فيها المدينة. في يزد مكثنا عدة أيام، حتى تمكن أبي من خلال علاقته بتاجر تربطه به معاملات أن يأخذ مالاً نقداً أو حوالة. فلقد كان بين القرويين المنتجين وبين التجار في المدينة علاقات مالية مستمرة؛ وكان بيننا وبين تجار رفسنجان حسابات وكذلك تجار يزد، في كل الأحوال تهيأت ميزانية الرحلة، وبعد شراء التذاكر، جرّبتُ لأول مرّة في حياتي ركوب الأوتوبوس: أوتوبوس مستهلك، تكرّرت أعطاله، وثقبت عجلاته، والطرق الترابية و. . وأخيراً وصلنا إلى قم. كانت جميلة وحلوة مع ما تكبدناه من مشقات.

في منزل المرعشيين

نزلنا في فندق، وترددنا أكثر من مرة إلى منزل [السيد مهدي والسيد كاظم] المعروفين بـ«أخوان مرعشي». بعد أيام توجه أبي والأقارب ورفاق السفر إلى كربلاء، وتُرِكْنا أنا وابن عمي الشيخ محمد في منزل السادة «الأخوة مرعشي» الذين كانوا ثلاثة: السيد كاظم والسيد مهدي، اللذان هما الآن من آيات الله في قم ومشهد، وقد كانا في تلك الأيام من أفاضل الحوزة المعروفين، وموضع اهتمام الطلبة والمراجع، وأخوهم الثالث كان يدعى جعفر آقا، وكان مصاباً بالشّلل، وكانت أمهم سيّدة مسنة، من أحفاد المرحوم آية الله الشيرازي الكبير.

لم تواجهنا مشكلة من ناحية السكن، فقد اتفق أبي مع السادة المرعشيين، أن يدفع كلّ واحد منا خمسين توماناً شهرياً، نفقات المعيشة، ولم يكن وضعهم كطلاب يسمح أن يُحمّلوا أعباء الإنفاق علينا.

شتاء قم القارس

كان شتاءً شديد البرودة، لم أرَ قم منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم بهذه البرودة. واجهنا ضنكاً شديداً، كان وضعنا في المنزل مقبولاً، ولكن الذهاب والإياب كان عسيراً: الثلوج المتراكمة، الأزقّة المظلمة... كان منزلهم الأول في آخر محلّة أرك. كانت الإمكانات شحيحة، وكنا نحن نخدمهم بشراء الخبز واللحم... وكانوا هم يتعهدوننا بالرعاية، وتقوم أمهم بتحضير الطعام وأعمال المنزل، وكنا نحن نقدم لها يد المساعدة.

الصداقات الأولى

قبل الانتقال إلى قم، كنت على اطلاع مختصر على الآداب العربية: قرأت «نصاب الصّبيان» والأمثلة وشرح الأمثلة... وكان الشيخ محمد أكثر اطلاعاً مني في هذا المجال... بدأت الدروس متتلمذاً على يده، مع بعض المشكلات... وكانت لديه لكنة تحسنت الآن. كان مركز تجمعنا في مدرسة «الخان» التي كان وضعها يختلف كثيراً عما هو عليه الآن. من أوائل الذين تعرّفت إليهم، الشيخ حيدر يزدي، الذي كان يسبقني في الدراسة، وتعرفت في مباحث الصرف إلى الشيخ «جعفر شجوني»، الذي كان أنشط منا وأكثر اندفاعاً.

منذ الأيام الأولى تلك، ارتديت زِيّ رجل الدين، قبل توجه أبي إلى كربلاء، أما الشيخ محمد فقد كان يرتدي القباء ويضع شالاً كدراويش «نوق»، ولم يكن لديه عباءة. فاشتروا قماشاً ليخيطوا له عباءة، ولكن الخياط لم يكن صادقاً، فظل الشيخ محمد ثلاثة أشهر أو أربعة بدون عباءة في فصل الشتاء؛ أنا لم أواجه مشكلة في الثياب.

دام سفر والدي وأقاربه إلى كربلاء حوالى ثلاثة أشهر، كانوا يعتقدون أننا لن نشعر بالاستقرار في قم، وسنعود معهم إلى قريتنا. ولكنهم لمسوا حين عودتهم أننا بدأنا نألف جوّ قم، وأننا لا نرغب بالعودة معهم. فمكثوا في قم عدّة أيام، وغادروا بعدها، وتابعنا نحن دراستنا.

استطاع الأخوان مرعشي بعد بيع بعض المقتنيات، والاقتراض، ومساعدة آية الله العظمى البروجردي، أن يشتروا من أحد تجار قم منزلاً أفضل من منزلهم الأول، بمبلغ مقداره خمسة وعشرون ألف تومان، وكان قلّة من رجال الدين يمتلكون مثل هذا المنزل. كان هذا البيت الجديد مقابل منزل الإمام الخميني، ولم يكن قد تزوج بعد. لم يكن استئجار غرفة في تلك الأيام أمراً سهلاً، فعشنا عدة سنوات عندهم، وكنا أيضاً متقدمين في دروسنا، وكان الأخوان يشجعاننا.

لم أغادر قم إلا حين وصولي إلى «شرح اللمعة»، مع أنّ الطلاب كانوا يعودون في فصل الصيف إلى ديارهم.

الأساتذة والزملاء

لم يكن في حوزة قم صفوف معينة خاصة بكل مرحلة أو سطح من السطوح على حدة. كان الطالب بحسب رغبته وتدبره الشخصي يختار أستاذاً لكل درسٍ من الدروس، ولم يكن هناك أيضاً مكان ثابتٌ ومحددٌ لكل درسٍ في المسجد، في صحن الحرم، في أروقة الحرم، في المنزل، في الغرف، وفي أي مكان آخر يمكن أن يُلقى الدرس، الحضور كان أيضاً حرّاً؛ يمكن أن يحضر الدرسَ طالبٌ واحدٌ أو عشرة طلاب، ولم يكن أحدٌ يراقب الحضور.

في المباحثات أيضاً كان كل شيء حرّاً واختيارياً، وعلى هذا النحو، حضرتُ من «جامع المقدمات» وحتى «الكفاية» دروسَ عددٍ كبيرٍ من الأساتذة. من بينهم في الأدب: «الشهيد سعيدي»، الدكتور «محسن جهانگيري»، والسيد «موسى الصدر»، والسيد «محمدي» و«صالحي نجف آبادي»، و«شب زنده دار».

وفي الفقه والأصول: منتظري، مشكيني، سلطاني، تبريزي، صدّوقي، اعتمادي، نوري، مجاهدي.

في دروس الخارج، استفدت من دروس الآيات العظام: البروجردي، والإمام الخميني، والداماد، وگلپايگاني، وشريعتمداري، وحايري يزدي، ونجفي مرعشي.

في الفلسفة والتفسير، استفدت من دروس العلامة الطباطبائي، وآية الله زاهدي،

وآية الله منتظري. أما الفوائد الأساسية العلمية والأخلاقية والفكرية، فقد اكتسبتها من محضر الإمام الخميني.

تعرفت إلى السيد رباني أملشي ـ كنا كشريكين في المباحثات ـ وقد بقينا كذلك حتى نهاية مرحلة التحصيل. بعدها سافرنا معاً كصديقين إلى أملش للتبليغ؛ وقد أقمت هنالك في منزل المرحوم والده، وحين أبعد إلى فردوس في خراسان، ذهبت لزيارته، وكان والده في ذلك الحين هنالك، عاد معي، وأوصلته في سيارتي الپيجو الخاصة إلى أملش.

شريكنا الآخر في البحث كان السيد تربتي ـ أخ زوجة السيد مرواريد، والابن الأكبر للمرحوم إسلامي ـ وهو طبيب الآن.

وعلى هذا النحو تابعنا الدارسة، وقد تشاركنا مدة في البحث نحن والسيدين صانعي وبهجتي.

الجائزة التشجيعية الأولى

إحدى ذكرياتي الجميلة، كانت جائزة قدمها إليّ المرحوم آية الله العظمى البروجردي، الذي كنا نحبّه حبًّا جماً، وكنا نشعر بالسعادة لمجرد النظر إلى وجهه. كنت في ذلك الحين قد درست «السيوطي» و«الحاشية»، فكتبت رسالة إلى السيد البروجردي ذكرت فيها أنني أحفظ أشعار «ألفية ابن مالك»، ومتن «تهذيب المنطق»، وجزءاً ونصف من القرآن الكريم، وأنني مستعد لأن أُمتَحَنَ في حضوره. كان دأبُه تشجيع الطلبة الذين يبذلون مثل هذه الجهود، ويوفّقون، مع اهتمام خاص بحفظ القرآن الكريم وأشعار «ألفية ابن مالك» التي هي دورة صعبة من قواعد اللغة العربية.

في أحد الأيام، في منزل حضرته، وقد أقيم مجلس عزاء، وصعد السيد فلسفي المنبر، انتهزت الفرصة، وسلمته الرسالة يداً بيد، وجلست في مواجهته. قرأ رسالتي مباشرة وقال:

ـ أحفظتَ هذا كلَّه؟

ـ قلت: نعم.

ـ قال: أأنت مستعد للامتحان؟

ـ قلت: نعم.

فقرأ بيتاً من الشعر، من الألفية وطلب إلي أن أكمل.. فأكملت، وطلب إليّ كذلك بهذه الطريقة تلاوة قسم من متن الحاشية، ثم قرأ عبارة من «الكليات الخمس» ـ التي هي من أصعب مسائل المنطق ـ لأكملها ففعلت، ثم قرأ آية من القرآن فأكملتها، دون أن أشعر بالخجل في محضرِه، أو أن ألْحَنَ. فأظهر استحسانه، وأمر الحاج محمد حسين أن يعطيني منحةً شهريةً تشجيعاً لي، ولم تكن العادةُ أن يُعطى الطلبةُ راتباً قبل الوصول إلى شرح «اللمعة»، وهكذا أعطيتُ عشرة توامين شهرياً، وكان هذا الأمر نجاحاً ملحوظاً بالنسبة إليّ أثّر في حياتي مادّيًا ومعنوياً. كما أنني تسلّمت هدية فورية: خمسة وعشرين أو ثلاثين توماناً نقداً.

بعد الجلسة، أضاف الحاج محمد حسين إلى تلك الجائزة ثياباً مستعملة، لم يعجبني الأمر، فقد جرح كبريائي، فغادرت المكان باكياً.

كرّر السيد تربتي مافعلته وكتب رسالة، وتكرر المشهد..

وصل خبر الجائزة إلى القرية إذ كان أبي مسافراً إلى مشهد، وفي أثناء توقّفه في قم علم بالأمر، فكتب رسالة إلى القرية، شجع فيها أخي المرحوم ـ الحاج قاسم ـ أن يسافر هو أيضاً إلى قم للدراسة.

في مدارج الدعوة

من الأعمال الفرعية التي كان الطلبة الشبّان يقومون بها في تلك الأيام، تشكيل مجالس عزاء، والتمرن على الخطابة.

كان من خطباء قم المعروفين أشخاص مثل الحاج أنصاري، برقعي، وإشراقي، وقد كانت مواعظ إشراقي ثقيلة على مسامعنا، أما خطب الآخرين فقد كانت مفهومة بشكل أفضل. كنا نكتب المواضيع التي سنطرحها، ونستفيد منها في التمرين على الخطابة.

كان أول سفر لي إلى قرية بهرمان، بعد سنوات ثلاث من الإقامة المتواصلة في قم

والوصول إلى شرح اللمعة، عدت في الصيف إلى القرية، وفي أول ليلة من ليالي رمضان، اعتليت المنبر للمرة الأولى، مستفيداً من خطبة الرسول المعروفة في آخر «جمعة» من شعبان، موضوعاً للبحث: «أيها الناس قد أقبل عليكم شهر الله. . .». قرأتُ الخطبة كلها غيباً، وشرحتها، فاستقبل الناس كلامي استقبالاً حسناً، وأعجبوا بالخطبة إعجاباً شديداً. كنا نستعين للخطابة بكتب مثل «مجالس الواعظين»، أو «مجالس المتّقين»، ونستخدم كعناوين مواضيع كالصبر والشكر، والإنصاف. . . مستشهدين بالآيات والروايات والقصص والحكم والأمثال المناسبة، وكانت تلك المواضيع بالنسبة إلينا منبعاً لا ينضب.

في كل حال، لقد أكملنا في القرية شهر رمضان وبقية الصيف، نخطب كلّ ليلة في الناس مجاناً، كان وضعنا في القرية لا يسمح لنا بأن نتقاضى من الناس أجراً. وكان الشيخ محمد يعتلي المنبر أيضاً.

كنا في هذين الشهرين أو الثلاثة، إضافة إلى قريتنا، نذهب إلى القرى المجاورة، وكنا مرجع الناس في الأمور الدينية. كانت المواعظ في تلك الأيام تتمحور حول مواضيع مثل: الرّبا، السرقة، الغيبة، وتعليم أحكام الدين وفرائضه، أي المواضيع الأخلاقية والعملية بصورة عامة.

كانت هذه حدود المستوى الثقافي للوعظ، بمستوى فهم الناس. ففي نهاية شهر رمضان هذا، أرخى الناس لحاهم، وقصّروا شعورهم، كما يفعل الطلبة؛ ولقد كنا نقدّم للناس معارفَ أخرى بحسب معلوماتنا. فقد تابعنا الوعظ لعدة سنوات على هذا النحو.

الاستفادة من الوقت

اشتركنا في عطلتين صيفتين، في برنامج الدراسة الجديدة في المدرسة العلوية، حيث أقيمت دورات لتدريب الدعاة إلى خارج إيران. كانوا يُقبلون كلّ عام خمسة عشر شخصاً، وكنا نحن في عداد المقبولين، من أساتذة هذه الدورات ومنهم المرحوم «روزبه» وعدد آخر من الأساتذة. كانت معرفتنا بهذه الدراسة الجديدة من خلال هذه الدورات فقط.

طيلة مدة الدراسة، كنت أقوم بالتدريس، ولكن لم يكن لديّ حوزات واسعة؛

وبعض الذين اشتركوا في الدراسة في هذه الحوزات المحدودة العدد، هم اليوم من العلماء المعروفين في المدن المختلفة وفي الحوزة عينها.

الدعوة وتأمين المعاش

كنت قد أشرت من قبل إلى وضعنا المعيشي. فقد كنا ندفع حين كنا نقيم في منزل الإخوة مرعشي شهرياً خمسين توماناً ـ بحسب الاتفاق بينهم وبين الوالد ـ في السفر التبليغي الأول إلى نوق انضم إلينا السيد أنصاري ـ الذي كان واعظاً في رفسنجان ـ وأخوتي محمود ومحمد وأحمد. كان الوالد يرسل إلينا باستمرار مبلغاً من المال، ولكن ذلك المبلغ بالإضافة إلى المنحة الشهرية التي كنا نتقاضاها، لم يكن كافياً.

كانت الأسفار التبليغية إلى غير نوق، تدر علينا أحياناً مبلغاً من المال.

أتذكر سفري التبليغي الأول: كان الشيخ محمد كمره اي، وهو اليوم قاض متقاعد، من أهالي «كمره» في ضواحي خمين، قد شجعني على السفر إلى «كمره». في «الأربعين» [الذكرى الأربعين للإمام الحسين] قررنا السفر إلى قرية من قرى «كمره»؛ حملت حقيبة مليئة بالكتب، وقضيت الليلة في المقهى بعد تعب شديد، في الصباح حضر الأهالي واصطحبوني إلى المنبر في أحد المنازل حيث تقام مراسم العزاء.

في الماضي، عندما كنت أذهب للتبليغ في قريتنا، كنت أشعر بالقوة من أول الطريق. كان الوضع هنا مختلفاً، لم يكن الناس كأهل ضيعتنا لطفاء ومحبّين. قبل البدء بالخطبة، قال أحد الحاضرين عبارة صدمتني، كانت تعني ضمنياً، أن لديهم معارف دينية، ولا يحتاجون لمن يعظهم. في الخطبة الأولى، انطلاقاً من الآية: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم...﴾ حملتُ على رئيس القرية وعلى الحاضرين. لم تكن ردة فعل الناس كما كنت أبغي، قالوا: هذا الكلام الذي تقوله، نحن نعرفه؛ لم يقولوا ذلك صراحة وحرفياً، وإنما ظهر ذلك في طريقة تعاطيهم وفي تصرفاتهم.

عندما كنت أذهب إلى قريتي، كان الناس يستقبلونني بحرارة، ويرشون الطرقات بالماء، ويحملون علماً، ويصطحبونني إلى المنزل بالتكبير والصلوات. بينما أُقابَل هنا بهذا السلوك الذي لا يَدُّل على الاحترام... ذهبت إلى المقهى متذرعاً بإحضار الحقيبة، وبدلاً من العودة إلى القرية، استقليت سيارة بهدف العودة إلى قم، استخرت، فجاءت

الآية سلبية كيفما فُسّرت، كانت الآية متعلقة بأصحاب الكهف؛ ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾. في أي حال، لقد فشلت في هذا السفر.

قمت بسفر آخر برفقة السيد أنصاري دارابي، ورفيقين من رفاق البحث ـ صارا في ما بعد رفيقين في متراس واحد وحرب واحدة ـ هما السيدان الشيخ حسن صانعي والسيد رباني أملشي، ذهبنا معاً إلى مقاطعة فارس. من الخواطر المتبقية ليومين قضيناهما في إحدى مدارس شيراز، لقاء السيد آية الله السيد نور الله الحسيني، الذي كان في تلك الأيام عالماً ذائع الصيت.

ارتأى الأصدقاء أن نذهب إلى «فسا» فلنا فيها معارف كثر. تردّدنا يومين أو ثلاثة أيام، ثم ذهب السيد صانعي إلى قرية تدعى «زاهدان»، وألقيت أنا خطبة وعظية في المسجد الجامع كان لها وقع جيد. في الجلسة نفسها، أعجب واحد من الأهالي بكلامي ودعاني إلى منزله. السيد رباني اشتغل في قرية أخرى هي قرية «رهنير».

هذه الخواطر تعود إلى العامين ١٣٣٤ و١٣٣٥ [١٩٥٦ ـ ١٩٥٧]، وكنا ندرس في ذلك الحين «المكاسب» و«الكفاية». وكان السيد محمد حسين ارسنجاني، إمام الجماعة هنالك، وكان يستضيفنا أحياناً.

كانت «رهنير» قرية طيبة الماء والهواء، والصيد الكثير، إلى درجة أن الرجل يقول في الصباح، أنا ذاهب لأصطاد غزالاً، فيعود ومعه أربعة غزلان أو خمسة. مع ذلك، فإن مجمل الظروف مقارنةً مع وضع قريتنا لم تلائمني، والإحساس بالغربة كان مؤلماً أيضاً.

سافرت من هنالك إلى «اصطهبانات»، حيث استضافني هنالك موظّف متديّن، وكان أخوه طالباً من معارفي، حسن الصحبة، كان بالقرب من المدينة منطقة جبلية خضراء، أعجبتني للتنزه والتسلية وملء أوقات الفراغ، ولكن كلامي هنالك لم يلق قبولاً.

لم يكن الوضع طبيعياً، كان الوعظ في قريتنا يرفع من مستوى توقعاتنا في حين أن هذه الظروف لم تكن متوافرة في أماكن أخرى. من هنالك ذهبت إلى «تبريز»، التي كان رجل الدين فيها هو آية الله السيد محيي الدين فال اسيري، والذي توفي مؤخراً، وكان ابنه نائباً في البرلمان. إعتليت فيها المنبر مرة أو مرتين، ومكثنا هنالك حتى آخر رمضان، بعد ذلك عدنا إلى شيراز.

كان مجموع مدخولنا المشترك نحن الثلاثة، ألف تومان، وإذا حذفنا نفقات السفر والهدايا، لم يبق لنا شيءٌ يذكر. كان هدفنا حتماً هو التبليغ والوعظ. كنا بحاجة إلى المال، ولكننا لم نعطه أهمية كبيرة. بعد ذلك كانت لنا أسفار إلى «أملش»، حيث والد السيد ربّاني، المرحوم الحاج أبو المكارم ربّاني، الذي كان عالماً حرّ الرأي، محبوباً، وكان مجرّد التوقف في منزله، ومعاشرته، بالنسبة إليّ، مفيداً، وفرصةً لا تفوّت. إضافة إلى أنني وجدت هناك أصدقاء كثراً، ساعدوا كثيراً في مرحلة النضال.

في «أملش» استُقبِلَت مواعظُنا استقبالاً حسناً، وبالرغم من أنها لم تدر علينا دخلاً كافياً بأيّ حالٍ من الأحوال، لكننا كنا راضين كلياً في ما يتعلق بالوعظ والتبليغ ـ الذي كان هدفَنا الأصلي ـ.

العمل والدراسة

ولكي نضع حلاً لمشكلة شحّ الموارد، أسسنا مطبعة صغيرة باسم «كانون هنر»، عمل على تطويرها إخوتي أحمد ومحمود ومحمد، وخاصة في فصل الصيف حيث كانوا يسافرون إلى مدن أخرى. أنشأنا في قم «مكتباً» أيضاً، وهكذا تخطّينا من هذا الطريق مشاكل الحياة المادية إلى حدّ ما، لأن المطبعة كانت تدر علينا دخلاً معقولاً، والجدير بالذكر أن رأسمالها كان عدة آلات طباعة وكرسياً وطاولة، اشتريناها بالأمانة وكنا نسدد ثمنها من الأرباح.

الغرفة المنطلق

بعد سنوات تزوج الأخوان مرعشي وانتقلا إلى النجف، فانتقلنا إلى غرفة مستأجرة. وبعد عناء من التحصيل والعيش في غرف مستأجرة، تمكنا من بناء حجرة مستقلة: وكانت بمثابة حجر الأساس في مدرسة الحاج ملا محمد صادق. وهنالك تعرفنا إلى عائلة «سادات روحاني» قم، وقد كان من أبناء هذه العائلة عدد من رجال الدين المشهورين.

بدأت فاعليتنا الجدية من هذه الحجرة، التي تحوّلت إلى مركزٍ لتجمعنا. بعد مدة دخلنا مدرسة «الحجتيّة». كنا ثمانية أشخاص في حجرة متوسطة! أنا وإخوتي، والسادة باهُنر، مهدوي كرماني، نور اللهي، فقيهي، وتوكلي.

كانت هذه الغرفة مزدحمة، حتى أن الأشخاص الذين كانوا يعبرون من أمامها، في الأيام التي كانت تقام فيها مراسم ذكرى وفاة الأئمة أو شهادتهم أو ولادتهم، يعتقدون أن المراسم تقام فيها، وكنا نستغل هذه الفرصة ونستدرجهم للدخول، وبعد ذلك نفاجئهم، فقد كانت ذريعة مناسبة لتسلية الطلبة.

من هذه الحجرة، كان انطلاق عمل «مكتب تشيع»؛ برفقة الشهيد «باهُنر» والمرحوم «محمد صالحي» والسيد «مهدوي كرماني»، حيث قامت نوع من المنافسة بين مكتبنا «مكتب تشيع» و«مكتب إسلام».

يجدر الذكر بأن الذين كانوا يديرون تنظيم «مكتب إسلام»، كانوا متقدمين علينا حوزوياً، وكانوا من أنصار شريعتمداري. أما أنا ورفاقي فكنا من محبّي الإمام [الخميني]. وفي أواخر حياة آية الله العظمى البروجردي ـ على الرغم من تسليم الجميع بمرجعيته ـ كان كل واحد من مراجع قم محور تجمع خاص، تحضيراً للمستقبل.

كان وضع الإمام [الخميني]، من الجانب المعنوي، يجذب إليه أحرار الحوزة. كما أن اختياره بالنسبة إلينا يتضمن مفهوم الحرية والاستقلال، . وكان توسع «مكتب تشيع» يسير بهذا الخط ويحمل هذا التوجه، ويحظى بدعم قويّ جداً.

في هذه المرحلة، كنت أنا دراسياً من تلامذة الإمام [الخميني]، وكنت أحضر، في الوقت نفسه، دروس الخارج للسيد البروجردي، وقد كان في مرحلة الكهولة. وفي الحقيقة كان الدرس الأكثر جدّية هو درس الإمام [الخميني].

تابعت مع الإمام [الخميني] الدورة الكاملة في علم الأصول وقسم من الفقه، كما كنت أستفيد في التفسير والفلسفة من دروس العلامة الطباطبائي. وعلى هامش هذه الدروس كنت أحياناً أحضر دروس آخرين: فقه شريعتمداري الخاص، مبحث النكاح، دراسة الآيات للمرحوم النجفي، كلپايكاني وحائري يزدي وأكثر من كل شيء درس السيد الداماد.

في سفري إلى النجف، حضرت جلسات من دروس آية الله العظمى الخوئي والزنجاني.

كان من الممكن إذا وجَدت في مسألة من المسائل ما يبعث على الاجتهاد، أن يكون لي فيها وجهة نظر خاصة، وفي بعض المسائل كنت أعمل باجتهادي الشخصي، ولا أزال كذلك حتى الآن.

الزواج

في خلال المرحلة الماضية التي أشرت إلى بعض ذكرياتها، في العام ١٣٣٧هـ.ش [١٩٥٨م]، وفي رفسنجان، خُطبت لي ابنة حجة الإسلام السيد محمد صادق مرعشي الذي كان كاتباً بالعدل، وكان في دراسته الحوزوية قد وصل إلى حد «الكفاية»، له بعض الأملاك في مقاطعة «كشكوئية»، ويعمل في الزراعة أيضاً. لم يكن في نيتي الاعتماد على أبي في تأمين نفقات الزواج، لأن ذلك يفرض بيع قسم من أملاكنا، ولم نكن راغبين بهذا الأمر، فاشترينا من السيد أنصاري بعض حقول الفستق بالأمانة، وبعناها نقداً، وتلقينا بعض المساعدة من الوالد.

يعود نسب زوجتي إلى عائلتي «مرعشي» و«طباطبائي» الكبيرتين[١] ثقافتها دينية، ولقد أثمر هذا الزواج خمسة أولاد هم بحسب الترتيب (فاطمة، ومحسن وفائزة ومهدي وياسر). تزوجت ابنتاي من ابني السيد لاهوتي. الأول طبيب والثاني طبيب أسنان، وقد تم التوافق على هذا الزواج في آخر عهد السجن ـ حيث كنا مسجونين معاً في سجن إڤين ـ.

(١) الفقيه المشهور آية الله العظمى السيد كاظم طباطبائي، لأثره الفقهي المسمى «العروة الوثقى» مكانة معتبرة في الحوزات، ومن بينها النجف وقم، وهو أشهر رجالات عائلة الطباطبائي.

الفصل الثاني

الفرصة المنعطف

التعرف إلى الإمام [الخميني]

أتيحت ليَ فرصة التعرف إلى الإمام الخميني منذ بداية عهد الدراسة في قم. فقد كان منزل «الأخوان مرعشي» الثاني مقابل منزله. وكنت قبل الانتقال إلى هذا المنزل قد تعرفت إلى شخصية الإمام، كان شخصية معروفة ومحترمة في الحوزة، ومن بين أوائل الذين يتعرف إليهم المنتسب إلى الحوزة بعد السيد البروجردي. مع هذا فقد أتاحت لي الجيرة مجال معرفة أوثق.

انجذبت إلى الإمام منذ أن رأيته للمرة الأولى. طلعة مهيبة محبوبةٌ، وهيئة جذّابة، وكان هذا هو الأساس المشترك لدى جميع طلبة الحوزة الشباب. وقد زادت اللقاءات اليومية والمتكرّرة من فضولي وصرت أبحث عن ذريعة لتعميق هذه المعرفة. وكان هذا الإحساس نفسه حافزاً لتمتين الصداقة بينيَ وبين السيّد مصطفى، وقد كان طالباً شاباً، متقدماً عنا دراسياً، ولكنه كان شخصاً لطيفاً ومحبوباً.

في أثناء الذهاب، كنا نرافق خطوات الإمام أو السيد مصطفى، وضمن السلام والسؤال عن الأحوال، نطرح سؤالاً ما، موضوعاً أخلاقياً أو أدبياً أو فكرياً، وغير ذلك.

كان طرح الأسئلة في الحوزة يوصل إلى الإجابات الجدّية، كما أن الجواب الجيّد محرّك وحافزٌ لطرح المزيد من الأسئلة الجدّيّة، وربما كان أكثر طلبة الحوزة يلجأون إلى هذه الطريقة للتعرف إلى الشخصيات المشهورة، لأن الإجابة عن الأسئلة، مطروحةٌ ـ في

ثقافة الحوزة ـ كموضوع جدّيّ، وواجب وظيفي، نابع من إحساس العلماء بمسؤوليتهم المميزة في مجالي التعليم والتوجيه. في جميع الأحوال، أفادتنا هذه الطريقة في تعميق معرفتنا بالإمام وبالسيد مصطفى، ووثقت الأسئلة المتكرّرة بيننا علاقة، هي علاقة الأستاذ بتلاميذه.

من هذا الطريق تيسّرت لنا معلومات جيدة عن حياة الإمام وعائلته، كان لها وقع عميق علينا. كنت أسعى جاهداً، أن أطرح في أثناء المسير أسئلة تستحقّ أجوبة الإمام الجدّيّة، وكنت أتحيّن الفرص لأماشيه، وأطرح سؤالي وكان هو يجيبني إجابات مقتضبة ـ وكان هذا دأبه دائماً ـ في بداية هذه المعرفة كان الوضع مختلفاً، كنا ندرس «السطوح»، ولم نكن في هذا الدرس من بين تلاميذه، ولم يكن قد بدأ نشاطه في الحوزة بعد.

حدثت بعض المشكلات بينه وبين آية الله بروجردي، لم أرغب في الواقع ـ استناداً إلى أخبار ومعلومات غير كافية ـ أن أتدخّل فيها. كنا نعلم كلّنا، أن الإمام كان له في البداية دورٌ فاعلٌ في انتقال آية الله الروجردي إلى قم، لأهداف نبيلة، وتوقعات جدّيّة، ولكنه لم يتمكن بعد ذلك من متابعة العمل معه، وكانت رئاسة الحوزة للسيّد البروجردي.

في هذه الظروف، كنا ننتظر بفارغ الصبر، وبلهفة ومحبة، اليوم الذي سنصبح فيه، من بين الطلبة المشاركين في درسه، علماً أنه لم يكن هنالك ما يمنعنا من حضور درسه كمراقبين، ولكنّ هذا لم يكن ليشبع فضولنا، كنا نرغب في بأن نشارك فيه بصورة جدّيّة. إلى أن وصل اليوم الموعود وصرنا في عداد تلاميذه. ومنذ ذلك التاريخ تحول بيت الإمام إلى مركز تجمّع لنا: أنا وعدد من الأصدقاء ـ كالشيخ حسن صانعي والسيد ربّاني أملشي ـ في حين كان مركز تجمع الطلبة العام في المدرسة الفيضية، حيث يجتمعون قبل صلاة المغرب، يتحادثون ويتباحثون ويتحاورون جماعات جماعات: كل مجموعةٍ متجانسة فكرياً، وذات هموم مشتركة، تجد لها مركزاً خاصاً، وقد كان بيت الإمام مقرنا المشترك؛ حيث كنا نجتمع في أيام الأعياد أو العزاء، أو المناسبات الأخرى.

توثيق العلاقة وتعميقها

لقد توثقت علاقتي، أنا وعدد من رفقائي بالإمام في المجالات التي ذكرتها سابقاً،

وكان لنا دورٌ في اجتماعات الأعياد والعزاء، التي كان يشارك فيها الإمام، أو في أشكال التجمع في بيته، وكان في كلّ ذلك أرضية مناسبة لتعميق المعرفة بأفكار الإمام وأهدافه.

كنا قد تعرفنا من قبل إلى توجهات الإمام عن طريق كتابه «كشف الأسرار»، الذي كان قد كُتب ردّاً على بعض المنحرفين، ويتضمن انتقادات للعائلة البهلوية، وكان له وقع شديدٌ علينا، فلم نكن قد رأينا من قبل أحداً يجرؤ على اتخاذ مثل هذا الموقف الشجاع في وجه الشاه.

في كل حال، كنا نتوق إلى النضال، كما أننا على الرغم من الاحترام الذي كنّا نكنّه للعلامة بروجردي، ومحاولة تفهّم مواقفه ـ لأننا لم نكن على استعداد لتشويه صورته في أذهاننا أدنى تشويه ـ كانت لدينا تساؤلات مقرونة بعدم الرضا عن بعض مواقف آية الله بروجردي، والأوضاع السائدة في الحوزة.

كانت أفكار الإمام الخميني العلمية واضحة، وكنا نستفيد من دروسه، ونعدّها أفضل دروس الحوزة، إلى ذلك، يجب أن نضيف البعد الأخلاقي لشخصية الإمام، فالدرس الأخلاقي كان من حاجات الطلبة الروحية الأساسّية، وكانت هذه الحاجات تُشبَع في جلسات: الآقا الحاج حسين والشيخ عباس طهراني، حيث كنا نشارك أحياناً في قراءة الدعاء في مجلس الحاج حسين القمي، وكنا نحب أن نصاب بحالة من الوجد المفضية إلى البكاء.

في شهر رجب، في ومعظم السنوات، كنا نعتكف في «مسجد الإمام»، وكان هذا الاعتكاف مفيداً جداً لنا ومؤثّراً في تكويننا. كان الإمام من هذه الناحية قطباً مقتدراً ومجلّياً، وكان ذائع الصيت في الفلسفة والعرفان، وكنا نتمنى أن يُلقي دروساً في الفلسفة والعرفان.

كما أن مواقفه السياسية كانت واضحة أيضاً. لهذه الخصوصيّات مجتمعةً، وقع اختيارُنا على الإمام الخميني وانجذبنا إليه، وحين قررنا أن ننشر مجلة «مكتب تشيع» كان جميع المشاركين فيها من مريدي الإمام.

لقد بلغ انجذابنا إلى الإمام إلى حدّ أن أعطينا بيته أهمية تفوق بيت العلامة البروجردي.

كنا نحسّ أن مجلة «مكتب إسلام» التي صدرت، محورها الأساسيّ العلامة شريعتمداري، وكان ذلك صحيحاً، فالتجار الذين يموّلون المجلّة، كانوا من مقلّديه، وهم الذين تألفت منهم هيئتها التأسيسية. كما أن محرّري المقالات الأساسيين، كانوا على علاقة وثيقة به، ولقد كان هذا العمل دون شك قيماً، وهو أحد مبتكراته.

أردنا أن تكون نشرة «مكتب تشيع»، منطلقاً لتعاليم الإمام الخميني، ذهبت لمقابلة الإمام واستشرته، وتشجيعاً لنا، استفسر عن كُتّاب المقالات، فأعطيناه لائحة بأسمائهم، وقدم لنا بعض الاقتراحات، ولكننا كنا نتوقع منه أكثر من ذلك، كنا نريد أن يكون هو محور العمل، ولكنه كان يأنف أن يُظن أنه يميل إلى إصدار نشرة، كمنبر إعلامي له. وبدلاً من أن نصابَ بالإحباط زادنا موقفه عزيمة وتصميماً.

كنا على معرفة كاملة بالإمام، لم نعثر لديه على نقاط ضعف أو عيبٍ من العيوب. بعض الأمور كانت بالنسبة إلينا على عكس توقعاتنا: كحبّه للعزلة، وعدم دخول المعترك، أو اتخاذ مواقف من المجريات السياسية، كـ«ثورة النفط» و«فدائيي إسلام»، تبيّن لنا في ما بعد أنه كان محقاً. ربما لو أنه تصرف تصرفاً موافقاً لميولنا ورغباتنا، لما جاءت النتيجة جيدة في ما بعد. إضافة إلى أنه كان من الضروري في حياة آية الله العظمى البروجردي المحافظة على حرمته، وما كان لحركة في قم أن تنجح نجاحاً تاماً، ما لم تنل موافقته الكاملة.

آية الله العظمى البروجردي

يمكننا أن نقول اليوم، انطلاقاً من قراءة المعلومات التي نملكها قراءة سياسية، وتجميع المواضيع السياسية ـ في مرحلة مرجعية السيد البروجردي:

١ ـ لو أن الإمام الخميني في عصر السيد البروجردي، تدخّل في الصراعات السياسية، لما نجح، لعدم الانسجام بينهما، ولضاعت الفرص المستقبلية، وقد عرفت في ما بعد أن الإمام كان يحسب حساب المستقبل.

٢ ـ مثل هذا التحرك، كان بحاجة إلى القوى الموالية. في عصر السيد البروجردي كانت الأكثرية المطلقة من الطلبة تابعة له، ولم نكن نحن مستعدين نفسياً لتحمل أعباء أي

إهانة يمكن أن توجّه إليه، وحين كنا نسمع أحياناً أن بعض الأشخاص ينتقدونه، كنا نتألم بشدة، ونعد هذه المعارضة منافية للإسلام وللإيمان.

٣ ـ كان مقام السيد البروجردي يفرض عليه حيث يرى مصلحة، أن يقيم علاقات، وزيارات، ويوجه برقيات تعزية، ولم تكن هذه المواقف تضر بقيمته المعنوية، مع أن بعض القوى في الحوزة كانت في موقع النضال ضد البلاط ونظام الشاه.

٤ ـ كان حزب «توده»، قد أفسد بمواقفه المعادية للدين وإهانته للمقدسات، ساحة العمل السياسي والنضالي، وأوجد ذهنية لدى المتدينين ترى أن الخطر الأساسي يكمن في انتصار «حزب توده».

٥ ـ مع الأخذ في الاعتبار نفوذ المرجعية العظيم، إلا أن البعض كان يعتقد أن فرصاً كثيرة قد ضاعت في عصر السيد البروجردي، إنما كان له في جميع الأحوال تأثير إيجابي في تاريخ المرجعية.

لقد غدت حوزة قم، على يده، يحسب لها حساب، حوزة قم هذه التي أسسها آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري، لم تكن تقويتُها ـ بعد الضربات التي تحملتها في ظروف التضييق في عهد رضا شاه ـ أمراً بسيطاً ولا سهلاً، وكانت هذه هي الخدمة الكبرى للسيد البروجردي. لقد امتد ظل مرجعيته إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي الشيعي، وكان المرجع المطلق في پاكستان وأفغانستان، والعراق وإمارات خليج فارس، وغيرها. لعلها المرة الأولى التي تتوافر للحوزة مثل هذه الإمكانات، والأموال في مثل هذه المساحة الواسعة ـ في إيران وخارجها ـ لم يكن لها سابقة قبله. حتى في سامراء أنشأ حوزةً.

٦ ـ بعض إنجازات السيد البروجردي، كتأسيس «دار التقريب»، وتأسيس «مركز هامبورغ الإسلامي»، يدل على تفكيره الراقي، كان يتردد أحياناً، أنه كان يشير بحسرة إلى الوضع القائم قائلاً: ما أكثر الأفكار والأهداف التي كنت أملكها، وها أنا الآن مشغولٌ بإعطاء المال وقبضه! يؤكد ذلك، موقع فتاواه وميوله الثقافية التي انعكست في بعض الميادين، كصلاة الجمعة، والتجديد في أساليب الاجتهاد، والحث على تحضير «جامع الأحاديث».

٧ ـ تمتعت المرجعية في عصر السيد البروجردي بالمنعة والمكانة الرفيعة. لم يكن يَسمح بأن يهان الطلبة. وكمثال على ذلك، دفاعه عن السيد خزعلي: الذي اتُهم أنه أورد في إحدى خطبه في رفسنجان عبارة قاسية بحقّ الشاه، مضمونها التقريبي، أن الشاه كالخاتم في يد السيد البروجردي، يستطيع ساعة يشاء أن يخلَعَه، وقد نُفي بسبب هذه التهمة، فتدخل البرِوجردي وأرسل رسالة يحتج فيها على معاملة الطلبة بهذه الطريقة.

٨ ـ في الوقت نفسه، كان موقفه في بعض الأحيان موضع انتقاد الخاصة، مع أن مثل هذه المواقف كانت تحمّل عادةً لأحد أتباعه.

إذا تجاوزنا المسائل السياسية، فقد كانت بعض مواقفه الأخرى تثير التساؤلات: كمعارضته الجدّية لالتحاق طلبة العلوم الدينية بالجامعة، بحيث حُرِموا من مخصّصاتهم الشهرية.

لعل مثل هذه الأمور كانت هادفة، وعلى احتمال صحتها، فإننا نظن أن السيد البروجردي ربما كان خائفاً على الحوزة من التشتّت، فاجتذاب الجامعة للعناصر الموهوبة من شأنه أن يؤذي الحوزة، ولهذا الأمر سابقةٌ في تاريخ الحوزة، فحين تم تشكيل العدلية، أعطيت الأفضلية لطلبة الحوزة، فذهب عددٌ منهم وأصاب ذلك الحوزة بالضرر.

ولكن، في كل الأحوال، إن ذهاب الطلبة إلى الجامعة، له مصالح ومنافع متعددة لا يمكن إغفالها.

الاحتمال، أن يكون الدافع الأساسي، هو اهتمامه الجدّي بالمحافظة على الحوزة والمؤسسة الدينية وتوسيعها وتقويتها. والاحتمال الأقوى، أن آية الله البروجردي كان يعدّ توسعة الحوزات العلمية في ذلك الزمان، منطلقاً لانتشار الإسلام وتقويته، وهو أوجب من أي عمل آخر، وقد أثبتت الأحداث في ما بعد تأثير الحوزات في الثورة وفي مستقبل الوطن.

التأسيس للصراع

مع أن الطلبة من أمثالي، لم يكن لهم تدخل جدّي في السياسة في تلك الأيام، إذا

أخذنا في الاعتبار إبعاد الحوزة عن السياسة في عصر زعامة آية الله العظمى السيد البروجردي؛ إنما لدي بعض الخواطر عن الحوادث السياسية في تلك الأيام، وبخاصة تلك التي رافقت «ثورة النفط»، والأهم من ذلك ما يتعلق بفدائيي الإسلام.

كان الوصول إلى قم تقريباً في أوج الكفاح لتأميم صناعة النفط، في ذلك الحين لم تكن لنا معرفة صحيحة بالسياسة، ففي القرية حيث كنا نعيش ـ كما ذكرت سابقاً ـ لم نكن نستفيد من وسائل الإعلام كالمذياع والصحف، في قم أيضاً لم يكن استخدام المذياع شائعاً، واستفادتنا من الصحف كانت محدودة، نتوقف أمام أكشاك بيع الصحف، كان شراء الصحف ينحصر في الأوقات التي كان يُنشر فيها خبرٌ مثير. في القرية حيث كنا، كانت لنا معرفة سطحية بحزب «تُودهْ» وأعضائه، وفي الحوزة حيث جئنا، كان معلوماً ما هي صورتهم لدى الناس. ولكن الجبهة الوطنية كانت بالنسبة إلينا ذات جاذبية، كانت تجذبنا الشعارات المتعلقة بتأميم صناعة النفط. لم نكن راضين عن نهب الأجانب لهذه الثروة الوطنية. كنا نستمع إلى الخطب التي تتناول هذه المسألة، وكنا نشارك في الاجتماعات العامة للجبهة.

كانت لدينا مشاعر أقوى تجاه فدائيي الإسلام، كنت تقريباً من أنصارهم، وكنت أتحمس للاشتراك في جلساتهم وجمعياتهم العمومية.

حدث في ذلك الوقت، أن الحكم أحضر جنازة رضا خان من أفريقيا الجنوبية ونقلها إلى قم للطواف بها في حرم المعصومة، كما جرت العادة. لقد أعلن فدائيو الإسلام اعتراضهم على إحضار جسد رضا پهلوي إلى قم، وذلك في بيان لاجتماع عام، وقد حمى رجال الدين في قم هذه الحركة، وقد شاركنا نحن في هذا العمل، وأثر فينا كثيراً كلام السيد عبد الحسين واحدي في الفيضية، في ميدان «آستانة» و«مسجد الإمام».

كان الشهيدان نواب وواحدي يضعان العمامة بطريقة خاصة، فقد كانا يلقيان قسماً منها إلى الخلف، مع لبّادة فستقية اللون، حتى الآن، أنا أحبّ هذا اللون، فهو يهيج أشجاني. كان الأخ الأصغر للشهيد واحدي ـ السيد محمد واحدي ـ يردد أحد الشعارات، بصوت وأسلوب في الإلقاء جميل وأخاذ.

لقد كنا من المعجبين بهم إلى حدّ أن مجابهتهم ـ بعد إعلان السيد البروجردي، عن

عدم رضاه عن بعض الحركات، وأحياناً عن تطرفهم ـ هيجت مشاعرنا وغضبنا من السيد البروجردي!

كان الشهيد نواب، الذي كان رئيس التحرك، قلّما يأتي إلى قم. فقد ألقى خطبة أو خطبتين فقط في مسجد الإمام، شاركنا في الاستماع إليه. كان «نواب» بالنسبة إلينا مقدساً، وقد لقي تأييد الكثيرين، وكان مدعوماً بتأييد شخصيات كثيرة كآية الله [السيد صدر الدين] الصّدر، وآية الله السيّد محمد تقي الخوانساري.

يمكنني القول إن أسس توجهاتي السياسية تعود إلى ذلك الزمان، بتأثير أصداء حركة الجبهة الوطنية، ونضال آية الله كاشاني، وفوق ذلك كله، فدائيو الإسلام.

أما ضَرْبُ فدائيي الإسلام، فقد دفعنا إلى إساءة الظن بالدكتور مصدّق، والغضب من الجبهة الوطنية بسبب الظلم الذي وقع على آية الله كاشاني وإضعاف «فدائيان إسلام».

كنا معجبين بآية الله كاشاني، وفي أثناء سفره إلى قم، تبعناه أينما ذهب. كان دعم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري له، شديد التأثير فينا.

كان استنتاجنا أن فدائيي الإسلام، هم ساعِدا السيد كاشاني، مع أن تأثيرهم فينا كان أقوى، بما كان يميز عملهم الشجاعة والشفافية، ومواجهة الرصاص بأصوات التكبير! و..

كنا من صميم قلوبنا معادين للعائلة البهلوية، لما لها من سوابق معادية للدين ولرجال الدين... كنا نؤيد مواقف الجبهة الوطنية في الصراع ضد الشاه، ولكن في الخلافات التي وقعت بين الجبهة وبين آية الله كاشاني وفدائيي الإسلام، كانت ميولنا تتجه باتجاه آية الله كاشاني وفدائيي الإسلام.

لقد فجر موقف الجبهة الوطنية من آية الله كاشاني والفدائيين، غضب المجتمع المتدين، إلى حدّ أن كثيراً من الناس سُرّوا لسقوط مصدّق، وقد كنت شاهداً في إحدى المرات على مباركة أحد الأشخاص بهذه المناسبة.

حساب أعضاء حزب توده على حدة، فقد كان جو قم معادياً لهم، وليس لهم أي تأييد فيها. لقد كانوا يُهينون المقدسات الدينية علانية، من الخواطر التي لا ننساها،

الحادثة المعروفة المتعلقة بالسيد علي أكبر برقعي، حيث تحرك أنصار توده يوم استقباله في قم، وضربوا الطلبة، وفي صحن الحرم أهانوا الطلبة والسيد البروجردي وحتى القرآن! كان عملهم سيئاً جداً، وكردة فعل على تحركهم، عمت التظاهرات الواسعة قم، وحاصرنا مركز الأمن وألقى السيد تربتي خطبة، وحدثت موجةٌ من الاعتقالات، أحد الطلبة أوقفه أحد رجال الأمن، فانتزع منه سلاحه، أعقبت ذلك مصادمات عنيفة ومثيرة، واستخدم رجال الأمن الغاز المسيّل للدموع، آذاني كثيراً الحريق والدموع في عيني، قصدنا منزل البروجردي للاحتجاج وطَلَبِ الدعم، ثم تفرّقنا بعد ذلك.

كان منزلنا في تلك الأيام قريباً من الحرم، غطى المكان دخان الغاز المسيّل للدموع، وظلت عيوننا تلتهب حتى الصباح، بالنسبة للظروف في تلك الأيام، كانت حادثة مرعبة ومؤلمة.

عاود الطلاب في اليوم التالي تجمُّعَهم من جديد، وهاجموا عدة منازل ومتاجر كانت معروفة كمراكز لأنصار حزب توده، تبيّن بعد ذلك أن أحد عشر طالباً قد فُقدوا. قصدنا مقبرة «فرج»، وقلبنا التراب رأساً على عقب لنعثر على الجثث، طلب السيد البروجردي إيفاد مبعوث من طهران، أعطوه تعهداً، وأخيراً ولإضعاف الطلبة نفوا السيد برقعي. من بين الذين تكلموا في تلك الحادثة، الشهيد فضل الله محلاتي، وكان للطلبة الطهرانيين دور لافت وفاعل.

لقد خطّأنا أعضاء حزب توده في تلك الحادثة، واتُّهمت حكومة مصدق بالتواطؤ معهم، البعض رأوا أن هذا التواطؤ كان موجهاً ضدّ مصدق نفسه. في كل الأحوال، من الأمور المسلم بها، أن الجبهة الوطنية وحزب توده اشتركا في إضعاف حوزة قم ورجال الدين، كما أن الروس والإنكليز وأميركا كان لهم موقف سياسي مشترك من هذه الناحية.

لقد ابتعدت الجبهة الوطنية عن رجال الدين، وأُضعِف فدائيو الإسلام، والتزم السيد كاشاني بيته؛ وعلى الرغم من هزيمتهم للشاه في البداية، لكنهم بهذه السياسية والمواقف الخاطئة، فقدوا قوتهم الجماهيرية. انهزم مصدّق، وعاد الشاه بعد انقلاب ٢٨ مرداد ١٣٣٢ش [١٩/٨/ ١٩٥٣م].

بصرف النظر عما ذكرنا آنفاً، كانت هنالك نقاط ضعف ومشكلات أخرى، ففدائيو

الإسلام لم يكونوا وآية الله كاشاني على الخط نفسه، فقد كان للسيد كاشاني حضوره في المسرح السياسي، وكان يعرف إلى حد ما المحاذير والعواقب، بيد أن فدائيي الإسلام، كان شعارهم تطبيق الإسلام بحذافيره، فكان السيد كاشاني واقعاً تحت ضغط الفريقين، لم يستطع أن يكون المُعبّر عن جميع مطالب فدائيي الإسلام، ولم يتقبل فكرة التسليم المطلق دون قيد أو شرط للجبهة الوطنية.

كنت حاضراً حين قال السيد كاشاني في إحدى خطبه في مشهد: «أنا قلت للسيد مصدّق: هؤلاء، جميع المسلمين قد عملوا من أجلك، وهم الذين أوصلوك إلى سدّة الحكم، فامنع المشروبات الكحولية»، فكان جوابه، إن قسماً من مدخولنا، في هذا الوقت الذي تعاني فيه مداخيل النفط من المشكلات، تعتمد على المشروبات الكحولية، فلن نقطع مصدر العائدات هذا، قلت له: «اقبل اقتراحي، وأنا أجعل الناس يتقبلون إضافة قران على ثمن كيلو السكر».

هذا نموذج من مآخذ السيد كاشاني على الدكتور مصدق. نموذج آخر في حادثة استبعاد الأشخاص المؤيدين للمهندس بازرگان، الذين اشتكوا أن الجو هنالك غير إسلامي، ومن جديد كان السيد كاشاني تحت ضغط الفريقين.

في مثل هذا الجو، كَثُر أولئك الذين لم ينجذبوا [في الحوزة]، إلى القضايا السياسية، وفضلوا الانصراف إلى الدراسة، أحياناً كان بعض الأفراد يستغلون الفرصة للبروز بصورة غير سليمة فيكون لهم تأثير تخريبي. وحضور مثل هذه الوجوه أيضاً لم يكن دون تأثير في التشديد على الدوافع السياسية، وقد أوجد كل ذلك جواً من التذبذب وعدم الثقة.

من الحوادث الطريفة التي لا زلت أذكرها من ذلك العهد وذلك الجو: كان بعض الأشخاص في إحدى السهرات ـ في إحدى الدورات الانتخابية ـ يتناوبون على الكلام في الفيضية، في جمع كبير. كان أحدهم يقول بحماس شديد: «نحن لا نخاف من سهامكم ولا مدافعكم ولا رصاصكم وبنادقكم، سنكسر الحديد ونرمي أجزاءه أرضاً و. . .»، في اللحظة نفسها أحد الطلبة الفكِهين، يدعى «بهارلو» من طهران، ضرب الأرض بقوة بكعب حذائه، فصدر عنه صوت غير طبيعي، ففرّ عدد كبير من الحاضرين دفعة واحدة، وانفضّ الاجتماع!.

تأسيس «مكتب تشيع»

على الرغم من جميع الآثار السلبية للخلافات الداخلية بين الأطراف المعارضة للشاهـ التي أشرنا إليها من قبل ـ كان جيل الحوزة الشاب، ميالاً إلى النضال، متألماً من عودة النفوذ الغربي، وإحكام سيطرة أميركا والإنكليز من جديد، وكان مؤمناً بواجب مقاومتهم، هذه الروحية هي التي كانت وراء تأسيسنا لـ«مكتب تشيع»، وكنا نعلم أننا نستطيع عبر هذا الطريق أن نوسع علاقاتنا بعدد كبير من ذوي الأهداف المشتركة، ونؤسس شبه اتصالات واسعة.

هذه النشرة، صارت وسيلة إعلامية جيدة، للتنوير، وتعميم الفكر الإسلامي المتقدم، والأفكار النيّرة في جميع أنحاء البلاد. كان لافتاً أن يكون لنا فجأة مندوبون في أكثر المدن والمقاطعات يرسلون إلينا بدل الاشتراكات وثمن الأعداد مسبقاً. هذه المساعدة الواسعة أسعدتنا كثيراً، وقد وُفقنا تحت ستار «مكتب تشيع» في إيجاد شبكة ثقافية وسياسية في جميع أنحاء البلاد.

كان تصورنا، أن نعمل على إعداد الناس فكرياً، من خلال مقالات هذه النشرة المتنوعة التي يُطرح فيها الإسلام بأبعاده العبادية والسياسية والاجتماعية، وأن يكون لنا كذلك شبكة علاقات واسعة نستفيد منها عند الحاجة.

نُظّمت شبكةٌ ـ بالإضافة إلى شبكة الحسينيات والمساجد والهيئات الدينية المتشكلة تلقائياً ـ كان لها مكتبٌ في قم، وسجلٌ بأسماء المندوبين والأشخاص الذين كان لهم ارتباط مالي بنا، دون أن تكون هذه المؤسسة مشبوهة فنلاحق سياسياً. ولقد استفدنا من هذه الوسيلة في طرح القضية الفلسطينية، التي كانت منسيةً، وضمناً، لنتمكن عبر هذا الطريق من إيجاد علاقات مع الخارج وتقويتها. كما أننا أوجدنا في الداخل علاقات جيدة مع المتدينين في الجبهة الوطنية كأمثال: آية الله طالقاني، والمهندس بازرگان وآخرين. وكان لآية الله الشهيد مطهري تأثير كبير في هذا المجال.

مع سفر الدكتور باهُنر إلى طهران، صرت وحيداً، وقد أدرت النشرة بمفردي مدة طويلة.

كانت نشرات مثل «مكتب تشيع» و«مكتب إسلام»، هي بلورة لأوضاع حوزة قم وتحركها في السنوات التي أعقبت سقوط مصدّق، وبدء جهاد رجال الدين. وقد برز في هذه السنوات حدثان أساسيّان في اتجاهين متعاكسين هما:

ـ الحدث الأول: ازدياد قوة العائلة البهلوية بمساعدة أميركا، فعملت تدريجياً على اقتلاع المعارضين وقمعهم.

ـ الحدث الثاني: كان التوسع الكمي والكيفي للحوزات العلمية والدينية ورجال الدين بمركزية آية الله البروجردي وإدارته، وبظهور الأفكار الاجتماعية والسياسية وتغلغلها بين الطلاب الشباب.

وانتهى الأمر أن وقف هذان الحدثان أحدهما بمواجهة الآخر في نهاية العقد الثلاثين وبداية العقد الأربعين، وبدأ نضال رجال الدين.

مواقع مرجعية الإمام

بعد وفاة السيد البروجردي، فكر الأميركيون والغرب والشاه والسياسة التي تتحكم بالبلاد، بتوجيه ضربة إلى المؤسسة الدينية التي كانت قد صارت قوية، وكانت هي بدروها على وشك توجيه ضربة إلى النظام، ويذكر أنهم كانوا في الماضي يهابون من السيد البروجردي.

في إحدى المرات، وفي حوادث البهائيين، دخل السيد البروجردي الصراع، وكان التصور في البداية أن الحكم القائم يوافقه الرأي، وقد بُثت خطب السيد فلسفي من المذياع، وكان لها صدىً، وتحرك الناس أيضاً واحتلوا بعض المراكز، ولكن الحكم بالتوافق مع السياسة الغربية وتحت تأثير الضغط الدولي، تراجع دفعة واحدة، وتوجّس السيد البروجردي.

لعلّ هذه الشرارة هي التي دفعت الحكم أو الأميركيين للتفكير بالمؤسسة الدينية؛ كما أنه من المحتمل، أن بعض الحركات السابقة، وقوة السيد كاشاني التي ظهرت في حوادث ثورة النفط، كانت التربة التي نما فيها الواقع الذي ينظر إلى رجال الدين كقوة جديدة في المملكة، وهي أيضاً يمكن أن تكون مصدر خطر في أية لحظة، مع الشبكة

المتعاظمة والواسعة للمساجد والحسينيات والمدارس والحوزات.

كانوا يرغبون في إضعاف المؤسسة الدينية في البلاد، وجعلها في قبضتهم، وفي نقل مركز المرجعية إلى النجف. لم يعتبر النظام نفسه بغنًى عن رجال الدين، وبخاصة أن هنالك سابقة من المشاكل مع الشيوعيين، إضافة إلى خطر الاتحاد السوڤياتي و. . .

بحسابات من هذا النوع، كانوا يرون من خلال تقديرهم للأمور أنهم بحاجة إلى المؤسسة الدينية، ولكن ليس إلى مؤسسة قوية ومستقلة، وإنما إلى مؤسسة ضعيفة ومحدودة التأثير، لا تخرج عن سيطرتهم. وكان العراق في تلك الأيام تحت سياطهم، وبتوسع إيران وقوتها، كان وجود الشيعة في العراق مفيداً أيضاً لإيران.

كانت حوزة قم الشابة، قد وصلت إلى النضج الثقافي والسياسي، بحركة ونشاط يستحقان التمجيد. كان كلّ يوم بعد انتهاء درس الإمام، مئات الطلبة المتدينين بمظهرهم المنظم والجذاب، كانوا بالنسبة إلينا استعراضاً جليلاً، وباعثاً على الأمل. وكان عددٌ من عناصر هذا الجمع الذي يتزايد يوماً بعد يوم، هم من أهل القلم والبيان، ولهم حضور سياسيٌّ فاعل، وتواجدٌ على الساحة الاجتماعية. فمن هذه الزاوية، لا يمكن مقارنة النجف بقم. فبهذه الحسابات، بدا أن النظام لا يحتمل نضج قم وازدياد قوتها أكثر، ومن واجبه إضعافها.

وكان لكل شخصية من شخصيات قم: الإمام وشريعتمداري والگلپايگاني والنجفي المرعشي، مكانة خاصة به، تتمحور حولها فئة أو فئات من المناصرين بحسب سنهم ووضعهم في الحوزة.

في تقييم النظام للأمور، كان لمثل هذا الوضع أرضية ملائمة لبثّ التفرقة في الحوزة وتحويلها إلى ممالك شبيهة بنظام «ملوك الطوائف»، والعودة بها إلى حالة شبيهة بالحالة التي كانت سائدة قبل مرجعية آية الله البروجردي.

فقد كان في قم قبل وصول البروجردي علماء معروفين بالآيات الثلاث: «الحجت» «الصدر» «الخوانساري» وإلى جانبهم «فيض» و«كبير»، ويأتي بعد ذلك علماء الدرجة الثالثة.

مع قدوم السيد البروجردي، توحدت المرجعية، وقد شبهه المرحوم «إشراقي» المعروف، في إحدى خطبه، بسليمان في وادي النمل، بقراءته لآية: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾. كمقدمة لخطبته، كما أنه صار مصدر الضيق في نفوس بعض كبار رجال الدين أو مقلديهم.

أميركا والشؤون الداخلية

تحضرني خاطرة مهمة في هذا المجال، تؤيد إلى حدّ كبير تحليلي لسياسة النظام بعد وفاة العلامة البروجردي.

بعد وفاة السيد البروجردي، إضافة إلى الشخصيات البارزة التي كانت موجودة في قم، كان في النجف كلٌّ من آية الله الحكيم، وآية الله السيد عبد الهادي الشيرازي. أرسل الشاه برقية تعزية إلى السيد الحكيم، وكان يهدف من هذه التعزية، إلى الاعتراف بمرجعيته رسمياً من ناحية، ومن ناحية أخرى يضرب ضربته. وليس بعيداً حدوث مثل هذا المكر في عمق سياسة النظام، أي إصابة هدفين بطلقة واحدة؛ في كل الأحوال كان عدد كبيرٌ من علماء قم يميلون إلى السيد عبد الهادي.

لم يطل عمر مرجعية السيد عبد الهادي، فقد توفي بعد عام واحد من وفاة العلامة البروجردي. وحين وفاته، كنت خطيباً في أصفهان. كان مضيفي الحاج أبو القاسم كوهپايي الذي كانت له مكانة جيدة في أصفهان، وكان مرجع وجهاء البازار، ومعنى ذلك أنه كان مؤثراً في اختيار المرجع، لأن إيفاء الحقوق كان يثير من قريب أو من بعيد اهتمام عامة الناس والطلبة، ويجذب الشخصيات الدينية.

أخبرني السيد كوهپايي يوماً، أن قنصلية أميركا في طهران استدعته وقد رافقه ابنه الذي كان يدرس في أميركا ويتقن الإنكليزية كمترجم؛ سُئل: لمن ستعطي أنت الحقوق الشرعية؟ أجاب: يجب أن نصبر لنرى من سيتولى المرجعية، فنسلمها له.

تذَكُّر هذه المسألة مهم، لأن الإمام الخميني قبل هذه الحادثة، أقام مدةً في أصفهان، وكان للسيد كوهپايي علاقة به، وربما لم يكن خافياً عليهم إعجابه به.

في كل الأحوال، كان هذا ردّه عليهم، ولكنهم لم يقتنعوا وقالوا له: «أنت، كنت

حين وفاة العلامة البروجردي في العراق، وقد أبرقت من هنالك طالباً إرسال الحقوق باسم العلامة الحكيم، لست صادقاً في قولك إنك ستصبر لترى من سيترأس فتعطيه الحقوق».

هذا اللقاء والحوار الذي دار فيه يوضح جيداً مدى مراقبة السفارة الأميركية في زمن الشاه، للأوضاع الداخلية الإيرانية.

في تلك الأيام، كان وجودنا في أصفهان مؤثراً، ومع أنني لم أكن معروفاً كخطيب، ولكن في تلك الظروف ـ كنت هنالك في محرّم ـ ترك كلامي أثراً في نفوس الناس، وقد عملت أيضاً مع علماء أصفهان ووعّاظها؛ وكان هنالك أيضاً طلبة من أصدقائي ورفاقي، وقد ساعَدْنا بشكل عام، في إيجاد الأرضية الملائمة لاختيار الإمام، كان لكلّ واحدٍ من تلامذة الإمام الكثر، تأثيرٌ قويٌ أو ضعيفٌ في نقطة معينة. وهكذا، على الرغم من الموقف السلبي للمحافظين في ما يتعلق بمرجعية الإمام، فإنّ جيل الحوزة الشاب ـ بوجوده الفاعل في معظم المناطق الإيرانية ـ وجّه تفكير المجتمع في اتجاه معارض لرغبات الحكم وأميركا من ورائه.

بعض النقاط الأساسية

يمكن هنا أن يكون الالتفات إلى بعض النقاط، مفيداً في تصوير المناخ السياسي في تلك المرحلة، وفي تحليل كيفية تأثير رغبات الجماهير في الإمام.

١ ـ كان خط الإمام، وكيفية مواجهته للمشاكل، يجذب جيل الحوزة الشاب، هذا الجيل الذي كان يكره حبّ الظهور، وتجميع المريدين. . .

في أثناء تشييع جنازة المرحوم البروجردي، وخلال مراسم العزاء المتعددة ـ حيث ظهرت مثل هذه المنازعات ـ تَجنّبَ الإمام الإعلان عن إقامة مجلس عزاء، خوفاً من ظهور شائبة من الشوائب، ولم يكن راغباً حتى في كتابة رسالة. . .

مثل هذه المواقف كانت تجذبنا، كما كانت تجذب الناس أيضاً.

٢ ـ في سفر الدكتور أميني إلى قم، كان للإمام موقفٌ، تفجّرت أصداؤه كالقنبلة في أرجاء الحوزة فهزّتها، ولا مجال هنا للمقارنة بين موقف الإمام ومواقف العلماء الآخرين إن في طريقة الإمام في المواجهة، والقيمة المعنوية، وعدم الاهتمام بالمقام الظاهري

للأميني أو من حيث فحوى المواضيع التي طرحها الإمام، والتي نشرها أحد الحاضرين في حينه في صحيفة ـ ليست مشهورة كثيراً ـ.

٣ ـ إن إعلان الناس عن مشاعرهم في أثناء موت العلامة البروجردي، كان عرضاً لشعبية رجال الدين وهذا الأعلان أخاف الأعداء وزرع الأمل في نفوس الأصدقاء. أعادت تلك الأيام إحياء ذكرى موت آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني في الأذهان، التي أدت مشاركة الناس الواسعة في تشييعه إلى تخليص إيران من خطر التجزئة، وتخليص آذربيجان من براثن التبعية للروس.

اضطراب الناس وهياجهم، كان محيراً وعجيباً، وكان السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي هذه القوة العظيمة؟ لقد أُلِّفَتْ كتبٌ، وقدمت تحليلات لهذه الظاهرة، ولعل النظام قد أصابته الغفلة، ولم يستطع أن يتنبّأ بأبعاد هذه الموجة العظيمة الطاغية، ولو أنه أحسن قراءة المستقبل، لاتخذ سياسةً تحد على الأقل من تعاظمها، ولا تفسح لها في المجال إلى هذا الحد.

في كل حال، أذهل الجميع ما جرى، منذ يوم الوفاة وحتى الأربعين، أقيمت مجالس عزاء في جميع أنحاء البلاد، مجالس صاخبة وحافلة! مظهر تشييع الجنازة كان مهيباً فوق العادة، انعكس في الصحف بمقالاتٍ تبرز تلك العظمة، قبل أن يستفيق النظام ويحدّ منها.

وأميركا التي كانت لها أحلام حول إيران تجسّدت اطماعاً سياسية واقتصادية، فوضعت برامج لمقايضة النفط بالمواد الاستهلاكية والصناعية، وقد أثَّرَ ما جرى في مواقفها المعادية لرجال الدين وللمرجعية.

٤ ـ فئات عديدة لم تكن مؤيدة لمرجعية الإمام، من منهج المحافظين الذين كانوا يَسعَوْن إلى عدم إيصال الإمام، فرجال الدين المتزمّتين، إلى المثقفين الذين كانت تضايقهم صلابة الإمام في مواجهة الآراء ـ مهما ضؤلت ـ والتي كانت تسيء إلى الخط الديني والمؤسسة الدينية، وإلى معتقدات الشعب. في تلك المرحلة نفسها اتخذ الإمام موقفاً صارماً، من بعض آراء المهندس بازرگان وبعض المثقفين الآخرين الذين وضعوا

علامة استفهام حول دور المرجعية؛ وفي هذه الأثناء كان الطلبة الشباب الموالون للإمام، يأملون أن تتغير الظروف وكانوا يعملون على تحقيق ذلك.

أول منعطف سياسي

لم يجد النظام الحاكم، في تقويمه للأوضاع، قوةً منافسة له، والساحة خالية، وإذا كان لديه في الماضي خوف من العلامة البروجردي، وكان مضطراً أن يُراعيَ حرمته إلى حدود معيّنة، فإنه لا يجد الآن مرشّحاً لمقام المرجعية؛ والسياسة الأميركية بدأت ـ مستفيدة من هذا الفراغ ـ تتكلم عن ضرورة الإصلاحات، ومن ضمنها إصلاح قانون انتخابات المجالس البلدية ومجالس المحافظات، كتعديل في بنية النظام.

إن دوافع هذا التعديل، وعوامله الخفيّة، بحاجة إلى دراسة معمقة ودقيقة. فقد كان اطلاعنا في هذا المجال، في تلك الأيام، يأتينا عن طريق الصحف، وأنا الذي انتبهت في وقت من الأوقات إلى انعكاسه فيها.

في ذلك الحين كنت من العاملين في نشرات الحوزة، وكان يجب أن يكون لي رأي، وقدرة على التحليل، فقد كان قد صدر في السابق قانون إنشاء المجالس البلدية ومجالس المحافظات، ولم يعمل به أو يوضع موضع التنفيذ. والآن يريدون أن يفعلوا ذلك، فإذا سار بصورة طبيعية معنى ذلك أن الناس سيمارسون حقّهم الطبيعي في الانتخاب. ولا عيب في ذلك، وسيصل الحكم إلى اللامركزية الإدارية، ويتمكن الناس عن طريق الانتخاب من المشاركة بصورة غير مباشرة في تسيير دفّة الأمور؛ فأنا اعتبر هذا التفكير، انطلاقاً من هذه الفرضية راق ومتقدم؛ ولكن الأميركيين كان لهم هدف آخر، وكانت سياسة الحكم الجديدة، هي الاستفادة قدر المستطاع من الميادين الحديثة الراقية، لتثبيت حكمه، مع الأخذ في الاعتبار متطلبات العصر. لذلك ومن هذا المنطلق يجب أن تتوسع الجامعات، ويسهّل دخول الأجانب وبخاصة الأميركيين، وخروجهم، ويُحوّل البلد إلى بلد صناعيّ، وإن بصورة سطحية، فتزيد الحاجة إلى التكنوقراط، كما أن الحكم يجب أن يظهر بوجه ديمقراطي، ففي أميركا كان الحكم للحزب الديمقراطي، ولهذا السبب قويت الجبهة الوطنية وصارت فاعلة.

في مراقبتنا للقضايا المطروحة وتقويمها، كان حدْسُنا أن الإصلاحات والشعارات التقدّميّة، ما هي إلا ذريعة لتثبيت دعائم الحكم.

لم يفهم هذه المسألة سوى عدد قليل من الخاصة، ولكنّ مخاطبة جماهير الشعب، يجب أن تعتمد كلاماً آخر وأسلوباً آخر، لذلك يجب الانطلاق والاستفادة من ثلاثة مواضيع شديدة الحساسية لدى الرأي العام:

١ ـ حذف شرط القَسَم بالقرآن.

٢ ـ إلغاء شرط الذكورية.

٣ ـ إلغاء شرط الإسلام في معرض اختيار الشهود.

فإلغاء هذه الشروط، كان خطوة في طريق تسهيل مهمة الخبراء الغربيين، وخطوة أيضاً في تنفيذ خطة إضعاف الدين، ورجال الدين، والبعد عن الإسلام.

في ذلك الوقت، كان لدى الطبقة الدينية التقليدية، حساسية خاصة بالنسبة إلى النساء، فكان لا بد من الاستفادة من مثل هذه المجالات، لتنوير الرأي العام وتثويره ردًّا على مغالطات الحكم. لذلك إذا طُرح الموضوع بالنسبة إلى المثقفين وأقلامهم، فإن جماهير الشعب لن تدخل الميدان، ولن يأخذ التحرك طابعاً جماهيرياً.

عقد الإمام الخميني اجتماعاً في منزل العلامة حائري، بحضور كبار علماء قم، فدقّ ناقوس الخطر، وصدر قرار عن المجتمعين بإرسال برقية احتجاج.[١]

كان حذف شرطي القرآن والإسلام من القَسَم، سبباً طبيعياً وجوهرياً للاعتراض، ولا شك أن من الواجب الاحتجاج على مثل هذا العمل.

أما حذف شرط الذكورة، وإعطاء النساء حق الانتخاب ـ الذي كان لطرحه في الواقع جانب سياسيّ ـ فيجب معالجته بسياسة خاصة. وقد عالج الإمام الخميني هذا الجانب بطريقة ذكية جداً؛ وكان منطقه هو التالي:

---

(١) للأسف الشديد، فإن محضر ذلك الاجتماع التاريخي ليس في أيدينا، وقد غابت عن الذاكرة تفاصيله.

ـ متى منحتم الرجال الحرية، وأعطيتموهم حق الانتخاب، لتفكروا الآن بالنساء؟ وبهذا البيان يكون النظام قد سُلب شعاره التقدمي هذا.

ومن هذا البيان ـ الذي لم يُطرح في الأيام الأولى، بل تدريجياً في أثناء مسيرة النضال ـ يجدر الاطلاع كذلك على دوافع الإمام الخميني في التركيز على هذه النقطة: كان عدم وجود حريّة انتخابات واضحاً بالنسبة إلى الناس عامة، لذلك كان من الممكن بسهولة الإثبات للناس، أن النظام الحاكم لم يرفع شعار منح حق الانتخاب للنساء عن حسن نيّة.

المسلّم به أيضاً، أننا دخلنا المعركة بهذا الدافع: في الاجتماعات التي كنا نعقدها في تلك الأيام بين الأصدقاء، كنا نتبادل الرأي حول مواضيع الصراع. وكان الرأي الذي اتفق عليه الجميع، أننا قد وجدنا أفضل الوسائل لفتح المعركة، بالاستفادة من شبكة العلاقات الجاهزة لـ«مكتب التشيّع».

كان لدي دفتر ـ لا يزال بحوزتي حتى الآن ـ يتضمن أسماء وعناوين مندوبي النشرة. وكان هؤلاء بأغلبيتهم من التقدميين والمتدينين المنفتحين: في المدارس والبازار والمساجد، وكان بعضهم من أئمة الجماعة وعلماء المدن. وقد بدأت المعركة، وتأجّجت بسرعة.

لقد جمع السيد دواني مظاهر هذه المعركة النضالية في كتاب، تحتاج بعض النقاط الواردة فيه إلى مزيد من التحليل.

الفصل الثالث

السحائب النذر

الإمام الخميني وساحة الجهاد

في مثل هذه الظروف بدأ الإمام الخميني العمل، وكان من بين ما قام به: الاتصال بعلماء المدن ومراكز المحافظات، وإيجاد تجمع من الفقهاء (كنت أحد أعضائه)، وتكليف أشخاص يسافرون إلى الأطراف، وقد وقع الاختيار عليّ للسفر إلى الجنوب، فذهبت من قم إلى يزد، ومنها إلى رفسنجان فكرمان، وتوقفت في أثناء السفر في أماكن أخرى، وقمت بإجراء اتصالات، ولكن مهمتي الأساسية كانت في هذه المدن الثلاث. في يزد تعاونت مع السيد صدوقي، وفي كرمان مع السيد صالحي، وفي رفسنجان استفدت من وضعي الشخصي لإيصال رسالة الثورة مباشرة إلى الناس.

سافر آخرون إلى أماكن أخرى: وقد اختير السيد جواد علم الهدى لمشهد وآخرون إلى أصفهان وشيراز وغيرهما...

في يزد سلمت رسالة الإمام إلى السيد صدوقي، وألقيت كذلك خطبة في مسجد «حظيرة»، وفي رفسنجان شرحت في مسجد «قطب آباد» ما نقوله وما نهدف إليه، وما هي أهداف النظام الحاكم؛ لم يكن التضييق قد بدأ في ذلك الحين، وكان الكلام مسموحاً.

حين وصولنا إلى كرمان وقبل أن نبدأ الكلام، وصلت برقية من قم، يخبر فيها آية الله النجفي السيد صالحي أن النظام الحاكم قد وافق على مطالب العلماء، وانتهت المشكلة.

اتصلت بقم هاتفياً، فعلمت أن الإمام لم يكن راضياً، وكان يرجّح أن الحكم يريد أن يضع قبعة على رأس الفقهاء، أو أنه يريد أن يوقع الخلاف في ما بينهم.

اتفق الفقهاء إلى حد ما، وشاركوا جميعاً في المعركة، وقد تجاوب الحكم معهم، فاقتنعوا، لم يرضَ الإمام أن يكون ذلك مجالاً لبثّ التفرقة، ولكن صمود القوى المناضلة إلى جانب الإمام، منعت التفرقة، وهنا كان الأنتصار.

اضطر الحكم نتيجة ذلك أن يقدم تنازلات أخرى، فألغيت الوثيقة التصحيحية رسمياً كما أراد الإمام، وأُعلن خبر ذلك في الصحف.

جاء صمود الإمام وانتصاره عاملاً إضافياً، ليقع اختيار أكثرية قوى الحوزة الشابة، المناضلة عليه، كما أن عدم الرد على برقيته في المرحلة الأولى، زادت من محبته في قلوب الجميع، وهذا معيارٌ واضح لتقويم فكر الحوزة السياسي في تلك الأيام، وأفكار القوى الدينية، المناضلة.

لعلّ عديدين كانوا يرون عكس هذه الفكرة، متأثرين باهتمام الدولة بشخص معيّن، معتبرين ذلك دليلاً على عظمته، ولكنّ القوى المناضلة، والفاعلة، لم يكن تفكيرها بهذه السطحية، بل كان أعمق من ذلك، وكان تشخيصها أن الشخصية التي لا تهادن، والتي تدقق في الحسابات هي الإمام، وقد توصلت حركة النضال في هذه المرحلة، ولم تكن قد تجاوزت الشهرين من عمرها، إلى الانتصارات والمكتسبات التالية:

١ ـ عرض قوة الخط الديني ورجال الدين، وهو ما كان النظام الحاكم يخاف منه، ويبذل مساعي عديدة لتلافيه.

٢ ـ ظهور ضعف الأجهزة. لم يكن الحكم في تلك المرحلة يملك نظاماً أمنياً سليماً، واتضحت أضرار ذلك.

٣ ـ كانت شخصية الإمام الخميني أهم مكتسبات هذه المرحلة، وأرفعها قيمة، فقد احتل الإمام مكانته في المجتمع، واتجهت الأفكار والأنظار نحوه.

في كل حال، كان انتصاراً باعثاً على الثقة بالنفس، وأياً كان دافع النضال، فقد أعطى نتائج جيدة.

ولكي لا يعلن الحكم هزيمته كذباً وقال: «نحن تراجعنا تكتيكياً، كي نهزم رجال الدين ونذلّهم». ولكن الواقع أن ساحة النضال اتسعت وبلغت أوجها، بحيث أن نظام الحكم، وجد أن لا بدّ من الاستسلام، والاعتراف بخطأ تقديراته وتحليلاته.

كانوا يتوقعون أن تصاب حوزة قم بالفراغ بعد موت البروجردي، ويفقد الطلبة مرجعهم، وليس لديهم تمويل ولا شبكة اتصالات، والناس في غفلة عما يجري؛ ولكنهم رأوا عملياً تشكل القوة الوطنية، وظهور شعور ديني قوي لدى الناس، كان حصيلة عقد أو عقدين من العمل، وتأكيداً على نجاح العلامة البروجردي وحوزة قم، وشهادةً مثمرة ومشرّفة.

يمكن، بعد مراجعة هذه النقاط الاستنتاج بأن أرفع مكتسبات هذه الحركة النضالية، القصيرة الأمد، والمنتصرة، هو إبراز واقع كون المؤسسة الدينية في إيران تمارس أعمال حزب من الأحزاب، ولكنها تخلو من عيوب الأحزاب.

لقد أظهرت المؤسسة الدينية إنها شبكة واسعة في جميع أنحاء الوطن؛ وأن مراكزها هي تلك المساجد والحسينيات، والهيئات، والتجمعات، والمقامات الدينية المقدسة كلها؛ وأن الأوقات التي تلائمها: هي رمضان ومحرم وصفر والأعياد والوفيات، حيث كان يجتمع الناس بصورة طبيعية، وحيث تسيطر روح عاشوراء وثورة الحسين، كعنوان لأرقى فكر مقاوم للطاغوت في التاريخ... لم تكن الأفكار والشعارات الحسينية المعبّرة بدون فائدة، حتى في التجمعات والمراسم التي يقال عنها الرجعيةُ التي لم يكن لها لونٌ سياسيّ.

في كل الأحوال، كان كلامُ الإمام الحسين، وتقريع زينب لابن زياد وليزيد، وأقوال الإمام السجاد وأصحاب الحسين ـ وإن جاء ضمن مجالس العزاء التقليدية ـ ملهماً للناس، وعاملاً على بقاء تلك الأفكار حيّة في أذهانهم.

كانت هذه التنظيمات مكتفية ذاتياً من ناحية التمويل، كما كانت مصدر رزق للطلبة. فنحن طلبة قم، بدأنا بعد سنتين أو ثلاث من الدراسة والإقامة في قم، بدأنا الأسفارَ التبليغية، وكنّا نُؤمِّن رزقنا تقريباً من مدخول المنبر، وقد كانت هذه الأسفار التبليغية

المصدر الأساسي لمداخيل الحوزة، إضافة إلى مجالس العزاء التي تديرها الحوزة، حيث يسافر في رمضان ومحرم باستمرار آلاف الأشخاص من قم إلى مختلف أنحاء البلاد، وكل منهم يعود حاملاً معه سهم الإمام ـ لأحد المراجع ـ.

كانت العلاقة التي تولد وتنمو من هذه الأسفار بين الحوزة والمجتمع ثقافياً وسياسياً أهم من المردود المادي. كانت المنابر وسيلة لعرض أفكار الحوزة على أفراد المجتمع، وحين يعود المنبريون من كلّ سفر تبليغي يعكسون في الحوزة أفكار المجتمع ومطالبه وحاجاته. إن تبادل الأفكار والأخبار هذا، أطلع حوزة قم على الحوادث والمتغيرات الطارئة في المجتمع، وكان للمدرسة الفيضية من هذا المنظار تأثير ـ كمركز لحزب حيّ وفاعل ـ في زيادة قدرة الطلبة على رؤية الواقع، والمساهمة في تطورهم، من ناحية، ومن ناحية أخرى توفير الإمكانات وتأمين الحاجات الضرورية لهم.

طبعاً، إذا طُرحت المسائل السياسية في الحوزة، كانت تصل في غضون خمسة أو ستة أشهر إلى جميع نواحي البلاد، وإذا طرحت مشكلة خاصة في المجتمع تنعكس بعد سنة في الحوزة، فتدرس وتحلّلُ وتعود إلى المجتمع ناضجة.

كانت أوقات العصر في الفيضية عالماً قائماً بذاته، يجتمع الطلبة في جميع الزوايا في حلقات. يدور الكلام بيننا إلى أن يحين وقت صلاة الجماعة، وكان الكلام يجذبنا أحياناً فنغفل عن فضيلة صلاة الجماعة، حتى أننا نصل في آخر الركعات ونلتحق بصعوبة بالصفوف الأخيرة.

في الفيضية، قبل صلاة المغرب بنصف ساعة تضج بالضوضاء والفكاهة والمزاح، ورواية ذكريات السفر وخواطره، والأخبار الجديدة وغير ذلك من أبحاث في التنظيم والقانون، والنظريات، وشؤون فكرية واقتصادية مما كان يجذب إلى هذه الحلقات عناصر مميزة من أحزاب أخرى.

إن مواجهة مثل هذا التجمع، ينتهي بالهزيمة والانكسار. فلقد عانى رضا شاه من هذه الهزيمة، وإنَّ رضا شاه لو لم يتحد المؤسسة الدينية، لكان محبوباً بالأعمال التي أنجزها وبخاصة الأمن الذي أوجده في البلاد. إن تجاهله لمشاعر الناس، ومنعَه مراسم عزاء الإمام الحسين، وتحديه لرجال الدين، أدى إلى هزيمته.

التجربة ذاتها تكررت مرة أخرى بالنسبة إلى العائلة البهلوية في تلك المواجهة التي استمرت شهرين. لقد تنبهوا إلى هذا الأمر في وقت قصير وسحبوا كلامهم.

لقد أثبتوا في الواقع مكرهم ومهارتهم، فلو أن المواجهة استمرت خمسة أشهر أو ستة لكان ذلك أفضل بكثير، ولكن النظام الحاكم أدرك أنّ السيد الخميني قد ازداد نضجاً وحكمة، وكثر محبوه، وأن الطلبة اصبحوا من أهل السياسة، لقد تشكّلت الحوزة، ووجد الناس ارتباطاً سياسياً بها. لذلك تراجع النظام ولكن حصيلة هذا التراجع كانت مكلفة.

لقد وُلدت روحية جديدة لدى الطلبة والناس، وستكون البيئة التي ستنمو فيها المواضيع والمسائل والبرامج في المستقبل.

الأحزاب ومقاومة رجال الدين

في أثناء جهاد «العلماء» الذي استمر شهرين، كان للأحزاب والتنظيمات السياسية :ـ حزب توده [الحزب الشيوعي]، الجبهة الوطنية، نهضت آزادي [المقاومة الحرة] موقف مشترك معبّرٌ عن استيائهم جميعاً من قوة العلماء.

ربما كان يروق للبعض منهم الاستفادة من حركة العلماء سياسياً، بحيث يعبّئون الناس، دون أن يصيروا قوة، وقد كان لنا مع بعضهم لقاءات ومباحثات، كانوا إلى حدّ ما يعتقدون أن «المؤسسة الدينية» بسيطة، ليست متعمقة في جذور المشكلات، بل إنها تأخذ الأمور على المحمل السطحي، لذلك كانوا في أعماقهم قلقين من انتزاع العلماء الساحة من بين أيديهم، وأن تتميز عليهم في معارضة النظام ومقاومته.

وكان لكل حزب وتجمع خصائص تميزه:

لعلّ أعضاء الجبهة الوطنية، بعد مصدّق، كانوا لا يعتقدون أن باستطاعتهم إدارة البلاد دون الاعتماد على أميركا. وبناء عليه، عندما رأوا أن أميركا كانت وراء إصلاحات الشاه، لم يعد لديهم أي استعداد جدّي للمعارضة، كلّ ما كانوا يسعون إليه هو المحافظة على وجههم الوطني كورثة لمصدّق، مع تغيير بسيط في المواقع.

أما أعضاء «نهضت آزادي»، فوضعهم مختلف، إن من الناحية الدينية، وإن سبب تواجد أشخاص أنقياء في هذا التجمع، فقد جمعوا حولهم عدداً من الطلاب المخلصين.

يجدر القول إن مشكلة **«نهضت آزادي»**، **هي الجو الذي خلقوه في مواجهة الأفكار** المنفتحة، فقد كانوا يعطون أهمية كبيرة للانفتاح الفكري، ولإرضاء المثقفين التنويريين ، ومع ذلك كانوا يسعون إلى إرضاء العلماء وتجار البازار المتدينين، وقد نشروا بياناتِ تأييد لجهاد العلماء ومحاولة الاهتمام ببعض المواضيع؛ وبما أن علاقة عميقة كانت تربطهم بالبازار في المواجهات السابقة، وفي أثناء «ثورة النفط»، فقد كانوا يقيمون وزناً كبيراً، وأهمية فائقة للمحافظة على هذه العلاقة، ولا يريدون أن يفقدوا مكانتهم في البازار ولدى طبقات الشعب المتدينة ـ الذين كانوا جنودهم الأساسيين في الماضي ـ شرط المحافظة على دورهم التنويري.

كان حضورهم بهذا القدر، وضمن هذه الحدود مفيداً لنا في ساحة الجهاد، وكان طريق التغلغل في الجامعات، فلا يظل الطلاب الجامعيون بعيدين عن المقاومة، أو المقاومة بعيدة عنهم، ويفيد في إبراز الوجه المجتمعي للثورة، الذي كان مفيداً لصورة الثورة في الخارج، ومثيراً لاهتمام مراسلي وكالات الإعلام الأجنبية.

يمكن القول إن إعضاء «نهضت آزادي» كانوا الأقرب إلينا من بين الجميع، كان من بقي منهم وأنصارهم، كانوا يحرصون على أن يُعرفوا كمؤيدين للعلماء، ولكنهم كانوا يُقذفون بتهم قاسية، ومعارضة شديدة، على الرغم من وجود دعائم لهم بين المتدينين المرتبطين بالعلماء وبخاصة في أصفهان.

في تقويم هذه الجمعية يمكن القول بإنها تأسيس لهيكلية حزب من المتدينين المحبين للمقاومة وللسياسة، وعلى رأس هذا الحزب سياسيون ينظرون إلى الدين والعلماء كوسيلة، والخلاصة أن وجود حزب لا فروع له ولا أوراق، ولا علاقات شعبية، أمر ليس طبيعياً.

إن أنصار حزب تودة [الشيوعيون]، كانوا تابعين في مواقفهم لسياسة الاتحاد السوڤياتي، لذلك لم يكن لهم في البداية موقف واضح، وإذا أخذنا في الاعتبار تأييد الأحزاب الشيوعية والاتحاد السوڤياتي لإصلاحات الشاه، فإن بعض هذه الإصلاحات لم تكن بدون جاذبية بالنسبة إليهم، ولم يرغبوا في معارضتها. لا أدري ما هي المواقف التي اتخذوها في اجتماعاتهم السرّية في ذلك الحين، لأنهم أعلنوا معارضتهم بعد ذلك،

وظهرت أنغام هذه المعارضة في إذاعة «پيك إيران»،[١] تتغير وتيرتها ارتفاعاً أو انخفاضاً بحسب علاقات الاتحاد السوفياتي بإيران.

في كل الأحوال كان القاسم المشترك بين الشيوعيين والآخرين معارضتهم لمحورية العلماء في المقاومة.

في وسط هذا، كان بقايا فدائيي الإسلام وأنصار آية الله كاشاني بمستوى الرمق الذي كان لديهم، أيدوا ودعموا وساعدوا، وقد استفاد المتدينون الذين دخلوا ميدان الصراع حديثاً من تجاربهم.

الثورة البيضاء

دخل النظام الحاكم الميدان من جديد، مستفيداً من تجاربه في المواجهة التي استمرت شهرين بينه وبين رجال الدين، بطروحات جديدة، تحت عنوان «الثورة البيضاء».

كان يمكن أن تضلّل شعاراتُ «الثورة البيضاء» الشعبَ ـ لو لم يكن قائلها الشاه ـ ولكن الناس كانوا يعرفون الشاه جيداً، ويعرفون مآثر العائلة البهلوية، ورجال البلاط، وأركان الحكم وأعوانه. لذلك لم يصدقوا أن مجموعة من كبار الرأسماليين وكبار الإقطاعيين، ومُصادري الغابات والمراعي في جميع أنحاء البلاد، يمكن أن تُقدِمَ فعلياً على توزيع الأراضي على الفلاحين، وأن تسمح للعمال بامتلاك أسهم في المصانع، أو ترضى بتأميم الغابات. مع ذلك كان الحكم في موقع محصّن يصعب اختراقه.

أتذكر أنني قصدت في تلك الأيام مدرسة «مروي»، ـ قبل بدء المرحلة الجديدة من النضال ـ لأمرٍ من الأمور، وقد جرى حديث هنالك، بيني وبين العلامة مطهري، الذي قال لي: الوضع اليوم غيره بالأمس، والمواجهة صعبة جداً، فقد لجأوا هذه المرة إلى طرح إصلاحات اجتماعية جذرية، وإلى رفع شعارات نقضُها في غاية الصعوبة، والواقع أن من يقول لا للإصلاح الزراعي سيُتهم بالدفاع عن الرأسماليين والإقطاعيين، وهذا ليس صحيحاً، فواضحٌ أننا على خلاف معهم، وطريقنا غير طريقهم. وليس هنالك من يعارض

(١) پيك: الرسول أو المخبر ربما كانت تعني الحمام الزاجل كناية عن حمامة السلام شعار الحزب [المترجمة].

بيع أسهم المصانع الحكومية وغير الحكومية إلى العمال، ولا معنى في رأينا للاعتراض على تأميم المراعي والغابات. إن برنامجهم مطروح بشعارات جذابة ومغرية، ويظن النظام الحاكم أنه يتمكن بواسطتها في إفحام «رجال الدين»، وإذا أعلنوا معارضتهم، سيسقطون من عيون الناس. كان النظام الحاكم في تحليله للوضع يرى أن القاعدة الأساسية لـ«رجال الدين» في القرى والأرياف وفي أوساط الطبقات المحرومة والفقيرة، وبسيطرته على هذه القواعد، ينهزم «الروحانيون».

كان تحليل الشيوعيين للوضع شبيهاً بهذا التحليل، فهم كانوا يرون أن «البورجوازية» هي القاعدة الأصلية للعلماء. وذاك بحث آخر.

فالشيوعيون يرون جميع الأمور بمنظارهم الخاص، ويقوِّمونها بميزان الصراع الطبقي، فقد أعلنوا مثلاً بعد حادثة استيراد الحديد الصلب من الاتحاد السوڤياتي، أن غاية الاتحاد السوڤياتي وهدفه، زيادة البروليتاريا. في كل الأحوال كان الشاه قد توقع أن رجال الدين، حين يأخذون القرار بمعارضة «الثورة البيضاء» سيمنعهم الناس من الوصول إلى الأرياف، فتنقطع صلاتهم بقواعدهم.

من غير المستبعد أن يكون لأميركا والإنكليز يدٌ في وضع التصميم الأساسي لهذا الطرح، وإن جاء ملائماً لتفكير عملائهم في الداخل.

في تحليلنا نحن للأمور، كنا نرى أن النظام البهلوي، لا يهدف إلا إلى تثبيت دعائم حكمه، وتالياً إلى تثبيت القواعد الأميركية، لأن هذا الحكم هو القاعدة الأميركية الأساسية في المنطقة، وكنا متأكدين أن البرنامج الأساسي ـ أي الإصلاح الزراعي، وبيع أسهم في الشركات إلى العمال ـ لن يتحقق.

إضافة إلى أنه كان من الممكن التكهن في ظل الفساد الإداري الذي كان مستشرياً في المؤسسات، أن المقربين من البلاط والمرتبطين به، سيأخذون ذلك البرنامج ذريعةً، ليوظفوا الرساميل في الصناعة بدلاً من المجالات التي كان يسود فيها الركود الاقتصادي، فيستفيد الرأسماليون من إمكانات الدولة، ويحصلون على القروض الضخمة، ويدخلون ميدان «صناعة المونتاج»، وتتوطد سلطة كبار الملاك على المدن والأرياف.

حتى دورات التعليم التي قام بها الجيش في القرى أسأنا الظن بها، وكنا نرى أن

الهدف منها سياسيٌ وليس ثقافياً. فلم تكن غاية الأجهزة تعليم الناس والقضاء على الأمية، ولو كان ذلك هدفها فعلاً، لاستفادت من وجود رجال الدين الطبيعي في المدن والقرى.

كذلك الأمر بالنسبة إلى الموضوع المتعلق بمشاركة النساء في الانتخابات، وقد طرحت هذه المسائل في الأصل، في أثناء عطلة المجلس. أي أن طبيعة النظام الحاكم الدكتاتورية، لم تكن لتتحمّل وجود مثل هذا المجلس الصّوَري. فكيف كان ممكناً أن نصدّق أن مثل هذا النظام يفكر بتحرير النساء فعلياً؟ كان من الطبيعي أن لا تُحمل هذه المبادرة محملاً حسناً، وأن تفسرَ على أنها خطوة في طريق الترويج للفساد والفحشاء.

كان التحليل الآخر أن النظام يعمل على تزيين نفسه ليظهر في صورة تُرضي الغرب، واستخدم لذلك مزيّنين مهرة.

كان هنالك أيضاً تحليل أعمق يرى إلى هذا العمل، هو مبادرة فرضتها الرغبة للحؤول دون تحرك الطبقات الاجتماعية المحرومة، ووقاية من أن تكتسح إيران أمواج الحركات الماركسية التي أحكمت سيطرتها في عدد من بلدان أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وأثارت حنق أميركا وخوفها.

مع ذلك كنا نسعى للتركيز على الجانب الديني في نضالنا، وأن لا نثقل على الناس بأبحاث وتحليلات فكرية تقدمية كي لا نفسح في المجال لإثارة التفرقة.

إن نظرة إلى البيانات التي كان يصدرها الإمام [الخميني] في تلك الأيام ـ مع الانتباه إلى هذه النقطة ـ توضح معرفته الدقيقة بالمجتمع. لقد كان الإمام يجسّ نبضَ الأمة، ويأخذ الحساسيات في الاعتبار، وكان دقيقاً جداً في تنظيم بياناته. ويتوضح اليوم بعد انقضاء عدة عقود ملتهبة، وبعد التغييرات التي أصابت المجتمع سياسياً وثقافياً، إلى أي حدّ كانت مواقف الإمام وأقواله وكتاباته جذرية أصولية هادفة. فقد كان الإمام يتجنب طرح أي مسألة يمكن أن يُساء استخدامها، في تلك الأيام ذاتها وجه إليه عددٌ ـ من البسطاء ـ أسئلةً حول الإصلاح الزراعي، فقال الإمام: «يجب أن أذكر بُعدين لهذه المسألة: ليست أملاك الإقطاعيين شرعية، ولا إجراءات الحكم. فكبار الملاكين ظلموا الناس، وهنالك طرق سليمة لمواجهة هذا الظلم، والحكم ليس حسن النية، ولم يختر الطريق الصحيح، ويمكن في هذه المجالات الاستفادة من الحلول الإسلامية».

الخلاصة، أنه كان من الواضح لأهل الرأي، أن النظام الحاكم كان مصدر ذلك الظلم والتمييز، ومن غير المقبول وغير الممكن أن تزول هذه المشكلات في ظل هذا الحكم.

نهج الإمام في المقاومة

منذ اليوم الأول، كان هدف الإمام النضال لإسقاط الشاه ونظام حكمه، وكان يستفيد بذكاء من جميع الفرص المتاحة لتحقيق هذا الهدف، على الرغم من أنه لم يكن يحظى بدعم جميع الأطراف.

في الأيام الأولى لم يكن المجتمع معدّاً للمقاومة، وكان كثيرون يخافون من التصدي المباشر للشاه، فكان يجب والحالة هذه، أن تُمهّد الأراضي المناسبة بالتدرّج، وأن تؤخذ الظروف الموضوعية في الاعتبار.

لذا، إذا كان الإمام في بعض المناسبات، قد وجه كلامه إلى الحكومة أو قدّم النصح للشاه، فإن ذلك كان تكتيكاً سليماً منه، وإتماماً للحجّة، وملائماً في الوقت عينه لظروف المجتمع الذي يجب أن يتولى قيادته.

لم يمرّ وقت طويل حتى تيسّرت الظروف الملائمة، وأصبحت المواجهة علنية لأول مرّة، حين اتخذ الإمام وسائر العلماء موقفاً من سفر الشاه إلى قم، في أوائل بهمن من العام ١٣٤١ (١٩٦٢م).

فقد فكر الإمام بالتنسيق مع آخرين، بتدبير يقضي بأن يلازم الناس بيوتهم في أثناء هذه الزيارة، وقد كان تجاوب الناس جيداً، وهذا معناه، أن الشعب لا يؤيد الشاه، لذا لم يشارك في مراسم استقباله.

استخدم الشاه جميع وسائل الضغط ليلتقي بالعلماء، ولكنّ الإمام وسائر العلماء رفضوا بإصرار الاجتماع إليه، إلا إذا استجاب لشروطهم، بإعلان توبته، وتصحيح الأخطاء السابقة. شرط غير عمليّ ـ دون شك ـ وليس أكثر من ذريعة، ومن باب «التعلق بالمحال» كما يقال.

هذا الموقف، أثار عصبية الشاه، وأفقده صوابه إلى حدّ أنه في خطبته اللاذعة في

قم، استخدم تعابير مهينة بحق العلماء ونَعَتهم بـ«أصحاب العقول الجامدة، الرجعية الظلامية، الحيوانات النجسة!».

لم يتعجّل الإمام بالردّ، وانتظر الظروف المناسبة بعزم وثبات، وحين سنحت الفرصة، فضح الشاه، وزعزع هيبته، وأعاد إلى الناس ثقتهم بأنفسهم بعد حادثة اقتحام الجيش للمدرسة الفيضية، وفي بيانه المعروف (الذي جاء جواباً عن رسالة التعزية التي بعثها علماء طهران)، أدخل الإمام المعركة في مرحلة جديدة متقدمة، وقد انتشرت على الألسنة عبارته هذه المأخوذة من ذلك البيان التاريخي: «إن تأييد الشاه، يعني تأييد الظلم والعدوان، وهتك حرمة الإسلام والمسلمين، والتعدي على مراكز العلم والمعرفة!».

من الواضح أن الإمام كان يتحيّن الفرص دائماً، مستغلاً أيّ حدث ليضع الشعب في مواجهة الشاه، والأمثلة التي تشهد على روحية الإمام هذه كثيرة.

فقبل أن تبدأ المقاومة بسنواتٍ عدة، انتقد الإمام في كتابه «كشف الأسرار» العائلة البهلويّة، مع أنّ موضوع الكتاب كان ثقافياً أكثر من كونه سياسياً. وفي حياة الإمام كثير من العِبر التي تظهر بوضوح معارضته المبدئية للعائلة البهلوية.

من المهم القول إن الإمام كان يصبو إلى حركة تدمغ مصير الأمّة الإسلامية كلّها، ولهذا السبب كان يولي أهمية بالغة لأسلمة المقاومة، ولم يشأ أن تُحصر المعركة في الحيّز القومي أو الوطني، معارضاً هذا الخط منذ البداية وحتى النهاية، رافضاً أن تُدمغ المعارضة بلونٍ سياسيٍّ معيّن، لذلك كان يؤكّد على إسلاميتها، متحيّناً الفرص لتحقيق هذا الهدف.

لن ننسى أنه كان يرغب منذ السنوات الأولى طرح موضوع «القضية الفلسطينية» في حين كان عدد من العلماء يعارضونه في هذا الأمر، ويرون أنهم معنيون بإيران بالدرجة الأولى، أو بالشيعة كحد أقصى، ولكنه كان مصراً على طرحه وكان يقول: إن لهذه القضية الأولوية في نظري، فإذا كنتم لا توافقون عليها الآن، فضعوها في المرتبة التي تشاؤون، المهمّ أن تطرحوها».

هذا الإصرار يبين بوضوح بُعد نظر الإمام، وشمولية رؤيته، ورغبته بأن تمتد المعركة إلى المنطقة، ومن ثمّ إلى العالم؛ يؤكد هذا التوجّه دليل آخر، هو انتقاد الإمام الشديد لأميركا، كما أنه كان يريد في الوقت نفسه إشراك الشعب بجميع فئاته في حركة

الصراع، لذلك كان لا يفوّت أيّ فرصةٍ مهما ضؤلت، ويولي أهمية قصوى للقضايا التي تثير حماس الجماهير، وتصلح أرضيّة للمقاومة.

فموضوع الاختلاط بين الجنسين مثلاً كان يثير حساسية العلماء المسنّين، لذلك ما إن طرحت مجلة «خونداي ها» موضوع تجنيد الفتيات، حتى أبرز الإمام هذا الخبر ـ في بيان تحريم الاحتفالات الذي جاء ردّاً على الاستفتاء الذي أعلن عنه الشاه ـ على نحو جعل الشاه في أحد أسفاره، ينكر في خطبة له هذا الموضوع من أساسه.

من القضايا التي استغلها الإمام: موضوع الإصلاح الزراعي ومسألة الملكية الفردية التي كانت تثير حساسية علماء آخرين، وهذه الحساسية هي التي دفعت آية الله الخوانساري، ليعلق في بيان له أن الاستفتاء مُحاررة لصاحب الزمان.

إن الحسّ الاجتماعي هو الذي كان يميز الإمام عن العلماء الآخرين، على الرغم من أنهم كانوا جميعهم في الساحة.

مسيرة المقاومة

بدأت المقاومة حين دخل الجميع الساحة معترضين على كيفية تأليف المجالس البلدية، ومجالس المحافظات، وقد بلغ التحرك مداه، وأُسقط في يد الذين وقفوا بوجهه أو اتخذوا موقفاً سلبياً منه، ولم تعترض المقاومة في ذلك الحين أي مشكلة، ولكن حين أصبح الخطر جدّياً ـ بعد حادثة الاستفتاء والتصدي المباشر للشاه ـ بدأ كثيرون يتراجعون تدريجياً، بذرائع متنوعة.

الخلاصة، أن مواقف الإمام، كانت الأكثر إخلاصاً والأشد ثباتاً، ويأتي من بعده المدرّسون، والطلبة الشباب، الذين أداروا دفّة المعركة في غيابه. فلقد كانت ذكرى الهزيمة في قضية «المشروطية» بالنسبة إلى الفقهاء الآخرين مؤلمة ومحبطة، صحيح أن تحرك فدائيي الإسلام وآية الله كاشاني كان قد سيّس الفقهاء إلى حدّ ما، ولكن ممارسات الجبهة الوطنية جعلتهم ينكفئون من جديد.

أما هذه المعركة فقد أدخلت الفقهاء ـ في المدن والقرى على حدّ سواء ـ إلى ساحة الصراع، والنقطة الإيجابية التي يجدر تسجيلها هنا، هي أن الفقهاء دخلوا الميدان هذه

المرّة بكثافة لم تشهدها المواجهات السابقة، لقد تحركت الحوزة كلّها، وسافر الطلبة إلى جميع أنحاء البلاد، فأثّر نَفَس الحوزة بشكل أو بآخر في جميع طبقات الشعب وفئاته.

لقد شارك الجميع في صنع الحدث: المتعلمون والأميّون، أهل المدن وأهل الريف، العمال والمتموّلون، وقد دعم تنظيم «تجار البازار المتدينين» شبكةَ «العلماء المجاهدين»، واستُغلّت مراسم عاشوراء والاحتفالات في المناسبات الدينية الأخرى، لبث أفكار الثورة.

في هذه الأثناء، ولكي تلحق الجبهة الوطنية بالركب، ولا تُغضِب أميركا في الوقت نفسه، رفعت شعار: «نعم للإصلاحات، لا للدكتاتورية»، وهل كان يمكن أن يصدّق أحدٌ أن الإصلاح هو المقصود من وراء طروحات الحكم؟ أو أن الحكومة على الرغم من تعطيل المجلس، ترغب فعلاً في منح النساء الحرية؟ كنا نعرف جميعاً ـ نحن وهم ـ أن شعارات الإصلاح، لم تكن أكثر من قناع لتدعيم الدكتاتورية.

كانت الجبهة الوطنية قد اعترفت ـ كما ذكرنا من قبل ـ بهذه المسألة، ولكن وراء الأكمة ما وراءها،(1) كان لا بدّ لهم ـ مع احتدام أمواج المعركة ـ أن يدلوا بدلوهم وأن يطرحوا شعاراً، كانت غايتهم من وراء هذا الشعار، الإعلان عن أنفسهم، فقد كان صعباً عليهم أن يصبح رجال الدين هم محور النضال، ولكن الشعب لم ينخدع بشعاراتهم، وانحصر تأثيرهم في عدد محدود من أنصارهم.

من المؤكد، لو أن الشعب تبنّى شعار الجبهة الوطنية، لما لجأ النظام الحاكم إلى استخدام العنف.

لجوء النظام الحاكم إلى العنف

واجه الحكم المقاومة بردّي فعل مباشرين:

١ ـ اقتحام المدرسة الفيضية.

٢ ـ استدعاء طلبة العلوم الدينية للخدمة العسكرية الإلزامية.

---

(١) العبارة في الأصل «تحت هذه الكأس، كأس أخرى» [أما زير اين كاسه كاسه ديگري بود].

فقد سبق الهجوم على الفيضية في أول فرْوَردين العام ٤٢ [١٩٦٣/٣/٢١] حملة على بازار قم وعلى المدرسة الفيضية، بعد انتقاد الاستفتاء والاعتراض على سفر الشاه إلى قم ـ في أوائل بَهْمن من السنة الفائتة ـ فحين فشل شعار الإصلاح الذي طرحه النظام، وقوبل بمعارضة شديدة من الشعب، قرّر الحكم استخدام العنف ـ بناء على برنامج معدٍّ سلفاً ـ لقمع المقاومة.

كانت الحكومة قد أعلنت بصراحة أن سبب تراجعها عن (موضوع مجالس الولايات)، هو إفساح المجال أمام المعارضين لدخول الميدان، فينكشفون وتسهل محاسبتهم، وهذا الادعاء ـ وإن كان كذباً ـ أظهر السياسة التي يلجأ إليها الحكم لقمع المعارضين. كذلك فإن الإمام في قيادته للمقاومة بأسلوب مميز، استطاع طرح القضية وتعميمها، بصورة من صور المقاومة السلبية، مترافقة مع سياسية إعلامية تفنّد مثالب الحكم.

لقد كان أوّل ردّ فعلٍ يصدر عن الإمام ـ بعد العنف الذي جرى في أوائل بهمن من العام [١٩٦٣]، وانطلاقاً من الاضطراب الذي ميّز شهر رمضان ـ هو تحريم العيد (النوروز).

كان الإمام قد لجأ من قبل إلى تحرك يقضي بتعطيل المساجد في شهر رمضان، ولو حدث ذلك، لكان إضراباً تاريخياً، لا سابقة له، على الأقل في التاريخ المعاصر، ولكن هذا التحرك لم يحالفه التوفيق لسببين:

١ ـ كان الحكم قد صمّم على الردّ بالقمع، وكان يلجأ أحياناً إلى اعتقال المتجمّعين في المساجد، الذين لم يكونوا حتى ذلك التاريخ مستعدين نفسياً، لتحمل المشاكل الناتجة عن المقاومة، لذلك ضعُف مجال المشاركة. إضافة إلى العنف الشديد الذي بدر عن الحكم في ضرب المجاهدين في قم وطهران.

٢ ـ كان تعطيل المساجد لمدة شهر كامل، أمراً يرفضه معظم الناس، الذين باتت تقاليد هذا الشهر حاجة معنوية لهم، وعادة اجتماعية متأصلة فيهم. أما الدافع الأكبر للانصراف عن هذه الفكرة، فلأن مجالس شهر رمضان واجتماعاته فرصة مناسبة لفضح النظام وتعبئة الناس، وتعطيلها يسلب المقاومة هذه الفرصة. لذلك ابتكر

الإمام فكرة أخرى هي تحريم الاحتفالات، الذي كان له انعكاس واسع وإن كان محدوداً، إذا ما قيس بتعطيل المساجد. فَعَلَ تحريم [النوروز] فِعْلَه في قم أكثر من غيرها، وقد وضع زوار قم ـ في أول السنة الجديدة ـ البلاد كلَّها في أجواء ذلك التحرك. لهذا ثارت ثائرة الحكم ـ الذي أراد أن يكون زمام المبادرة بيده ـ وقام بردّ فعلٍ متسرّع: هو اقتحام الفيضية.

تحريم احتفالات النوروز

حادثة تحريم احتفالات العيد، أحرجت الحكم، فلجأ إلى تضليل الجماهير بعبارات من قبيل: «هؤلاء لا يريدون للناس إلا البكاء، وبما أن الناس يفرحون في عيد النوروز، يريدون أيضاً أن يحرموهم من هذا العيد». .

إضافة إلى ذلك لجأوا إلى نوعٍ آخر من التضليل، بأن أظهروا القضية وكأنها قضية دينية محضة، وأغفلوا وجهها السياسي، متذرعين بأن موعد العيد في ذلك العام صادف ذكرى استشهاد الإمام الصادق، ولكنّ جهودهم لم تثمر، وكان لتحريم العيد تأثير جيد.

اقتُحمت الفيضية في ذكرى استشهاد الإمام الصادق: شارك في الهجوم رجال الشرطة والساڤاك وقوى من الجيش، كان يجب التحقق في ما بعد من المستندات لتتوضّح هذه التركيبة. كما أنني التقيت في أثناء الخدمة العسكرية الإلزامية ـ كما سأشير في ما بعد ـ في ثكنة «باغ شاه»[1] جنوداً كان لهم دور فاعل في تلك الحادثة، رووا لنا ما حصل، وأخبرونا أن برنامجاً كان قد أعدّ لهم في ذلك اليوم في أمكنة ثلاثة:

١ ـ منزل الإمام.

٢ ـ مدرسة «الحُجّتية» ومجلس العلامة شريعتمداري.

٣ ـ المدرسة الفيضية.

ذلك أن ثلاثة مجالس مهمة كانت تعقد في ذلك اليوم في قم: مجلسان صباحيان في منزل الإمام وفي مدرسة «الحجّتيّة»، وآخر يقام عصراً في المدرسة الفيضية.

---

(١) اسم الثكنة العسكرية التي جُند فيها طلبة الحوزة، ومعناها بالعربية «حديقة الشاه» (م).

في منزل الإمام ـ وكنا نحن هنالك ـ لم يتسنَّ لهم القيام بأي عمل. لقد وجهوا رسالة تهديد إلى الإمام، ولكنّ مشكلة غير متوقّعة واجهتهم، ولم يستطع قائد العمليات أن يأخذ المبادرة بنفسه، وربما كان بحاجة إلى أوامر جديدة، فقد كان منزل الإمام يقع في زقاق بعد أزقّة «يخچال قاضي»، لا مجال للتحرك فيه. ولقد عرفنا في ما بعد أنهم وجدوا أن هذا المكان غير مناسب للاعتقال من الناحية العسكرية، ولولا ذلك لرجّحوا أن يبدأ تحركهم من بيت الإمام، ولكنّ وَضْعَ الأزقة يثير القلق والشعور بالخطر.

لقد كان من الممكن أن يُحاصر المهاجمون، وأن يُضربوا من داخل المنزل ومن فوق السطوح، فالناس منتشرون في كل مكان، في الحارات وبساتين الرمّان المحاذية لبيت الإمام ـ وكانوا متحمسين للدفاع عن الإمام ـ وليس من السهل مواجهتهم، كما أن الشرطة لن تتمكن من تقديم المساندة بسهولة.

في مدرسة الحجتيَّة كان أنصار شريعتمداري، وكان يتزعّم المجلس اثنان من «قبضايات قم»، لهما علاقات حسنة بمديرية الأمن، توصّلا إلى حلّ المشكلة على نحو معيّن، وهكذا وقعت القرعة على المدرسة الفيضية.

اقتحام الفيضية

حين وصلتُ إلى المدرسة الفيضية عصراً، كان عدد المتجمّعين لا يزال محدوداً، لا يصل إلى أبعد من تلك الصخرة المعروفة بـ«صخرة الثورة»، وقفتُ خلف الجموع، وكان العلامة الأنصاري قد اعتلى المنبر، وكان بين الحضور آية الله گلپايگاني وشخصيات كبيرة أخرى.

شعرنا أنهم يحضّرون لشيء ما، هنا وفي أماكن أخرى، وكان منزل الإمام أكثر عرضة للتهديد من غيره. بعد أن تشاورنا وبعض الأصدقاء، قررنا أن نقصد بيت الإمام.. كان الهدوء مخيّماً، والباب مقفلاً، فشعرنا بالاطمئنان، وعدنا باتجاه الفيضية.

بعد أن تجاوزنا زقاق «أرك» بخطوات قليلة، وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه وجموع الفارّين من المدرسة الفيضية، وعلمنا أن اشتباكات واسعة قد حصلت.. فساورنا القلق من جديد على الإمام، وتصوّرنا أن العملية ستمتد، فعدنا أدراجنا، والتقينا الإمام في إحدى

الغرف الخارجية، ثم بدأ حضور الناس والطلاب تدريجياً، كالجيش المنهزم، وأخذوا يروون ما جرى، كانت أخباراً مرعبة.

أخذ الإمام يشجّع الجميع، ويذكر الجوانب الإيجابية لما جرى، مؤكداً أن «المقاومة قد وصلت إلى مرحلة جدّية».

وحين ذُكر أن الحاج أنصاري الواعظ من بين المعتقلين، قال الإمام، إنّ الموضوع جيّد، لإذكاء نار المقاومة.

مكثنا هنالك ساعة من الليل، وخرجنا بعد ذلك، وكانت أخبار الفيضية تصلنا تباعاً، لقد كان ليلةً رهيبة، وقد شاهدنا بعض الجرحى: الشهيد مفتح، الشيخ أسد الله خادمي وآخرين..

أمضينا معظم الليل قرب منزل الإمام، مترقّبين، ولكن شيئاً لم يحدث بحمد الله، ولقد نُقل الجرحى إلى المستشفيات، وعانت قُم جزعاً رهيباً، وكانت المرة الأولى التي تحدث فيها مثل هذه المواجهة الجدّية. لم يكن أحد يعرف ماذا سيحدث بعد ذلك أو إلى أين ستصل الأمور.

في اليوم التالي أو الذي بعده، ذهبنا إلى الفيضية، كان هنالك متفرّجون كُثر، يتجولون. بقع الدماء في كل مكان، وفي صحن المدرسة عمائم محترقة وأحذية متناثرة، بعد أن قمنا بجولة في المكان، توجّهنا نحو غرفة الكرمانيين شمالي شرقي الفيضية، باتجاه «دار الشفاء» ـ بعض الذين أرّخوا لثورة الإمام خلطوا بين شمال الفيضيّة وجنوبها ـ صعدنا إلى الطابق العلوي لمشاهدة آثار فعلتهم، وكانوا قد أغاروا على الغرف واحدة تلو الأخرى. فجأةً علا الصراخ، ورأيناهم من وراء زجاج إحدى النوافذ يهدّدون عدداً من الطلبة! لقد عادوا وأغاروا من جديد، ورأينا أحد الطلبة يفرّ، ومن شدّة الخوف يرمي بنفسه في بركة المياه.

لقد كان المهاجمون يتعقبون الطلبة وهم يتهدّدون ويتوعّدون، ويضربون.. رأيت هذا الاقتحام الثاني الذي جرى بعد يومين من الاقتحام الأول، بأمّ عيني، وخفتُ كثيراً.. كانوا يُعربدون ويشتمون دون وجلٍ أو حياء، مكثنا في تلك الغرفة العلوية خائفين

ومضطربين. . ، كنا نراقبهم من وراء الزجاج، وبعد أن فتشوا عدّة غرف ولم يعثروا على شيء، ولم يجدوا أحداً، انصرفوا، فخرجنا نحن من طريق «دار الشفاء».

نتائج حادثة الفيضية

اختار الإمام في هذه المرحلة سياسة جيدة جداً، مستفيداً من جميع إمكانات الحوزة التبليغية ـ وبخاصّة الوعّاظ ـ ليعكس مظالم الحكم، وكانت النتيجة عكس ما توخّاه النظام، وقد تمت الاستفادة من وجود الجرحى في المستشفيات، وقد أقدم الحكم على إخراج الجرحى من المستشفيات كي لا تُستغل عيادتهم للتحريض.

كان من الممكن أن يكون ردّه أكثر عقلانية ويمنع الزيارات عنهم، علماً أن الإمام كان سيستفيد من ذلك بصورة أخرى.

في هذه المرحلة، تغيّرت لهجة الإمام في بياناته، حيث وجّه انتقاداته لشخص الشاه مباشرة، فزعزع أركان هيبته.

كان الإمام في السابق ينتقد الحكومة دون ذكر الشاه، أما الآن، فإنه ـ بعد هذا الهجوم وانتهاك حرمة المؤسسة الفقهية والمرجعية ـ هاجم الشاه، وجاء بيانه المشهور، بعد حادثة الفيضية ذا وقع خاص، ونقطة تحوّل وانعطاف في بياناته.

لقد تصاعدت أصداء المعارضة، بحيث أنها سلّطت الأضواء على القضايا السابقة كلّها: الاستفتاء، واللوائح السداسية وغيرها. . وتحوّلت المدرسة الفيضية كربلاء جديدة، وتسابق الجميع في رثائها. كلّ من شاهد ما جرى، أو التقى جريحاً أو سمع إهانة موجهة إلى الإسلام والقرآن، نظم مرثيةً، وصار للفيضية نصيبٌ من مجالس العزاء، وحصّةٌ من البكاء.

من خلال تجاربي الشخصية، كنت شاهداً على بكاء الناس ونواحهم، حين كانت تُقرأ مجالس العزاء على أرواح شهداء الفيضية.

إلى جانب المراثي ومجالس العزاء هذه، أُلّفت أيضاً طرائف كثيرة. فقد اتخذ السيد «يونس رودباري» من اقتحام غرف الطلبة ونهبها ـ ومعلوم أن غرفة الطالب لا تحوي سوى إبريق الشاي والقنديل والقرآن والكتب وأشياء من هذا النوع ـ مواضيع للبكاء في المجالس العامة، كما ألّف عنها طرائف للتسلية والهزل في المجالس الخاصة.

لم نتخلَّ عن هذه الندبيات التي تفضح نظام الشاه، حتى نهاية مرحلة النضال.

الفصل الرابع

في الثكنة العسكرية

شكل جديد للصراع

مع أن حادثة الفيضية أرعبت البعض، ودفعت آخرين للانسحاب من المعركة، إلا أنها نقلت المقاومة خطوةً إلى الأمام، ومنحت المقاومين جدّية أكبر. لقد قويَ منطقُنا، والحكمُ الذي كان من قبلُ يظهر نفسه حامياً للدين، ويُنكر عداءه لرجال الدين، قد انعقد لسانه الآن بعد ما جرى.

لم يكن من الممكن أن يسكت مراجع النجف وآية الله الحكيم، فأرسلوا برقية يستدعون فيها علماء قمّ إلى النجف، ولكن الحكم لم يوصل البرقية خوفاً، وحاول بعد ذلك أن يذْكر البرقية في رسالة خاصة، ولكنّ الإمام الخميني لم يرضَ بذلك، وقال: فليعط هذه البرقية إلى المقرّبين إليه.

التقى الشاه بعد ذلك ببعض العلماء الآخرين، وقال لهم: إذا كنتم تريدون الذهاب، فإننا سنعطيكم جوازاتكم بسرعة، على أن تسافروا دون ضجّة؛ وربما كان البعض يرغب في السفر إلى كربلاء بهذه الذريعة.

وقد وُجّه تهديد جدّيٌ إلى العلامة شريعتمداري في رسالة سلّمها إليه مدير الأمن في قم، كان فحواها: «إننا لن نراعي هذه المرّة شيئاً أو أحداً»؛ كان تهديداً مبطّناً (وقد أشار الإمام إلى ذلك في إحدى خطبه قبل عطلة المحرّم).

قرّر الحكم أن يوجه ضربة ثانية، وأن يُلغي القانون الذي يُعفي طلبة الحوزة من

التجنيد ـ هذا القانون كان امتيازاً للحوزة ـ وقد كانت له سوابق في هذا المجال، فقد كان يستخدم هذه الورقة في ظروف معينة لتهديد مراجع قمّ.

تجنيد طلبة حوزة قمّ، كان معناه أن الحكومة لا تعترف بشرعية الحوزة. وهكذا وجدنا أنفسنا بعد عشرين يوماً من حادثة الفيضية، في ٢١ فروردين ١٣٤٢ [١٠/٤/١٩٦٣]، في مواجهة هذا الوضع، وكنت أنا أول المعتقلين لهذا السبب.

الاعتقال الأول

كان أول اعتقال لي في الواقع، قبل بدء المقاومة بعدة سنوات، وربما كنت أول طالبٍ، اعتقاله مرتبط بمقاومة العائلة البهلوية. كنت قد سافرت إلى همدان، للتبليغ، في العشر الأوائل من المحرّم، التي صادفت سقوط النظام الملكي في العراق، في كلامي، حذّرت حكومة إيران، ووجهت إليها انتقادات لاذعة؛ كنت شاباً وكانت مواعظي لافتة، ومعرفتي وثيقة وعلاقاتي حميمة بالشيخ ملا علي، وآية الله بني صدر والعلماء والطلاب، بعد إحدى الخطب، في التاسع أو العاشر من المحرم، اعتُقلتُ في أحد متاجر أصفهان، ونُقلتُ إلى المخفر.

بعد استجواب مختصر، وتعبئة الإضبارة، حُوّلت إلى مكان آخر، كان مبنى صغيراً، حديث البناء، ووجدت نفسي بين أيدي الجيش. كان هنالك شخص يدعى، «المقدّم رستگار»، استجوبني، وقيل إنه مبعوث من الجيش، ربما كان مبعوثاً من الساڤاك ـ وقد كان جهاز الأمن قد تشكّل حديثاً في إيران، ـ وفي أثناء الحديث مرّ كلام على النفي..

احتُجزتُ هنالك ليلتين، وكانت عطلة رسمية، وكان الفضل في الإفراج عني لتدخل العلماء وبخاصة آية الله بني صدر، وآية الله آخوند، اللذين كانا شديديّ النفوذ، تدخلا لدى المركز، فأفرج عني شرط مغادرة همدان.

أظنّ أننا كنا في تلك الأيام في طهران، بسبب العطلة الصيفية في الحوزة، وكنت أسكن في مدرسة «الشهيد مطهري»، ـ التي كانت تسمى في ذلك الحين «سپهسالار» ـ لدراسة العلوم الجديدة، التي أُقرّت بناء لطلب آية الله العظمى البروجردي في المدرسة

العلويّة، لعشرة طلاب متميزين، كنت أنا واحداً منهم، وكان يشاركني الغرفة طالب من همدان يدعى السيد مقصودي، وهو الذي ذهبت برفقته إلى همدان. اللافت، أنني ذهبت بعد سنتين مرةً أخرى إلى همدان بناء لدعوة الجمعية الإسلامية ـ بواسطة السيدين محمّدي وأكرمي ـ للكلام في مراسم الأعياد الدينية، حيث اعتقلت بعد أول خطبة لي، وبعد التحقيق نقلوني إلى مرآب، وأركبوني سيارة وأجبروني على مغادرة همدان.

ولكن بعد بدء حركة المقاومة، كان أول اعتقال لي ـ كما أشرت ـ بمناسبة التجنيد. كنت المسؤول عن نشرة «مكتب التشيّع»، أنجز جميع المهام بنفسي، وكنت معتاداً أن أذهب يومياً إلى مكتب البريد لاستلام الرسائل الموجّهة إلينا، وإرسال ما يجب إلى المندوبين والمشتركين، فلم يكن لدينا هيئة تتولى القيام بمثل هذه المهام.

في طريقي إلى مركز البريد ـ في شارع باجك ـ حين وصلت قرب المخفر، انتصب أمامي شرطيّ، وقادني إلى المخفر، كان الاعتقال متوقعاً؛ في المخفر أدخلوني غرفة، حيث جرى نقاش عن الصراع بين الحكم ورجال الدين، لا أذكر تفاصيله.

تصورت أنني قد اعتُقلت، وكنت أنتظر تحقيقاً، واستنطاقاً. ثم أُحضر معتقلون آخرون، وكنّا نتوقع أن نُنقل جميعاً إلى السافاك، فيتوضّح لنا سبب الاعتقال، وتجرى التحقيقات.

بعد أن تجمعنا، وكنا عدّة أشخاص، نقلونا في سيارة إلى دائرة التجنيد، وتركونا ننتظر هنالك بعض الوقت، وكان الرجل نفسه الذي تحدّث إليّ في المخفر، يروح ويجيء، يدخل الغرف، أو ينزل إلى الطابق الأرضي، كان ذلك اليوم عطلة رسمية، بعد ذلك أدخلونا إلى المكتب وطرحوا مسألة «التجنيد الإلزامي»، وقالوا لنا: أنتم جنود فارون، فأجبناهم: نحن معفيون من التجنيد فكيف نكون جنوداً؟.

كنت أحمل بطاقة تثبت أنني طالب، وكنت متزوجاً ولديّ ثلاثة أطفال، وكل واحدة من هذه الحالات الثلاث كافية للإعفاء، فإن لم يكفِ كوني طالباً، يمكن الاستفادة من الحالتين الأخريين. وكان لآخرين ظروف مشابهة، ولدى البعض الآخر حالات تستدعي الإعفاء.

مع ذلك قالوا إن «بطاقة الطالب» ملغاة، ولم يعد لها بناء على أوامر الشاه قيمة ولا

اعتبار. ناقشنا قضية إلغاء الشاه للقانون، وأنه مخالف للدستور، لأن إلغاء القانون يحتاج إلى مراحل خاصة، ويستحيل الإلغاء قبل اجتياز هذه المراحل.. أفهمونا أن المسألة سياسية، وأن لا مفرّ من التجنيد.

كان تصورنا لما ستعكسه هذه الحادثة وتقويمنا له مختلفاً عما حدث فعلاً، لم نستطع تصديق مثل هذه الوقاحة، وظننّا أن ردّ فعلٍ ما، سيصدر عن الشعب، وأن الحكم سيهاب الرأي العام..

أظهر الإمام تعاطفاً، وأرسل لنا وجبة غداء «چلو كباب»، كانت وجبة فاخرة في تلك الأيام بالنسبة إلى ظروف حياة الطلبة.

وقد ألّفنا في ما بعد طرائف حول التجنيد و«الچلو كباب» وغير ذلك... أخبرني الشيخ «نصر الله بهرامي» في ما بعد، أنه حين طرح موضوع التجنيد أمام الإمام، وأخبرناه أنك استدعيت إلى الخدمة العسكرية، قال ممازحاً: «هو! لماذا؟ إنه في الأربعين من عمره!». حتماً لم أكن قد تجاوزت الثلاثين من عمري بعد.

حتى عصر ذلك اليوم كنا نتوقّع أن تُحلّ المشكلة بطريقة ما، وقد حضر إلى المخفر عددٌ من الشخصيات، وكان أحد أقاربنا رئيسا لقلم في قمّ، وله علاقات بالمسؤولين فيها، فذهب إليهم، وبحث الأمر معهم، فقالوا له: إنها الأوامر أن يستدعى الطلبة إلى التجنيد الإجباري.

في اليوم التالي، ألقوا القبض من جديد، منذ الصباح الباكر، على عدد آخر من الشبّان، الذين تدُلّ قيافتهم أنهم في سنّ التجنيد، وحين شاع الخبر، احتاط الناس كي لا يُقبض عليهم؛ أو ربما لم يكن من المقرّر أن يأخذوا عدداً كبيراً، وقد بلغ عددنا حتى عصر ذلك اليوم خمسة وعشرين شخصاً؛ نقلونا بعد أن نظّموا ملفاتنا، في شاحنة مغطّاة بالشادر، تحركت بنا ـ وكان قد حلّ الظلام ـ إلى طهران مخفورةً بالحرس.

ربما اختير هذا التوقيت كي لا يرانا الناس؛ وقد كانت معنويات الطلبة عالية، وكنا نشيطين، ولم نأخذ الموضوع على محمل الجد؛ ساروا بنا دفعة واحدة حتى مقهى شميران الجديد، على بعد أربعة فراسخ من طهران، فقد كانت المقاهي الأخرى مزدحمة، ولم يتمكنوا من التوقف فيها، وصلنا حوالى الثانية عشرة ليلاً، وكان قد نَفِدَ الطعام من

المقهى، فقدموا لنا طعاماً بارداً، لم يدفعوا ثمنه، ونحن أيضاً لم يكن في حوزتنا مال كافٍ، فقد كان اعتقالنا مفاجئاً ولم نكن مستعدين، وقد سدّدنا ثمن الوجبة بصعوبة.

بعد منتصف الليل وصلنا إلى طهران، وأنا لم أكن حتى ذلك الحين أعرف طهران جيداً، وكانت الشوارع والمحلات التي مررنا بها غير معروفة بالنسبة إلينا. لذلك لم نعرف بالتحديد إلى أين يتوجهون بنا. ما أذكره، أنهم نقلونا إلى المنطقة السادسة عشرة. نمنا تلك الليلة، وفي الصباح حضر المقدّم «دولّو قاجار»، وبدأت من جديد التحريات والاستجوابات.

طلبني، فذهبت إليه، وتناقشنا في مواضيع سياسية وقانونية. كان يريد أن يوجه إليَّ تهمة مخالفة القانون، فقلت له إن استدعاءنا غير قانوني، ودافعت عن نفسي دون أن ترعبني رتبته العسكرية، فقد واجهته بمنطق ورباطة جأش.

من قم وإلى حين وصولنا إلى هذا المكان، كنا لا نزال نرتدي زيّنا المعتاد، وكان من الواجب أن نرتدي هنا زيّ الجيش. في الصباح حضر الشيخ «محمد رضا صالحي» لرؤيتنا، وكنا نأمل أن يكون له دور في حلّ المشكلة لاتساع شبكة علاقاته، وقد أخبرنا أن السيد فلسفي على علم بالحادثة، فحمّلناه رسالة إليه، وكنا ننتظر أن تحلّ المشكلة في هذه المرحلة، وأن لا ننتقل إلى مكان آخر. وبعد عدة مداولات فاشلة لم تثمر. أُجريت معنا أيضاً تحقيقات إدارية روتينية.

من جديد نقلونا إلى ثكنة «باغ شاه»، ولم نكن نعرفها من قبل، وإنما سمعنا عنها فقط، اسمها اليوم «ثكنة لاهوتي»،(١) وهي من المراكز التي كان للسيد لاهوتي فاعلية فيها بعد نجاح الثورة.

أكثر من عشرين معمّماً، ساروا بين الجنود، وكان ردّ فعل الجنود والضباط مزيجاً من التعجب والضحك والتكبير بصوت عالٍ سخريةً.

كان البعض غير راضين عما يجري، ولكن الأكثرية أبدوا سرورهم لاستدعائنا إلى الثكنة العسكرية، فقد كان من الطبيعي أن لا يرض من ينفّذ الخدمة العسكرية الإلزامية،

(١) اسمها الحالي «پادكان حر» أي [ثكنة الحرّ].

عن إعفاء الآخرين، وقد كان هذا العامل وراء ردّ فعلهم، أما الذين لم يكونوا مؤيدين لما جرى، فلم يتجرأوا على إعلان موقفهم.

نقلونا إلى حيث نستريح، كان المكان مخصصاً لنا نحن الطلبة، ولم يكن هنالك أحد غيرنا. حتى هذه اللحظة لم نكن نصدق بعد أننا صرنا مجندين. كان تحليلنا للأمور، أن الثكنة محيطٌ مغلق، ووجود جماعة من الوعّاظ والكتّاب، في مثل هذا المحيط، بين الجنود خطر على النظام الحاكم؛ وقد كان خطراً بالفعل.

أبقونا في هذا المكان يومين، وكانت توقعاتنا كبيرة، ولم يكن تقويمنا لنظرة المجتمع إلى الموضوع واقعياً: فقد كنا نظن أن الإضراب العام سيعم البلاد... وحين وصلتنا الصحف بعيد الظهر، كنا نظن أن خبر تجنيدنا قد انتشر، وأن أصداء الإضراب العام قد وصلت إلى الصحف، على الأقل إضراب «البازار» ولكننا رأينا أن لا اعتراض مهمّ يمكن أن يخلق مشكلة للحكم.

كنت بارزاً في مجموعتي، أتواصل مع الآخرين، أشجعهم وأقوّي معنوياتهم، وأتعاطف معهم، مطمئناً إياهم بحلٍّ قريب للمشكلة، ومحاولاً أن لا أظهر أيَّ ضعف؛ فأنا بطبعي متفائل، أنظر إلى الجوانب الإيجابية من الأمور؛ ذكر أيضاً بأنه قد أُرسل إلينا مبلغ من المال قسَّمته بين الطلبة.

نقلونا بعد يومين إلى «فيشر آباد». هناك أجبرونا على أن نرتدي الزيّ العسكري الرسمي. عند ذلك صدّقنا أننا مجنّدون.

بعد ذلك سمعنا أنهم ألقوا القبض على مجموعةٍ في أصفهان، وأحضروا عدداً منهم، فوصل عددنا إلى حوالي الخمسين. حولونا إلى مركز التدريب، ووضعونا كلّنا في مقرّ واحد، كان ذلك مفيداً لنا ولهم، فالسيطرة علينا أيسر حين نكون في مكان محدد.

بدأت برامج التعليم والتدريب: الدروس، النظام المرصوص، قانون التجمع، ومراكز أخرى. مكثت أنا هنالك حوالي الشهرين، وظل آخرون حتى النهاية.

محيط الثكنة

في محيط الثكنة، كنت أستغلّ أي فرصة متاحة أو لقاء للبحث والمناقشة. كنت

أطرح مسألة تجنيدنا وعدم قانونيتها، كما كنت أتقرّب من أي شخص أحسّ أن لديه إمكانية تقبّل ـ ولو قليلة ـ من القادة والعناصر العاديين.

قائد الثكنة كان يدعى «العميد پيروز نيا»، كان صوفيًا من أهل المعنى، وقد سرّ بوجودنا كثيراً.

في الأيام الأولى هذه، وقعت حادثة انفجرت كالقنبلة في «باغ شاه»، وتردّدت أصداؤها: كان ذلك يوم الأربعاء، وكان عددنا حوالى الثمانين أو المئة، أخذونا جماعياً إلى الحمام: حمام عموميّ أمامه ساحة، ذهبنا إليه بالصف. كان له قوانين ومراسم خاصّة: أمرونا بنزع الثياب قطعة بعد قطعة، إلى أن وصل دور الثياب الداخلية: في هذه المرحلة الأخيرة، اعترضنا وقاومنا، بينما تعرّى الآخرون، رأينا أن ذلك مخالف للشرع، وإهانةٌ لا تُحتمل. حرّضت الطلبة على المقاومة، وقد فعل بعض الجنود الآخرين مثلنا، كان ذلك بحسب المصطلح العسكري «مخالفة للأوامر»، جادلنا الضابط المرافق لنا، المهم أننا لم ننفّذ الطريقة التي كانت سائدة من قبل. كان هذا الأمر انتصاراً لنا في ذلك المحيط، وموضوعاً استندنا إليه في انتقاد ما يجري فيه.

قلنا لهم: إنكم تستدعون أبناء الشعب الفلاحين إلى هذا المكان، وتضعفون روح العفّة لديهم، وتزعزعون قيمهم وأخلاقهم، إنكم بذلك تخالفون الشرع.

وجّهنا إليهم انتقادات أخرى: السرقات المتعددة، معاملة الضبّاط السيئة للجنود، فهم يوجهون الإهانات وأحياناً يضربونهم، وإن تحقير أفراد الجيش يُضعف روحهم المعنوية، وهو إضعاف للقوى التي يجب أن تدافع عن الوطن.

طرحنا موضوعاً آخر وهو موضوع الصلاة: فقد كان الوقت المحدّد للاستيقاظ غير كافٍ لإنجاز الواجبات الروتينية المفروضة قبل الفطور، وكنا نصلي بصعوبة. في هذه المرحلة كان السيد فلسفي، قد اتصل بقائد الثكنة «العميد پيروز نيا» هاتفياً، وذكر اسمي في عداد الذين أوصى بهم. طلبتُ مقابلته، ولم يكن مسموحاً للجندي أن يلتقي بقائد الثكنة، كانت هناك تراتبية عسكرية، وتسلسل إداريّ، وأنظمة صارمة. «فالسلام كان ممنوعاً مثلاً، يجب نزع القبّعة، وأداء التحيّة العسكرية».

في لقائي مع العميد «پيروز نيا»، طرحتُ عدة مسائل:

١ ـ الاعتراض القانوني على استدعاء الطلبة للخدمة العسكرية.

٢ ـ إجبار الجنود على التعرّي في الحمام، ونتائج ذلك، مع الأخذ بالاعتبار أن لا ضرورة مطلقاً لهذا التصرّف، تعجّب كثيراً، واتّضح لي أنه كان يجهل هذا الأمر كليًّا، فقد ثار وقال: «إن لدينا في الثكنة «أوعية» على عدد أفراد الفرقة، هؤلاء الضبّاط وصف الضبّاط مخطئون، يستصعبون إحضار «الأوعية الخاصة» من المخازن، ومن ثم تجفيفها وإعادتها. هذا هو قانون الجيش.

٣ ـ اعترضت على الإهانات والأقوال الفاحشة التي يوجهها الضباط إلى الجنود، كتب ملاحظة، ثم قال: هذه جريمة، والضرب جريمة أيضاً يُحاسب عليها القانون.

عرضت أيضاً مسألة السرقات المتعددة والمتكررة..

في صبيحة اليوم التالي، قام العميد بيرورنيا جمع الثكنة كلها، [بالصفّ]، وتكلم على مسألة العديد والعتاد الشخصي، والمسائل التي طرحتها أنا، وقال: من الآن وصاعداً أي ضابط، أو مسؤول، يأمر الجنود أن يتعرّوا في الحمام سيُعاقب، يجب أن يعطى كلّ واحدٍ وعاءً خاصاً؛ كل ضابط يهين جندياً سيُعتقل، والوحدة التي تحدث فيها سرقة سيوجّه تأنيب خطّي إلى قائدها».

بعد هذا اللقاء وما فعله قائد الثكنة تحسّن وضعنا. وكان لهذه الحادثة صدىً جاء لمنفعتنا، فقد فهم الجميع أن هذا الاجتماع جرى بعد أن تدخّلنا، وأنه كان مفيداً للجنود في النتيجة ـ إذا تركنا الجو العام جانباً ـ كان بعض الضباط مستائين من تخطّيهم، بذهابنا إلى العميد مباشرة، دون أن نراعي موضوع التسلسل الإداري، وكان ردّنا أن تجنيدنا في الأصل غير قانوني..

في كل الأحوال، كانت حادثة مثيرة، ركّزت الأنظار على الطلبة.

الزيارات والإجازات

من ذكريات تلك الأيام، الزيارات المتعددة. وكان من بين الذين زارونا شخصيات معروفة، فالزيارات لم تكن ممنوعة، وكان المسؤولون يستقبلون الزوار بحفاوة، والظاهر أنه لم يكن هنالك قوانين خاصة متعلقة بهذه الأمور الجزئية.

زارنا عدد من العلماء، وكذلك جاء أشخاص للتوسّط لنا، كنت أُستدعى أحياناً باسمي بواسطة مكبر الصوت ونحن في الصفّ، كما وصلتنا هدايا متعددة، وكانت أحياناً مفتوحة نقتسم الهدايا مع الجنود، وكان لذلك تأثير كبير فيهم.

كان حلق اللحى في الثكنات إجبارياً، وقد أجرينا نقاشاً حول هذا الموضوع، وبعد الكثير من الأخذ والردّ، سُمح للطلبة باستخدام آلة الحلاقة، بحيث تبقى حدود اللحية واضحةً، أنا شخصياً لم أُعانِ من هذه المشكلة، ولكنني بذلت ما في وسعي من أجل الآخرين، من منطلق واجبي الشرعي.

بابا: أصبحت شرطياً؟

طُرِحت مسألة الثياب في الإجازات، فقد كان يُحظّر على الجنود استخدام لباسهم الشرعي، وكان بعض الطلبة يخرجون باللباس العسكري، أما أنا فقد كنت أحتفظ بملابسي معي، وكنت أبدّلها في مكتب أخ زوجتي الذي كان قريباً من ثكنة «باغ شاه».

في البال خاطرة جميلة بشأن اللباس تتعلق بابنتي الكبرى «فاطمة»، وقد كانت في الثالثة من عمرها، جاءت بصحبة أمها للزيارة، وكان قد حضر أيضاً بعض العلماء من بينهم السيد «علوي بروجردي». لم تكن فاطمة تتوقّع أن تراني بلباس الجيش، فما أن نظرت إليّ وعرفتني حتى قالت: بابا، صرت شرطيّاً؟ هذا المشهد أبكى الحاضرين.

رسالة إلى الإمام

ذهبت في الإجازات مرتين أو ثلاثاً لزيارة الإمام، بحضور آخرين، كما أنني أرسلت إليه رسالة من الثكنة، لأنني كنت أعتقد أنهم يستخدمون مسألة تسريح الطلبة، ورقة لابتزاز الإمام، لذلك ذكرت في الرسالة أن الوضع جيد في الثكنة، وأنها دنيا جديدة بالنسبة إلينا، ولا يوجد أي مشكلة خاصّة، وأننا تعرّفنا إلى الأسلحة وطريقة استخدامها، وأن نظام التجمّع والركض والاستيقاظ المبكّر، والرياضة الصباحية مفيدة للطلبة، ولها قيمة مهمة في صقل الأبدان جديرة بالملاحظة، ومن المفيد تطبيق هذه البرامج في الحوزة. والأهم من كل ذلك تأثيرنا في الضبّاط وضبّاط الصّف، وإذا زاد عدد الطلبة المستقدمين إلى الثكنات، ربما حدث تحوّل في بنية الجيش، وكان الأمر في الواقع كما ذكرت.

فيما يلي سوف أشير إلى نماذج من الآثار الإيجابية لوجودنا في تلك الثكنة:

أولاً: كنا مقارنة بالجنود الآخرين، وكثير من الموجودين منهم في الثكنة، أكثر تعلماً، وأرفع مستوىً، لقد كنا جنوداً ممتازين، من جملة ما تعلمناه أن نفتح بنادقنا بسرعة، وننظفها، ونعيد جمعها. كان للسرعة في العمل امتياز كبير، لم تكن البنادق (ج٣٠) قد وصلت بعد، كانت البندقية المستخدمة «أم. ١» (M.1)، وكانت متعددة الأقسام، وفتحها وتركيبها صعبان نسبياً. وقد تفوّقتُ في هذا المجال وكنت أفتح جميع قطع الأسلحة وأقفلها بسرعة.

حتى في غرف التدريس، كنت أفهم المسائل المطروحة من الإشارة، في حين كان فهمها بالنسبة إلى الجنود الآخرين ـ الذين كانوا في معظمهم أميين ـ حتى بعد التوضيح، صعباً.

كانت مقدرتي على التعبير أفضل من الضبّاط، وكان الجنود يرغبون في سماع شرح المسائل مني أكثر، وحين يُطلب إليهم أن يعيدوا تسميع الدروس، كنت أتبرع لأقوم بهذا العمل، وبهذه الذريعة أغيّر موضوع البحث وأطرح مسائل اجتماعية أخرى.

في أحد الأيام، مثلاً، وكان أحد الضباط يشرح للجنود ضروة محافظتهم على ما بين أيديهم من مال وعتاد ولباس، واستطرد إلى ذكر إحصاءات وأرقام، استنتج منها أن الشاه ينفق على كل جندي شهرياً، ستة آلاف تومان، كان يريد من وراء ذلك الدعاية السياسية للشاه، ولما جاء دوري لتوضيح الدرس، أوردته من طريق آخر وقلت موجهاً كلامي إلى الجنود: «بحسب أقواله، إن هذه الأموال هي أموال الشاه، يهبها لنا، ويحمّلوننا منّة في إحضارهم إيانا والإنفاق علينا. إذا نظرنا إلى المسألة على هذا النحو، لن نتأثر كثيراً، ولكن إذا عرفنا أن هذه الأموال هي أموالنا فالأمر مختلف. ليس الشاه هو الذي يتولى هذا الإنفاق من ماله الخاص، إنه يصرف من خزانة الدولة، الوطن، والوطن يعني نحن، إنها الضرائب التي يدفعها أهلكم، فهم يأخذون الضرائب على كل ما يُستورد حتى أزرار أثوابكم. إضافة إلى أرباح النفط، الذي هو ملكنا جميعاً.

بناء على ذلك فإن كلّ ما في أيدينا هو من أموالنا، وإذا أتلفناه، سيُشترى من جديد، ويؤدي إلى زيادة في الإنفاق سنتحمّلها نحن.

وهكذا وضّحت الناحية الإيجابية من الدرس، ونفيت وجهها الدعائي «الدعاية للشاه» كلياً. أسقط في يد الضابط ولم ينبس ببنت شفة، وقد أحسّ بضعف منطقه قياساً بما أوضحته، وقد كان على علم بمكانتي وعلاقتي. في كل الأحوال بادر إلى تشجيعي. كان في الثكنة ضابط له مركز مهمّ في الشرطة العسكرية، لا أذكر اسمه الآن، وأتشوّق إلى رؤيته، لم يكن ذا رتبة عالية، وإنما كان ضابطاً فهيماً، أوصاه بي أحد الأشخاص، وكان لهذه التوصية تأثير إيجابي، استدعاني وقال لي: كلما أردت شيئاً راجعني، فكنت أعرض عليه المشاكل التي تواجهنا، فيساعدنا في حلّها، وكانت له علاقة بالمقامات الحسّاسة في البلاد، ويُحسب له حساب، وكان لعلاقتي به أثرها في ذلك المحيط، وكانت مفيدة للحصول على تصاريح الخروج وحلّ النزاعات و. . .

كنت جندياً منضبطاً، جيداً. وجميع الطلبة كانوا هناك جنوداً جيدين. وكانوا يمتازون عن الآخرين من نواح منعددة، وكان ذلك مثيراً للانتباه. .

تركَت الرسالة التي أرسلتها إلى الإمام أثراً لديه، وقد أشار إليها في إحدى خطبه، أو في أحد بياناته، وقد نشرت أنا موقف الإمام الذي أعلنه في محيط الثكنة، ووصل إلى مسامع الجند. .

أدرك المسؤولون أن هذا عملي، ولكن لم يكن بين أيديهم ما يستندون إليه، لم أترك ورائي أثراً.

من خواطر تلك المرحلة تدريب «چيتگر»:[1] السير من ثكنة (باغ شاه) حتة (چيتگر) والجعبة محمولة على الظهر، الرماية، المدافع، القنابل، العبور على الأسلاك الشائكة، خط النار، الأهداف، وكل هذه الأعمال الصعبة هي من مرحلة التدريب.

حين كنت مرّة أتدرّب على الرماية، حضر العميد «بيروز نيا» بنفسه للمراقبة وحين اقتربَ مني، وضع يده على كتفي وقال:

هاشمي، هل ترمي جيداً؟ تعمّد أن يقول ذلك، وأن يُظهر اهتمامه بي. . وضعت بندقيتي أرضاً، واستويت واقفاً، وألقيت السلام. كان ذلك مخالفاً للقرارات العسكرية،

---

(١) چيتكر، اسم منطقة منبسطة من الأرض بمساحة كبرى في ضواحي طهران.

كما كان مجالاً لاعتراض الضابط المسؤول عنّا، الذي قال لي: «إن ما فعلته مضرٌّ بي، سيتصور العميد أنني قصّرت في توجيهك». .

في «چيتگر» تحت بعض الخيم، كُتب شعار «الموت للشاه»، وشعارات مؤيدة للإمام. في تلك الأيام لم يكن مصطلح «الإمام» مستخدماً، كان تعبير «الخميني» هو الرائج. ولقد كان هذا الفعل في مخيّم صحراوي مسألة خطرة، ظنوا أنني وراء ذلك، ولكن لم يكن لديهم دليل. في أثناء العودة قال لي أحد الضباط، تكلموا في مركز القيادة عنك، من المحتمل أن تتدخّل المخابرات. كان هذا في الواقع تحذيراً أثّر في ظروف فراري من الثكنة في ما بعد، إنما لم تكن الشعارات من عملي.

لقد علموا أنه لم يكن لي دور مباشر في ما جرى. وإنما كان دوري غير مباشر، أخذوا أحد الطلبة إلى مركز المخابرات، بقي هنالك مدّة رأيته مرّة حين أخذوه للاستجواب، قيل لي إنهم أبقوه معصوب العينين في مكان مظلم، ورطب، ليتوصلوا إلى طرف الخيط.

هذه المسألة في مرحلة الجندية كانت مهمة بالنسبة إليهم.

عاشوراء في الثكنة

كان مجال فاعليتنا في عاشوراء أرحب، فقد كنا نعظ، ونطرح المشكلات، ونلقي الخطب، كل ليلة نعقد جلسة في إحدى الوحدات. أما في بعض المناسبات أو السهرات المخصصة للاستراحة فكنا نرتب جلسة ونشارك فيها.

قبل ليلة العاشر من المحرم ـ في إحدى الإجازات ـ التقيت بالإمام، وعلمت منه، أنه قد أعدّ برنامجاً لعاشوراء. حتماً أنا كنت في أكثر مراحل المقاومة حساسية ـ ٢١ فروردين حتى ١٥ خرداد ـ بعيداً عن مشاكلها الحقيقية والأساسية بسبب التجنيد، ولم أكن داخل ميدان العمل. في الإجازات كنت أطّلع على سير الحوادث، وفي هذا اللقاء بالذات تعرّفت على تصميم الإمام الخاصّ.

أقيم في الثكنة نفسها مجلس عزاء، وتلى قاضي العسكر الكلام، موجهاً إياه إلى

الضباط والجنود، طلبنا بإصرار الإذن باعتلاء المنبر، فلم يوافقوا. اتضح لناأنهم قد أصبحوا حساسين تجاهنا، ولم يكن لمثل هذه الحساسية وجود من قبل. كنا نجد أحياناً فرص للكلام أو للوعظ، وهكذا قضينا أيام محرّم ـ حتى ليلة التاسع أو العاشر ـ في الوعظ وقراءة مجالس العزاء، وملأنا وقتنا كلهّ.

من الخواطر التي تحضرني الآن، لقاءاتنا بالحرس والمظليين (مركز وحدة المظليين كان في ثكنة «باغ شاه»). شارك هؤلاء أيضاً في أحداث الفيضية، وكذلك في اعتقال المشبوهين، البسطاء منهم تفاخروا أمامنا بمأثرهم، ومن الجملة شرحوا حادثة الفيضية، وشرح آخرون ما جرى ببواعث أخرى ـ كالتحقير أو التهديد ـ وشرح الفريق الثالث المسألة منتقداً ومتألماً. .

أقام أفراد هذه الوحدة أيضاً مجلس عزاء في مقرّهم، دعونا للمشاركة وألقينا فيهم خطبة مفصلة، وفي ليالٍ أخرى خَطَب آخرون.

في أيام عاشوراء، كانت روح الدين مهيمنة، وتحولت ثكنة «باغ شاه» إلى مسرحٍ للعزاء. في الصباح نذهب إلى النظام المرصوص ونؤدي البرامج اليومية المعتادة، والدروس، وفي السهرات نقيم مجالس العزاء، كل المساحات والأشياء مجلّلة بالسواد، ساحة واسعة تحت تصرّفنا، نحن أيضاً استفدنا من هذه الفرصة، وطرحنا بعض المسائل، حتى أننا شرحنا مجريات المقتلة، ولم تحدث مشكلة خاصّة. إما أن المراجع العليا لم تتلقَّ أيَّ تقرير، أو أننا قبل وصول التقرير عن طريق التسلسل الإداري، كنا قد هربنا من الثكنة.

العميد «عظيمي» قائد القوات الأرضية، جاء عصر العاشر من محرّم إلى ثكنة «باغ شاه»، فرأى منظراً عجباً: أكثر من عشرين مجلس عزاء في كلّ ناحية من نواحي الثكنة، وفي كلّ منها واحد منا يخطب ويقرأ المجلس. كان ردّ فعله المباشر أن قال: «حولتم الثكنة إلى مسجد». بعد ذلك عُطّلت هذا المجالس تقريباً، وجود مجلس بهذا الاتساع كان استثنائياً، وذلك بسبب وجودنا في جهة، ومن جهة ثانية التأثر بالجوّ الخارجي، فقد كان محرّمُ ذلك العام وعاشوراء استثنائيين، وصلت المقاومة فيهما إلى الأوج.

الخامس عشر من خرداد

لم نكن على اطلاع كاف بالوضع يوميّ التاسع والعاشر من المحرم في الخارج. كانت أصداء الأحداث تصل إلينا عبر أحاديث الضبّاط والجنود.

كنا نعرف أنّ ثكنة «باغ شاه» ليست ثكنة عادية، فقد كانت أحد مراكز قمع المظاهرات. . وقد بدأت من عصر العاشر من محرّم حيث عطّلت أعمالنا التبليغية وفُضّ جمعنا، ومُنعت المشاورات والمحادثات الثنائية، وكنا نستمع أيضاً إلى المذياع. فاطلعنا إلى حدّ معيّن على بعض المجريات.

ليلة الخامس عشر من خرداد، أدركنا حدوث أمر غير عاديّ، شبيه بالانقلاب. واجهتنا صعوبات عديدة؛ لم يسمح لنا أن نشارك بالحراسة، أو أن نذهب إلى المطبخ، أو إلى محطة الوقود، ووضعت تحركاتنا تحت المراقبة.

صباح ١٥ خرداد اتضح الوضع، خرجت القوى المسلّحة من الثكنة، ولما عاد الجنود شرحوا لنا ما جرى: شرح البعض ما حدث في «حسن آباد»، والبعض الآخر ما جرى في ساحة «أرك»، قالوا: لقد أُمرنا أن نُطلق النار، وأُمر سائقو السيارات أن يطلقوا الصفارات، كي لا تُسمع هتافات الجماهير.

أحد العرفاء قال لنا: في تقاطع الطرق حيث كانت تقف شاحنتنا صوّبنا النار في الاتجاهات الأربعة، كان بعض الناس متجمعين فوق أسطح المنازل، فوجهنا النار نحو الأسطح

من أعجب الحوادث أنهم سلّحونا نحن أيضاً، مع أنه لم يمرّ أكثر من شهرين على تجنيدنا، ولم نكن عناصر مداهمة، فقد تبيّن أن عجزهم قد وصل إلى حدّ الاستعانة بالطلبة.

كان هناك ضابط يُدعى «پناهي» أو «پناهي فر»، أو اسم شبيه بذلك، كنا نعرفه كشخص متدين. يحفظ حكم «نهج البلاغة»؛ وكان أبوه تاجراً في البازار، حين أراد أن يعطي الأوامر لوحدتنا، بدأ ذلك بخطبة قصيرة قال: «إنهم يريدون أن يفتنوا الناس باسم

الدين، إنهم يروّجون الإشاعات...»، أعطانا الأمر بالاستعداد والتحرك.. وتجهيز البنادق.

سألني الرفاق، ما العمل؟ قلت لهم: من المستبعد أن يأخذونا إلى داخل المدينة، ولكن إن هم فعلوا يجب أن نوجّه ضرباتنا إليهم، كل واحد تَرَونه يطلق النار على الناس، أطلقوا النار عليه.. كانت لحظة حسّاسة جداً. وقد أخذنا قراراً خطيراً، فلو أنهم أخذونا، لما كان بيدنا حيلة. ما إن أصبحنا خارج الثكنة حتى تغيّر العرض؛ أعادونا إلى الداخل، وانتزعوا منا البنادق، وشدّدوا علينا، كأنهم قد فرضوا علينا الحصار..

من بين الضبّاط الذين كنا نعرفهم، وكان لهم تأثير في حلّ مشاكلنا، ملازم باسم «شيرازي»، أبوه من أقارب السيد «فلسفي»، وقد كان مساعداً جيداً لنا، نعرِض عليه مشاكلنا، وهو يخبر والده، الذي يخبر بدوره السيد فلسفي فتأتينا المساعدة من طريقه.

في اضطرابات ١٥ خرداد، بلغني أن كلاماً قد جرى في مقر القيادة عني؛ وقد حدثت مشاكل، كان كلٌّ منها كفيلاً في تلك الظروف بأن يكون تهمة موجهةً ضدّي: حوادث المخيّم، شعارات الموت للشاه والحياة للخميني، التي كتبت هنالك على الخيم، والبيانات التي انتشرت في الثكنة والخطب التي ألقيت هناك، كانت في مجملها مقلقة، فقرّرنا أن نغادر «باغ شاه».

الفصل الخامس

الفرار من الجندية

الفرار من الثكنة

أُعلنت حالة التأهب وأُلغيت الإجازات كليّاً، ولم يُسمح لأحدٍ بالخروج. . قصدت ذلك الضابط ـ الذي تحدثت عنه من قبل ـ وقلت له إنّ طفلتي مريضة، كانت قد أصيبت بمرض الشلل، كنت قد عرفت هذا الخبر في إحدى الزيارات السابقة، وقد كان هو على علم بالأمر، تذرّعت بمرض الطفلة، وقلت له إن عائلتي قلقة، وكيفما كان الأمر أريد تصريحاً بالخروج، فأخذ لي تصريحاً.

تهيّأت للخروج، ولم أخبر الطلبة أنني قد صممت أن لا أعود، أظن أن ذلك كان في الواحد والعشرين من شهر خرداد، بعد خمسة أو ستة أيام من حادثة ١٥ خرداد، لا أتذكر التاريخ بدقة، ولكن إذا حسبت مدة التجنيد التي بلغت ستين أو واحداً وستين يوماً، يكون تاريخ المغادرة في العشرين أو الواحد والعشرين من خرداد.

لقد مرّت علينا في الأيام الخمسة أو الستة الأخيرة ظروف صعبة جداً، لأن الضباط كانوا محجوزين ولا يسمح لهم بالخروج، وإذا سمح للبعض بالخروج فبثيابهم المدنية، وما كانوا يجرأون على التجول بالزيّ العسكري؛ كانوا جميعاً ينظرون إلينا بعين الغضب، لأنهم يعرفون علاقاتنا وارتباطاتنا بالمقامات الدينية الرفيعة، لذا كان الاحتكاك بهم في تلك الأيام مسألة صعبة، وصرنا مهدّدين، كانت الظروف بمجملها مقلقة.

حملت معي أغراضاً أكثر من المرات السابقة، وقد انتبه الحارس في أثناء التفتيش، وقال ممازحاً ما معناه، «كأنك لا تريد العودة»!.

خرجت ولم أعد؛ وقد خرج بعدي آخرون، وبقي عدد من الأشخاص، وسُجِن البعض الآخر.

متابعة النشاط السياسي

صرت «جندياً فاراً» من الخدمة، وكان طبيعياً أن لا يكون وضعي كما كان في السابق، ولم يعد بالإمكان أن يكون لي حضور علنيّ في المجالس والمحافل العامة، ولا يجب أن يُذكر اسمي، ومضايقات من هذا القبيل. . .

كانت قد بدأت من ناحية أخرى هجرة العلماء إلى طهران وكان يصلها يومياً بعض الشخصيات، ولا بد أن أكون حاضراً في مثل هذه الظروف.

استقرينا في طهران، دون أن يكون لنا منزل خاص، وكان أطفالنا يقيمون في منزل أنسبائنا في طهران، وأحياناً يسافرون إلى قم. كان مقرنا الأساسي منزل السيد صالحي كرماني، الشيخ محمد رضا صالحي، الذي كان والده أحد العلماء المهاجرين، ويملك منزلاً صغيراً في ميدان الإمام الحسين (ميدان فوزية سابقاً).

في طهران وقم عاودنا نشاطنا السياسي، ولكن في ظروف أكثر حساسية. ارتديت زيّ رجل الدين، واحتفظت باللباس العسكري، بعد ذلك ارتدى أحد أنسبائي وقد كان بنّاءً تلك الثياب، مستفيداً منها في موضوع الإعفاء الذي صدر في ما بعد، لأن من شروط الإعفاء تسليم الثياب العسكرية. وقد اضطررت في ما بعد أن أذهب إلى أحد المتاجر في شارع قزوين حيث تُباع الثياب العسكرية المستعملة، لأشتري زيّاً وأسلّمه للحصول على وثيقة الإعفاء.

دخلنا بسرعة في أجواء المقاومة، أنا والسيد باهنر وآخرون، وكنا نذهب أحياناً لمعالجة المشكلات التي تصادف العلماء المهاجرين، إلى منزل العلامة ميلاني، والعلامة شريعتمداري، والمراكز العامة، ولكن باحتياط وحذر، كنا متيقظين من وجود مفاجأة واجهناها مرة.

الفرار بصحبة السيد باهنر

كان في شارع «الأميرية» قرب ثكنة «باغ شاه»، منزل يقيم فيه العلامة «ميلاني» (وقد

كان في تلك الأيام هو المحور الأساسي تقريباً). قصدنا أنا والسيد باهنر العلامة ميلاني، كانت جرأةً، ما كان يجب أن نقدم عليها. بعد إنجاز أعمالنا، استقلّينا الحافلة التي تعمل على الخط من الأميرية حيث يقع منزل ميلاني باتجاه شمال المدينة؛ في الحافلة وُضِعَت يدٌ على كتفي، التفت، فرأيت عريفاً في الجيش كان في عداد الوحدة التي كنا تابعين لها في الثكنة، كان يدعى العريف «قاضي» من أهل قزوين (لا يزال حياً الآن)، كان رفيقاً لنا في «باغ شاه» كنت أستضيفه أحياناً على الطعام أو الحليب أو البوظة، (كان هنالك كُشك للغذاء الحر، نذهب إليه حين كنا لا نريد أن نأكل من طعام الثكنة). سألنا عن أحوالنا، وأظهر لنا وداً، ونحن كذلك، ولم نفكر مطلقاً، أنه مكلّف بملاحقتنا. في المحطة التالية، طلب إلينا النزول، قلت: إلى أين نذهب؟ قال: «إلى «باغ شاه»، هذا أمر، انزل الآن» قلت له: ليس جيداً أن تجري الأمور على هذا النحو، فإنّ دخول الثكنة بهذه الثياب جريمة. لست فاراً، كنت تعباً قليلاً، وكنت قلقاً على عائلتي، اصطحبت أولادي إلى مشهد للزيارة، وها نحن قد عدنا الآن، وثيابي العسكرية في مقام «شاه عبد العظيم» غداً أذهب إلى منزل أختي ـ كان منزلها في محلة جسر سيمان ـ آخذ ثيابي وأذهب بنفسي إلى الثكنة؛ لماذا تريد أن تأخذني على هذه الصورة، فتضعني في موقف حرج؟».

ـ قال: «لا، لا أستطيع أن أتركك»، قلت: «لا! الأمور لا تسير على هذا النحو، يجب أن أحصل على توصية من القائد. في كل الأحوال سيلحق بي ضرر كبير إن أنت أخذتني الآن كجندي فار. . . ».

ـ قال: «الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوم به من أجلِك، هو أن نذهب معاً إلى القائد، فتأخذ إذناً، وفي الصباح أصطحبك لتستبدلَ ملابسك، وإلا يجب أن نذهب مباشرة إلى «باغ شاه».

وجدت نفسي في مأزق، فخطرت لي فكرة، قلت: «جيد جداً، الآن بما أنك مصرّ، سننفّذ ما تشاء، ولكن، أريد فقط ونحن في طريقنا، فوق تقاطع «كالج» حيث يقع منزل أحد أقاربنا (خال زوجتي)، أن نتوقّف قليلاً، فأرتب أعمالي، وأودّع عائلتي، وأتصل هاتفياً ليحضروا لي ثيابي»، قَبِل اقتراحي وجلس.

قال لي السيد «باهنر» بصوت خافت: «في المحطة التالية، سأستفزّه، وأتعارك معه، فترجّل أنت واهرب، لن يتمكنوا من فعل شيء لي».

رأيت أن الأمر سيكون مضراً بالسيد باهنر، يمكن أن يُسجن بتهمة «مساعدة جندي فار على الهرب». قلت: «يمكن أن نجد حلاً آخر طالما أنه وافق على المجيء معنا إلى المنزل».

عند تقاطع «كالج» ترجّلنا ثلاثتنا، ودخلنا المنزل، منزل المرحوم السيد كمال الطباطبائي، حفيد المرحوم آية الله يزدي، صاحب العروة الوثقى، وخال زوجتي. صعدنا وجلسنا في الطبقة الثانية، وانشغلنا بالضيافة، نزلت مرتين إلى الأسفل، لأحضر الشاي والفاكهة، كانت زوجتي في الطابق الأول. لم يكن صاحب المنزل موجوداً، قلت: الآن الوضع مناسب للفرار. المشكلة الوحيدة هي السيد باهنر، الذي لا نعرف إن كان سيتعرّض للمشاكل أم لا. جلسنا في الطابق العلوي، ننتظر وصول الملابس العسكرية.

نزل السيد باهنر إلى الأسفل وقال لزوجتي: «عندما ينزل فلان قولي له أن لا يعود، لماذا يعود؟».

هذه المرة عندما نزلت أخبرتني زوجتي باقتراح السيد «باهنر»، فقبلت، حملت عباءتي وخرجت. وكان منزل أخ زوجتي السيد رضا مرعشي، (مهندس زراعي)، يقع في زقاق محاذ، فذهبت إليه.

انتظر العريف «قاضي» قليلاً، ثم سأل. لم يأتِ فلان؟ فأظهر السيد باهنُر عدم معرفته ونزل وسأل: أين فلان؟ قالت زوجتي: «هذا ليس منزله، يأتي أحياناً إلى هنا ضيفاً، لقد ذهب الآن، ولا نعرف إلى أين».

أُخذ العريف المسكين على حين غرّة، وقعد لا يلوي على شيء، ثم بدأ يصرخ ويهدد ويتوعد، ثم اتصل هاتفياً برئيسه، النقيب «حقّي» وشرح له ما جرى، وجرى بينهما حوار وأخذ ورد، ويبدو أنه استدعاه... في كل الأحوال غادر المنزل.

يروي السيد «باهنر» ذكرى طيبة عن تلك الحادثة فقد ذكر أنه: «حين كان العريف يصرخ ويتوعد، ونحن نردّ عليه مدافعين عن أنفسنا، وأن لا علاقة لنا بالأمر، وهل وضعته عهدة في أيدينا؟» فجأة دخل صاحب المنزل وزوجته وأولاده، ووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع عسكريّ يسبّ ويلعن مهتاجاً: وكان المنزل مقلوباً رأساً على عقب، فأُغمي على الزوجة من شدة الخوف، ـ هي من أحفاد السيد محمد كاظم يزدي ـ وقد نشأوا وترعرعوا

في العراق، والأطفال يصرخون بالعربية يا أماه، يا أماه. فأسقط في يد العريف وفرّ خوفاً»...

لم يطل الوقت، وإذا بالسيد باهنر وزوجتي يصلان إلى المنزل الذي التجأت إليه، ويشرحان لي ما جرى، كانت قصة مسلية. في صباح اليوم التالي، وقد كنت أصلي على شرفة المنزل الجديد، المطلة على البيت الذي جرت فيه حادثة الأمس، رأيت العريف «قاضي» نفسه قد عاد ليسجل رقم المنزل، فقد نسي أن يفعل ذلك في اليوم السابق بسبب العراك.

روى لنا ـ في ما بعد ـ الطلبة الذين تابعوا دورة التجنيد حتى نهايتها، أنّ النقيب حقّي دخل الصف وقال: «لقد وجدنا هاشمي، وأوقفناه، سنحضره إلى هنا ونقيده ونجلده بالسوط أمامكم...».

اسم مستعار

بعد هذه الحادثة، وقد تأكدت أنني ملاحق، احتطت للأمر، ولم يكن وضعنا المادي في تلك الأيام مرضياً منذ بدأ التجنيد، فقررت أن أسافر للتبليغ إلى مكان بعيد، تحت اسم مستعار، فسافرت في الأيام العشرة الأواخر من صفر إلى «بيرجند»، وقضيت هنالك عشرة أيام، كنت أقيم في المدرسة، وأذهب إلى المنبر، لم يكن الوضع سيئاً، كنت قلقاً إلى حد ما، ولكن الشعور بالواجب من ناحية، والحاجة المادية من ناحية أخرى، إضافةً إلى التّعب النفسي من حالة الفرار والاختفاء، أمدّتني مجتمعة بالجرأة والشجاعة.

عدت إلى طهران واستمريت على الحال السابقة، حتى انتقال الإمام من السجن إلى الداوودية (منزل أخ السيد قمّي).

كان وضع إيران وطهران في المدة الفاصلة بين ١٥ خرداد وانتقال الإمام من السجن إلى الإقامة الجبرية، شديد التشنج والاضطراب، ووقعت حوادث متعددة.

فقد كان عدد كبير من العلماء والمجاهدين في السجن، وحدثت اعتقالات جديدة، وحالات إفراج متكررة، وحضر علماء كثيرون من الأرياف إلى طهران، وكانت منازلهم

مراكز اجتماعات ولقاءات، وسَرَت شائعات كثيرة عن أحوال السجون، وعن شخص الإمام، ووضع الحكومة، وكان يسيطر على الشعب الشعور بعدم الأمان وبالخوف والأمل والترقّب. . كان لدينا نحن أيضاً مهام وهموم كبيرة.

الإمام في الإقامة الجبرية

في هذه الظروف ـ في الثاني عشر من خرداد ـ وقد كنت في منزل السيد صالحي، نقل إلينا أحد معارفنا هاتفياً خبر انتقال الإمام من السجن إلى الداوودية. كان وقع هذا الخبر قوياً تغلّب على الحيطة والحذر لديّ، مع أن احتمال الاعتقال حيث يوجد الإمام كبير، ولكنني ضعفتُ وفقدتُ صبري. توجهنا أنا وباهنر وعدد آخر إلى الداوودية، لزيارة الإمام، كان باب الداوودية يقع مباشرة مقابل محطة محروقات حديثة البناء في إحدى الحواري، وصاحب المنزل أخ السيد قمي، ويمتلك مكتباً رسمياً للتسجيل. بلغنا مكان الإمام، كانت لحظات سعيدة، وبقينا هنالك عدة ساعات، وكان هنالك عدد كبير من مأموري الشرطة ومن الخيالة. وكان هنالك أيضاً النقيب «سروان عصار»، أحد رجال الساڤاك المشهورين والذي كما يبدو كان له يد في اعتقال الإمام. كان يتحدّث إلى بعض الوعّاظ الذين يعرفهم، لم يتعرف إليّ، فلم أكن حتى الآن قد ابتليت بالساڤاك، وليس لديهم حساسية من ناحيتي، ولم أكن معروفاً بعد.

غادرنا المكان حين حلّ المساء، على أمل اللقاء مجدّداً بالإمام، ولكن الزيارات مُنعت عنه في اليوم التالي، إلى أن نُقل إلى «قيطرية» حديقة السيد «روغني»، ولم يكن مسموحاً لعدد كبير بالدخول، فقد حُدّد العَدد. .

أُصبت بالخيبة، لأنني لم أستغل الوقت في اليوم السابق في الساعات التي التقيت فيها الإمام، لطرح المسائل الضرورية، فلم نفكر أننا سنحرم من رؤيته بهذه السرعة.

تعقّدت ظروفي، فلا مجال أمامي للعمل والفاعلية في طهران، والإقامة في قم ليست في مصلحتي، فدائرة الأمن في قم لديها أمر باعتقالي كجندي فار، وأنا في قم لست شخصاً مجهولاً، فأحد مفتشي الأمن في قم كان جاري، وكنا نلتقي صدفة في الحمام العمومي في (آبشار)، وتغيير المنزل ليس مسألة سهلة، فسأُعرَف بسهولة.

كتاب القضية الفلسطينية

لعلّ أفضل قرار اتخذته في تلك الأيام، هو قرار الإقامة في نوق لمدة محدودة. صحيح أن نوق كانت أحد الأمكنة التي كنت ملاحقاً فيها، ولا بد أن تكون قد وردت أوامر إلى مخفر نوق باعتقالي حال رؤيتي؛ مثل هذا الاحتمال وارد، ولكن بما أنني من أهل البلدة، وأعرف رئيس القرية وجميع أهلها، فلن أؤخذ على حين غرّة، وبسهولة سأعرف على الأقل، قبل تنفيذ أي قرار.

انطلاقاً من هذا التصور، أن نوق هي أكثر الأماكن أماناً لي، قررت أن أذهب إلى نوق مسقط رأسي، فلدي مشاكل معيشية ومسؤوليات بوجود زوجة وأطفال.

قرّرت أن أنجز عملاً، على الرغم من الحياة السرية، وقد كنت قد كتبت في العدد الأخير من نشرة «مكتب تشيع» مقالة عن فلسطين، كان لها وقع كبير في تلك الأيام، فقد كانت القضية الفلسطينية مسألة غير مطروحة في إيران، استعنت لكتابة هذه المقالة، بكتاب أعطانيه المرحوم آية الله «الحاج ميرزا خليل كمره اى»، بعنوان «القضية الفلسطينية» لأكرم زعيتر. وقد تأثرت بهذا الكتاب إلى حدّ أنني بكيت أكثر من مرّة وأنا أطالعه. كنت آمل أن أتمكن من ترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية، وقد أتاحت هذه الظروف المستجدّة الفرصة لإنجاز هذا العمل. حملت هذا الكتاب إلى «نوق» بالإضافة إلى «المنجد»، وقررت أن أقضي الصيف هنالك.

كنت أذهب أحياناً إلى المنبر، ولكن العمل الأساسي كان ترجمة هذا الكتاب. استغرقتني الترجمة ثلاثة أو أربعة أشهر،[1] زارنا رئيس القرية مرّة أو مرتين وقال لي إن الأمن يلاحقك، لم أصدّق كثيراً، كنت أعتقد أنه يريد أن يحمّلني منّةً. ولم تظهر أي إشارة إلى أن لهم موقفاً مني، كان يبدو أن حدود ملاحقتي محصورة في موضوع الفرار من الجندية، ضمن الإجراءات الإدارية، وليس لها خلفية سياسية.

الطريدة في شبكة الصيّاد!

يوماً بعد يوم، بتّ أعتقد أنني قد نلت العفو، راجعت دائرة التجنيد في رفسنجان

(١) ترد مقدمة المترجم لكتاب **القضية الفلسطينية**، أو **أثر الاستعمار الأسود** بنهاية الكتاب، قسم الإضافات.

بصورة طبيعية، وأنا انجز المعاملات العادية، مرت ساعة أو ساعتان، وكان العمل يسير بشكل طبيعي، دفعة واحدة لاحظت أن الوضع لم يعد طبيعياً، فالموظفون ينظرون إليّ من وراء الزجاج، ويبدو أنهم مضطربون كأنهم اكتشفوا شيئاً جديداً. كنت برفقة أحد النافذين في المدينة، السيد «حسن واحدي» صهر المرحوم العلامة سيد «جلال هجري» الذي كان المسؤولون في المدينة يحسبون حسابه.

أعلن المسؤول وهو مضطرب أن سبعين رسالة وبرقية في ملفي. كانوا يطلبونني من كرمان، وها أنا الآن قد حضرت لآخذ وثيقة الإعفاء! ما الذي أخّر اتخاذهم قراراً ما بحقي حتى الآن، فهو اسم عائلتي المركّب من جزأين: كنت معروفاً باسم «هاشمي رفسنجاني»، واستخدمت هذا الاسم في مراجعة المركز، في حين أنهم كانوا يلاحقون «هاشمي بهرماني». حتى هذه المرحلة المتأخرة، كان الخطأ في الاسم المركّب مفيداً لي.

الآن انتبهوا أن «هاشمي بهرماني» الذي لديهم أمر بملاحقته منذ مدة، هو نفسه «هاشمي رفسنجاني»، الذي جاء ليحصّل وثيقة الإعفاء، والجالس أمامهم!.

قالوا: ليس بإمكاننا الآن إلا أن نحوّلك إلى كرمان. استنكر مرافقي ذلك بشدة. وقال، لا بد أنكم مخطئون، إسألوا طهران، إذا كان هو المطلوب فإننا نسلمكم إياه بظرف ٧٢ ساعة. ولنفوذ ذلك الشخص ومركزه قبلوا كفالته، وتخلّصت هذه المرة أيضاً من شباك الخطر. بعد ذلك لم يستطيعوا أن يقدموا على أيّ عملٍ تجاه الكفيل، في كل الأحوال، لم تواجههم مشكلة خاصّة، وحلّوا المسألة بالمراسلات الإدارية.

العودة إلى قم

رفقاء قم، للعلاقة الوثيقة التي كانت تربطني بهم، استدعوني إليها، لم يكن هنالك مشكلة أصلاً، ولم يضايق أيّ شخص في الواقع.. (استخدم الحكم في تلك المرحلة سياسة خاصّة، وسعى لتصحيح علاقاته برجال الدين، وحضّر مقدمات نقل الإمام إلى قم).

كان منزلنا يقع في حارة «آبشار» فطلبت أن يجدوا لي بيتاً في «صفائية». استأجرت منزل أحد المعلمين المدعو «مصفّا» قرب مسجد «صفائية»، وكانت معرفتي قد توثقت بالتدريج، بـ «أبي الفضل توليت» في أعمال المقاومة، ومرحلة التجنيد، والنشاطات السياسية المختلفة في تلك المرحلة. فاستأجرت منه قطعة أرض مساحتها حوالى مئتين

وخمسة وعشرين أو مئتين وخمسين متراً، من أراضي الوقف (تقع في حارة ممتاز، خلف حمام ممتاز) استأجرتها بمئتين وخمسة تومانات شهرياً، وبالحصول على قرض وبيع بعض الأشياء، بنيت منزلاً.

كان كتاب «القضية الفلسطينية» قد أعدّ للطبع، وكنت شخصياً على اطلاع ومعرفة بمسائل الطباعة والنشر، ولديّ تجربة اكتسبتها من نشر مجلة «مكتب تشيع».

استفدت من بطاقة اعتمادي الخاصة لشراء الورق، ووزّعت إيصالات بالدفع المسبق قبل الشراء، لاقت رواجاً، صار في يدي مال ونشرت الكتاب. لم يكن عملاً صعباً، كما أن نشر الكتب في تلك الأيام لم يكن بحاجة إلى إجازة مسبقة في قم. بعد ذلك، وبتتالي الاضطرابات، وسياسة الرقابة، أقرّ شرط الإذن المسبق.

كان مبيع الكتاب جيداً، وقد اشترى صاحب الكتاب أكرم زعيتر سفير الأردن في إيران عدداً من النسخ لحساب «مركز الوحدة العربية»، الذي كان في تلك الأيام مركز مناهضة إسرائيل، كانت علاقات الأردن بإيران جيدة، وكان لسفير الأردن، علاقات جيدة بالمقامات العليا في البلاد. بحيث أن السافاك لن يتمكن من فتح معركة معه.

كان مبلغ ألفي تومان الذي اشترى به النسخ رقماً كبيراً، بدون الحسم الذي كان مفروضاً للموزعين، إضافة إلى أنه أوكل إلينا مهمة توزيع هذه النسخ باسم المركز على المكتبات العامة، والشخصيات والعلماء، وأعطى عدداً من النسخ للحاج الشيخ «مصطفى رهنما»، الذي كانت له مع العرب من خلال «الجمعية الإسلامية» علاقات جيدة، وكان فاعلاً في موضوع القضية الفلسطينية.

تحسّنت ظروفي المادية، في وقت كنت بأمس الحاجة إلى ذلك، بسبب عدم ذهابي إلى التبليغ، والحياة السريّة، والاقتراض لبناء المنزل، زادت أعبائي المادية.

في ذلك الحين وقعت نسخة من الكتاب في يد الدكتور مصدّق ـ الذي كان منفياً في «أحمد آباد» ـ فأدرك قيمة الكتاب، وكتب رسالة إلى أحد أصدقائه، مادحاً فيها الكتاب، معها حوالة مالية لشراء نسخ منه وتوزيعه. وإذا أخذنا في الاعتبار حب المثقفين لمصدّق وثقتهم به، نرى أن ما فعله كان باعثاً على استقبال أوسع للكتاب.

أخذت أستقر في قم أولاً بأول، مع مراعاة بعض التفصيلات: فمثلاً كنت لا أوقع

البيانات باسم هاشمي رفسنجاني، وإنما بكلمات مثل هاشمي، أو رفسنجاني.. كما تجنّبت الظهور العلنيّ الذي يمكن أن يثير حساسية معينة، وكان الرفاق أيضاً منتبهين لهذا الأمر.. تابعت الدراسة، وشرعت بالقيام بنشاطات سريّة لصالح المقاومة، وكانت حصيلة هذه المرحلة النشرة السرية «البعثة»، وبعدها «الانتقام».

لم تُظهر إدارة الأمن أي مجهود خاصّ لاعتقالي، يُحتمل أنهم ندموا على استدعائنا للتجنيد، ولم يصرّوا على ذلك مجدّداً.

في تقويمي وتحليلي الشخصيين للأمور، أنهم كانوا ندموا فعلاً على عملهم ذاك، ولم يكرّروا هذا العمل لسنوات عدّة.

حين اعتُقلت بعد ذلك، أشار المقدّم «مولوي» الذي التقيت به في «قُزَلْ قلعة»، إلى حادثة الفرار من الجيش، ولكن لم يأخذها بجدّية؛ لم يُجْروا بحثاً واستقصاءً خاصّين، ولم يظهروا حساسية كبيرة.

النشاط السياسي

يمكن الاستنتاج من مجمل حوادث ذلك العام، أن ما جرى كان بشكل غير مباشر مفيداً جداً، ولا أعرف إن كانت مثل هذه الفرصة ستتاح لي، لو لم أكن خارج ساحة النضال، بسبب التجنيد في حادثة ١٥ خرداد والأيام التي سبقت هذا التاريخ: حادثة التجنيد، الفرار، الحياة السرية في نوق، ترجمة كتاب «القضية الفلسطينية»، والعودة إلى قم في النهاية، كانت كلها مفيدةً في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ النضال. ففي تلك الأشهر المعدودة التي كان الإمام في «القيطرية»، كان المهاجرون قد عادوا. تراجعت المقاومة ظاهرياً، ولم يكن هنالك مواجهة علنية للنظام، وكان السبب الأصلي لذلك وضع الإمام، وانسحبنا إلى الأعمال السرّية، كل ذلك كان فرصة جيّدة سنحت لنا، فتفرّغنا إلى حدّ ما للتنظيم والأعمال السياسية، التي كانت تحتاج إلى التفرّغ. في هذه الأثناء، فكّرنا أنا وبعض الرفاق في قم أن نشكّل شبكة تنظيمات ـ سيأتي شرح هذا الموضوع في مكانه ـ وعلى الرغم من أننا لم نصل إلى النتيجة المطلوبة، ولكن تجارب هذا العمل كانت مفيدة جداً لنا في المراحل اللاحقة.

الفصل السادس

حوادث ١٥ خرداد

بعض الملاحظات المتعلقة بالحادثة

١ ـ سبب وقوع الحادثة

مع أنني كنت في الثكنة حين وقعت الحادثة، ولكن انطلاقاً من مشاركتي في التحضير لتلك الحوادث، ومشاركتي في الاستفادة من دروسها، أستطيع أن أقول إنه لم يكن هنالك تخطيط مسبق لما جرى من أي طرف من الأطراف: لا نحن ولا الحكم ولا العوامل الخارجية.

فقد حدثت سلسلة حوادث في أثناء الصراع انتهت بصورة طبيعية إلى هذه النتيجة... حين سافرت إلى الخارج العام ١٣٥٤ (١٩٧٥)، أعلن البعض أفراداً ومجموعات، وبخاصة اليسار، تحليلاً للحوادث، بعد أن قوموها وفهموها بمعاييرهم الاقتصادية الخاصة: التضخّم، البطالة، الضغوط الاقتصادية... حتى أنهم كتبوا بسبب جهلهم لما كان يجري أن «آية الله الخميني يحرك المتظاهرين خطوة خطوة». كانوا يريدون أن يُنكروا الواقع البيّن، وأن مظاهرات الجماهير كان لها دافع دينيّ وجاء اعتقال الإمام ردّاً عليها... في السجن أيضاً، كانت هنالك تحليلات من هذا القبيل.

الواقع أن تحرّك الناس بدأ بشكل طبيعي معارضةً للشاه مستفيدين من الفرص المتاحة ـ وبقيادة الإمام ـ وتدرّج في مراحل توجتها هذه الحادثة...

لم نكن نحن نتوقّع مثل هذه المجزرة الدموية، والهجوم على الناس بالدبابات

والمدافع، ولا الحكم كان يتوقع أن مثل هذه الحركة العظيمة يمكن أن تحدث. لقد كانوا مستعدين للمواجهة وللعنف، أما القول إنهم قوّموا الوضع وتنبأوا بما سيحدث، لذلك خطّطوا لهذه المذبحة، لتعميم الخوف والرعب، فذلك بعيد على ما أظن. إلا إذا عثرنا على مستندات واضحة، تظهر مثل هذا التخطيط.

كانت قد انقضت بضعة أيام من المحرم عندما زرت الإمام في إحدى مأذونياتي في أثناء التجنيد، قال: لقد عزمت أن أذهب في عاشوراء إلى الفيضية، كان القرار جيداً، فمحرّم بيئة طبيعية للمقاومة، ففيه تصل مشاعر الناس إلى أوجها، وتقوم مظاهرات موفقة، وتزداد الجرأة والجسارة. لذلك فقد صمم الإمام أن يستغل هذه الفرصة المؤاتية ـ ويقابل الشاه بالمثل جواباً على إهانته لرجال الدين ـ فيزعزع هيبته.

وقد استفاد الإمام في الماضي من هذه المناسبة، واضطر الحكم للتراجع عن مواقفه. ربما لم يفكروا في ذلك الحين أن الإمام سينتقد بنية النظام وشخص الشاه بمثل هذه الصراحة.

كذلك فقد كان لخطب السيد فلسفي في ذلك المحرم أيضاً تأثير قوي في روحية الناس وإعدادهم.

لقد أحسّ النظام بعد هذه المواجهة، أنه إذا تُرك الإمام حرّاً بعد ما جرى، فإن المعارضة ستقوى، فصمّم على استخدام العنف والقسوة.

٢ ـ دوافع «الطّيب» وأنصاره

كانت دوافع مشاركة قوى «الطيب» حبّها العفوي للإمام. فحين اتخذت المقاومة منحىً دينياً، وارتبطت بعاشوراء، هم الذين كانوا يتحلّون بالصفاء الباطني وبالشجاعة والإقدام، دخلوا الساحة، وتُروى عن حياة أحدهم الحاج «إسماعيل رضائي» الذي كان ذا خلفية دينية، تفاصيل مثيرة.

ما نقصده من هذا الكلام، أن حضور «الطيب»، سببه أن النظام تعمّد أن يجرح مشاعر الناس، وليس أكثر من ذلك. فَوضْع الشاه في حوادث ١٥ خرداد، مختلف عن وضعه في ٢٨ مرداد، هنالك كان الصراع سياسياً، ولكنه هنا صار دينياً. . .

٣ ـ أصحاب التأثير: أفراداً وجماعات

أصحاب التأثير السياسي في حوادث الخامس عشر من خرداد، هم الإمام ورجال الدين، يأتي بعدهم شبكات المساجد والحسينيات، والهيئات والتنظيمات الدينية، كان هنالك تأثير نسبي «للهيئات المؤتلفة»، ولكن تأثير المثقفين، والجامعة، والجبهة الوطنية والمقاومة الحرّة كان أخفّ.

لقد كان التحرّك طبيعياً، عفوياً وشعبياً، دافعه دينيّ، و١٥ مرداد، كان انفجار غضب الجماهير وتفجّر عواطفها، دون أن يكون موجّهاً ومنظّماً تنظيماً خاصاً.

بعض القوى كان يوجّهها (الائتلاف)، ولكن نسبة هؤلاء لا تُذكر مقارنةً ببحر الجماهير العظيم المؤيّد للإمام ولرجال الدين.

٤ ـ مقارنة بين حركة وثورة

كان لحوادث ١٥ خرداد تأثير في تحضير الأرضية للثورة في العامين ١٣٥٦ و١٣٥٧ (١٩٧٨ـ ١٩٧٩)، ولكن لا مجال للمقارنة بين هذين التحركين لعدّة أسباب:

أولاً: استفاد الشعب بشكل جيد في المرحلة الفاصلة بين عامي ٤٢ و٥٦ (٦٣ و٧٨) من التجربة والنضج السياسيين، والتعرف إلى أساليب المقاومة، وإلى طبيعة النظام. كما أن تحليل مواطن الضعف في المرحلة السابقة والأخطاء التي ارتُكبت، ومعرفة الأضرار التي لحقت بنا نتيجة لذلك، ساهمت كلها في استمرار المقاومة الشعبية في العام ١٣٥٧ (١٩٧٨).

ثانياً: كان رصيد حوادث الخامس عشر من خرداد ضئيلاً، فعدا «الهيئات المؤتلفة» التي كان تأثيرها محدوداً، لم يكن هنالك تنظيمات أخرى. وحين اعتُقِل الإمام، واعتقلت شخصيات أخرى كان لها تأثيرها إلى حدّ ما، قُطِعت العلاقة بالقائد، كما أن العلماء المهاجرين إلى طهران لم يكونوا من دعاة متابعة النضال. وهم أكثر ما كان يُتوقّع منهم الدفاع عن الإمام وتجنيبه الخطر، والمطالبة بحرية الإمام والمعتقلين كحدّ أقصى.

في حين أن القائد في ثورة ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧ (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨)، كان مستقراً في مكان واحد، وكان على علاقة مستمرة بالجماهير، فالحوادث التي وقعت كان لها بوجود الإمام وتوجيهه تأثير إيجابي، مثلاً حادثة ١٧ شهريور ومجزرة «جاله» (ساحة الشهداء

الآن)، كان يمكن أن تقضيا على روح الثورة لدى الشعب، لولا وجود الإمام وتوجيهاته والاقتداء به، مما أدى، ليس فقط إلى عدم إضعاف روح الثورة لدى الناس، وإنما إلى تأجيج نار الثورة أيضاً. كما أن شبكة المساجد، كانت محضّرة لخدمة الثورة، كل مسجدٍ كان منطلقاً للمقاومة ومركز اتصالات، ومكاناً للتجمّع.

ثالثاً: لم تكن الثورة محصورة في طهران وقم وبعض المدن الأخرى، وإنما إيران كلها كانت في حالة تحرك وهيجان وقيامة.

رابعاً: لقد أنضج السجن والنفي رجال الدين، واستطاع كل واحد منهم ضمن حدود معينة، أن يتولى قيادة الناس وأن يكون عامل ارتباط بينهم وبين الإمام. بينما كان عدد الذين يتمكنون من التحليل السياسي في السابق محدوداً جداً والآخرون ينقادون كالعسكر. بصورة عامة أصبح لرجال الدين تنظيم قوي متشعب، مركزه الأصلي طهران وقم، وله فروع قوية في بقية البلدان، على علاقة متينة به.

إضافة إلى كلّ ما ذكرناه، كان لبعض المجموعات السياسية حضوراً أيضاً في الساحة، ومن الجملة اليساريون والقوميون.

إن العوامل التي أوجدت مثل هذا التآلف يجب أن تُدرس في موضعها المناسب. في كل الأحوال من ١٥ خرداد ١٣٤٢ (٥ حزيران ١٩٦٣) وحتى عامي ١٣٥٦ و١٣٥٧ (١٩٧٨ـ ١٩٧٩)، ازداد وعي الناس ورجال الدين في جميع المجالات، ووصلوا إلى مرحلة من النضج تستحق الإكبار، إن دراسة مفصلة لهذا النضج، والعوامل الأخرى المؤثرة في انتصار الثورة، موضوع واسع ومتشعب.

نتائج أحداث الخامس عشر من خرداد

إذا أجرينا مقارنة بين انتفاضة ١٥ خرداد وثورة بهمن ٥٧ (شباط ١٩٧٩)، سنرى مواطن الضعف في الانتفاضة، لذلك من الأفضل أن ننظر بعين أخرى إلى نتائجها الإيجابية التي كانت كلّ واحدة منها عاملاً مهماً من عوامل انتصار الثورة.

١ ـ قبل كل شيء، إن الاهتمام الذي أوليناه للتنظيم والتنظيمات كان نتيجة من نتائج هزيمتنا في ١٥ خرداد، فقد تنبّه الجميع إلى أن الضربة التي وُجهت إلينا، كان سببها إلى

حدّ كبير عدم وجود تنظيم لدينا، وبما أن الحكم ما كان يمكن أن يوافق على تشكيل التنظيمات العلنية، لجأنا إلى تشكيل التنظيمات السرية.

بعد حادثة ١٥ خرداد، تمّ فرز تلقائي لمؤيدي الثورة من غير المتحمسين لها، الذين نفضوا أيديهم من المقاومة، بينما أوجد المتحمسون تنظيماتٍ كشف الحكمُ بعضَها، لذلك مال الجميع إلى العمل السريّ، وقد انجرّ البعض إلى المقاومة المسلحة.

٢ ـ الميل إلى المقاومة المسلّحة كان أثراً آخر من آثار ١٥ خرداد، فقد لُقّن أنصار المقاومة الجدّيون درساً مما جرى، وأنه لا يجوز الاكتفاء دائماً بالكلام والبيانات. لأن الحكم بتوسيعه فروع المخابرات والأمن، كان يستطيع كشف المقاومين، فكان يجب أن يفهم الحكم أنه إذا وجّه ضربة سيواجه بمثلها.

لذلك تهيأت الأرضية بعد الخامس عشر من خرداد للمقاومة المسلحة، وأول من عمل في هذا الاتجاه، هو الجناح العسكري للتحالف، بحيث أن فريقاً من مجموعة (بخارايى وأمانى وهرندى ونيك نجاد) والمؤيدين لهم، انفصلوا عن الآخرين وقرروا القيام بالعمل المسلّح.

بعد قليل كُشف «حزب الأمة الإسلامية»، الذي كان قد انبثق عن أحداث ١٥ خرداد، فقد كان الشباب المتدينون قد تجمعوا، وأطّروا عشرات العناصر الفاعلة لعملهم وحين كُشفت تنظيماته، اعتُقل أكثر العناصر وحوكموا. يمكن القول أيضاً أن حوادث ١٥ خرداد، كانت وراء نشوء منظمة «مجاهدي خلق»، فقد توصّل بعض المتحمسين إلى نتيجة مفادها، أنهم لن يتوصلوا إلى أي نتيجة إن هم اتبعوا أساليب [نهضت آزادي] في النضال، لم يستسيغوا أسلوبها، وتوجهوا نحو المقاومة المسلّحة.

كذلك فإن تنظيمات اليسار التي انتقدت طريق حزب «توده»، اتجهت نحو تشكيل تنظيمات مسلحة. في العام ٤٥ [٦١م] وحين كنا في السجن، كانت هذه المجموعات نفسها أتباع «بخارايى» و«عراقي»، و«حزب الأمة الإسلامي» ومجموعة «شمس آبادي»، تنوي اغتيال الشاه، ولكن في العام ٥٠ (٧١)، حين اعتُقلتُ وأُدخِلت إلى سجن «قزل قلعة»، كانت خمس عشرة مجموعة مستقلة فاعلة في المقاومة المسلحة قد كُشفت واعتُقل معظم أعضائها.

٣ ـ كان لهجرة العلماء إلى طهران، إضافة إلى دورها في تثبيت مكانة الإمام، آثار إيجابية خدمت المقاومة. ربما كان للحكم وجهة نظر أخرى، وكان يتصور أنه استفاد من هذا الوضع، ولكن النتيجة جاءت في الواقع لمصلحة المقاومة. أما القول: «إنهم لو بقوا في مدنهم، لعمل كل منهم محوراً للمقاومة ولتحرك الناس»، فليس كلاماً واقعياً.

لقد سكتت الأكثرية لعدم التواصل مع الإمام، وفقدان العلاقات، لذلك كان سهلاً على النظام مواجهة أيّ تحرك فردي. في حين أن الهجرة إلى طهران كانت بحد ذاتها مخاطرة، كما أن غياب كل واحد من العلماء عن مدينته، كان محرّكاً للناس وأرضية مناسبة لتوحدهم، وكانت أخبار طهران تنعكس في أنحاء البلاد، كما تنعكس في طهران أخبار المدن الأخرى، إضافة إلى أن مشاركة العلماء والمهاجرين في ذلك التجمع، خلق نوعاً من العلاقة الخاصة له ولمريديه بالمقاومة. وحين عاد هؤلاء العلماء إلى مدنهم أوجدوا حالةً خاصة.

إن مقارنة هذه الهجرة، باعتراض الإمام على هجرة مراجع إيران إلى العراق، مقارنة غير صحيحة. من الممكن أن يكون نظام الشاه مؤيداً لعدة أسباب حضور اثنين أو ثلاثة من العلماء في تجمع العلماء المهاجرين، ولكن لا يجب أن نستخلص من هذه النقطة دليلاً لتقويم الحركة والهجرة بكلّيتها تقويماً سلبياً.

٤ ـ كان من الطبيعي أن يؤدي عنف النظام، والقمع الشديد إلى غربلة قوى المعارضة عموماً ورجال الدين خصوصاً، فالذين لم يكونوا أصيلين في مسيرة النضال، وكانت غايتهم الاستفادة من المقاومة والحصول على اسم وموقع، ومكانة اجتماعية، نفضوا أيديهم منها وتنحّوا جانباً حين رأوا أن المسألة جدّية وأن طريق النضال محفوف بالمخاطر: السجن والقهر والتعذيب والنفي...

ولكن القوى الجدّية المخلصة، استمرت بصلابة كأنها «زُبُرُ الحديد»، وتابعت طريق النضال بجهد أكبر.

من هذه الزاوية، أدت حوادث ١٥ خرداد إلى تنقية الصفوف، صحيح أن بعض الحوادث كقمع الشعب في أوائل بهمن ١٣٤١ (١٩٦٢)، وبعد ذلك حادثة الفيضية، كان لها مثل هذا التأثير، ولكن مع حوادث ١٥ خرداد، لم يعد خافياً على أحد أن النظام جادّ

في قمع المعارضين، ومن يبقى وفياً لحركة النضال، يجب أن يكون مستعداً لتحمل التبعات.

هنا أيضاً يجب أن نعترف أن عدداً من الأشخاص كانوا «بَين بَين»، ولو كان هنالك برنامج صحيح لاستقطبهم، وظلوا في صفوف المقاومة، وعدم بقائهم سببه عدم وجود البرنامج.

٥ ـ يمكن أن نجد لحوادث ١٥ خرداد آثاراً أخرى مثل: تغيير ذائقة المجتمع ثقافياً وسياسياً، وفقدان الحكم لشرعيته، التقارب بين رجال الدين والجامعة...

ولكن الآثار التي ذكرناها من قبل تبقى لافتة أكثر من غيرها.

اتجاهان ورؤيتان

بعد الإفراج عن الإمام، والاحتفالات، وما جرى بعد ذلك، تم نفي الإمام ثانيةً إلى تركية، وتولّت مجموعة مسؤولية التخطيط للمقاومة وتوجيهها، وكنت أنا واحداً منهم... ثم بدأ البعض يتهامسون يوماً بعد يوم: من يثأر لدماء ١٥ خرداد، وطرحوا من موقف النقد لمسيرة النضال، شعار تنظيم الكوادر، وتدريب المجاهدين، وانطلاقاً من هذا التوجّه، انتقدوا تأسيس «دار التبليغ» وعدّوه ركيزة للانكفاء والصمت.

وقد راج هذا المنطق في تلك الأيام، وطُرح في جميع الأماكن، وكان بعض الأصدقاء، الذين ظلوا معنا حتى النهاية يناقشوننا في هذا الموضوع: كان رأيهم أن لا معنى لاستمرار المقاومة قبل إيجاد الكادرات وتدريب المقاتلين.

أنا ومجموعة من الأصدقاء، وبخاصة السيد خامنه اي، كان رأينا، أن بناء الكوادر يتم في أثناء النضال، فقد اقتنعنا بضرورة بناء الكوادر، ولكننا كنا نعتقد أننا إذا انكفأنا إلى منازلنا لتحضير الكوادر، فإنها لن تنشأ مطلقاً، سيبتلعنا المحيط. كنا نقول يجب أن نناضل ومن خلال مسيرة النضال ستنشأ الكوادر.

كانت هاتان النظرتان موجودتين لدى أصدقائنا المناضلين. وعلى هذا الأساس وزّعنا العمل في السنوات الأخيرة.

تعهّدنا نحن أن نتولى النقد، وأن نشارك مباشرة في ساحة النضال، بينما يتولى

آخرون من الأوفياء للمقاومة، تدريب المقاتلين وبناء الكوادر، ويمكن القول، أن الكوادر التي أثّرت في مسيرة الثورة، وفي تسيير أمور البلاد بعد الثورة قد تشكلت في ساحة الصراع.

لقد قال لي أولئك الأصدقاء أنفسهم بعد نجاح الثورة، أدركنا الآن أن منطقك كان سليماً.

مواجهة العلامة شريعتمداري

كنا بضعة أشخاص، أخذنا قراراً أن نقوم بتحرك في الحوزة مطالبين بعودة الإمام إلى إيران، كتعطيل الدروس وغير ذلك.. واستقرّ الرأي أن نجتمع أنا وآية الله منتظري وآية الله مشكيني بالعلامة شريعتمداري، وأن نطلب إليه القيام بتحرك ما. لم يكن مؤيداً للاحتجاج، وكان يرى أن الاعتراض مضرّ بمصلحة الحوزة، واحتدّ النقاش بيننا، وأيّد رأيه بالخسائر السابقة التي وقعت وقال: من المسؤول عن هذه الدماء؟ طرح العلماء بعض المسائل، ففقدت أنا صبري وقلت: المسؤول هو من كتب في تلك الأيام: «نحن في الساحة حتى آخر قطرة دم». قال: من كتب ذلك؟ قلت: أنتم، قال: أنا لا أذكر. أنا كنت أتذكر تاريخ البيان وخصوصياته، فذكّرته به، وعن «دار التبليغ» قلنا إنها مركز للسكوت وليس لتنظيم الكوادر، كيف يمكن للحكم الذي لم يسمح لنا أن نقيم جلسة في الفيضية، لو كان يعلم أنك تبني الكوادر، أن يسمح لك بذلك؟ كيف يمكنه أن يسمح لك أن تعلم طالباً مدة خمس سنوات وتربّيه كمقاوم؟.

اجتمعنا به مرة أخرى بحضور علماء عبادان في منزل السيد دواني، فقد كان للسيد قائمي وعلماء آخرين من عبادان علاقات جيدة بشريعتمداري، وكانوا من المناضلين. فعبادان منذ زمن بعيد مركز للمقاومة ـ بسبب انتفاضات عمال شركة النفط ـ كانوا أشخاصاً متنورين، ولكنهم من أتباع شريعتمداري. وحين كنت أتردد إلى عبادان للتبليغ، تعرفت إليهم، وكنت أنتقده (شريعتمداري)، فكانوا يعترضون ويدافعون عنه. فتقرر أن نطرح الموضوعات للمناقشة بحضوره. كانوا مناضلين، وكانوا يذهبون إلى شريعتمداري ساعة يشاؤون، وكان يشيع أن تأسيسه «لدار التبليغ»، ومبادراته الأخرى إنما هي جهود مبذولة على طريق الثورة.

انعقدت جلسة بحضور علماء عبادان، في منزل السيد دواني وقد بذل شريعتمداري جهده ليوجه النقاش كما يشاء. كما نحن نعرف تفاصيل الأمور فقلنا بصراحة: «أنتم في المكان الفلاني، لم توقعوا ذلك البيان، وفي المكان كذا لم تتخذوا موقفاً و. . .» كانت الملفات حاضرة في أذهاننا، ففتحناها واحداً واحداً. . . احتدم النقاش بحيث أن شريعتمداري اضطر أن يقول الحقيقة، قال جملة واحدة كانت كافية لإثبات دوافع موقفنا منه للعلماء الحاضرين، قال: «انظر، هذه طبيعة الوضع الآن، نحن لا قدرة لدينا على المقاومة، فلو رفعوا في صحن الحرم، أو في ساحة الحضرة علم الكفر لما استطعنا أن نفعل شيئاً».

هذه الجملة التي قالها أوصلتنا إلى النتيجة المرجوّة، قلت للعلماء: «هذا هو موقفه الأساسي، غير المعلن، إن ما تقولونه عنه إنه يفعل كذا وكذا خدمة للمقاومة، هو فهم غير صحيح، من الأفضل أن يتوضّح الوضع، لنعرف نحن أيضاً ما هي واجباتنا».

في كل الأحوال، كانت الحقيقة أنه لم يكن مؤيداً للثورة، وكان قانعاً بإلقاء الدروس والأبحاث، وتوزيع الرواتب على الطلبة، وبصلاة الجماعة، والدخول والخروج، والتبليغ والمهام الدينية.

كان الهدف من إنشاء «دار التبليغ» إيجاد مراكز تعليم أكثر تنظيماً، متعددة البرامج داخل الحوزات التقليدية، يمكن أن يكون لها دور إيجابيّ، بغض النظر عن خلايا المقاومة. في هذه الأثناء، دلّت مواقف الإمام بمجملها أنه معارض «لدار التبليغ» ولكنه كان دقيقاً في تعابيره، ولم يكن يسمح أبداً بمهاجمة الآخرين في حضوره. قال في إحدى المناسبات: «العلامة شريعتمداري شخص عاقل». فهم البعض من هذا الكلام أنه يعني أن شريعتمداري «يحسب حساب الأمور».

في غيبة الإمام

في الأشهر التي قضاها الإمام في قم، كان كالشمس ترسل أشعتها من وراء الغيوم واهبةً الدفء والنور. كنا نتردد عليه بصورة محدودة، وكان يأخذ القرارات لحلّ المشكلات اليومية الطارئة، ويرسل الرسائل إلى المناطق؛ وهكذا بقيت الأمور واضحة،

ولم نشعر بفراغ مركز القيادة، وقد زاد شعورنا بالإمام أيضاً ونحن في قم.

بحسب الأخبار التي كانت تصلنا، نَدِمَ الحكم على أساليب العنف التي استخدمها، وكان يريد أن يصلح علاقاته بالحوزة بأي شكل من الأشكال. وقويت لدينا فكرة العمل على تشكيل التنظيمات والقواعد، وإقامة شبكة علاقات بالمدن، وتدريب المقاتلين مع التأكيد على أننا يجب أن لا نسمح بأيّ وجه من الوجوه أن تخبو شعلة الثورة؛ فإذا خبت هذه الشعلة، فإن كلّ شيءٍ، حتى تنظيم الكوادر وإعداد المقاتلين ستغيب في غياهب النسيان.

اقترح البعض تقسيم العمل وتوزيع الأدوار، فرفضت ذلك، فلم يكن صحيحاً بنظري أن نتوقع من أولئك الذين هم خارج ساحة النضال أن يعدّوا الكوادر والمقاتلين، لن يكون لهم جاذبية أو تأثير.

كنا نرى أن الأشخاص الموجودين أنفسهم في ساحة النضال، يمكن أن يكونوا جزءاً من القوى، وأن يصرفوا وقتهم في إيجاد التنظيمات وتشكيل الكوادر، وأننا يمكن أن نقيم علاقات مع الذين انصرفوا إلى أكثر الأعمال حدّة ـ مثل العمليات المسلحة وننظم هذه العلاقات، بحيث إنهم إن اعتُقلوا يوماً، لن يسري الأمر علينا، وقد تم التوافق على هذا الأمر.

وهكذا كان في قم مستويان: المدرّسون والأشخاص الرفيعو المستوى، والطلبة الشباب الذين كان يقع على عاتقهم حمل المقاومة.

كنت أنا بين الفريقين، فمن ناحية كانت لي علاقات بالقوى الشابة، ومن ناحية أخرى كنت أشارك الشخصيات الأرفع في اتخاذ القرارات. كنا في البيانات التي نصدرها أحياناً، نستخدم عناوين مثل: المدرّسين، الفضلاء...

في هذه المرحلة كان شعار المقاومة، إضافة إلى ما كان الإمام قد طرحه من قبل، كان حرية الإمام وعودته إلى قم، وكان هذا الشعار شديد التأثير في تأجيج المشاعر، وكان محوراً جيداً في البيانات والخطب ومجالس الدعاء.

مما أقدمنا عليه في هذه المرحلة، علاوة على البيانات وتشكيل الجلسات العامة،

في أيّ مناسبة من المناسبات، إصدار نشرة سرّية باسم «البعثة» [بعثت]، وإيجاد علاقات مع المدن الأخرى، وبذل الجهود لتحضير شبكة في البلاد، وتحضير الأرضية لتشكيل حزب.

من التنظيمات التي كنا نقيم لها وزناً، تنظيم [الائتلاف]، الذي كان يفكر بعد الضربة التي تلقّاها أن يجدد حياته. لم أكن شخصياً واحداً من أعضائه، أو مسؤولاً في تنظيماته، ولكن علاقته بالحوزة كانت عن طريقنا عملياً. كنت أعرف المسؤولين، وكانوا يستشيرونني في كثير من الأمور. كانت هنالك مجالات متعددة للعمل معاً: نشر البيانات، جمع الأموال في الظروف التي كانت فيها المقاومة بحاجة إلى المال، تنظيم الجلسات، معرفة المنابر المناسبة...

ولقد عقدنا معاً جلسات محدودة في قم، ولكن على المستوى الأوسع، كانت لنا علاقات بجميع القوى الفاعلة التي يُعتمد عليها، وكنا نعمل سويّة.

حرية الإمام

من أهم الأعمال التي قمنا بها في تلك الأشهر المعدودة، كان بناء تنظيمات تتألف هيئتها الإدارية من أحد عشر شخصاً: هم السادة: خامنه اى، منتظري، رباني شيرازي، قدوسي، مصباح يزدي، أميني، محمد خامنه اى، آذري، مشكيني، حائري طهراني وأنا.

كانت نشرتا «البعثة» و«الانتقام» السريتان، هما الناطقتان باسم هذا التنظيم، وكان الذين تولّوا الإشراف والمشاركة في إصدارهما هم السادة: سيد محمد دعائي، مصباح يزدي، علي حجتي كرماني، والسيد هادي خسرو شاهي، وأنا أيضاً...

كان توجّه «البعثة» نقداً سياسياً صريحاً، في حين كان الطابع الايديولوجي هو الغالب في «الانتقام»، وربما كان سبب ذلك، الشعور بالحاجة إلى الايديولوجيا، هذا الشعور الذي ولد بعد انتشار «البعثة».

كنت أدير «البعثة»، والسيد مصباح يزدي يدير «الانتقام»، في حين تولى «الائتلاف» التمويل مالياً.

وقد وُضع لهذا التنظيم «قانون أساسي» وقع في ما بعد بيد الحكم في أثناء تفتيش

الساڤاك لمكتبة السيد آذري، وهكذا لم يستطع ذلك التنظيم أن يستمر على ذلك النحو، ووُضِع أعضاؤه تحت المراقبة، وتعرضوا للملاحقة.

كنا قد قررنا تمويهاً للهدف الأصلي، أن نعلن أن غاية التنظيم إصلاح أمور الحوزة، واتفقنا في حال كُشفت هويتنا، أن نعطي الإفادات نفسها، فقد كان لدى الحكم حساسية مفرطة تجاه التنظيمات السياسية.

كانت النشرتان تصدران في طهران، والرابط المشترك بين أسماء العاملين فيهما، أنها تبدأ كلها بـ«علي»: علي أراكي، علي خراساني، علي عرب الذي كان كما يبدو أنه الاسم المستعار للسيد باهنر.

كانت النشرتان تطبعان سرّاً على الآلة الكاتبة وتسحبان على آلة الاستنساخ، أحياناً في منزلنا وأحياناً في منازل الآخرين. في أثناء اعتقالي في ما بعد وُجّهت إليّ أسئلة متعددة حول هاتين النشرتين.

كنا نعقد جلسات دورية في منازل الأعضاء للتباحث في مشاكل المقاومة والتنظيم. في إحدى الليالي وقد كانت الجلسة منعقدة في منزلنا، كنا قد جلسنا على مائدة العشاء، حين رنّ جرس الهاتف وكان المتكلم السيد «مرواريد»، قال:

«أنا الآن في منزل السيد إسلامي، لقد وصل الإمام إلى قم، وهو الآن في منزله!»
كان هذا الخبر بالنسبة إلينا مفاجئاً وغير منتظر، لم يكن من السهل أن نصدق الخبر، على الرغم من أن ناقله ثقة، ومنزل السيد إسلامي ـ والد زوجته ـ يقع قبالة منزل الإمام مباشرة... استطرد مؤكداً: «لقد رأيته بنفسي، وأنا الآن في منزل السيد إسلامي!».

بقيت المائدة على حالها: وقفنا، وتوجهنا نحو منزل الإمام. كانت الحارة مليئة بالجموع، وبصعوبة تمكّنا من الوصول إلى المنزل.. لم نكن قبل الإفراج عنه، في أجواء ما يجري، ولو كان لأحد أن يعلم مسبقاً بهذه الحادثة لكنّا نحن، ولكن الجميع كانوا غافلين عما يجري.

احتفالات الفيضية

قضينا تلك الليلة حتى ساعة متأخرة في منزل الإمام، ثم بدأ العمل بنشاط لا يوصف

لإقامة الاحتفالات بتحرير الإمام. في تلك الأيام، جاء الناس من جميع أنحاء إيران لرؤية الإمام، شَهِدت قم غلياناً تاريخياً لا مثيل له، ولعلّ حضوراً بهذا الاتساع، مع كل ذلك الفرح والابتهاج لا سابقة له حتى ذلك التاريخ: بُذِلت الجهود كافة للاستفادة من هذه الأجواء لخدمة النضال، وكان تنظيمنا هو الموجّه لهذه الموجة الجديدة.

أقيم احتفال الفيضية بالتنسيق والتعاون مع [الائتلاف]، فكان لهم دور أساسي في الاستعدادات، ودورُ تنظيمنا وضعُ البرنامج وتوجيه الحوادث، وتنظيم البيان الختامي الذي أذاعه السيد حجّتي.

كانت تلك الأشهر المعدودة التي قضاها الإمام في قم بعد خروجه من المعتقل، كانت من الفصول المثيرة، الحلوة والمليئة بالحيوية والنشاط في تاريخ الثورة، وقد خفّفت إلى حدّ ما من مرارة الخامس عشر من خرداد.

في هذه المرحلة، أُنجزت مهام عديدة: صار مسجد الإمام في قم، مركز التبليغ، والنشاطات الثقافية، وكل عدّة ليالٍ كان يلقي أحد الفضلاء خطبة، وكان الناس يأتون إلى قم من جميع الأنحاء، ووجد أنصار الثورة بصورة طبيعية علاقات أقوى بين بعضهم البعض.

وقد انقسم محبو الإمام على نحوٍ غير بيّن إلى طائفتين:

فريق كان يحبّ الإمام شخصياً، ويرى أن بقاءه في قم ومرجعيته، ومسائل من هذا القبيل هي الأصل في حال أن طائفة أخرى، كانت ترى أن الثورة أعمق، كانوا يريدون استمرار المقاومة، وفي الوقت نفسه كانوا يتحرقون عشقاً لشخص الإمام.

المعاهدة

وصلتنا أخبار، أن مرسوماً في مجلس الوزراء في طريقه إلى الإقرار، يتضمن إعطاء امتيازات للمستشارين الأميركيين، وكانت ملاحقة هذا الخبر أرضية جديدة لمعارضة الإمام.

أمر الإمام عدّة أشخاص أن يتحققوا من تفاصيل هذا الخبر وحيثياته، وكنت أنا واحداً منهم؛ فذهبت إلى السادة «فلسفي» و«توليت» و«سيد جعفر بهبهاني» وأبلغتهم

رسالة الإمام، وقلت نحن نريد تفاصيل هذا الخبر وما يُخفي وراءه بأسرع وأدقّ ما يمكن. وقد حصل السيد بهبهاني عن طريق أحد أعضاء مجلس الشيوخ على نص اللائحة الأصلي، والمستندات المرفقة، وأعطانيها.

بقيت يومين في طهران، وهيأت نصوص مداولات المجلس، ونص مذكرة «اتفاقية ڤينيا»، وقد وضع المرحوم «توليت» الأخيار بين يدي، حملتها كلّها مع شروحات وافية إلى الإمام، الذي كان مصمماً على المقاومة، وقد وجدنا نحن في هذه المرحلة مقرّاً جديداً لإدارة شؤون المقاومة. وقد أصدر الإمام بياناً، ثم ألقى خطبته المعروفة، كما أرسل رسائل إلى العلماء في جميع أنحاء البلاد. صار مسجد الإمام مقرّاً مهماً، وبتوجيه منه كان يأتي أحد الأشخاص المعروفين ليلقي خطبة في الجموع. وقد وَجد تنظيمنا مجالاً للعمل الفاعل، في إدارة قضايا [الصراع].

الائتلاف

قَصَدَتْ عدّة هيئات دينية [الذين يقيمون مجالس دينية، أو هيئات عاشوراء] قَصَدَتْ الإمام في مرحلة النضال، معلنةً استعدادها الكامل للتعاون، وقد صمموا أن يشكلوا ائتلافاً من عدّة هيئات.

وافق الإمام، واختار عدة رجال دين من الذين يثق بهم، للإشراف على عملهم والإجابة عن أسئلتهم، وتغذية أفكارهم. ومن بينهم العلماء «مطهري» و«بهشتي» و«أنواري» ـ وكانت «الإنسان والمصير» للعلامة مطهري، هي حصيلة دروس كان يحضّرها لهذه الجماعة، وجلسات أخرى من هذا القبيل.

لقد علمت في أثناء النضال بوجود مثل هذا التجمّع. وبعد نفي الإمام، تعرّفنا حين أتينا إلى طهران أولاً بأول إلى تنظيماتهم.

بعد تجديد حياتهم ـ على أثر الضربة التي تلقوها في خرداد ـ زاد تعاوني وإياهم؛ لم أكن أتولى مسؤولية تنظيمية، ولكنني كنت أُستشار في كثير من القضايا.

نفي الإمام

خفتت أصداء المقاومة بعد نفي الإمام، لم يكن هنالك من مجال للتعبير عن

المشاعر ـ كما جرى في ١٥ خرداد ـ والقوى المناضلة مستفيدة من تجارب تلك الحادثة لم تعد مستعدة لتقديم الخسائر دون حساب.

قامت في قم نشاطات كان لمجموعتنا تأثير في توجيهها، وقد أُقرّ التعاون في شهر رمضان بين مجموعتنا [الائتلاف]، لإيجاد مراكز في طهران لتأجيج المقاومة وكسر حاجز الصمت والقلق، وقد نُظّم برنامج للمسجد الجامع في طهران وأماكن عديدة أخرى. وقد كان لي بالتنسيق مع السيد مهدي عراقي حضور فاعل في وضع البرامج لتلك المجالس، بحيث أن اعتقال أحدهم، لا يمنع حضور آخر في المجلس التالي، وهكذا اتفقنا وثلاثين شخصية، حتى إذا اعتقلوا كلّ يوم واحداً ـ في أسوأ الافتراضات ـ فإن الجلسات يستمر حتى نهاية شهر رمضان.

كانت هنالك جلسات أكثر خصوصية تحضرها شخصيات وعناصر من المقاومة، وقد كان لي حديث في إحدى تلك الجلسات.

كان برنامج شهر رمضان بصورة مجملة موفقاً وجيداً، استطاع أن يكسر أجواء التوتر والقلق. كان هنالك من يريد إنجاز أعمالٍ أكثر حدّة، وجاء اغتيال منصور [حسين علي منصور رئيس الوزراء]، واعتقال الجناح العسكري لـ(الائتلاف)، تتويجاً لجهود المقاومين في ذلك الشهر.

بعد الحادثة بليلة واحدة، قال الشهيد «عراقي» إنهم اعتقلوا أشخاصاً معينين، وهنالك احتمال كبير أن يصلوا إليه، وظل عدّة ليالٍ ينام خارج منزله، ولما رأى أن شيئاً ما لم يحصل عاد إلى منزله وفي ليلة عودته بالذات، أعلمونا وقت السحر بخبر اعتقاله، فسرى إليّ الإحساس بالخطر، لأنني كنت مقرباً من بعض المعتقلين، ولكنني كنت أجهل التفاصيل، ومركز التخطيط، وفريق العمليات وغير ذلك..

أساساً وكما كنت قد ذكرت من قبل، كان القرار الذي توافقت عليه قوى المقاومة إيجابياً من هذه الناحية، فقد اتُّخِذَ تدبير يقضي بأن تقع مسؤولية أي عمل مباشرة على من ينفذه فرداً كان أم مجموعة، كي لا تصيب المشاكل التي تصادف الآخرين بالضرر.

لم أتكلم في مجالس المسجد الجامع، كان يذهب إلى هنالك خمسة أو ستة

أشخاص يتناوبون على الكلام، كل واحد لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وحين يُعتقل يتولى غيره الكلام.

بعد حادثة اغتيال منصور اعتُقل كل من «رباني أملشي»، «جعفري»، «مرواريد»، «محمد جواد حجتي» و«جعفر شجوني». وقد انفضّت مجالس المسجد الجامع بعد مداهمة الشرطة ولم تستأنف.

شاركت في مجالس (المنتدى العلوي في شرق طهران»، المقرّ الأصلي للفاعلين، ولم يكن معروفاً من النظام لتنكره بهذا الاسم، وقد استمرت فاعليته حتى أواخر شهر رمضان.

الفصل السابع

التعذيب

الاعتقال والسجن

بعد انتهاء شهر رمضان عدنا إلى قم، كان الوضع فيها يبدو طبيعياً، وقد تقررت إقامة مجالس عزاء في ٢٥ شوال، بمناسبة الذكرى السنوية لحوادث الفيضية، وبخاصة أن إمكانية عقد الاجتماعات بعد نفي الإمام كانت قليلة، وقد أقيم في ذلك العام برنامج موسع: مجلس ضخم في مسجد «بالاسر»، خرج المجتمعون بعده بتظاهرات امتدت حتى ساحة الحرم، وقد تدخلت الشرطة لتفريقها.

في اليوم التالي، اعتُقل عدد من الأشخاص في قم، كنت واحداً منهم. كانت حادثة هذا الاعتقال طريفة: فمن البرامج التي أعددناها اعتراضاً على نفي الإمام. تنظيم عرائض جاء التوقيع على بعضها بالدم، وإحدى هذه العرائض نُظّمت في رفسنجان، وكانت هناك في حوزتي أشرطة تسجيل، وكان مقرراً أن أسلمها لبعض السفارات. ومن ضمن برنامجي كان السفر إلى مشهد حيث كان مقرراً أن يقوم السيد «قمي» بتحرك هنالك.

في هذه الظروف، ذهبت في الليلة التي سبقت التحرك إلى منزل شريعتمداري للتباحث معه؛ هنالك فقدت حذائي، ولم أعرف إذا كان الأمر صدفة أو لسبب ما. تحدثت مع شريعتمداري، وقلت له ما أريد، وكان مقرراً أن أسافر في الغد إلى طهران فمشهد.

حين غادرت المنزل في الصباح ـ وقد كانت العرائض وأشرطة التسجيل في حوزتي ـ

انتبهت إلى أن آمر فصيلة الدرك في المدينة قد أعد كميناً لاعتقالي. كان يعرف أنني عازم على السفر وأنني قد اشتريت التذكرة. فأسأت الظن عند ذلك بمنزل شريعتمداري.. وقد رأيت في السجن حلماً كان له دلالته، ولكن بما أنه حلم، وليس واضحاً جداً، لا أستطيع أن أعبّر عنه بوضوح.

بصورة إجمالية، لقد رأيت ذلك الشخص الذي كان يعرف خبر سفري، في المنام، بوجه نصفه له، ونصفه الآخر وجه «نصيري» قائد جهاز السافاك في تلك الأيام، فقويَ لديَّ الاحتمال أن ذلك الشخص الذي سمعني في منزل شريعتمداري أذكر أنني مسافر إلى مشهد، أوصل الخبر إلى السافاك، فعرفوا الهدف من هذه الرحلة، مع أن الحديث لم يتطرق في أثناء الاستجواب، إلى ما يمكن أن يؤكد هذا الاحتمال.

لحظة الاعتقال، خفت أن يعثروا على العرائض والأشرطة، أكثر من خوفي على أي شيء آخر، كان يجب أن أوصلها إلى طهران، ولم يكن من السهل أن أخبئها، خطر بذهني حلّ، فقلت للمأمور: «إسمح لي أن أكلّفَ صاحب الدكان هذا، بإخبار عائلتي أن لا ينتظروني» فلم يعارض. وما إن توجهت بذلك الاتجاه، وفي أثناء عبوري بمحاذاة مجرى نهر «صفائية»، رميت العرائض التي كنت أخبئها تحت العباءة في الماء، وحملتها المياه الجارية، دون أن ينتبه المأمور إلى ذلك، ولاحظ أحد معارفي ما فعلت والتقطها في مكان آخر وسلمها إلى عائلتي.

كنت أحمل كذلك عدداً من الأشرطة في جيبي، وقد نقلوني إلى دائرة الشرطة في سيارة أجرة، ما إن استقليتها حتى سحبت الأشرطة من جيبي، ووضعتها على مهل في قعر التاكسي ودفعتها برجلي تحت المقعد. وقد علمت فيما بعد أن سائق التاكسي وجد هذه الأشرطة وسلمها إلى أحد معارفي، المهم أنها لم تقعْ بيد الشرطة.

دخلت مركز الشرطة مطمئناً، وهناك رأيت السادة: «خلخالي»، و«رباني شيرازي»، و«أنصاري شيرازي»، الذين كانوا قد اعتُقلوا ونقلوا إلى مركزالشرطة. استجوبونا استجواباً مختصراً، وحولونا إلى مركز السافاك بقم.

أمضينا ليلة هناك، وبدأت عائلاتنا وأقاربنا بالتدخل والتوسط لتحريرنا، فقيل لهم إنني مطلوب من طهران وأن الأمر ليس بيدهم، لم أعرف إذا كان هذا الكلام صحيحاً أم

لا، كان هناك احتمال أن ما جرى في قم هو السبب، وفي أثناء التحقيق والاستجوابات توصلوا إلى معرفة المسائل الأخرى.

أخذونا أولاً إلى السجن الجماعي في سجن «قزل قلعة»، بدون عنف أو إساءة معاملة، ويمكن أنّ يكون هذا دليلاً على جهلهم للمسائل الأخرى.

في قم فقدنا صبرنا وواجهناهم بحدّة؛ وفي الطريق من قم إلى طهران، مازْحنا المأمورين ولاطفناهم، فأعجبوا بنا وتعجبوا من كيفية اعتقالهم لنا، وبقينا على هذه الحال من التسلية والمرح وعدم الاكتراث حتى وتوجهوا بنا دفعة واحدة نحو سجن «قزل قلعة».

في سجن «قزل قلعة» رأينا السيد «كاظم قريشي» الذي اعتقل مع الإمام جماراني وأحضرا إلى هذا السجن من خمين.

سار الاستجواب بصورة طبيعية، وكنا نجيب عن الأسئلة بصراحة، وبالنسبة إلى موضوع التقليد، ذكرنا أننا نقلد الإمام. استمر التحقيق من الصباح وحتى العصر، وكانت الأسئلة تدور حول التظاهرات والخطب ونشر البيانات والاجتماعات والرفاق، والتي كانت هي الخطوط العامة لعمل المناضلين في ذلك الحين.

في اليوم الأول وقد كنا لا نزال في السجن الجماعي، نلعب في ساحة السجن الكرة الطائرة، من النافذة في الزنزانة الانفرادية رقم ٢ المشرفة على الحديقة، أطلعنا السيد «توكلي بينا»، أنه قد تم اعتقال عدد من قادة (الائتلاف)، وأنهم يستخدمون أنواع التعذيب في استنطاقهم.

وفجأة طُرحت مسائل أخرى، وطَرح المستنطق بصراحة موضوع اغتيال منصور [حسين علي منصور]، وتحولت الأسئلة بهذا الاتجاه. أجبت أنني لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع. قال: أنا أتعامل معك باحترام، ولكن إن لم تجبني بصدق، سيأتي آخرون ولن يعاملوك على هذا النحو، سيلجأون إلى أساليب أخرى، قلت له: فليأتِ من يشاء، أنا لا أقول سوى الحقيقة، نقلوني من السجن الجماعي إلى زنزانة انفرادية، ثم استدعوني بعد ساعة، وهنا تحوّل مجرى القصة.

التعذيب

تغيّر مكان التحقيق، نُقلت حوالي المغرب إلى مكتب «ساقي» مسؤول السجن، كان هناك آخرون يخضعون للاستجواب، ما إن جلست وقبل أن يطرح عليّ أكثر من سؤال أو سؤالين، جاء المقدّم «مولوي»، كان رئيس جهاز الأمن في طهران، عرّفوه بي، ولم أكن قد قابلته حتى الآن، وهو أيضاً عرّف بنفسه، ووجه إليّ عدة تهم وهو يهدد ويتوعّد. ثم قرأ في ورقة مكتوبة أمامه: «أنت مجنّد فار من الخدمة، خدمت ستة أشهر ثم هربت، وأنت الذي أصدر فتوى بقتل «منصور»، وقد قبضت من السيد ميلاني ستة عشر ألف تومان لعائلات المعتقلين، ووضعت برنامجاً لقتل جلالة الشاه والعميد «نصيري». وأنت مكلّف من السيد الخميني لتكون صلة الوصل بين «الائتلاف» وبين قم (واتهامات أخرى لا أذكرها الآن)، يجب أن تشرح لنا ذلك».

قلت: «هذه الاتهامات التي توجهونها إلي ـ عدا الفرار من الخدمة العسكرية ـ كذب، حتى مدّة الخدمة لم تكن ستة أشهر، لم أتجند سوى شهرين، وتجنيدي بحدّ ذاته مخالف للقانون، لذلك لم أكن ملزماً لأبقى».

تقدم نحوي ووجّه إليّ لكمة بقبضة يديه وركلة، وقال: «اضربوه هكذا حتى يعترف» وغادر الغرفة.

كان في السجن فريق من المستنطقين بإمرة المقدّم «أفضلي»، الذي كان في ذلك الحين رئيس جهاز الأمن في البازار. وبما أن عناصر (الائتلاف)، كانوا في غالبيتهم من تجار البازار، كان على معرفة وثيقة بقضاياهم، كما كان على معرفة وثيقة بقضايا رجال الدين، وكان تحت يده فريق تعذيب ويسمى الواحد منهم الذي يقوم بإجراءات التعذيب «الأمير». كان يجيب أحياناً على بعض الاتصالات الهاتفية المهمة، كاتصال «نصيري» مثلاً. استبعد أن تكون جميع أوراق الاستجواب في الملف، يحتمل أن يكون بعضها قد أتلف.(١) تركزت الأسئلة حول موضوع الاغتيالات: «ماذا تعرف عن اغتيال رئيس

---

(١) لم يُعثر على الأوراق التي أشير إليها في هذه الخاطرة على الرغم من الجهود المبذولة، ومن الممكن أن تكون قد أتلفت نهائياً.

الوزراء»؟ ما هي علاقتك «ببخارايي»؟ ما هي علاقتك بـ«عراقي» طبعاً أنكرت كلّ شيء.

كانوا يطرحون سؤالاً من هذا القبيل، وبعد أن أجيب يبدأون بضربي. وأحياناً يمددونني على السرير ويربطون قدمي به، ويضربونني عليها بالسياط. أحد مستنطقي تلك الليلة عرّف عن اسمه باسم «رحيمي» وآخر باسم «رحماني»: أسماء مستعارة.

حين اعتقلت مرةً أخرى في العام ٥٤ [١٩٧٥]، هذا الشخص نفسه هو الذي استجوبني، وكان هذه المرة رئيس مجموعة، ولكي يخيفني، قال لي: أنا الذي استجوبتك في تلك الليلة [يقصد الليلة التي جرى فيها التعذيب].

معروف أنه كان طالباً في كلية الحقوق، وكان يشتغل في الجامعة مخبراً للساڤاك، ولكن بعد أن عرفه الطلاب وضربوه، انضم إلى الساڤاك رسمياً.

كان التعذيب والقلق مصحوباً بالسباب والإهانات. بعد أن يضربوني إلى حدّ معين يقول أحدهم: كفوا عن ضربه سيتكلم. في بعض الأحيان كنت أنا الذي يقول ذلك. . . ثم يعود التعذيب ويبدأ من جديد. . أوقفوني مرة قرب الحائط ووضعوا السكين على رقبتي وقالوا سنفصل رأسك عن جسدك، وقد جرحت فعلاً. ومرة عرّوني من ثيابي إمعاناً في الإهانة.

استأذنت للصلاة، وبصعوبة استطعت أن أتلوها، وكانوا يطلبون إلي بإلحاح أن أسرع.

استمر هذا الوضع حتى الرابعة من بعد منتصف الليل، كانت السياط قد أكلت أجزاء من لحمي ووصلت حتى العظم، وقد كانت بعض عظام القدم مكسورة، بعد الاستجواب بعدة أيام نقلت معصوب العينين إلى المستشفى العسكري في «حسن آباد»، وأجريت لي صورة أشعة فتبين أن أحد العظام مكسور فعالجوها.

في أثناء التحقيق كانت تأتي اتصالات تلفونية من جهات رفيعة ربما كان العميد نصيري أو غيره ـ يسألون عن نتيجة الاستجواب. وكان ردّ المستنطقين: إنه لم يقل شيئاً.

ما كان مهماً بالنسبة إليهم هو معرفة برنامج الاغتيالات اللاحقة، اغتيال الشاه ونصيري. . ومعرفة مصدر الأسلحة ومن أصدر فتوى الاغتيال.

حوالى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، فقدت وعيي، وحين وضعوا القلم في

يدي، لم يكن بمقدوري الإمساك به والكتابة، إذا أمكن العثور على تلك الأوراق ـ وهذا بعيد ـ لشوهدت عليها آثار الدماء، والكتابة غير المفهومة.

أُعدتُ بعد ذلك إلى الزنزانة؛ الأشخاص الذين ذاقوا طعم «الفلق»، يعرفون كيف تصبح حالة مشط القدم، يتخيل الواحد وهو يمشي أنه أعلى من مستوى الأرض بنحو عشرة أو عشرين سنتيمتراً، كأن شيئاً ملتصقاً بالقدم. لا أتذكر الآن كيف وصلت من غرفة التحقيق إلى الزنزانة، سيراً على قدميّ أم بالحمّالة!.

ما إن صرت في الزنزانة، حتى أحضر لي السيد «علي خاوري» رئيس حزب تودة كوب شراب، وقد كان في الزنزانة المواجهة، [وهو الآن خارج البلاد]، وكان أعضاء حزب تودة في ذلك الحين معتقلين أيضاً في ذلك السجن ومن المشهورين منهم «خاوري» و«حكمت جو».

منذ أن أُدخلت غرفة التحقيق عصراً وتأخرت عودتي، عرف المساجين أنه استجواب صعب، وظل عدد منهم مستيقظاً وقتاً طويلاً، بانتظار انتهاء التحقيق، فقدموا لي الشراب، وعالجوا جروحي بالمطهرات.

ما كان من إمكانية للنوم على الظهر ولا على الوجه أو الجبين.. وقبل أن أسترد وعيي عادوا من جديد واستدعوني ومع أنه لم يكن باستطاعتي الوقوف على قدمي، إلا أنهم قالوا: يجب أن تأتي، كان هذا أسلوبهم لزعزعة صمود السجين. بعد ساعة تقريباً، بَرَد جسمي وبدأت أشعر بالألم، أخذوني من جديد إلى غرفة التحقيق، وتجددت الإهانات والضرب واللكم والرفس و...

آذوني كثيراً، نفذت طاقتي، فقلت: «لا أعرف شيئاً عن هذه الأسئلة التي تطرحونها عليّ، إنما هناك مواضيع أخرى مرتبطة بهذه المسائل يمكن أن تقتنعوا بها. ولكن الآن لا قدرة لي على الكتابة، ولا أجوبة لدي عن أسئلتكم هذه، ليس لدي ما أقوله، حتى وإن قتلتموني». لم تكن أصابعي في الواقع قادرة على الإمساك بالقلم، أعادوني من جديد إلى الزنزانة وأنا في أشد حالات التعب والإرهاق والألم، وآثار التعذيب بادية عليّ.

انتشرت الأخبار المتعلقة بي في أنحاء السجن، وكانوا يسألوني عن أحوالي من خلال النافذة المشرفة على الساحة.

في اليوم التالي أرسل لي السيد «رباني» ـ الذي كان يجيد الطبخ ـ فروجاً طبخه بنفسه، لوجبة الغذاء.

بعد يوم أو يومين استُدعيت من جديد، كان بإمكاني أن أسير بصعوبة، كان الذي استجوبني هذه المرة «المستنطق منوچهري» المعروف «بأزغندي»، الذي كان هادئ المظهر، ويلعب دور المنفتح فكرياً، عكس المحققين السابقين الذين كانوا شداداً غلاظاً.

سحر لا يُنسى

قبل أن أتابع سرد ذكريات مرحلة الاستجواب الثانية، أودّ أن أشير إلى نقطة حلوة وخاطرة لا تنسى: في تلك الليلة الأولى نفسها، حين أعادوني في المرة الثانية إلى الزنزانة، وعلى الرغم من أن المعْتَقَلين الآخرين كانوا قد سوّوا لي الفراش لأتمكن من النوم، لكنني لم أستطع أن أغفو. أمسكت مصحفاً وقرأت آيات الجهاد من سورة التوبة. فكان لمغزى هذه الآيات مفهوم حلو لدي، وعشت حالة روحية جيدة، أنِسْتُ بهذه اللحظات الطيبة، التي لا أزال أشعر بحالة تأثيرها في روحي باستمرار.

لقد أنستني تلك الحالة، كل الآلام والغصات والإهانات، أقول دون مبالغة إن الوصول إلى هذه الحالة من الطمأنينة الروحية، والحمد لله، هي تعويض عن الثمن الضخم الذي دفعته، والمشكلات التي واجهتني، والخوف والاضطراب من التحقيقات التالية.

كنت في أيام الدراسة في قم، أذهب إلى المقامات المطهرة، أو زيارة المعصومة، أو ألجأ أحياناً إلى التهجد والاعتكاف، تفتيشاً عن هذه الحالة، لم أعش في كلّ هذه الأحوال مثل هذه الحالة اللذيذة. وظللت فيما بعد أتمنى أن أعيشها مرّة أخرى. في كل الأحوال في ذلك الحين حمدت الله من أعماق وجداني، وقوي استعدادي للمقاومة والصمود.

استئناف التحقيق

عرّف «منوچهري» عن نفسه (باسمه المستعار هذا)، وأخذ يعدّد سوابقه وتجاربه في التحقيقات، وذكر أنه هو الذي استجوب «نواب صفوى»، وغيرهم.

قلت له: «ليس لديّ جواب عن أسئلتك، ولكنني أعترف، أننا بعد اعتقال مجموعة من أعضاء [الائتلاف] على أثر اغتيال «منصور» كنا نعتقد أنكم ـ متذرعين بالاغتيال ـ اعتقلتم مجموعة من الإسلاميين دون ذنب لتُرهبوا المعارضة، وأنكم قررتم إعدامهم بعد إلصاق التهمة بهم. لذلك وضعنا خطّة لتحريرهم، وقد اجتمعت لهذه الغاية بآيات الله گلبايگاني، وخوانساري والسيد «فلسفي».

طرح عليّ عدداً من الأسئلة الفرعية المتعلقة بهذا الشأن، أجبت عنها بشكل أو بآخر، كان هذا جزءاً من الاستجواب، أما الشقّ الآخر منه، فمرتبط بكيفية التعرف على بعض الأشخاص كـ «عراقي» و«توكلي» وآخرين، من الذين كان ارتباطي بهم واضحاً، وكان يجب أن أشرح لهم، كيف تمّ التعارف، وأين، وعلى أيّ أساس، وقد أجبت أنني تعرفت عليهم في منزل الإمام.

وجّه إليّ عدداً من الأسئلة عمّا قررنا أن نفعله.. أعدت له ذكر الاجتماع إلى العلماء.. سألني من جديد عن طريق اغتيال «نصيري» على درج مديرية الأمن، أنكرت معرفتي بهذا الأمر.

بعد يومين أو ثلاثة تحسن وضعي الصحّي قليلاً، فعادوا إلى تعذيبي، وضاعفوا ضربي بالسياط.. هذه المرّة كان الضرب لا يُحتمل، فقد كان لحمي قد تمزّق، وجسدي مغطّى بالجروح والندوب، التي لم تكن قد التأمت بعد، وكانت السياط تهوي على الجراح، يضربوني عشوائياً من الرأس حتى أخمص القدمين، دون أدنى حذر.

قلت: هذا ما عندي ولا كلام آخر لدي حتى لو قتلتموني.

خُتمت هذه المرحلة من الاستنطاق على هذا النحو، وأعادوني من جديد إلى الزنزانة، ولا أتذكر الآن إذا كان قد أُجري تحقيق آخر قبل عيد النوروز أو لا. مكثنا هنالك حتى ليلة العيد، وكان أصدقاء آخرون لا يزالون في السجن العمومي.

ليلة العيد، في منتصف الليل، لاحظت طرقاً خفيفاً على نافذة زنزانتي من داخل السجن العمومي، وأُخبرت أنه قد تمّ الإفراج عن الرّفاق جميعاً (حوالى خمسة عشر رجل دين من سجنَيّ «شهرباني» و«قزل قلعة»).

استُدعى أولاً كل من: ربّاني، أملشي، ربّاني شيرازي، خلخالي، أنصاري شيرازي. وحين عادوا اقتربوا من النافذة وقالوا لي: «إن السيد الحكيم قد توسط للإفراج عنّا، وقد تحدّثنا عنك، فقالوا «بما أن قدمه مصابة، يجب أن نصبر إلى أن تُشفى ثم نفرج عنه». ثم ودّعوني وذهبوا. صرت في حالة صعبة جداً من الوحدة، والانفصال عن الرفاق الذين كانوا يؤنسونني. لم يبق من رجال الدين المعتقلين أحدٌ غيري. كان هنالك بعض عناصر «الائتلاف» وبعض الشيوعيين، وبضعة أشخاص من انتماءات مختلفة.

في عطلة العيد، خيّم على فضاء السجن هدوء وسكون فظيعين، وبعد العيد بخمسة أيام استدعيتُ من جديد.

تحقير وتعذيب

هذه المرة حضر «عَضُدي»، قال لي: أريد أن أقدم لك عيديّة وأريد منك مثلها. عيديّتي لك هي حريتك، وعيديتنا منك أن تساعدنا في اجتثاث جذور الإرهاب، فزوِّدْنا بما تعرف من معلومات!.

بما أنني كنت قد سمعت أن السيد الحكيم قد تدخّل، وبناءً على ذلك تمّ الإفراج عن المعتقلين، كنت أشعر بالدّعم، فوقفت بثبات، وقلت محتدّاً: «أنتم جلادون، ما هذه المعاملة التي عاملتموني بها؟» توجه نحوي قليلاً: «أتظن أننا نخاف من السيّد الحكيم أو من غيره؟» ثم شرع من جديد بتطبيق برنامج مشدّد لتعذيبي: لا أعرف كم استغرق ذلك من الوقت: لكمات وركلات، وإهانات وسباب، وأراجيح، ولَيّ أيدٍ، وشدّ بالشعر، وحرق بالسيگار.

كانوا يكبلون يدي بطريقة خاصة، ثم يمسكون بي من الخلف ويرمونني أرضاً. كان تحقيراً صعباً جداً، كم مرة فعلوا ذلك؟ لا أعرف. كلّ الجروح التي عولجت في الأيام الفاصلة بين مرحلَتيْ التعذيب، تضميداً ومداواةً، عادت إلى أسوأ من حالتها الأولى.

قال لي بعد ذلك: «نحن نعرف أن إحدى رجليك مكسورة، يجب أن تموت من الألم، لن ننفق عليك قرشاً واحداً».

صمدت على موقفي، ولم أزد كلمة واحدة على ما كنت قد دونته من قبل.

على عتبة الحرية

خفّت حدّة المواجهات بالتدريج إلى أن أصبحت عادية، فألبسوني ثيابي وأخذوا صورة أشعة لقدمي، وقالوا إنها قد شفيت. لقد التأمت الكسور بمرور الزمان، مع أن العظم كان قد تأذّى، وظلت طريقة سيري غير عادية وكنت أعرج.

استدعوني من جديد إلى التحقيق، ولكنني في هذه المرحلة وجدت نفسي أمام رجلٍ مسنٍّ، كان يتصرف بثبات، قائلاً إنه مبعوث المقامات العليا. سألته من يعني بالمقامات العليا فقال: رئيس الوزراء.

لقد كان الساڤاك مرتبطاً من الناحية الإدارية برئيس مجلس الوزراء. لم يكن جوابه في الواقع صحيحاً. أظهر قدراً من العطف، وسأل عن روابطي العائلية بالسيّد الحكيم، مع تأكيده أنه يريد مساعدتي.

في هذه المرة، تغيرت وجهة الأسئلة، وتحولت باتجاه الأسئلة الأولى التي تمحورت حول كتاب القضية الفلسطينية، وتفاصيل الطبع والنشر، دون أن ينحو في أسئلته منحىً عنيفاً. كان يتصور أن وراء هذا العمل شبكة عربية، وأنه مرتبط ببعض الجهات كالمقاومة الفلسطينية، وبناء على هذا التصور قال إنه غير مقتنع أنني أنا كاتب المقدمة، قال: إنها ليست لك. قلت: لا أعلم من أين أتاك مثل هذا التصور، أنا الذي كتبتها. وعلى سبيل التجربة طلب إليّ أن أكتب أمامه عدّة أسطر عن الاستعمار، جلست وراء الطاولة ودون أدنى تفكير أو انتظار كتبت صفحة كاملةً. نظر إليها وقال: أنا اقتنعت، ولكنني لا أعرف السلطات العليا ستقتنع أم لا.

بعد أن امتدح أسلوبي في الكتابة، وأظهر أسفه بأنني بسبب هذا القلم أوقعت نفسي في السجن، واستمر في مثل هذه الأقوال وما فيها من الوعد والوعيد، وأجبته أنا أيضاً بشيء من عدم الاكتراث. غادر بعد أن وعدني بتغيير شكل الملف.

لم أواجه بعد ذلك استجوابات أخرى، لكنني أُبقيت في الزنزانة الانفرادية. بقيت في الغرفة المصغّرة أربعة أشهر ويومين.. في الأيام الأولى كانوا يقفلون باب الزنزانة، ولكن بعد مدة أوقفوا إقفاله، وكنا نخرج إلى الهواء الطلق، والمشي والرياضة، خلف

الزنزانات كان هناك أرض خلاء محيطة بالبناء، سوّينا التراب بأيدينا في مساحة من الأرض بحدود عشرة أمتار، وحولناها إلى حديقة وزرعناها خضاراً. وكان الاعتناء بها وريّها يبعثان فينا نشاطاً وحيوية.

منعوا عني الزيارات، ولكن كانت تأتيني من الخارج نقود وثياب وحاجات أخرى، كنت أستلمها وأكتب وصل استلام. لم تواجهني أي مشكلة بعد انتهاء التحقيقات سوى الحجز وجهل مصير الملف. وكنا نستمع إلى الأخبار من المذياع.

لفت بعض أنسبائنا الذين كانت تربطهم صلة قرابة بالسيد الحكيم نظره إلينا، وقد كلّم السيد إبراهيم، صهر آية الله الحكيم في أثناء سفره إلى إيران، بعض المقامات عنّا ووعدوه خيراً.

في السنوات اللاحقة استفدنا مرة أخرى من نفوذ آية الله الحكيم في حلّ مشاكلنا، وكان الكلام هذه المرة مع الشاه شخصياً أو مع «نصيري».

في النهاية، أجروا معي حديثاً آخر ـ لإتمام الملف ـ وأفرجوا عني لشرط البقاء داخل حدود طهران الإدارية.

وحين أفرجوا عني، قدّموا إليّ الكثير من النصائح واعتذروا إليّ وطلبوا أن لا أذكر شيئاً حين أخرج عن مجريات التحقيق، وادّعوا أنهم قد وجهوا تأنيباً إلى المحقق، وأن عمله كان خطأً فردياً.

حادثة قصر المرمر

في ذلك الحين، وبعد انتهاء مراحل التحقيق، وبعد أن صار وضعُنا في السجن طبيعياً، وقعت حادثة «قصر المرمر»، أذاع الراديو الخبر ثم انقطع البثّ. قُتل في تلك الحادثة رضا شمس آبادي»، ولكن «كامراني» اعتقل وأحضر إلى سجن «قزل قلعة»، بينما نُقل «نيكخواه» إلى مكانٍ آخر، أما «منصوري» فقد رأيته بعد سنة ـ حين اعتقلت من جديد ـ في سجن «القصر». في أثناء التحقيق عومل كامراني بوحشية، وظلّ يضرب بعد تقييد يده فوق صدره إلى أن كُسرت أضلاعه. لم يستطع تحمّل التعذيب فحاول الانتحار،

جمع عدداً من السكائر، وأفرعها من أوراقها، ونقعها في الماء وشربها فتسمّم. عالجوه لمدة يومين، وبعد إعادته لم يعاودوا تعذيبه.

في حواري وأحاديثي معه أحسست أنه معجب بـ«شمس آبادي»، وأنه على علاقة به، فقد كانت علاقاته بالشيوعيين أقوى من علاقاته بالمتدينين، حتماً كان للتحالفات في تلك الأيام وضعية خاصة، لحقت بها في ما بعد تغييرات وتقلّبات عديدة.

كانت هناك مجموعات أخرى، وكان «فروهر» في إحدى الغرف العمومية، بينما وُضع «حكمت جو» في زنزانة خاصة مقفلة، كي لا تكون له أي صلة بـ«خاوري»، وكان هنالك أيضاً عدد من أعضاء «الائتلاف» بينما كان عدد أخر منهم في مكانٍ آخر، ثم أتوا بهم إلى هذا المكان (قزل قلعة) بعد انتهاء التحقيقات، تحسّن وضعنا بعد مجيئهم، كانت رفقة جيدة: الحاج «عباس نوشاد» ـ رحمه الله ـ الذي كان كما أذكر يقضي صلاته دائماً، والسيد «بادامچان» والسيد «لاجوردي» وكان «توكلي» و«شفيق» في الجناح رقم ٢، «بخارايي» المتهمون من مستواه، لم يُنقلوا إلى «قزل قلعة» وفصل عنهم كذلك «شهيد عراقي» وقد رأيته في سجن القصر حين اعتقلت في ما بعد.

في أثناء هذه المدة التي قضيتها في السجن، من منتصف اسفند ١٣٤٣ [١٩٦٤] وحتى أواسط تير ١٣٤٤ [١٩٦٥]، كنت منقطعاً كلياً عن متاعبة شؤون النضال، وحتماً، كان معظم المناضلين ـ أهم من التجار ورجال الدين ـ قد اعتقلوا في هذه المدة. وكانت أخبار ما يجري خارج السجن تصلنا بواسطة المعتقلين الجدد.

سجن «قزل قلعة»

هذا السجن لم يعد له وجود اليوم، فقد هدم، وأُنشئ مكانه سوق للفاكهة والخضار. كان عبارة عن ساحة محاطة من الجنوب والشمال بعدد من الغرف التي تستخدم للحبس الجماعي، وبكل من الشرق والغرب بصالة مع زنازين صغيرة للحبس الانفرادي. ولكل زنزانة نافذة صغيرة تطل على الساحة، وقد كنا نستطيع من خلال هذه النوافذ أن نتواصل مع السجناء الآخرين في الحبس العمومي، حيث كان وضعهم أفضل من وضعنا، وكانوا أكثر اطلاعاً منا، على ما يجري خارج السجن.

كنا نشغل أنفسنا بالتفرج عليهم في ساعات الرياضة والألعاب المتنوعة. وفي الجهة الأخرى لكل صالة من الصالتين، نافذة مطلة على الفناء الذي كان مكاناً للنزهة.

خلف الصالتين كان هنالك ملعب، كان متنفساً للمساجين في الحبس الانفرادي، لم تكن الأرض معبّدة، كانت صحراء. كان هنالك فرق كبير بين «قزل قلعة» وبين سجن «القصر» وسجن «اڤين»، ففي سجن القصر حديقة وأشجار، ووضعه أفضل من جميع النواحي. كما أن سجن «اڤين» القديم كان أيضاً مكاناً رحباً، وقد حوّل هذان السجنان في ما بعد إلى سجنين حديثين.

إذا تجاوزنا ما ذُكر أعلاه، فإن ظروف السجن بصورة عامة لم تكن سيئة، فقد كان لدينا ـ بعد انتهاء مرحلة التحقيق ـ كتب، كان بإمكاننا أن نطالع، ونتباحث، ونتسلى، لم يكن الوضع شديد الصعوبة، ولم يكن مأمورو السجن في تلك المرحلة شديدي القسوة.

ما بعد السجن

بعد الإفراج عني، عدت إلى قم، وكان الإمام في المنفى، و«الائتلاف» قد ضُرب، وتلاشى تقريباً، وإن كان قد جدّد حياته على يد السيد باهنر، فإنه قد عاد وضرب من جديد بعد توزيع أحد البيانات.

كان هنالك فراغ تنظيمي، أما نحن ذوي التفكير الواحد فقد تابعنا التنظيم في الحوزة، وكانت نشاطاتنا، موجّهة سريّاً من المستويات الأعلى.

أهم النشاطات الأساسية في هذه المرحلة: كانت البيانات، متابعة وضع الإمام، والسعي إلى إعادته إلى الحوزة، إبقاء تنّور المقاومة حامياً، استغلال المناسبات المختلفة لعقد جلسات عامة، تلاوة دعاء «التوسل» ذي المضمون السياسي، في مسجد بالأسر، رفع الصوت بالتكبير حين يذكر اسم الإمام، وكان ذلك كله كفيلاً ببثّ روح الحماس في الشباب، وإنصافاً نقول: إن الشباب قد أحسنوا عملاً، وكانوا فدائيين، وقد أنجزنا أعمالاً مهمة.

في هذه المرحلة، كان يجري الحديث أحياناً عن تنظيم موسع، باسم «حزب الملة الإسلامية»، كانوا كثيري العدد، ومتعددي الخلايا، ويميلون نحو المقاومة المسلحة، وأغلبهم من المتعلمين والمثقفين.

لم تكن لي معرفة مباشرة بهم، كان لبعض رفاقي علاقات بهم، وكانوا أحياناً يطلبون المساعدة منا، بأسماء وعناوين مستعارة، كنا نعرف الوسطاء، وكنا نقدم المساعدة إليهم بواسطتهم، إلى أن انكفأوا إلى الجبل.

على الرغم مما نُقل عنهم من أمور مثيرة، عن روحيتهم واندفاعهم ومزاياهم، إلا أن الظاهر أنهم كانوا محدودي التجربة.

كان مثيراً للاستغراب والتعجب أن تكون الاعتقالات في صفوفهم بهذه السعة، فقد اختاروا الاختباء حين فروا جبال لواسان! وهنالك اعتقلوا جماعياً.

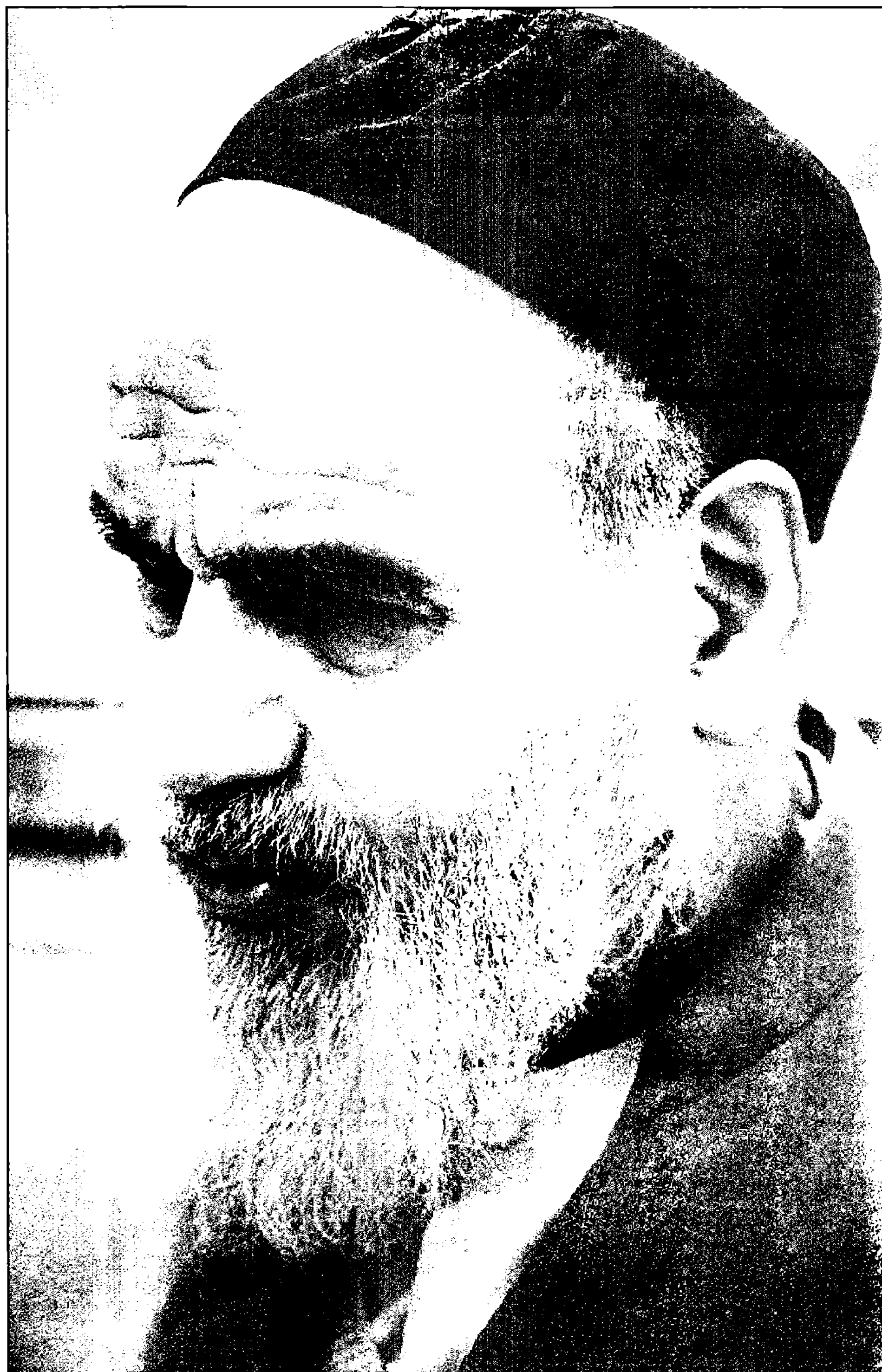
كان يجب أن يختبئوا بحسب القاعدة داخل المدينة في المنازل، أو حتى في أحراش مازاندران، وهكذا لم يأتِ الفرار في النهاية لمصلحتهم، وانتهى باعتقالهم.

مع آية الله خامنه إي

كُشف تنظيمنا السري صدفة، ولم يعد بإمكاننا البقاء في قم، لذلك انتقلنا إلى طهران، وقد اعتُقل بعض أعضاء التنظيم مثل: منتظري، ورباني شيرازي، أما السيد قدوسي فقد كان يعرف واحداً من نافذي السافاك، وقد تساهلوا معه بمساع منه، استدعوه للتحقيق، وبعد استجوابه أفرجوا عنه، وقد أخبرنا تفاصيل التحقيق، فاطّلعنا على كيفية تشكيل الملف، وتمكّنا من تقويم حدود إطلاعات السافاك على أوضاع التنظيم وميزان حساسيته تجاهه.

قدِمنا أنا والسيد خامنه اي إلى طهران، وكنا نبذل ما في وسعنا كي لا نقع تحت أنظار السافاك، فلا نعزّز دوافعهم لاعتقالنا. أرى الفرصة هنا مناسبة للإشارة إلى قصة تعارفنا المثيرة.

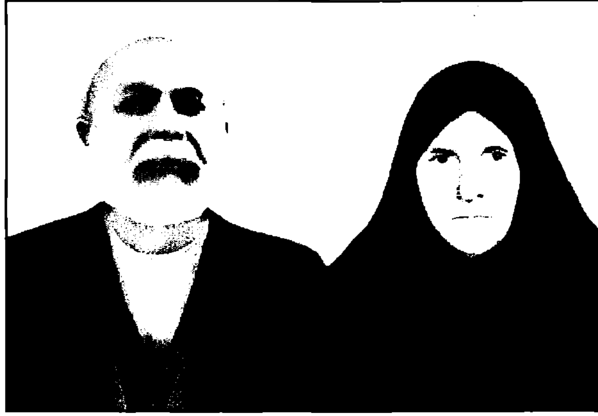
التقينا أول مرّة في درس الخارج الفقهي للمرحوم آية الله الداماد، في إحدى حجرات الصحن الكبير في قم. كان مظهر كل واحد منا لافتاً للآخر، أنا الذي أبدو صغير السن، وهو الشاب القادم حديثاً من مشهد إلى قم. تبادلنا بعد الدرس عدّة عبارات وتعارفنا قليلاً، كنت أنا تلميذاً مداوماً في هذا الدرس، وهو جاء من مشهد خصيصاً لحضوره.



مؤسس الجمهورية الإسلامية في ايران الإمام الخميني



رفسنجاني مع آية الله مرعشي نجفي

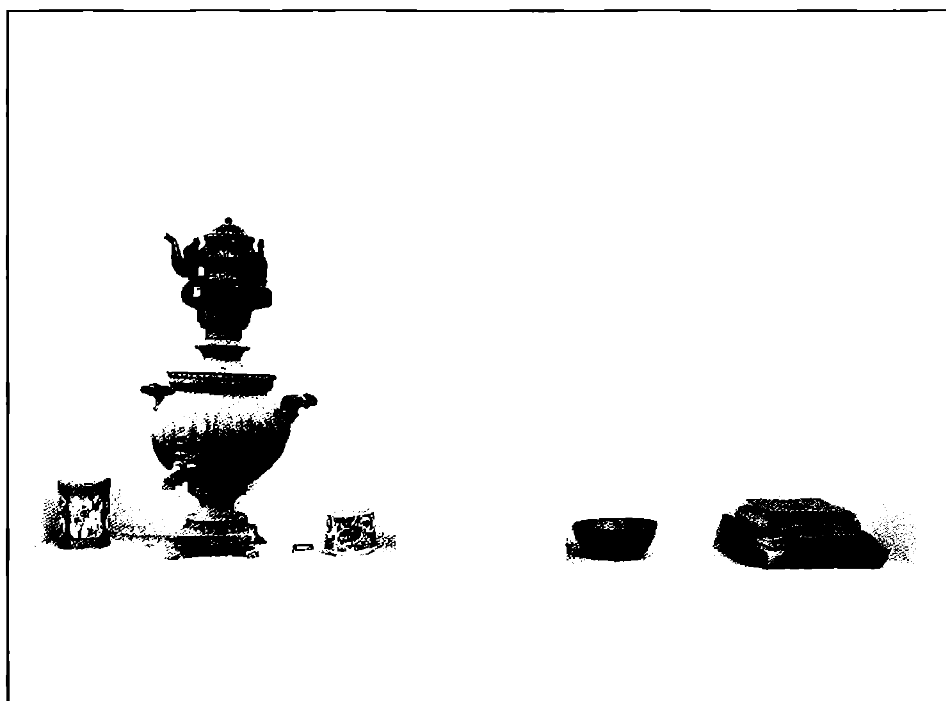


والدا رفسنجاني: أمه ماه بي بي صفريان – ووالده ميرزا علي هاشمي



زوجة رفسنجاني وولده البكر





البيت العائلي الذي نشأ فيه رفسنجاني



إلى جانب والدته



مع أشقائه



رفسنجاني وأبناؤه



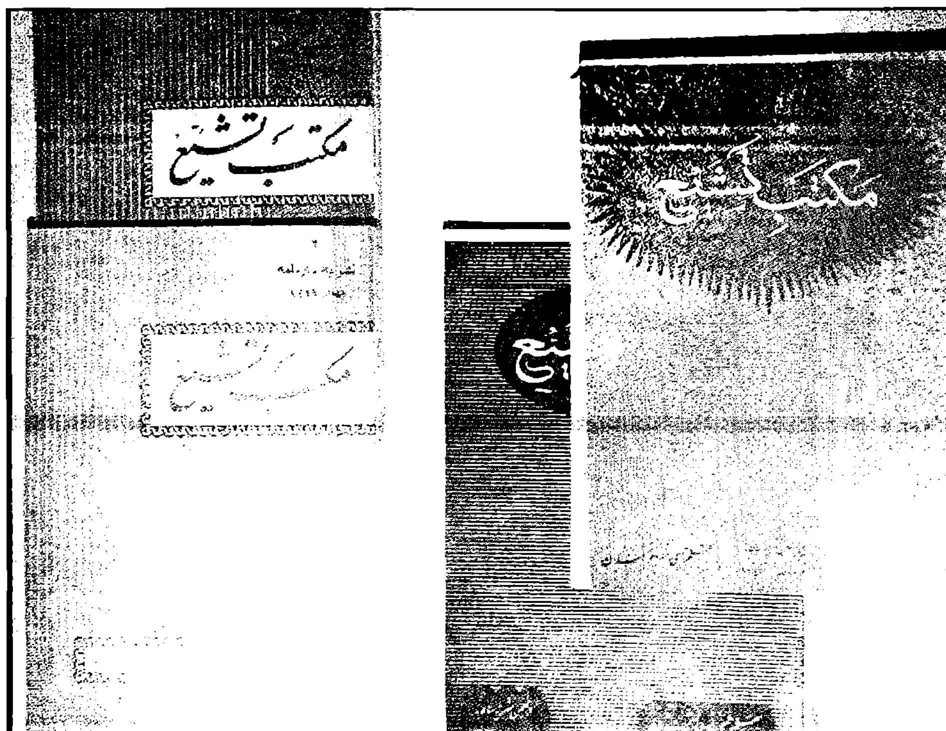
أولاد رفسنجاني



رفسنجاني في صورة مع والدته وأقربائه



رفسنجاني في منزل العائلة مع جماعة من أهل «نوق»

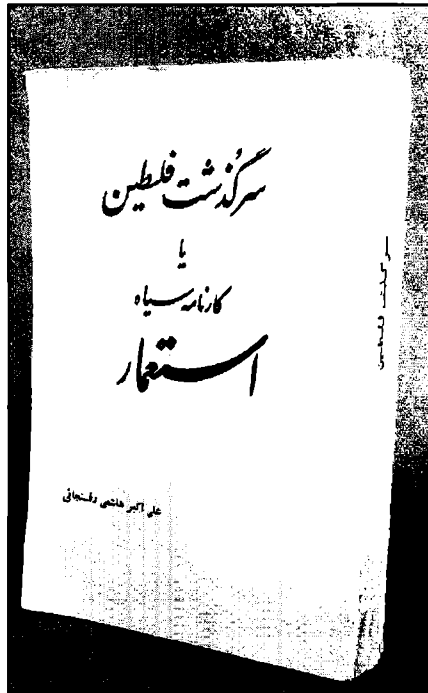




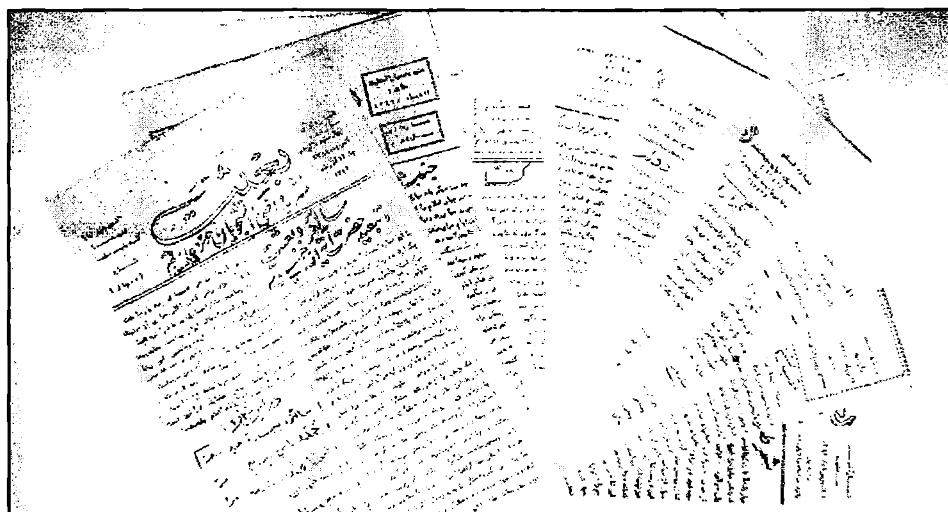
إدارة مجلة « مكتب تشيع »



غلاف كتاب «أمير كبير» أو «بطل مقاومة الاستعمار» (بالعربية)



غلاف كتاب «القضية الفلسطينية» مترجماً





نشرتا «بعثت» و«انتقام» السريتان



مع الدكتور محمد جواد باهنر (في مرحلة شبابه)



أيام الدراسة

نخست وزیری
سازمان اطلاعات و امنیت کشور
س.ا.و.ا.ک

مطالب مندرجه دراین برگ همیشه محرمانه خواهد بود

خواهشمند است دستور فرمائید / دستور فرمائید — استعلامیه زیر را تکمیل نموده اعاده فرمایند

محل مهر و امضاء

محل الصاق عکس
ممهور به مهرکار گزینی

علائم مشخصه
قد ...... وزن ......
چهره
چشم ......
ابرو ......
رنگ مو
علائم مخصوص ......

۱ ـ نام شیخ ابو ...... درصورتیکه نام دیگری دارد ذکر شود ......
نام پدر علی ......

۲ ـ شهرت هاشمی بهرمانی لقب ...... چنانچه قبلا شهرت دیگری داشته ذکر شود ......

۳ ـ تاریخ و محل تولد ۱۳۱۳ در رفسنجان شماره شناسنامه و محل صدور ۵۰۸ رفسنجان مذهب مسلمان شیعه تابعیت ایران

۴ ـ نشانی کامل محل سکونت فعلی قم خیابان صفائیه کوچه ممتاز ......

۵ ـ نشانی کامل محلهای سکونت از سال ۱۳۲۷ تا کنون رفسنجان ـ قم ......

در علوم دینی تحصیل خارج میخواند
۶ ـ میزان تحصیلات ...... نام مدارسی که طی کرده با ذکر محل، تاریخ، خاتمهٔ تحصیل:
دبیرستان ـ فیضیه قم ......
دانشکده ـ ......

۷ ـ خدمت نظام وظیفه را درچه تاریخ ندارد ...... با چه درجه ...... در کدام قسمت ...... در کجا ـ ...... انجام داده است.

۸ ـ عیال/شوهر دارد یا خیر دارد ...... مشخصات وملیت زوج یا زوجه (اگر عیال/شوهر دیگری داشته مشخصات او) با ذکر تعداد اولاد دارای شش نفر اولاد ......

محل امضاء و مهر سازمان اطلاعات و امنیت

ن/۱۹۵-۳۷

۳۴

استمارة فتح ملف في جهاز الأمن والاستخبارات الإيراني



مع الإمام الخميني والسيد أحمد الخميني



«أحب الإمام كثيراً... وأسعدني خبر الالتقاء به»



مع العميد صياد شيرازي قائد القوات البرية في جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية



مع محسن رضائي قائد الحرس الثوري



تعرض لمحاولة اغتيال من حزب الفرقان (أيار ١٩٧٠)



الشهيد محمد مفتح يعود رفسنجاني في المستشفى وبدت عقيلة رفسنجاني

تعمقت معرفتنا وصارت حميمة أكثر حين سافرنا معاً عامي ١٣٤٠ ـ ١٣٤١ [١٩٦١ـ ١٩٦٢] إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة، ومشاهدة حوزات التدريس في النجف الأشرف، كان برفقته في تلك السفرة أخوه الأصغر السيد هادي، وكان يرافقنا أيضاً زميلنا في الدراسة السيد جعفر شبيري. أتيحت لنا في هذه المرحلة فرصة مؤاتية للتباحث والمذاكرة وتبادل الأفكار، وكان ذلك أرضية للعمل المشترك الموسّع في ما بعد. كان لا يزال إلى حين قدومه إلى قم طالباً في «مشهد».

في قم كنا على احتكاك دائم في أثناء الدروس والبحث والاجتماعات وفي الذهاب والإياب، وكنا نتبادل الزيارات كصديقين. وبسبب أفكارنا المشتركة بالنسبة إلى أمور النضال تعمقت معرفتنا وتعاوننا، وبلغت أوجها في عملنا المشترك في جمعية «الإصلاح الاجتماعي» السرّية، المسمّاة «إصلاح الحوزة»، وبعد ذلك: الملف المشترك الذي أعدّ لنا ـ بعد اكتشاف الجمعية ـ والملاحقة والفرار والاختباء، والحياة المشتركة في منزل واحد في طهران، ومن ثمّ التنسيق في أعمال المقاومة والنشاطات الثقافية.

في أحد أسفارنا إلى مشهد المقدسة، وكان هو يمضي عطلة الصيف في قرية (اخلومد) الطيبة الماء والهواء، استضافنا أنا وعائلتي لعدة أيام، ولا تزال في بالي ذكريات متعددة من هذه الرحلة، من جملتها، أننا ذهبنا مرةً ترويحاً عن النفس للسباحة قرب أحد الأنهار، فأردت أن أستعرض قدراتي في القفز في الماء من علٍ، فاصطدم رأسي بصخرة وغبت لحظةً عن الوعي، كان عملاً خطراً جداً، ولكنه انقضى على خير. سافرنا مرة إلى قرية أخرى من قرى مشهد، وهنالك لسعت نحلة أحد أفراد عائلتي، فبادر السيد خامنه إي الذي كان قد أعلن من قبل أنه أخذ طريقةً عن واحد من أهل القلوب في مشهد، لتسكين الألم الناتج عن مثل هذه اللسعات، قام بقراءة أحد الأوراد، لم يكن دون تأثير، مع أنني لم أكن مطمئنا إلى النتيجة.

اعتقل السيد خامنه إي كذلك أكثر من مرّة في مشهد وفي طهران وسُجن، كان في مشهد يدير شؤون المقاومة في شرق البلاد بالتعاون مع السيد «واعظ» طبسي» والشهيد «هاشمي نجاد»، وعدد من الطلبة الجيدين، غالبيتهم اليوم من شخصيات الثورة.

اعتقل آخر مرة قبل سفري الثاني إلى أوروبا وسجن في مقر «المجلس المشترك»،

كان مكاناً مخيفاً جداً ومحاطاً بالسرّية والغموض. انقطعت عنا أخباره لعدة أشهر وقلقنا عليه.

عرفت خبر الإفراج عنه، في نيويورك، في محيط منظمة الأمم المتحدة، كانت بشارة عظيمة، وقد بعثت إليه ببطاقة تهنئة من هناك.

في آخر مرة سُجنت فيها لمدة طويلة، كان هو قد نُفي ولم يعد التواصل المباشر بيننا ممكناً.

في أوج النضال في العام ١٣٥٧ [١٩٧٨]، كان مقيماً في مشهد، وجاء بعد انتصار الثورة إلى طهران بناء لطلبنا.

حين انتقلنا قسرياً إلى طهران من قم، واجهتني صعوبات عديدة للعثور على مسكن، وجدت أولاً مكاناً، على طريق «شكوفة»، أثّثته، ولكن صاحب المنزل وجد أن الوضع غير طبيعي، فرفض أن يؤجرنا، متذرعاً ظاهرياً بكثرة الأولاد. أخيراً وجدنا منزلاً استأجرناه بأربعمئة تومان شهرياً بين منطقة «عين الدولة» وشارع «شهباز»، حارة «رزّاق نيا» قرب عمارة «بيجو» شارع «نائب السلطنة». كان المنزل مؤلفاً من طبقتين، سكنت أنا الأولى، وسكن السيد خامنه إي الثانية.

في طهران، إذا أخذنا في الاعتبار الوضع الخاص الذي أصاب «الائتلاف»، كان حضور أشخاص مثلنا حاجة ضرورية. بدأنا العمل، بالقدر الذي يناسب وضعنا الخاص إلى حدّ ما. ولقد كانت العناصر المتبقية من «الائتلاف» والقوى التي يعتمد عليها، موجودةً في طهران. كنا نعدّ لهم الجلسات، بحيث يشارك في كلّ منها عشرة أشخاص. كان مستوى هذه الجلسات متفاوتاً، كنا نحن ندير الجلسات التي كان يشترك فيها الأشخاص الأكثر نخبوية بالقدر الذي يسمح به وقتنا.

كان المحور الأساسي لهذا النشاط، إعداد هؤلاء الأشخاص فكرياً، ونمرر ضمن ذلك النشاطات السياسية.

كان الحكم يحس بالانتصار بعد انهيار «الائتلاف»، وتلاشي «حزب الأمة الإسلامية»، وإصابة القوى المناضلة بضربة قوية، واستقرار الإمام في المنفى.

كانت مرحلة بالغة الحساسية، وكان يجب علينا أن نَعبرها بمهارة.

تأليف كتاب «أمير كبير»

ملأت جزءاً من وقت الفراغ في هذه المرحلة بتأليف كتاب «أمير كبير» أو «بطل مقاومة الاستعمار».

كنت قد بدأت القراءة في قم، وحضّرت بطاقات وملاحظات، كان الدافع وراء التفكير بإنجاز دراسة عن حياة «أمير كبير»، قد نشأ لديّ بعد قراءة جزء من كتاب «إرث الاستعمار الحقير» تأليف [دكتر مهدي بهار]. كان كتاباً جيداً وجزء منه متعلق بحياة «أمير كبير».

أما العمل الأساسي فقد أنجزته في هذه الفرصة، لأنه كان لديّ في طهران وقت فراغ كبير، فاستغليته، وكنت في معظم الأيام أعود إلى المراجع الموجودة في مكتبة مجلس الشورى الوطنية. وقد قام مسؤول المكتبة مشكوراً بتزويدي بالمستندات والكتب اللازمة، التي استخدمتها كمصادر ومراجع لإنجاز هذا الأثر.

حقوق تأليف هذا الكتاب إضافة إلى ثمن مبيع الطبعات التالية لكتاب «القضية الفلسطينية» ساعدتني في تخطي مصاعب الحياة المادية.[١]

احتفالات التتويج

أحسّ الحكم أنه قد تغلّب على المعارضة، ووجد نفسه بعد أن كشف عدة تنظيمات سرية، واعتقل معظم أعضائها، المسيطر دون مزاحم، إضافة إلى أن روحية المؤمنين بعد نفي الإمام والحوادث التي جرت بعد ذلك، قد ضعفت، وكان الإمام كما كان يبدو في الظاهر قد سكت تقريباً وإن كانت لديه ملاحظات حول ما جرى.

ربما شجّع ذلك كلّه الحكم أن يبذخ في احتفالات التتويج التي أقامها إلى أقصى حد، ولكن من ناحية أخرى كانت الأجواء التي أنتجتها تلك الاحتفالات والاستعدادات

---

(١) للتعرف إلى هذا الكتاب، يمكن الاطلاع على نص مقدمة المؤلف على كتاب أمير كبير في قسم الملاحق ص٢٣٦.

لها، محركاً جديداً للنضال، وانتقاداً لاحتفالات التتويج: قمنا بعدة تحركات، اتصلنا بقم وبقية المناطق، وقررنا أن نصدر بأنفسنا بياناً.

كتبت بياناً بعنوان «عزاء باسم العيد»، وسلمته إلى السيد «دعائي» الذي استخدم إمكانيات نشرة «البعث» في إعداده، ووزعناه في محيط واسع نسبياً، سلّمت أنا بنفسي أعداداً منه إلى السيد «مصطفى ميرخاني» وإلى السيد «جعفر أصفهاني»، الذي حضر في ذلك الحين من أصفهان إلى طهران بصورة سرية لتوزيع البيان.

رأيت في هذا الوقت مناماً، كان من الرؤى الصادقة إلى حدّ ما، لا أتذكر تفاصيله، ولكن مضمونه بصورة مجملة أن سيّارة «فولكسفاكن» كبيرة صدمتني فوقعت في بئر. كان السيد ميرخاني في تلك الإيام يملك سيارة فولسڤاگن، وكان يستخدمها في تنقلاته وفي توزيع البيان.

بعد يومين، اعتقل هذان الشخصان، ميرخاي وأصفهاني وعن طريقهما وصلوا إلي. فقد جاء «منوچهري» المعروف الذي كان يدعى أيضاً «أزغندي» بنفسه إلى منزلنا لاعتقالي. كانت ابنتي الصغرى في تلك الأيام مصابة بشلل الأطفال، وكنت عائداً بها إلى المنزل بعد إجراء جراحةٍ لها، حين التقيت بالمأمورين وجهاً لوجه. ومع أننا كنا نتوقّع بعد كشف تنظيمنا السري في قم ردّة فعل تجاهنا، ولكن الاعتقال كان سببه ذلك البيان فقط. لم يُطرح ملف قم، لذلك لم يتعرضوا للسيد خامنه إي الذي كان في الطابق العلوي، أو لعلهم كانوا يجهلون أنه يسكن في المنزل نفسه. في كل الأحوال لقد ألقي القبض عليّ وأخذت إلى سجن «قزل قلعة» مجدداً.

في «قزل قلعة» من جديد

دخلت من جديد «قزل قلعة»، وكان التحقيق هذه المرة أبسط، بعد توزيع البيان الموسوم «عزاء باسم العيد»، اعترف المعتقلون أنهم أخذوه مني، واجهوني بأقوالهم فاعترفت، ثم سألوني: أنت من أعطاك البيان؟ قلت: أحضره سيد من قم؛ ونحن أعطينا الآخرين مبلغاً من المال أجرة توزيعه، كنا في الواقع قد أعطيناهما مبلغاً من المال فقد كان وضعهما المالي سيئاً.

لم تكن المسألة خطرة، فقد اكتفوا بتوجيه عدّة صفعات، والكثير من التهديد، وانطلاقاً مما استنتجوه من كلامي، دون أن أعطيهم أسماء معينة، اعتقلوا بعض الأشخاص بعد عدة أيام ليتوصلوا إلى الذي حضر البيان ـ وكان السيد دعائي ـ اعتقلوا مرة السيد مهدوي كرماني، ومرة أخرى سيداً من أهالي «راسمنان»، وحين أحضروه إلى السجن ليلاً، أشاروا إليّ من وراء الزجاج، فقلت لهم إنه ليس هو، في كل الأحوال ختمت المسألة بي، ولم يتورط فيها شخص آخر.

أدخلوني إحدى غرف سجن «قزل قلعة» وانحصرت المسألة بالبيان، ولم يعاملوني هذه المرة بقسوة. كان السيد «كروبي» في السحن أيضاً، وقد رزق وهو لا يزال في السجن بطفل ـ ربما كان هو نفسه السيد «تقي» الذي قطعت رجله في الجبهة في مرحلة حرب العراق على إيران..

لم تطل المدة التي قضيناها في «قزل قلعة»، فقد اكتمل الملف، وأرسلونا إلى سجن القصر.

سجن القصر: القسم ٤

دخلنا سجن القصر، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها الحبس العمومي، لم أجرب في الماضي سوى الحبس الانفرادي فقط، ففي اعتقالي الأول قضيت المدة كلها (عدا بعض ساعات) في الحبس الانفرادي، وهذه المرة أيضاً قبل اكتمال الملف كنت في الانفرادي.

حسناً، الحبس العمومي كانت له بالنسبة إلينا جاذبية خاصة، وجميع الذين يسجنون لدوافع سياسية يحبون رؤية السجن العمومي، في تلك الأيام كان نزلاء الجناح رقم/ ٤ في سجن القصر خليطاً من بقايا المقاومة الحرة، مثل «الدكتور شيباني» و«علي بابايي» والسيد «محمد جواد حجّتي»، الذي اعتقل لعلاقته بحزب الملة الإسلامي. الذين كانوا في الجناح رقم/ ٣ ـ ومجموعة من معتقلي ١٥ خرداد مثل السادة «خاقان» و«محمد أقاي باقري» و«شهاب» ومجموعة من «القوى الإسلامية المتحالفة» ومجموعة من الشيوعيين، وكان هنالك أيضاً الشهيد محمد منتظري .

كان معنا في القسم أيضاً «منصوري» و«كامراني» اللذان سجنا بعد حادثة قصر المرمر ومحاولة اغتيال الشاه، وكذلك آية الله طالقاني والمهندس بازرگان كانا هنا، وقد أفرج عنهما قبل بضعة أسابيع بمناسبة احتفالات التتويج.

كان تحت تصرفنا غرفتان باسم مقر المتدينين، ومقر لقدامى الشيوعيين المسجونين مؤبداً، باسم مقرّ الشيوعيين.

لم أبق أكثر من ثلاثين أو أربعين يوماً، لأن مدة الحبس كانت بحدود ٩٠ يوماً قضيت جزءاً منها في «قزل قلعة».

هذه المدة القصيرة التي قضيتها في سجن القصر، كانت مفيدة لي ومثيرة، فقد كانت فرصة لمتابعة الأبحاث، والتعرف إلى مختلف الفرقاء ومعرفة ما يجري.

في الزيارات في سجن القصر كان هنالك مجال لتبادل الأحاديث، في حين كانت الزيارات ممنوعة في «قزل قلعة»، أما هنا فقد كانوا يضعون الزوار وراء الحاجز، وكنا نطّلع من الزوّار على ما يجري في الخارج.

كانت علاقاتنا جيدة بالشيوعيين، كانوا يستضيفوننا ونستضيفهم؛ وحين يدعوننا إلى الطعام كانوا يستفيدون من خبرتنا في الطبخ، وكنا نعاملهم بمودّة، كانوا يشكلون الغالبية العظمى من المسجونين، ولمدة طويلة، ونادراً ما يأتيهم زوّار.

كان وضعنا في ما يتعلق بالزيارات والإمكانات المادية أفضل، وكنا نتقاسم ما لدينا وجميع المساجين، وكان لذلك تأثير طيب فيهم، الفرق الآخر بيننا وبين بقية المساجين، أن جناحنا كان دائماً يستقبل نزلاء جدد، مما يدل على فاعلية أفكارنا في هذه المرحلة، في حين أن سجنهم كان راكداً.

كان السيد «حجّتي» قد سجن قبلنا، وقد زودنا بمعلومات وافية عن وضع أعضاء حزب الملة الإسلامي. كانوا قد اجتذبوا أعداداً كبيرة من الناس في البداية، ومع ذلك لم يتمكنوا من أن يحصدوا نتائج جيدة، ولكن في كل الأحوال، إن كشف تنظيمهم في هذه المرحلة بعد «الائتلاف»، بيّن أن القرار الذي اتخذه الإسلاميون بمتابعة مسيرة النضال كان جدّياً، ولقد كان في السجن أيضاً اعتبار للإسلاميين.

في السجن كانوا يقيمون وزناً لمثل هذه الأمور، كما أن العالم والحكم أيضاً كان يحسب لها حساباً.

في كلّ الأحوال، كان كشف تنظيم ديني خطوة في طريق توجه المقاومة نحو الجدّية، وتعميمها، واتساع أفكار المقاومة المسلّحة بين الشباب، وقد رُويت عنهم في الخارج روايات أشبه بالأساطير تحكي عن اندفاعهم وشخصياتهم وتعبّدهم، وتضحياتهم ومثابرتهم. . . كانت تروى في المحافل، وكان لها تأثير بالآخرين.

كان السيد «منتظري» و«رباني شيرازي» قد اعتقلا قبلنا، وكانا لا يزالان في السجن حين اعتقلنا، وقد حُكم عليهما.

أفرج عني وعن السيد هادي هاشمي صهر السيد منتظري في الوقت نفسه، وغادرنا السجن معاً في سيارة واحدة، رافقني إلى منزلي أولاً، ثم ذهب بعد ذلك إلى منزله.

تضارب الآراء

نحن الآن في العام ١٣٤٦ [١٩٦٧]، وقد بدأت الآثار السياسية والثقافية لحوادث ١٥ خرداد تظهر أولاً بأول، وصارت أرضية ملائمة لنمو ميول وأفكار متنوعة في المجتمع، وقد كنا نشهد في محافلنا الخاصة تصادم مثل هذه الأفكار والميول المتضاربة، الشعور بالإحباط بعد فشل الجهود السابقة، ضَرْب «الائتلاف»، كَشْف حزب الملة الإسلامي، حادثة قصر المرمر. . . وغيرها، جعلتنا نتريث ونشعر بوجوب التفكير بشكل آخر: وهذا «التفكير بشكل آخر»، كان كلّ شخص يجسّده على نحوٍ خاص.

كان هنالك طرح يقول إننا يجب أن نصدر بيانات، وأن نفضح النظام، وأن نطرح القضايا الجديدة. أما نحن المتديّنين فمع الأخذ في الاعتبار بأن الإمام منفيّ وقد أُبعد إلى النجف. . كنا نفكر أننا يجب أن نتابع مسيرتنا السابقة: الخطب على المنابر، التجمع في الحسينيات، إقامة مجالس العزاء، التجمعات، المشاركة في مراسم الأعياد وفي التعازي، كانت هذه هي الفرص المتاحة لنا، والتي كنا نستفيد منها.

إلى جانب هذين الطرحين، وُجدت طروحات أخرى، لم تكن مفيدة [إن لم نقل مضرّة]، كالطرح القائل إننا يجب أن نؤسس من جديد، ونشكل تنظيماً، حتى أن البعض

حرّموا بعض النشاطات كنشر البيانات مثلاً. كانوا يقولون من الخطأ أن نعرض قوانا أمام العدو على هذا النحو.

آخرون كانوا يقولون بأننا يجب أن نقوم بنشاطات لها طابع ثقافي ـ بالمعنى الصرف لكلمة ثقافي ـ وأن نتغلغل، في مدارس الدولة ومؤسساتها. ونسيطر عليها بشكل من الأشكال.

عدد آخر كان يرى أن الاعمال الأساسية هي النشاطات الثقافية التي تساهم في تنوير عقول الناس، وتشرح لهم قضايا الإسلام: كتابة المقالات وقراءتها وأعمال من هذا القبيل.

في هذا الخضمّ من تضارب الآراء والأفكار، أوجدنا نحن شكلاً من أشكال التنظيم، وكان نمط التفكير الذي يجمعنا هو القائل بإننا يجب أن نستفيد من جميع المجالات والطروحات، وأن الجمع بينها ليس مستحيلاً؛ يجب علينا أن ننظم، ونؤسس، ونهيء الظروف للحركات المسلحة، وفي الوقت نفسه، يجب أن نقوم بنشاطات ثقافية وتنويرية، وأن نلقي الخطب، ونتواجد في الجامعة، وأن نتغلغل في المدارس وفي مؤسسات الدولة؛ كان هذا طرحُنا ونمط تفكيرنا: أنا والسيد خامنه إي والشهيد باهنر ورفاقنا.

تأمين سبل العيش

مُنع في هذا الحين عدد من الأصدقاء من الوعظ والكتابة، فأحسسنا بثقل أعبائهم: كانوا بحاجة إلى مصروف جيب، وإلى تأمين أسباب الحياة... كان يجب أن نفكر بحلّ هذه المشكلات على نحو يشغل أوقاتهم، ويساعدهم في تدبير شؤون حياتهم؛ كنا في الوقت نفسه بحاجة إلى ستار كي لا ينكشف نشاطنا. فقد كنا تحت المراقبة.

أنا كنت أعمد أحياناً ـ كي يكون الستار محكماً ـ إلى شراء قطعة أرض أبني عليها منزلاً، أسكن فيه سنة أو سنتين، ثم أبيعه بربح معقول يساعدني في حل مشاكلي الحياتية، وفي مساعدة من يحتاج من رفاق المعركة.

كان العمل في تجارة الأرض والبناء في ذلك الحين، من الأعمال المربحة، كما أنني بتّ معروفاً على ألسنة الساڤاك بهذه الصنعة. كنت أحياناً حين ألتقي برجال الساڤاك يقولون لي: أنت الآن «بائع شارٍ»! أحياناً كنت أذهب إلى المنبر، وكانت التقارير عن خطبتي يثير عصبيتهم، فيرسل «منوچهري» رسالة يسأل فيها أعوانه: «ماذا يقول ذلك البنّاء؟».

على هذا النحو كنت أدبّر أمور معاشي، وفي الوقت نفسه صنعت ستاراً ظليلاً مضللاً، وكنت في العادة أشارك آخرين من الرفاق في هذه الأعمال، وقد بنيت خلال عشر سنوات، عشرة منازل وعدّة مراكز تجارية، وبعتها، وكان هذا العمل حائلاً بيني وبين شكوك الساڤاك وملاحقاتهم، إضافة إلى بعض الآثار الإيجابية الأخرى.

مقرات للنضال

في رمضان، وقد كنت ظهر كلّ يوم ألقي خطبة في مدرسة الحاج الشيخ عبد الحسين في البازار، تعرّفت إلى مجموعة من تجار السجّاد، في أثناء هذ الخطب والجلسات التي كنت أعقدها من أجلهم، حضّيتهم على إنشاء مؤسسة ثقافية، وقد استطعنا بعد مدّة قصيرة أن نؤسس مدرسة «الرفاه»، التي كانت مدرسةً للبنات، ومتنفسّاً لبعض العائلات المتديّنة، التي كانت تواجه مشكلات في تعليم بناتها، وفي الوقت نفسه كانت مقراً للمقاومة والنضال، ومركزاً يتواصل فيه رجال الدين والمثقفون والتجار. يقدّم التجار التمويل، والمثقفون العمل. كما أنشأنا ضمناً مؤسّسة الرفاه الخيرية ستاراً لمساعدة الذين تضرروا في معارك النضال. وقد شجعنا إنشاء صناديق «القرض الحسن»، التي كانت أيضاً ستاراً جيداً لتمويل النشاطات السياسية، وسبيلاً لزيادة أعداد الحضور في المساجد، والاستفادة منها كمراكز للنضال.

في الوقت نفسه وُضعت تحت تصرفنا أماكن جديدة للتبليغ: «حسينية الإرشاد»، «منتدى التوحيد»، و«مسجد الجواد».

كان الناشطون في حسينية الإرشاد من الأشخاص غير المشبوهين لدى الساڤاك، فاستفدنا من هذه الفرصة، وقلنا في الخطب المواضيع التي كانت يجب أن تُقال. من وراء

هذا المكان وهذه العلاقة، نال الدكتور شريعتي شهرته. وكنا نذهب في بعض المناسبات إلى الجامعات ونلقي الخطب، فتوطّدت علاقتنا بالطلاب.

على هامش هذه اللقاءات شكلنا جلسات «العَشرة»: كلّ هذه المجالات أفادتنا في إنشاء التنظيمات، وقد كان عدد من أصدقائنا قد تغلغلوا في وزارة التربية والتعليم، وأخذوا على عاتقهم تأليف الجزء الخاص بالعلوم الإسلامية في الكتب المدرسية. كان التأثير الأساسي في هذه الجهود للسيد «باهنر»، ساعده في ما بعد الشهيد «بهشتي» بعد عودته من ألمانيا، كما ساعد السيدان «غفوري» و«برقعي» الشهيد باهنر في هذا العمل. وقد أوصلنا هذا الطريق إلى تلاميذ المدارس.

مسجد هدايت

أصبح آية الله طالقاني بعد خروجه من السجن محوراً يجتمع حوله أنصار المقاومة. وقد كانت علاقته قوية جداً بعناصر «الثورة الحرة» [نهضت آزادي]، ونحن أيضاً كانت علاقتنا بهم جيدة، ولم يظهر أي شعور بالانفصال، كما أن الجانب الروحي لدى السيد طالقاني كان مرتبطاً بالمجتمع الديني، وأرفع من أي مجموعة سياسية خاصة.

في كل الأحوال كان «مسجد هدايت» بالنسبة إلينا قاعدة جيدة، نتكلم فيه في العديد من المناسبات وكان سبيلنا لإقامة علاقات موسعة بالطلاب والجامعيين والأكاديميين والمتدينين الإصلاحيين.

في هذه المرحلة كانت كل من «الجمعية الإسلامية للمهندسين»، و«الجمعية الإسلامية للأطباء»، و«ثانوية الكمال»، كانت قواعدَ للمقاومة، مكمّلةً لدور قواعدنا.

جلسات رجال الدين المجاهدين

منذ أن استقرينا في طهران مع إحساس أقوى بالأمان، أخذنا نعقد جلسات أسبوعية، كان يشارك فيها مجموعات من أئمة الجماعة والخطباء المؤيدين للثورة. كانت هذه الجلسات قاعدة جيدة للتداول في قضايا الثورة واتخاذ القرارات المشتركة. وكان آية الله طالقاني يحضر هذه الجلسات أحياناً وكانت هذه الاجتماعات مفيدة في حلّ المشاكل،

وهكذا الطريق. تولينا أمور الهداية في الكثير من المساجد والتكايا، حيث نطرح قضايا الثورة الملحّة في الوقت المناسب وبالمستوى الذي يُرضي المجتمع، وكان لكل فرد من أفراد المجتمع علاقة بمجموعة من العلماء والخطباء والشخصيات المهمة.

من الأمور التي كان لهذه الجلسات تأثير مهم فيها، انتهاز فرصة وفاة آية الله الحكيم لتعزيز مرجعية الإمام العامة، وعلى الرغم من وجود سلسلة من الظروف المؤاتية، نشأت قاعدتان خطرتان، وصممت مجموعة من رجال الدين التقليديين والمحافظين على استبعاد الإمام.

في هذا الظرف وبعد التحرك الذي جرى في قم، وأدى إلى سجن مجموعة من المشاركين، جاء تأثير هذه الجلسات والأصدقاء شديد الأهمية. وبخاصة الجلسة التي انعقدت في المسجد الجامع في طهران، والعريضة التي وُقّعت هنالك، تأييداً للإمام، استطعنا بجهود مؤثرة أن نبرز تأثير الإمام ودوره، رغم إرادة الحكم والمشايخ المعارضين.

اطّلع الحكم يوماً بعد يوم على وجود هذا التجمع وتأثيراته السياسية المهمة، واستطاع في النهاية أن يكون له عملاؤه في داخله.

بعد أن تنبّهنا إلى أن النظام مطلع قليلاً أو كثيراً على قضايا التجمع، صرنا نأخذ قراراتنا الأساسية خارجه، وحافظنا على وجوده الظاهري لتضليل النظام.

وقد انكشف بعد الثورة، العملاء، مصدر المعلومات.

الفصل الثامن

خطوات متسارعة وواثقة

تحليل لحوادث المقاومة المسلحة

شيئاً فشيئاً، وصلنا إلى عامي ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ [١٩٧٠ ـ ١٩٧١]، حيث بلغت المقاومة المسلحة في هذه المرحلة أوجها في المجتمع. وقد طُرح أن المجموعات التي كانت وراء هذه الأعمال، هي مجاهدو تلك الأيام، ومنافقو اليوم، و«فدائيو خلق». في النظر إلى تاريخ الثورة الإسلامية والتاريخ الجديد للمقاومة ذات الطابع الديني، وتحليله يوجب التفتيش عن جذور المقاومة المسلحة.

إن النضال الذي خضناه على جميع الصعد، معارضين لمجالس الولايات والمحافظات، ولبدعة «الثورة البيضاء» التي أعلنهاالشاه، وقضية «المعاهدة»، قبل ١٥ خرداد وبعده، ووصولنا إلى النصر في عامي ١٣٥٦ و١٣٥٧ [١٩٧٨ـ ١٩٧٩]، لم يكن ثورة مسلّحة وإنما كان نضالاً سياسياً.

كنا نضطر أحياناً للدفاع عن أنفسنا، دفاعاً مسلحاً. في مرحلة معينة من هذين العقدين الأخيرين، استجدّت ظروف، وزادت الأجواء المؤيدة للمقاومة المسلحة، كنا نعطي الأهمية القصوى للنضال الديني ـ السياسي، وإذا دعت الضرورة إلى استخدام السلاح لا نرفض ذلك. حتماً في أوج الضغط والقمع، وكي لا تبقى جرائم الحكم دون جواب. ثم تشجيع المقاومة المسلحة لعدة أسباب:

أولاً: كان دوي طلقات الرصاص وانفجار القنابل في تلك الظروف أجدى من البيانات والخطب.

ثانياً: للفت نظر النظام، وسلب الحكم المتسلط عافيته وأمنه واستقراره، وكبح جماح ظلمه وتعسفه.

ثالثاً: أصبحت المقاومة المسلحة، حالة تشفٍّ من النظام، وأملاً للثورة.

إنّ التاريخ، حلقات مترابطة، بحيث أنه لا يمكن البدء من مكان دون أن تُطرح الأسس والظروف السابقة؛ لا بدّ إذاً من أن نبدأ من نقطة معيّنة:

بعد إقصاء رضا پهلوي واستلام محمد رضا شاه للحكم، في أثناء الحرب العالمية الثانية، خفّت الضغوط نسبياً، وصارت الأجواء أكثر حرّية، ودخل الناس في المعارضة، وكانت أول معارضة مسلّحة، هي التي قام بها «فدائيو الإسلام»، بانفلاش وتهور لا حدود لهما، من دون أن يظهر أي نوع من التعقيد والتداخل لدى المنظمات أو المجموعات المسلحةـ مع الأخذ في الاعتبار أجهزة الشاه البوليسية ـ فلم يكن النظام الأمني قوياً قبل عهد الشاه، ولم يكن للإيمان والتهور اللذين كان يتمتع بهما «فدائيو الإسلام»، وجود لدى الآخرين.

عن هذا الموضوع، يجب العودة والبحث في مذكرات وخواطر الذين عاصروا تلك الحوادث، ولا يزالون على قيد الحياة.

بعد هزيمة فدائيي الاسلام، وبعد انقلاب ٢٨ خرداد، أراد الشيوعيون أن يلجأوا إلى المقاومة المسلحة الواسعة النطاق، وإذا كنا أكثر دقة قلنا إن حركتهم لم تكن منطلقة من مبدأ المقاومة المسلحة، كانت تسيطر عليها نغمة الانقلاب، كانوا يعملون في الجيش، وساروا في طريق تقوية الفروع العسكرية، وكانوا يريدون من خلال السيطرة على القوى المسلحة، والتغلغل في الجيش، أن يقوموا بضربة مفاجئة فانكشفوا وهُزموا، فتوجهوا نحو العمل السياسي الضعيف.

في حوادث المطالبة بتأميم النفط، التي بلغت أوجها في عهد مصدّق، قبل انفصاله عن آية الله كاشاني، في حركة «٣٠ تير» لمعت بارقة، ما لبثت أن انطفأت، ولم يبق منها سوى ومضة خافتة وأنوار شاحبة، كان يجب أن تصل إلى نهايتها.

وُلدت الأمواج الجديدة للمقاومة منذ العام ٤١ (١٩٦٢)، مع بداية نضال رجال الدين، وانكسار هيبة النظام، ولم تكن منطلقة من مبدأ المقاومة المسلحة، كانت حركة

إسلامية، مرتكزة إلى الموعظة والنصيحة، مستخدمة الخطب والبيانات والمظاهرات، والاجتماعات الموسعة، المعارضة الصريحة، والانتقاد، والإرشاد السياسي العلني، والانتشار الواسع في جميع أنحاء البلاد.

كانت توجهات هذه المقاومة دينية وسياسية، دون أي رغبة باستخدام السلاح، ولكن بعد العنف الذي مارسه النظام، وقمعه للتظاهرات السلمية التي امتزجت فيها دماء الناس بتراب الوطن، وزجّه المعارضين في السجون أو إعدامهم، ظهر ردُّ فعلٍ، يقول: لا يمكن الردّ على تحرّك الحكم عسكرياً، بجوابٍ سياسيّ. إنّ الجواب المناسب على العنف هو العنف.

من ناحية أخرى، كانت مجموعة من فدائيي الإسلام أيضاً ـ من أمثال الحاج مهدي عراقي والحاج صادق أماني ـ من محبّي الإمام المقرّبين، الذين كانت تجاربهم السابقة مؤثّرة في الميل نحو الحركة المسلّحة.

وهكذا، اختارت مجموعة من القيادة المركزية لـ[الائتلاف]، طريق النضال المسلّح، وكان رفاقهم الآخرون يؤيّدون هذا التحرّك، ونحن كذلك لم نكن معارضين له، ولكن في حدود معينة ومضبوطة، لأن الإحساس الذي كان سائداً في ذلك الحين، أن الحكم ستزداد جرأته ووقاحته، إذا قوبل قمعه بلطف وهدوء. كان هذا لسان حال كثيرين من الذين تذوّقوا ضربة ١٥ خرداد، وكانوا يؤيدون اقتلاع العنف من جذوره.

في مثل هذه الظروف، وُلد لدى مجموعة من [الائتلاف] الميل إلى المقاومة المسلحة، وتجمعوا في تنظيم، كان أول أعماله، إعدام «منصور»،(١) الذي أدّى إلى حملة اعتقالات واسعة، أوصلت الحكم إلى اكتشاف جذور التنظيم.

وهكذا تلقى (الائتلاف) ضربةً، وقضى ذلك على المؤمنين بالنضال المسلّح، ولم يستمر هذا الخطّ.

أما الأعضاء الذين تخفّوا من أمثال السيد «اندرزگو»، فقد ألّفوا مجموعات أخرى، أو كان لهم تأثير في تحريك بعض المجموعات.

---

(١) حسين علي منصور، رئيس الوزراء.

يُستنتج من تلك الحوادث، أن العمليات الصغيرة المحدودة، تضرب العمل السياسي بقوة، ويستغلها الحكم ذريعةً ليضاعف عنفه، ويقمع جميع القوى المناضلة.

قصة انطلاق مجموعات مسلحة من داخل «نهضت آزادي» شبيه بانطلاقة جناح «الائتلاف» المسلح، «فنهضت آزادي» ولدت من رحم «الجبهة الوطنية» وكانت حدثاً سياسياً بالكامل، مع منهج صحيح في مقاومة الحكم، فآية الله طالقاني والمهندس بازرگان والدكتور سحابي والآخرون، كانوا ينتقدون الحكم بصراحة ويصدرون البيانات. . واجههم الحكم بالعنف وزجّهم في السجون. رداً على الحكم وجواباً عن قمعه، ظهر بين القوى الشابة في «نهضت آزادي» ـ في الظروف التي أعقبت حوادث ١٥ خرداد ـ ميل نحو النشاط المسلّح، أخذ ينمو ويتطور، وفكروا بتوجيه ضربة إلى النظام وبالتسلّح.

«حنيف نجاد» وبعض رفاقه كانوا جميعاً من قوى «نهضت آزادي» الشابة، قرروا من داخل السجن في عامي ١٣٤٢ (١٩٦٣) و١٣٤٣ (١٩٦٤)، السير في طريق الكفاح المسلّح، واعتمدوا السرية، تنفيذاً لقرارهم.

نرى أيضاً أن «مجاهدي خلق»، انبثقوا من داخل «نهضت آزادي» كحركة سياسية ـ دينية. مع فارقٍ، هو أنهم مستفيدون من التجارب السابقة، فلم يتسرّعوا في التنفيذ. بدأوا عملهم بتأنٍّ وتؤدة، فقد قضوا حوالى سبع أو ثماني سنوات في تحضير المقدّمات والترتيبات اللازمة، وتدوين الإيديولوجيا، وتربية العنصر وتنظيم الخلايا، ولم يعلنوا عن أنفسهم حتى العام ١٣٥٠ (١٩٧١).

كذلك، فإن «حزب الملّة الإسلامي» وُجد في الواقع ردّاً على نفي الإمام والعنف الذي قمع به الحكم المعارضين. ذلك أن الإفراج عن الإمام في المرة الأولى أعاد إلى قم دورها كمركز للنضال، كما أعاد الأمل إلى الناس، وفي أوج النضال، نفى الحكم الإمام من جديد ومنع أي مظهر من مظاهر التعبير؛ كلّ هذا ولّد شعوراً بالنقمة ورغبة بالكفاح المسلّح لدى القوة الشابة. عمل هؤلاء كمجاهدي خلق بسرّية، دون أن يرتكبوا أخطاءهم أو تكون لهم خصائصهم في إيجاد برامج موسّعة، وقراءة الإسلام والماركسية، والمشاركة في دورات تدريبية على استخدام السلاح في الخارج، ودراسة تاريخ الحركات المسلحة.

لقد كانوا شباباً أنقياء ومخلصين وبسطاء، في مقتبل العمر حضّروا أنفسهم بأنفسهم

وكانوا لا يزالون في مرحلة التحضير حين التجأوا إلى التلال ـ حادثة الخانگاه المعروفة ـ عن طريق الصدفة المحضة.

في هذه المرحلة لم يكن لدى الشيوعيين فعالية لافتة، لأن تنظيمهم الأساسي: حزب تودة، لم يستقطب البرامج والعقائد التي طرحها الناس، ولم تقع عمليات جديدة تحمل طابعهم.

ناشطو الجبهة الوطنية ـ أو الأجنحة اليسارية فيها ـ كانوا فاعلين كأفراد، وكانوا يُعتقلون ويُسجنون بصفة فردية.

في كل الأحوال، لقد فكر الشيوعيون بالقيام بعملٍ ما، بعد كشف العمليات المسلحة للإسلاميين.

تجدر الإشارة هنا، إلى أن الحادثة التي استهدفت الشاه في قصر المرمر، لها طابع وطنيّ أكثر من كونها ذات منطلقات شيوعية. ولكن منفذيها، لكونهم غير متدينين، التحموا بالشيوعيين أولاً بأول؛ لم يكن لهم منهج فكريّ واضح، لنطلق عليهم اسماً معيناً.

ما كان سائداً في تلك المرحلة في المجتمع، هو النضال ذو الطابع الديني ـ السياسي: «رجال الدين»، «نهضت آزادي»، «الطلاب المسلمون»، «التجار المسلمون»، وكانت القواعد والمقرات هي المساجد، والحمعيات الدينية، وكذلك المدارس والجامعات ضمن حدود معينة.

شارك العمّال كمتدينين، وجذبتهم المقاومة الدينية، ولم يشاركوا «كحركة عمالية»، وحين أحكم النظام قبضته في عامي ١٣٤٥ و١٣٤٦ (١٩٦٦ـ١٩٦٧)، بعد الحوادث ذات الطابع الديني، ولعدم وجود حركات سياسية واسعة؛ ولد الميل نحو العمل السريّ، وتشكلت تنظيمات تحت الأرض، بعضها سياسي وبعضها مسلح، وتوسّعت. راودت هذه الأفكار جميع الفرقاء، ولم يكن من حديث في جميع الأمكنة ـ من السجون وحتى الساحات العامة ـ سوى الحديث عن الأسلحة، منتظرين أزيز الرصاص. . .

في مثل هذه الظروف، تغيرت النفوس، ولُمِسَ لدى الناس تقبّلٌ لحركات العنف.

دخلت الساحة مجموعة سُميت في ما بعد «مجموعة جزني» بقيادة «بيجن جزني»، كحركة مسلحة منظمة، وأخرجت المتدينين من تحت رداء مجاهدي خلق.

بكّر اليساريون بالظهور العلني قبل المتدينين، وحتماً لم يكن لديهم بعد الاستعداد الكافي للعمليات، وكانوا يفكرون بأداء شبيه بما جرى في كوبا، بأن يحاصروا المدن عن طريق الأرياف، وأن يعيشوا ويتدربوا في الغابات، عُرفوا في إحدى المواجهات، ووصلت الشرطة إلى المؤسسين، واعتقلت مجموعة منهم، وسجنتهم، وتوارت مجموعة أخرى عن الأنظار.

من المحتمل أن يكون [مجاهدو خلق]، قد كُشفوا في أثناء هذه الحملة، علماً أنهم كانوا يحاولون في السجن، بحجة المحافظة على الوحدة مع الشيوعيين، أن يتستروا عليهم، وكانوا يشيعون أنهم كُشفوا من طريق عنصر مشكوك يدعى «مراد دلفاني»، كان جاسوساً يسارياً، واستطاع أن يستغل طيبتهم ويكسب ثقتهم: ربما كُشفوا عن الطريقين معاً.

وهكذا نرى أنه منذ العام ١٣٤٦ وإلى العام ١٣٤٩ [١٩٦٧ـ١٩٧٠]، نضج هذين العملين المسلحين الديني والماركسي بصورة سرية، وهما في النهاية من منبع واحد. يبدو لنا بعد الاطلاع على استجوابات مفتاحي ـ أحد قادة اليسار ـ أن الحكم قد كشف في البداية بوساطته وجود حركة دينية مسلّحة. كان [مجاهدو خلق] أنفسهم يقولون في البداية إنهم انكشفوا عن طريقه، ولكنهم في النهاية، لكي يحافظوا على التفاهم والموقف الموحّد، لم يذكروا سوى مراد دلفاني، وأخفوا هذا القسم من الحقيقة كي لا تحصل مواجهات في السجن بين الفريقين.

هذان الفريقان عملا بفاعلية الخفاء، وكان عدد الأعضاء المنتسبين إليهما كبيراً، وكانوا مسلحين. وكلا الجناحين ذهبا إلى فلسطين وكان لهم أعضاء هنالك، فقد كانت المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة، ملهمة لحركة التحرر، والعلاقة بها مفخرة لمناضلي البلدان الأخرى.

نُفّذت عمليات محدودة، وكان لها أحياناً دعاية مضخّمة، كالتجاء المجاهدين إلى دبيّ، وخطف الطائرة والتوجه بها إلى العراق، أو بعض العمليات المشابهة، كالتي قام بها

اليساريون في «رضائية»، كانت مثل هذه العمليات متقطعة ومحدودة، في كل حال، لقد كُشف اليساريون في العام ١٣٤٩ (١٩٧٠) ومجاهدو خلق في العام ١٣٥٠ (١٩٧١).

قبل كشف مجاهدي خلق ـ مُنذ المجموعات الأولى ـ لم يكونوا قد عرفوا بعد باسم اليسار، لم يكونوا هم أنفسهم مستعدين ليُعرف عنهم أنهم ماركسيون، كانوا يطمحون إلى التغلغل في المجتمع الإسلامي، وكانوا معروفين في الخارج كإسلاميين. مثلاً، أولاد طاهر أحمد زاده كانوا من زعماء فدائيي خلق، وكان أحمد زاده يعرّف عنهم كمتدينين. نحن أيضاً كنا نتصور أنهم متدينون، وبعد كشف المجاهدين في السجن، تم التعرف على مجموعاتهم، وتبين أنهم يساريون.

حين دخلنا إلى السجن رأينا فيه مجموعات أخرى: مجموعة «النجمة الحمراء»، «أمل الشعب»، وخمس عشرة مجموعة صغيرة، كانت في أغلبها ماركسية، تؤمن بالكفاح المسلّح.

في العام ١٣٥٧ (١٩٧٨)، حين كنت في السجن، كان أكثر من سبعين عنصراً من مجموعة «النجمة الحمراء» معتقلين باتهامات مثل السطو على المصارف، أو تهريب الأسلحة..

في هذه الأثناء كانت منظمتا «مجتهدي خلق» و«فدائيي خلق» هما الأوسع انتشاراً، ويبدو أنهما سمّيتا بهذين الإسمين في السجن، ولم تكونا قبله معروفتين بهما.

يجدر بنا القول، أن الشرطة قد استطاعت في عامي ١٣٥٠ و١٣٥١ (١٩٧١ و١٩٧٢). أن تبلغ أقصى نجاحها في كشف هذه المجموعات المسلّحة التي ولدت وترعرعت منذ عامي ١٣٤٣ـ ١٣٤٤ (١٩٦٤ـ ١٩٦٥) وما بعدهما.

هذا النجاح السريع للحكم يستحق الدراسة والتحقيق: إما أن الشرطة كانت متغلغلة في صفوفهم، أو أنها اشترت أفراداً فشوا برفاقهم ثمناً لحريتهم، أو أنها زرعت في السجن عملاء ومخبرين، أو أنها لجأت إلى التنصت على أحاديثهم داخل الزنزانات، أو من طريق التعذيب النفسي والجسدي، أو غير هذه الطرق مجتمعة، في كل حال كانت لهم طرقهم الخاصة.

ابتداءً من العامين ١٣٥١ و١٣٥٢ (١٩٧٢ـ ١٩٧٤)، ومنذ أن بدأ الحكم بممارسة العنف، مهّدت الأرضية لنشاط المقاومة المسلحة الدينية والماركسية متمثلة بمجاهدي خلق وفدائيي خلق.

كانت قد تشكلت مجموعات صغيرة، ثم توحّدت في هاتين المنظمتين، إما لأن زعماء تلك المجموعات كانوا وراء هذه العلاقة، أو أن العلاقة ولدت في السجن.

أنا نفسي كنت أعرف مجموعة من الطلاب، كانوا كما يبدو مستقلين في فكرهم الداعي إلى المقاومة المسلّحة، ولكنهم قبل العام ١٣٥٠ (١٩٧١)، ارتبطوا بالمجاهدين وذابوا في تنظيمهم.

يمكن القول أنه من ذلك اليوم فصاعداً، كان الحكم يلاعبهم، حتى تكوّنوا، وكبروا، وجذبوا عدداً كبيراً من العناصر، وتنظّموا. واستطاع الحكم بناء على تخطيط مسبق وبتحرك صغير منهم أن يعتقلهم جميعاً. فإن العمليات الأساسية مرتبطة بحالة الكشف، وتقريب المواجهة غير المرغوب بها. عدد من العمليات المخطط لها، كقتال أحد الأميركيين، أو أحد كبار رجال السافاك، كان «دعاية مسلحة» أكثر من كونه عمليات مسلّحة. وكان إنجاز إحدى العمليات مادة للحديث في المحافل، ونشر البيانات والدعاية.

هذا التحليل مرتبط ببلاد كإيران من الممكن أن تتوحّد فيها أكثرية الناس حول رؤية موحدة عن طريق البرامج الدينية والاجتماعية، ولكن في مناطق أخرى كفلسطين وأمكنة أخرى مشابهة فالوضع مختلف، ويمكن أن ينحصر النضال في المقاومة المسلّحة.

موقف الإمام

طيلة هذه المدة، لم يصدر عن الإمام أي نوع من أنواع التأييد الرسمي للتحرك المسلّح، ولم يتكلم عليه كلاماً سلبياً، وإذا كان قد بدر عنه في بعض الأحيان موقف سلبيٌ ما، فالمقصود أيديولوجية بعض المجموعات المسلّحة، وليس التحرك أو المقامة المسلحة.

اكتسبت المقاومة المسلحة في هذه السنوات قدسية، وما كان لأحدٍ الجرأة على

انتقادها. وقد استمرت الحال على هذا النحو، حتى حدوث الانقسام في العام ١٣٥٤ (١٩٧٥)، وظهور بعض القضايا إلى العلن، الذي جرّ وراءه تراجع الملتزمين دينياً، عن تأييد المقاومة المسلحة فقد ولد لديهم سؤال جدّي، مفاده أن هؤلاء الشبان في أثناء الحياة السرية، وقطع العلاقة بالمحافل الدينية وبالعلماء، انجروا إلى الانحراف والكفر. كما أن التعب من أسلوب النضال هذا، أدى إلى تراجع مدى تقبله والسعي وراءه.

عام ١٣٥٤ (١٩٧٥) حين دخلنا السجن، مع أن معاداة المقاومة المسلحة كانت في الظاهر تعدّ نوعاً من أنواع الكفر، ومجالاً للاتهام بالتخاذل، ولكن إذا حفرت في أعماق القلوب ستقف على نوع من الندوب، وستصل إلى الخوف من سوء المصير، لقد كان أكثر المقاومين، قد يئسوا من إمكانية الانتصار بواسطة هذا الأسلوب من أساليب المقاومة.

خيانة وشماتة

بعد الانقسام داخل صفوف مجاهدي خلق، وصراعاتهم الداخلية، وتقاتلهم في ما بينهم، إنهار «وحيد أفراخته»، وقال كل ما كان يعرف (وكان يعرف الكثير)، وصارت الخيوط كلّها بيد الحكم، فوضعهم جميعاً تحت المراقبة، دون ضجة، وبأناة وصبر، حتى شكل فريقاً ووصل إلى حد من النضج، كانوا داخل السجن تابعين للنظام، فأخرجهم منه.

دبت حالة من اليأس داخل السجن، وأصيب الناس داخله بضربة روحية بسبب هذا الانقسام والانحراف، ولم يكن قد حدث عمل مهم أيضاً. لم يكن المتدينون راضين عن المقاومة المسلحة، بقدر ما سُرّ الماركسيون بارتداد المنافقين.

كان المنافقون قد قدموا تحليلاً مفاده أن المقاومة المسلّحة تسير في خطّ تصاعديّ إلى أن تصل في نهاية المطاف إلى الماركسية.

في الماضي كان الاختلاف في جبهات اليسار وأجنحته مشهوداً، واليساريون الآن سعداء للخلاف بين المتدينين.

لحسن الحظ ـ وفي أحلك المعابر والظروف ـ انفتح الجو السياسي إلى حدّ ما منذ العام ١٣٥٦ (١٩٧٧)، واتسع النضال ـ السياسي ـ الديني في البلاد، وتشجع الناس، وزادت المظاهرات، والخطب، والاجتماعات الموسّعة والمكثفة، وبعدها الإضرابات التي كانت تتزايد يوماً بعد يوم.

في مثل هذه الأجواء، أصبحت المقاومة المسلّحة بلا معنى كلّياً، واستجدّت ظروف، لم يعد في السجن من أحد لم يرتضِ بالإمام قائداً. وشيئاً فشيئاً تقبّل أبطال المقاومة المسلحة قيادة الإمام. هؤلاء أنفسهم هم الذين كانوا من قبل يتصورون، أن الإمام وسيلة لإدخال الناس في تجمعاتهم.

مع إمكانية أن يكون هنالك كلام آخر يجري في ما بينهم ـ بعيداً عن الآخرين ـ وكانوا مطمئنين إلى أن هذه المقاومة لن تصل في النهاية إلى أي مكان. لقد مهّد الإمام الأرضية الشعبية، ولما حان وقت توجيه الضربة النهائية المنتجة، ستقع الساحة في يد هذه المجموعات.

وقد رأينا بعد ذلك كيف انفصل هؤلاء الذين بادروا إلى المقاومة المسلحة، عن جماهير الشعب، وإلى أين وصل بهم الأمر، حيث أن أشدهم عنفاً، منضوٍ تحت المظلة الأميركية، وأكثريتهم يعتاشون من الجاسوسية والعمالة للإمبريالية، وإلحاق الضرر بأهلهم.

الإمام والاغتيال السياسي

على الرغم من صمت الإمام في أثناء القيام بالأعمال المسلحة، ولكن يمكن الاستنتاج من مجموع ملاحظاته، أنه لم يكن ليستسيغ المقاومة المسلّحة ولم يكن مؤيداً لها. إن هذه العبارة التي قالها في أحد بياناته في العام ١٣٤١ [١٩٦٢]، جديرة بالتأمّل:

قال: «أنا غير مطمئن إلى الثورة السوداء، وإلى الثورة من تحت. .» حسناً، ما معنى «الثورة من تحت» التي كان الإمام قلقاً منها؟ لقد أوضح الإمام في أحاديثه ذلك:

«قلت لهم إياكم وهذه الأعمال. أولاً. . إنها ليست إسلامية، وثانياً، لا فائدة من ورائها».

في حادثة «سياهكل»، كتب الإمام في رسالة إلى «جمعية الطلبة المسلمين في الخارج»، غير منشورة، ولكن صورتها موجودة:

«لا تخدعنكم تحركات الاستعمار في البلدان الإسلامية، كحادثة سياهكل، وحوادث تركية».

نحن نعرف أنه في الوقت الذي وقعت فيه حادثة سياهكل، قامت إحدى الحركات الطالبية اليسارية بعدد من الإضرابات. . .».

نحن لم نبحث هذا الموضوع مطلقاً، لم تُتح لنا الفرصة لذلك، ولكنني أعرف، أنهم قصدوا الإمام مرّة أو مرتين ليستأذنوا منه، ولم يوافق على القيام بعمليات إرهابية.

في السنوات الأولى، جاء ضابط برفقة أحد طلبة قم إلى الإمام، والتمس منه فتوى لاغتيال الشاه. كان يريد أن يزنّر نفسه بالقنابل، ويفجّره في أثناء مقابلته للشاه، ولم يعطه الإمام هذه الفتوى.

إذا كان السبب في هذه المرة، أن الإمام لم يثق بهذا الضابط فإن الذين طلبوا الإجازة لاغتيال «حسين علي منصور» كانوا موضع ثقة، ولم يتمكنوا من الحصول على موافقة الإمام، وعلى إجازة رسمية منه. مع أن الحديث في تلك المرة، لم يكن عن مقاومة مسلحة مستمرة، بل عن اغتيال واحد. .

حين انكشف [مجاهدوا خلق]، منذ الأيام الأولى لمحنتهم قاموا بخطف طائرة توجهوا بها إلى العراق، فوجّه آية الله طالقاني رسالة إلى الإمام، بدأها بالآية التالية: ﴿إنَّهم فتية أمنوا بربهم وزدناهم هدىً﴾،[1] مُرَكِزاً على الجوانب الإيجابية لديهم، لنيل تأييد الإمام، ولكن الإمام لم يوافق. على الرغم من المساعي التي بذلها لمساعدتهم على النجاة.

أنا نفسي، حين ضُربوا في السنوات الأولى، تمنيت على الإمام في رسالة وجهتها إليه، أن يؤازرهم، وأكدت له أنهم شبان صالحون، ولكن الإمام لم يؤيدهم، ولقد قام آخرون بمثل هذه المساعي، علّ تأييده يساعد في نجاتهم من الإعدام.

ولكنني في العام ١٣٥٤ (١٩٧٥)، حين زرته في النجف، قلت له: «كنا مصرّين على نيل تأييدكم لهم بأي شكل من الأشكال، ولكنكم لم توافقوا، وكان تصوّرنا أننا إذا قدمنا إليكم، سنسعى لنيل تأييدكم لهم. ولكننا الآن بعد انحراف جماعة منهم وارتدادهم، فهمنا أنكم مصيبون في موقفكم على الرغم من كونكم بعيدين عنهم وخارج الوطن،

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

ونحن في الداخل. لقد قدمنا إليهم المساعدة لمدة ثلاث أو أربع سنوات، وها هم الآن قد أعلنوا الكفر. من المحتمل أن تقوم في هذه الأيام مساعٍ جديدة لنيل موافقتكم، التماسنا أن تتابعوا نهجكم..».

إضافة إلى رفض الإمام للعمليات المسلحة رفضاً مطلقاً، كان لديه بالنسبة إلى الأحزاب السياسية حساسية خاصة. كان يقول لنا دائماً: «لا تقتربوا من هذه الأحزاب، إنهم معقّدون، سيستغلون بساطتكم وإخلاصكم، ويحمّلونكم وزر أعمالهم».

أما قوله في المدة الأخيرة: «إن لم يكفّ النظام عن استخدام العنف، من الممكن أن نعيد النظر بأساليب المقاومة»، أو قوله في أحد البيانات رداً على حكومة بختيار العسكرية: «أنا حتى الآن لم أعلن الجهاد، ولكنهم إن لم يعودوا إلى أماكنهم، واستمروا في قتل الأبرياء، من الممكن أن نأخذ قراراً آخر...»، فليس بمعنى العمليات المسلحة بمفهومها الحرفي، وإنما بمعنى «الحرب»، كما حدث في الثاني والعشرين من بهمن ١٣٥٧ (١١ شباط ١٩٧٩).

للتذكير

لتكتمل المواضيع التي ذكرناها، والمتعلقة بالمقاومة المسلحة، يجب أن نضيف إليها النقاط التالية:

أ ـ باستثناء موقف الإمام، كان لرجال الدين تواجد في جميع حركات المقاومة المسلحة السابقة. في حركة «فدائيي الإسلام» كانت المشاركة واضحة وفي تجمع هيئات «الائتلاف» كان السيد «أنواري» مشاركاً، وكان الآخرون يدعمون التجمع على نحو معين.

عناصر «حزب الملة الإسلامي»، مع أنهم لم يقوموا بعمليات مسلحة، ولكنهم كانوا مؤمنين بالمقاومة المسلحة، وكان السيد محمد جواد حجتي أحد أركان التجمع.

في عمليات المقاومة التي نفّذها مجاهدوا خلق، قدّم عدد من رجال الدين الدعم والمساعدة والحماية: بتوضيح وجهات النظر والدوافع وأمور أخرى متفرقة، من السيد طالقاني الذي كان موضع ثقتهم المطلقة إلى آخرين... أنا نفسي قدمت لهم الدعم، وواجهتني بسبب ذلك متاعب عديدة.

ب ـ على الرغم من مبالغة البعض في الحديث عن تأثير العمليات المسلّحة، لكنّ المقاومة المسلحة، لم يكن لها في تقديري مثل هذا التأثير، إنما وعكس الدعايات التي كان يطلقها المقرّبون من هذه المجموعات أنتجت أصداء جاءت لمصلحة المقاومة. فقد كان لنضال بعض عناصرهم، وجرأتهم في المواجهة في أثناء التحقيقات وفي جلسات المحاكم، أصداء قوبلت بالاستحسان.

كان الواقعون تحت تأثير تلك الحوادث، يتحدثون عن بطولاتهم ـ روايات واقعية أحياناً، ومبالغ بها ودعائية في أحيان أخرى ـ وقد كانت مادةً للحديث في المحافل والمجالس، وكان لها تأثير ملموس في المجتمع.

ج ـ لم أكن شخصياً على معرفة وثيقة بمؤسسي «مجاهدي خلق» أمثال «حنيف نجاد»، كنت أعرفهم من بعيد. وقد جرت في ما بعد بعض النقاشات بيني وبين بعض الأعضاء. رأيي بالإجمال أنهم كانوا مسلمين، وأنهم أعجبوا وآمنوا بالماركسية. كانوا التقاطيين، وربما كان إطلاعهم على الإسلام سطحياً، ولم يروا تناقضاً بينه وبين الماركسية. كانوا يعتقدون انطلاقاً من تحليلات وتفسيرات مغلوطة أن الثورات الناجحة في العالم هي الثورات الماركسية فقط.

كانت معرفة النضال والمقاومة في رأيهم محصورة بالماركسيين، وانصبّت جهودهم على التوفيق بين الإسلام والماركسية، بأي شكل من الأشكال، مع اعتقادهم أن لا تعارض بين ما يقوله الإسلام وما تقوله الماركسية.

أنا لا أقصد من كلامي هذا، الذين ارتدّوا عن الإسلام أمثال «بهمن بازرگاني»، أو الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام نفاقاً، وإنما آخرين، كانوا يصلّون ويصومون، ولكن تفكيرهم في ما يتعلق بالمعارف الإسلامية مختلف عن تفكيرنا.

كانوا يؤمنون أن الله هو المسيّر لنظام الكون، ولكنهم يرفضون بحث مواضيع الآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار.

ألقيت بعد مقتل «أحمد رضائي» خطبة في سجن «إڤين» تحدثت فيها عن مقام الشهيد مستشهداً بروايات تتحدث عن مقامه المعنوي. وذكرت العبارة التي تقول: «إن الملائكة يحضرون لاستقبال الشهيد...».

بعد الخطبة قالوا لي: لقد خجلنا من طرح هذه المواضيع أمام الشيوعيين. . كانوا معارضين لطرح الأبحاث المتعلقة بما وراء الطبيعة. كذلك كان تحليلهم التاريخي، تحليلاً ماركسياً، ولا فرق تقريباً بينه وبين المادية التاريخية.

كذلك بالنسبة إلى موضوع التطور كانوا يستندون أيضاً إلى الأصول ذاتها، التي تستند إليها المادية الديالكتيكية. مع محاولة إقحام الله في الحديث عن الأصول الأربعة المعروفة.

د ـ لا يجب أن ننسى في نهاية حديثنا، أن هنالك تحريفات وتشوهات التصقت بالإسلام، بسبب العزلة وانحرافات الحكام الأمويين والعباسيين وغيرهم، ولم تؤخذ في الاعتبار متغيرات الزمان في كثير من الأمور، كما أننا لا يجب أن نغضّ الطرف عن تأثير تلك التشوهات السابقة في تمهيد الأرضية للانحرافات اللاحقة، ولكن طريق إصلاح الانحراف، لا يسوّغ سلوك طريق انحراف جديد.

الاعتقال في العام ١٣٥٠ [١٩٧١]

في أثناء الحوادث التي كُشفت فيها منظمة مجاهدي خلق في العام ٥٠ (٧١)، وكنا لا نزال في تلك الأيام نقوّم تلك الحوادث تقويماً إيجابياً، وكنا نعتقد أن العمليات المسلّحة مفيدة للنضال، أرسلت بواسطة أصدقائي في فرنسا رسالة إلى الإمام، ألتمس منه القيام بعمل ما لدعم هذه الحركة، لعلّ ذلك يمنع تنفيذ حكم الإعدام عن المعتقلين منهم. وبما أن الساڤاك كان يراقب صندوق بريد «قطب زاده» وقعت هذه الرسالة بيدهم.

التحقيق بشأن الرسالة الموجّهة إلى الإمام

كانت تلك الرسالة تضمّ، إضافة إلى الاقتراح بدعم مجموعة انبرت للمقاومة المسلّحة، بعض المسائل الأخرى، ومن جملتها، ثناء على كتاب الحكومة الإسلامية الذي هو عبارة عن مجموعة من الدروس التي كان الإمام قد ألقاها في حوزة النجف، وأعاد السيد جلال الدين الفارسي تنظيمها، وبعض الذكريات الأخرى.

عن طريق هذه الرسالة اعتُقل السيد محمد توسلي ـ هو الذي تولى رئاسة بلدية

طهران في أعقاب انتصار الثورة ـ ومن هذا الطريق طرح اسمي واسم المهندس سحابي، مما أدىٰ إلى اعتقالي، لأن هذه الرسالة التي كنت قد أعطيتها للمهندس سحابي، كان هو قد سلمها إلى السيد توسلي ليرسلها بدوره إلى «قطب زاده».

اعتقلت عدة أيام في زنزانة انفرادية في سجن «قزل قلعة»، وقد جرت تحقيقات متفرقة. كان يشاركني الزنزانة نفسها أحد المتهمين بالمشاركة في حادثة «سياهكل» ـ الذي ربما كان قد جذبه السافاك للتعاون معه ـ للتوصل إلى الخيوط الأساسية، وجمع المعلومات، ولا أعرف إذا كانوا قد توصلوا إلى نتيجة من هذا العمل أم لا.

في سجن إڤين

نقلت بعد مدة قصيرة إلى سجن إڤين ـ كان الفصل شتاء والثلج ينهمر. لم تكن قد زيدت هذه الإضافات الحالية على سجن إڤين. وكانت تُسْمَعُ فيه أصوات الانفجارات والمقالع في الجبال. لم يكن سجن إڤين القديم مكاناً سيئاً، كانت حديقة بهية في وسطها صالة محاطة بعدد من الزنازين في الطابق السفلي، وعدة زنازين في الطابق العلوي. أدخلونا إلى الطابق الأول، وبعد ذلك إلى العُلوي، ولكن كانت الزنزانة الأولى أفضل.

شبهة التسمم

بعد دخول السجن مباشرة، صادفتني حادثة غريبة. قدموا إليّ الشاي، فلم أشربه، فألحُّوا علي، وبالزور والإكراه صبّوه في فمي، لم أفهم غاية هذا الفعل، فكّرت أنهم ربما كانوا يريدون أن يسمموني بهذه الطريقة، وما قوّى لديّ هذا الاحتمال، أن تغييرات قد طرأت على وضع المثانة، وتكرّر التبول، وربما كان مردّ ذلك على الأرجح، إلى الارتفاع عن سطح الأرض واختلاف المناخ. في كل الأحوال، اقتنعت في تلك اللحظات أنني قد أصبت بحالة تسمم، وقفت في وسط الصالة، وعرّفت عن نفسي، وصرخت بصوت عالٍ: لقد سمّموني.

انتشرتْ شائعةُ تسميمي في السجن لعدة أيام.

شرع «منوچهري» باستجوابي والتحقيق معي، بالتخويف والتهديد والإهانات:

«سنربطك بعمامتك إلى الشجرة». كانت المرة الأولى التي يأخذون فيها ثيابي، ويعصبون عيني، جلدوني ولكن ليس بالشدّة التي عُومِلْتُ بها في العام ١٣٤٣ (١٩٦٤). فقد اقتصر الأمر على اللكم والرفس. وقد أظهر «حسيني» الجلاد المعروف مخالبه وأنيابه.

لا أذكر الآن تفاصيل الأسئلة في ذلك التحقيق، بصورة عامة، لم يشيروا في البداية إلى موضوع الرسالة بصراحة، وفي النهاية، كان لا بد من ذكرها: فكان ردي هو التالي:

لقد اعتقل عدد من الشبان المسلمين، لا أعرف من هم ولا أبعاد عملهم، وهدف مسعاي كان أن لا يُعدم أحد بلا سبب. فلقد كان في الرسالة تفاصيل توضح أنني لست متورطاً في هذه الحادثة.

لقد خلطت في كلامي مثلاً بين أبناء أحمد زاده و[مجاهدي خلق]. وكان واضحاً بالنسبة إليهم أن هاتين حادثتين منفصلتين.

شعر على حائط الزنزانة

من الأشخاص الذين التقيتهم في ذلك السجن، والد علي رضا زمرديان، كان في زنزانة قريبة من زنزانتي. كانت معنوياته عالية، وكان كثير العبادة كذلك؛ كان هنالك أشخاص آخرون كذلك؛ لا أتذكر الآن بدقة الأسماء، ولا تفاصيل القضايا أو المواضيع التي كنا نتبادلها في أثناء تجوالنا، ربما لأنني كنت في هذه المدة في السجن الانفرادي، لم تكن الأحاديث المتبادلة كثيرة.

على حائط إحدى الزنزانات، كان مكتوباً هذا البيت من الشعر، أعجبني كثيراً وأثّر بي.

كلّ ليلة تنجذب نجمة نحو الأرض فيتجدد حزن السماء لفراق النجوم

حفظ القرآن في السجن

حوالى الشهرين، كانت المدة التي أمضيتها في ذلك السجن، ملأت معظم أوقات الفراغ بحفظ القرآن، مستفيداً من الوحدة، كنت أحفظ يومياً مجموعة من الآيات [حزباً]، وأراجع ما حفظته في الأيام السابقة. حفظت في تلك المدة خمسة عشر جزءاً من القرآن

بدقة. وكان يسمح لنا أيضاً بالتنزه في الحديقة واذكر انني، كتبت على جذوع الأشجار بعض الذكريات، لا أستبعد أن تكون ما زالت حتى الآن.

فكرةُ الكتابة على جذوع الأشجار، خطرت لي حين رأيت كتابات المساجين السابقين.

في «قزل قلعة» من جديد

لم نلتق أحداً هنالك. فبحسب العادة كانت الزيارات ممنوعة في ذلك السجن، ومن يُسمح له بلقاء زائر وقتها كان يؤخذ إلى سجن قزل قلعة، وبعد اللقاء كانوا يعيدونه.

كانت رخص الزيارة تؤخذ من سجن «قزل قلعة»، ثم تحوّل إلينا. انتقلنا بعد شهرين إلى الحبس العمومي في سجن «قزل قلعة»، القسم/ ٤، غرفة كبيرة في الجهة اليمنى من المدخل، وفي المقابل ثلاث غرف أخرى هي الأقسام ١ و٢ و٣. ومن الجهة اليسرى، المطبخ الذي كان بابه يُفتح على الممر.

مع المجموعات المسلّحة

كان في الحبس العمومي عدد كبير من المعتقلين، فحوالى ست عشرة مجموعة مسلحة، وبأسماء مُختلفةٍ، كانت قد كُشفت، وكان هنالك أيضاً السيد «ربّاني شيرازي»، كما وأن معظم أعضاء منظمة مجاهدي خلق ـ عدا المجموعة المركزية ـ كانوا هنالك. من الأشخاص الذين أتذكرهم المهندس «سحابي» والسيد «محمد توسلي»، اللذين كانا يشاركانني التهمة نفسها تقريباً. مجموعة المجاهدين كانوا ينتهجون أسلوب [التأطير]، وكانوا قد وضعوا السجن تحت تصرفهم. كان لنا هنالك برنامجٌ خطابي، وهم كانوا ينشدون الأناشيد الحماسية، وكان بينهم واحد يدعى «سحر خيز» ـ من مجموعة فدائيي خلق ـ كان يردد نشيداً، أعجبني كثيراً وقد حفظته:

«قم وناضل، أيها الشعب المناضل، حطّم الأغلال، كسّر الأقفاص».

كانت علاقاتنا جيدة؛ كانوا يتوقعون أن نساعدهم، وقد بذلوا كل ما في وسعهم لاستمالتنا إليهم. فقد كانوا يصومون وبخاصة الاثنين والأربعاء، موعد الزيارات

الأسبوعية، حيث يُحضِر الزوّار الطعام والفاكهة معهم، وعادة كانوا لا يهتمون بتنوع الطعام في أيام الصوم، وكان هذا السلوك من شأنه أن يحسّن صورتهم أمام الزوّار، كما أنه كان عملاً دعائياً.

ثقافة السجن في عامي ١٣٥١ و١٣٥٢

كان لدينا في السجن برامج متعددة، ربّما جاء في الخواطر تفصيلٌ لبعضها دون البعض الآخر، فأنا مثلاً، لا أزال أذكر كيف أن السيد ربّاني ضمن بحثٍ له، قرأ حديثاً يحكي عن قيمة الصناعة والتجارة، غضب [مجاهدو خلق]، لأن التجارة في الاقتصاد السليم، مرفوضة بحسب وجهة نظرهم، فلقد كانوا ميّالين إلى الاقتصاد الماركسي وليس فيه مكان للتجارة. وقد استغرق بحث هذا الموضوع وقتاً طويلاً.

في ذلك العام، في عاشوراء، أقام المتدينون برنامجاً جيداً في «قزل قلعة»، أُنشِدَتْ مراثٍ بالإمام الحسين، بمضامين تلائم قضايانا الراهنة، ونضالنا.

توزّعنا في تحويطة السجن، مجموعات مجموعات، وأخذنا ننشد معاً بصوت مرتفعٍ ونغم موحّد، كل مجموعة بدورها تنشد مقطعاً، وهكذا دواليك. لم يشارك الشيوعيون في هذه الأناشيد الحماسية.

كانت آيات سورة «محمد»، شديدة الجاذبية بالنسبة إليهم [إلى المجاهدين!] وكانت هذه السورة وكتاب «الإمام الحسين»، من ضمن برنامج الدروس العمومي: فقد كان المجاهدون يلقنون المساجين المتعاطفين معهم، دروساً، وهكذا يستميلون من يدخل السجن تحت ستار التعليم، ويضعون له برنامجاً، وقد سعوا لوضع برنامج خاصّ لنا، وكانوا في أثناء «رياضة المشي»، يبحثون ويناقشون، وكانت أحياناً تصادفهم مشاكل، وأحياناً تأتي النتيجة عكس ما كانوا يتوخّون. لقد أمضينا في هذا الجناح حوالى الشهرين.

وكا أفضل ما اكتسبناه في هذا القسم من السجن، تعرُّفنا عن قرب إلى المجموعات التي كانت في تلك المرحلة تنفّذ عمليات المقاومة المسلحة. وبخاصة المجاهدين وأفكارهم. وعلى الرغم من اختلاف آرائنا في بعض المواضيع عن آرائهم، فقد جرى التركيز في ذلك السجن على النواحي الإيجابية.

الحماية والدعم

كان رأيي بهم وتقويمي لهم إيجابياً، لم أسجّل عليهم أيّ نقطة ضعف كما أنَّهُ بعد الإفراج عني كنت أدافع عنهم خارج السجن.

كنا نعقد في ذلك الحين جلسات مع بعض الأصدقاء من «الائتلاف» مثل «عزت خليلي»، و«جواد رفيق دوست»، و«توكلي»، وكنّا قبل مرحلة السجن نعمل على تشكيل تنظيم خاص، ولكن بعد هذ المرحلة، اعتمدنا أسلوباً آخر، وأخذنا قراراً بعدم تشكيل تنظيم جديد، وأن نترك القوى تنضم إليهم.

الخلاصة أن سياستنا بمجملها كانت دعمهم، دون ارتباط فئوي أو حزبي بهم، أو انتساب إلى تنظيمهم.

إحدى ذكريات «قزل قلعة»

إحدى ذكريات هذا السجن الطيبة، التي لا تزال في خاطري، هي تلك المرة التي اشترى فيها السيد «مرواريد» صندوق فاكهة، وأعطاه لعائلتي لتقدّمه إليّ في السجن. في «قزل قلعة» لكنهم رفضوا السماح لهم بإدخال الصندوق، وبما أن إعادته صعبة ومتعبة والعائلة بحاجة إلى المال، قررت بيعه إلى تاجر فاكهة قريب من السجن، وهنالك التقت العائلة وجهاً لوجه بالسيد مرواريد، فكان الموقف محرجاً ومخجلاً، وحُلّ الإشكال بعد التوضيح.

سجن عشرت آباد

بعد مدة، نقلت مع مجموعة إلى سجن «عشرت آباد». كان سجناً تابعاً للثكنة العسكرية، شبيهاً إلى حدّ ما بسجن «قزل قلعة». مؤلفاً من صالةٍ محاطة بثماني زنزانات إفرادية، وفناء مع عدد من الغرف العموميّة، كانت قد أضيفت لزيادة الاستيعاب. علماً أن عدد السجون في تلك الأيام كان كبيراً.

وضعونا في الزنزانات، ولكن أبوابها لم تكن مقفلة، لذلك كنا ساعة الغداء، نتجمّع ونأكل معاً. وقد كان هذا السجن يُسْتَخْدَمُ عادةً، للمساجين الذين أنهوا مراحل التحقيق،

وينتظرون المحاكمة. وكان قريباً من المحكمة العسكرية، ويسهل أخذ المساجين إلى المحكمة وإعادتهم إلى السجن.

هذا هو السجن نفسه الذي احتُجز فيه الإمام بعد حوادث ١٥ خرداد، وهنالك آثار تدلّ على تواجده فيه، وقد وضع أولاً في زنزانة انفرادية، ثم نُقِلَ بعد ذلك مع السيدين قمّي ومحلاتي إلى العمومي.

روى الإمام بعد الإفراج عنه، أنه كان يصاب فيه أحياناً بضيق في الصدر، وكان يضطرّ أن يقف وراء نافذةِ بابِ الزنزانة، ويلصق أنفه بالنافذة، ويأخذ نفساً عميقاً، ليستعيد أنفاسه.

تدريس القرآن وذكرى «بدر»

نُقلنا إلى المحكمة، وصدر الحكم بحبسنا سبعة أشهر. كان سجن «عشرت آباد» جيداً بصورة عامة. أمضينا المدة كاملة، وكانت هنالك مجموعة جيدة، وبما أن أبواب الزنزانات كانت مفتوحة، أتيحت لنا إمكانيَّة التجمّع.

ألقَيْتُ هنالكَ درساً في التفسير ـ من الآيات الأولى من القرآن ـ شارَكَ فيه السيد محمد مصطفوي وأخوة الطريقة. لا أنسى كيف أن عناصر «مجاهدي خلق» حين وصلنا إلى هذه الآية من سورة البقرة ﴿وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوةٍ وآذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون...﴾، رفضوا تصديق المعجزة؛ لم يستطيعوا تحمُّلَ هذه الآيات التي تتضمّن إعجازاً.

كانوا يرغبون أن تفسَّر على نحوٍ لا يتعارض والتحليل المادي، وقد كانت تبذل أحياناً مساعٍ من هذا القبيل.

حلّ عيد النوروز عام ١٣٥١ [١٩٧٢] وكنا لا نزال في السجن، وصادف يوم الثالث عشر [ذكرى معركة بدر]، افترشنا الأغطية في فناء السجن، وأعطيت عائلاتنا تراخيص بالزيارة.

ذريعة للاعتقال

بعد الخروج من السجن تابعت العمل بالبرامج السابقة لمدة من الزمن، وبما أنَّني

كنت ممنوعاً من اعتلاء المنبر» ـ والساحات خالية في تلك الظروف ـ فقد كنت أديرُ شخصياً بعض الجلسات، ثم بعد تزايد الضغوط، كان لا بد من أن أطلب المساعدة من الأصدقاء الآخرين، في هذا المجال.

في أوائل شهر يور ١٣٥١ [١٩٧٢]، سافرت إلى رفسنجان، ومنها، كنا ننوي متابعة السفر إلى نوق. دخلت متجراً لشراء بعض الحلوى، وحين عدت، تذرع شرطيّ بأن السيارة واقفة في مكان ممنوع الوقوف فيه، على الرغم من وجود زوجتي وأطفالي في داخلها، وأخذني إلى المخفر، حاولت إقناعه بجميع الطرق فلم يقتنع، كان واضحاً أن السبب الأصلي هو شيء آخر، وأن موقف السيارة ذريعة فقط.

كنت مطلوباً من كرمان، حوالى منتصف الليل أو قريباً من الصباح، نُقلت إلى كرمان، وبعد تحقيق أوّليّ أودعتُ السجن.

كان سجن المخفر عبارة عن صالة مقسومة إلى قسمين بحاجز حديديٍّ، قسمٌ للرجال وآخر للنساء، من الذين كانت جرائمهم تتراوح بين المخدرات والسرقة والتهريب.

احتُجِزت هنالك عدة أيام، وكانوا هم أنفسهم يجهلون أسباب الاعتقال، قالوا إنك مطلوب من طهران، ثم جاء من طهران اثنان من السافاك في جيپ، حوَّلوا أوراقي، ونقلوني إلى طهران. وعادت عائلتي بسيارتنا.

وداعاً قزل قلعة

في طهران، قادوني إلى «قزل قلعة»، ووضعوني في زنزانة إفرادية. كان في الزنزانة المقابلة «علي رضا زمرديان»، وكان هنالك أيضاً أحد أعضاء «الاتحاد»، والذي كان والده أحد قادة الجيش.

هذه المرة لم يستخدموا العنف، كانوا يعطوننا الكتب، وليس لديهم موقف منا. عرفت بعد ذلك أنّ السبب الأصلي وراء هذا الاعتقال، سفر زوجتي إلى قم ومشاركتها في تجمع عوائل المجاهدين الذين نفَّذوا اعتصاماً في منزل شريعتمداري، وكانت قد احتجزت هي وزوجة السيد «مفتح» عدّة ساعات في قم، وكانوا يتصورون أنني منظّم ذلك الاعتصام، وأرادوا أن يتوصلوا من خلال التحقيق إلى خيط ما. أنكرت التهمة من

أساسها، وقلت ما أقنعهم، أي بأنها قامت بتلك الخطوة من دون علمي نهائياً، ولإصلاح الوضع اتخذوا قراراً بمقابلةِ المقدّم.

مع المقدّم

نقلوني إلى مركز الساڤاك الذي كان قد أنشئ حديثاً، لمقابلة المقدّم. سعيت في هذا اللقاء لأقناعِ المقدّم، بأن استخدام التعذيب، يدفع الناس دفعاً باتجاه المقاومة.

كان الحوار بيني وبينه، قد نجح في إعادة النظر بأساليب التحقيق، فقد أدّى في نظري خدمة كبيرة للمقاومة والمقاومين، لأن التعذيب في السجون كان في تلك الأيام مصدر قلقٍ وخوفٍ للكثيرين، من الذين أعرضوا عن المقاومة خوفاً من السجن والتعذيب، وإلغاء التعذيب معناه تزايد أعداد الذين سينضمُّون إلى صفوف المقاومة.

كان اللقاء بالمقدّم ناجحاً، وقد استنكر التعذيب كلّياً، وكان يبدو أنه إنسان منفتح فكرياً. طالت مدة السجن هذه المرة شهرين ونصف الشهر، وبدون تحقيق واستجواب تقريباً. وقد تبين أنهم غير مطّلعين اطلاعاً دقيقاً على نشاطاتي.

من الأعمال التي أنجزتها في هذه المرحلة ملاحظات حول نظرة القرآن إلى «الأشراف». كما أنني قرأت في الزنزانة كتاب پتروشفسكي: «تاريخ القرون الوسطى». كان فيه تحليل مغلوط لعصر الإسلام، وللردّ عليه أعدت قراءة القرآن، ودوّنت بعض الملاحظات.

اختلاف الرؤيتين

بعد الإفراج عني صرت أتحرك بحيطة وحذر زائدين، آخذاً في الاعتبار الظروف الخاصة لتلك المرحلة، وبما أن النظرة السائدة، كانت توسيع نطاق العمليات المسلحة، حاولنا جاهدين أن لا نُعتقل بسبب الخطب والإعلام والبيانات، كما كنا نعمل على تمتين العلاقات، ومتابعة النشاطات الثقافية والتثقيفية، ودعم المقاومة دعماً مادياً، وإعداد المقاومين فكرياً، ولم يُظهر الحكم حساسية معينة تجاهنا سوى بعض المحاضر والتنبيهات والمذكرات. كان البعض يرى أننا يجب أن نقدم على عمل يصدم النظام، ويدفعه إلى الردّ

بأقصى درجات العنف، وهذا بدوره يدفع المقاومة بدورها إلى الحدّ الأقصى الممكن من العنف.

نشاطات مستمرة

آخذاً في الاعتبار الظروف العامة لتلك المرحلة، وضعت مجموعة من البرامج من ضمن خطة العمل:

١ ـ إنجاز أبحاث وتحقيقات علمية، تكون في الوقت عينه غذاءً ثقافياً للمقاومة، وسبيلاً لتشغيل المناضلين، الذين كانوا يعانون من البطالة بسبب ضغوط الحكم، ووسيلة لتأمين بعض أعباء الحياة.

شكّلتُ لهذا الغرض مجموعتين من المحقّقين: واحدة لدراسة نهج البلاغة، وأُخرى لإعداد تاريخ جامع شاملٍ عن حياة الأئمة.

وضعتُ لنفسي مخططاً كاملاً لكل واحد من العملين، كما أنني تابعت الإشراف في مرحلة التنفيذ. بالنسبة إلى «حياة الأئمة» كان المخطط يتألف من أربعة عشر باباً، وعشرات المواضيع، وكُلّف كلّ واحدٍ من فريق العمل، بقراءة كتابٍ وتقميشه، ووضع الملاحظات، وإعداد البطاقات اللازمة. وكنت أنا أجمع البطاقات منهم وأضعها في ملف خاص، وكنت أدفع مقابل كل ساعة عمل خمسين ريالاً.

العمل لم يكتمل، ولكن «القصاصات» ذخيرة قيمة، هي الآن بتصرف مجموعة من محققي حوزة قم العلمية، التي أتمنى أن ترى النور ذات يوم، كأثرٍ خالد رفيع المستوى.

أما بالنسبة إلى «نهج البلاغة»، كان هدفنا تبويبه، وفهرسة مواضيعه ومعارفه، هذا العمل تابعه فيما بعد السيد «معاديخواه»، وقد أبصر أحد أجزائه «فرهنگ آفتاب» [شمس الثقافة]، وهو الآن في متناول القرّاء. (أما تكاليف المخططات فقد موّلها أحد معارفي من متموّلي رفسنجان).

٢ ـ النشاط الاقتصادي: كان يتمحور حول شراء الأرض وتشييد الأبنية وبيعها، كان لهذا النشاط فائدة كبيرة، فقد كان قبل الثورة وبعدها وسيلةً لمساعدة المحتاجين من أهلها، كما أنه كان مفيداً لنا.

٣ ـ النشاطات الثقافية الخاصة: مثل تأسيس مدرسة الرفاه، منتدى التوحيد، ومؤسسة الرفاه، والمساعدة في أنشطة حسينية الإرشاد، ومواضيع عديدة أخرى كانت مفيدة وبنّاءة من ناحية، وستاراً لإقامة العلاقات بين المقاومين، وتسهيل اجتماعاتهم من ناحية أخرى.

رحلة إلى خارج البلاد

كنت قد تشرّفت قبل الثورة بالسفر مرتين إلى مكّة المكرّمة، في المرّة الأولى رافقت والديّ، وساعدتهما كثيراً لمعرفتي باللغة العربية، فقد كان عدد كبير من المشاكل يواجه الحجّاج في تلك الأيام، فلم تكن قوافل الحجيج منظّمة، وبلاد الحجاج متخلّفة، مما يفرض علينا أن نحمل معنا كلّ ما يلزمنا.

كان عدد الحجاج في ذلك الحين قليلاً جداً، وكانت رحلة الحجّ، ولقب الحاج امتيازاً اجتماعياً، وصرتُ أدعى في الحوزة بعد عودتي بـ«الحاج الشيخ»، وكان لقباً جيداً.

المرة الثانية، سافرت إلى مكة للحج بالنيابة. كذلك، سافرت إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة، ومشاهدة الحوزات العلمية، ولقد كان من رفاق تلك الرحلة، آية الله خامنه إي والسيد جعفر شبيري وبعض الأصدقاء. كانت رحلة مفعمةً بالذكريات، جرت في عهد رئيس الوزراء الدكتور أميني، الذي قدّم إلينا تسهيلات السفر إلى كربلاء، وقد حصلنا على جواز السفر بسهولة، برسم لا يتجاوز الخمسة عشر توماناً؛ ولقد كانت هذه الرحلة مفيدة لنا.

في موقف سفريات قم، الذي كان أحد مراكز السفر المهمّة في تلك الأيام، ودَّعَنا أصدقاؤنا من طلبة قم وداعاً حاراً، وزوّدنا بالعديد من الهدايا.

وكان من المواقف المثيرة والمسلية التي أذكرها من رحلتنا تلك، أن بعض الأصدقاء قطّعوا البصل واللفت والجزر، حلقاتٍ حلقات، ووضعوها في علب وخلطوها بالطحين، وأهدونا إياها على اعتبار أنها علب «گز»،[١] واستبدلوها بما كان في حوْزتِنا من علب الحلوى.

---

(١) الگز: حلوى إيرانية يطلق عليها في لبنان اسم المن والسلوى.

في كربلاء، زارتنا مجموعة من طلبة النجف، ففتحنا علب الحلوى لنضيّفهم وكانت لحظة محرجة وطريفة في آن.

أتذكر نادرة أخرى متعلقة بالسيد شبيري الذي كان قد وضع أغراضه الشخصية في جورب نسائي بدلاً من الحقيبة أو الكيس. كما أنه خبّأ نقوده في أماكن متفرقة من ثيابه تحت بطانة الثوب، وأعاد خياطتها، فاكتشفنا المخبأ، وكنا نفتّش ثيابه باستمرار.

في العامين ١٣٥٣ و١٣٥٤ (١٩٧٤ـ١٩٧٥)، لخدمة أهداف الثورة، سافرت مرتين متتاليتين إلى الخارج. وكان من دوافع هاتين الرحلتين، أن الجميع، بعد الضغوط المتزايدة للحكم، باتوا يفكرون في الاستفادة من الإمكانات والظروف المتاحة في الخارج. ولا يجب أن ننسى أن طريقة المقاومة قد تغيرت، بعد تزايد موجة العمليات المسلّحة، وكشف النظام لها، واعتقال أفرادها؛ لم تكن فكرةُ السفر إلى الخارج قد راودتنا من قبل، ولكن بعد كلّ ما جرى، قررنا السفر.(١)

كانت التنظيمات كلها، قد أوجدت مقرات لها في الخارج: «الجبهة الوطنية»، «نهضت آزادي»، «المجاهدون»، «اليسار»... نحن أيضاً فكرنا بتشكيل تنظيم لنا في الخارج، وقد دفعنا ذلك إلى القيام برحلتين:

ـ الرحلةُ الأولى كان يغلب عليها طابع الاستكشاف، أما الثانية، فقد أنجزنا فيها بعض المهام، مستفيدين مما كنا قد توصلنا إليه من قبل.

كانت المقاومة السلمية ـ البيانات والخطب الانتقادية ـ قد فقدت جاذبيتها وعدّها المناضلون في بعض الأحيان، انحرافاً عن خط الثورة. هذه المسائل لم يتنبّه إليها سوى أهل الثورة، فكان من الطبيعي في ظل هذه الأجواء، أن نفكر بالاستفادة من الظروف المتاحة في الخارج لخدمة الداخل، ولنتمكن من إيصال صوتنا ورسالة المقاومة إلى العالم: ولقد قمت لهذه الغاية برحلتين إلى الخارج:

(١) سافرت في مرحلة الشباب مرة إلى العراق، ما لم أقله، أننا حين عودتنا من الحج أنا ووالديّ سافرنا معاً إلى العراق، لزيارة العتبات المقدسة، في تلك الرحلة، وقع في المنزل إبريق مليء بالماء المغلي على يد والدي، فاحترقت حرقاً بليغاً، لم يؤثر فيه العلاج في أثناء الرحلة ولا بعدها، وطالت آلامه لعدة أشهر. ربما كان ذلك الحرق ونتائجه وراء قصر عمره.

واحدة في العام ١٣٤٣ (١٩٦٤)، وأخرى في العام ١٣٥٤ [١٩٧٥]، بهدف واحد هو تعزيز المقاومة في الداخل، بواسطة الإمكانات المتوافرة في الخارج.

وقد كان لي شخصياً دافعٌ آخر، وهو التوصّل من قرب إلى معرفة أوسع بالغرب، فقد كانت الظروف في تلك المرحلة تختلف على ما هي عليه اليوم، من حيث العداء للغرب والحساسية اتجاهه. كان كل من يريد الإصلاح في الوطن، يرى من المفيد رؤية تلك البلاد، والاطلاع على نقاط القوة والضعف فيها عن كثب. ولقد كان لي أيضاً مطالعات وافية نسبياً في هذا المجال.

تقويم الإقامة في الخارج

كان للرحلة الأولى منحىً معرفيّ، وفي الرحلة الثانية حقّقتُ إنجازات مهمّة، استناداً إلى المعلومات المكتسبة من الرحلة الأولى، ومستفيداً من الإمكانات التي كنت قد أعددت لها في داخل الوطن.

كان الهدف الأصلي بالنسبة إليّ، من وراء جميع المساعي هو الداخل، والنتيجة التي استقيتها من الرحلتين، مفادها أن المقاومة الحقيقية، هي المقاومة في داخل الوطن، في حين كان البعض قد اختار الاستقرار في الخارج.

كان تقويمي لنتائج الرحلتين ـ بعد دراسة المعطيات الخارجية ـ هو التالي: أن النضال في الخارج تابع للنضال في الداخل ومرتبط به، ويمكن تكبير ما يحدث في الداخل، بالاستفادة من إمكانات الخارج، لكن! ما لم يحدث شيء في الداخل، لا يمكن إنجاز عمل مهم في الخارج، وسيحس الواحد منا، أولاً بأول بعدم جدوى بقائه في الخارج، وسيشعر أنه عالة على الآخرين.

في أثناء رحلتي الثانية إلى بلجيكا، سمعت خبر الاعتقالات والحكم الذي صدر بحقي غيابياً، فكان من الطبيعي أن أتريث في العودة، فالعودة بعد اعترافات المعتقلين معناها: السجن، والتعذيب، والاستجواب و.. قد نصحني جميع الأصدقاء هنالك بالبقاء خارج البلاد، وقالوا أن لا مصلحة في العودة إلى إيران في هذه الظروف. كان جوابي أن السجن في إيران أكثر فائدة ـ للمقاومة ـ من الحرية هنا.

كنت على يقين، أن الثورة في الداخل ستصاب بالركود والتراجع إذا غادرنا البلاد

كلّنا، وقد كانت قوانا موزعة في الخارج: في العراق ولبنان وسورية والباكستان وأوروبا وأميركا.

الرحلة الأولى

تمكنت بمساعدة ضابط من أصدقاء السيد «توليت»، من الحصول على جواز سفر، وقد رافقتني زوجتي في هذه الرحلة، وسافرنا براً بالقطار، من طهران إلى تركية وهكذا دون توقف حتى اسطنبول، ولقد كان برنامج اجتياز بحيرة «وان» بالمركب مثيراً بالنسبة إلينا في ذلك اليوم. ومن اسطنبول سافرنا جواً إلى بلجيكا حيث يعيش أحد أنسبائنا، وقد اشتريت في بلجيكا سيارة مستعملة، وبعت سجّادة، كنت قد حملتها معي بغية استخدام ثمنها في تأمين نفقات السفر، وبعد ذلك سافرت أنا وعفت [زوجتي] إلى لندن.

في بريطانيا، أطلعني السيد «باقر زادة» أحد قياديي «مجاهدي خلق»، على معلومات جيدة، مكّنتني من التعرُّف إلى قوى المقاومة في الخارج، وإلى الأماكن التي تستحق الزيارة في بريطانيا.

سافرنا بعد ذلك إلى ألمانيا، وقد كان دليلنا في آخن (Achen) السيد «طارمي» وفي هامبورغ « (Hamburg) السيد «شبستري»، وقصدنا من ثمّ البلدان السكندنافية للسياحة، ثم عدنا بالسيارة ذاتها إلى تركية ومنها إلى سوريا فلبنان.

في سوريا، قصدنا أنا وزوجتي مخيم الفلسطينيين لزيارة عائلة أحد الشهداء، كانت هذه الزيارة مثيرة ومفيدة لنا، وعدنا بعد شهرين إلى إيران.

في المدّة الزمنية الفاصلة بين الرحلتين، واستناداً إلى المعلومات التي جمعتها، زودت المقاومة في الخارج بالإمكانات التي تحتاجها، ثم سافرت.

زيارة هيروشيما

في الرحلة الثانية، استفدت من فرصة سنحت للسيد باهنر، الذي وقع الاختيار عليهـ لمكانته في حقل التربية والتعليم ـ لإلقاء محاضرة أخلاقية ـ تعليمية في اليابان، وقد شارك هو في تلك المحاضرة كمبعوث من الدولة، ونلت أنا تأشيرة كمرافق له، وهكذا

تمكنت من مغادرة البلاد من جديد، بعد آونة قصيرة، وانفتحت الأبواب في وجهي، وتمكنت من السفر إلى حيث أشاء؛ وقد تقرّر أن تلحق بي عائلتي خلال العطلة الصيفية في مدرسة الأولاد، وقد التقينا في بلجيكا حيث قضينا بضعة أسابيع معاً، عدنا بعدها برّاً إلى تركيا. من تركيا، عادت العائلة إلى إيران، وتوجهت أنا إلى سوريا فلبنان والعراق، ومجدداً إلى أوروبا وأميركا، وعدت بعد ذلك إلى سوريا ولبنان، وفي النهاية عدت إلى إيران، وكان السجن بانتظاري، وستقرأون في الصفحات التالية شرحاً وافياً لتلك الذكريات.

في اليابان أمضيت أسبوعين أو ثلاثة، وكانت مشاهدة آثار الحرب العالمية الثانية، ومدينة هيروشيما من أهم أهداف رحلتي. وقد زرت في هيروشيما المتحف الذي تُعرض فيه آثار الدمار الذي خلّفته القنبلة الذرّية كما شاهدت فيلماً وثائقياً، أعدّ لهذه الغاية، واشتريت كتباً تعرّفت بواسطتها إلى معالم هذه المدينة التي أُعيد بناؤها، بعد أن كانت تلك القنبلة التاريخية المدمّرة، قد محت معالمها كلّياً.

في إحدى رحلاتي الرسمية، بعد انتصار الثورة، تمكنت أيضاً من مشاهدة ناكازاكي، ولقد كان من الطبيعيّ أن أكمل في هذه الرحلة مشاهداتي السابقة، مستفيداً من الإمكانات التي وفّرتها لي حكومة اليابان، ومن المحتمل أن تعكس المذكرات التي دوّنتها، كخواطر من تلك الرحلة، معلومات مفيدة في هذا المجال.

استفدت كذلك في اليابان من مشاهدة مظاهر التقدُّم المختلفة كالمترو، والشوارع المتعددة الطبقات، والجسور وغيرها من المظاهر الحضارية التي كنت أسمع بها قبل السفر، وتيسرت لي رؤيتها عن كثب في هذه الرحلة.

ومن الواضح، أن جمع المعلومات، أو اتخاذ مواقف تخدم أهداف المقاومة، لم تكن متيسرة أو متوافرة في اليابان، فلم يكن فيها وجود للمقاومين أو لأي تنظيم من تنظيمات المقاومة.

لا أتذكر أنني قابلت ـ عدا رجال الدين والطلاب ـ أي شخص أو شخصية من المعارضين للحكم.

توقف في الپاكستان

على الرغم من أن هدف الرحلة الأساسي، كان زيارة العراق، والشرق الأوسط، وأوروبا، والبلاد الأخرى على خط المسير؛ كانت لي وقفة أيضاً في الپاكستان. فالپاكستان كانت مهمة بالنسبة إلينا، لأنها كانت طيلة مسيرة المقاومة، ملجأ المعارضين والمناضلين المهدّدة حياتهم، والذين هاجروا إليها وشكلوا فيها قواعد لهم. لكنني لم أجرِ في الپاكستان لقاءات خاصة بالمناضلين والمهاجرين، ولم أزُرْ مراكز المقاومة، وذلك لأسباب عديدة، منها الاحتياط، ومتابعة أهداف السّفر، وتوقّع ما سيحدث بعد العودة إلى إيران، لذلك نفذت برنامج الرحلة الذي كان معداً من قبل: زيارة كراچي، روالبندي، ولاهور، متعجلاً الوصول إلى هدف الرحلة الأصلي الذي يبدأ من سوريا.

فقد كان لسوريا ولبنان في تلك الأيام وضع حسّاس، وكان هنالك عدد كبير من أنصار المقاومةِ، ومن أصدقائنا المقربين.

سوريا ولبنان

كانت سوريا أول محطة لي، وقد كان لنا في تلك الأيام نوعان أو ثلاثة أنواع من القوى خارج البلاد:

الطلاب، المنظمات الطالبية، طلبة العلوم الدينية الفارون من إيران، الذين كانوا قد ذهبوا إلى النجف من أجل الإمام، وأقاموا صداقات هنالك، ثم كونوا علاقات بالبلدان الأخرى، وانتشروا في أنحاء أوروبا، وفي البلدان الآسيوية، وقد أصبحوا من الشخصيات المشهورة.

كانت سوريا ولبنان في تلك الأيام قبلة المناضلين، بسبب القضية الفلسطينية، والحضور الكثيف للاجئين الفلسطينيين فيهما، ووجود المخيمات الفلسطينية، والعدد الكبير للتنظيمات الفلسطينية المسلحة ومعسكرات التدريب، التي كان المناضلون يقصدونها من جميع أنحاء العالم، للتدريب والتعلم، وقد فرض عليّ هذا الوضع الاستثنائي أن أمكث هنالك مدة، وقد تكررت رحلاتي إليهما فيما بعد.

في لبنان كانت الحرية أمراً لافتاً.

المجلس الشيعي الأعلى في لبنان

في لبنان وسوريا، كان الحضور الأقوى، للطلبة وللسيد موسى الصدر [الإمام موسى]. وقد استطعتُ بواسطة عنوان كان بحوزتي أن ألتقي الشهيد «محمد منتظري»، الذي كان على معرفة وثيقة بالقوى الفاعلة والمناضلة هنالك، كلّها.

مكثت في سوريا عدة أيام، ومثلها في لبنان، الذي كان بالنسبة إلينا مثيراً أكثر من أي مكان آخر، وشديد الجاذبية، فقد شكل فيه رجل دين إيراني ـ لبناني [هو السيد موسى الصدر]، مؤسسة رسمية باسم المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كان حكومة قائمة بذاتها، ولم يكن لهذا الأمر مثيل في أي مكان آخر في العالم.

كنت أعرف السيد موسى من قبل، فقد قرأت عليه جزءاً من «المطوّل»، وكنت قد تعَرَّفْتُ إليه من قبل في منزل آل المرعشي حيث كنت أقيم.

فوائد الإقامة في لبنان

توصلت في لبنان إلى معلومات جيدة ومفيدة، عن لبنان وسوريا، وعن القوى الفاعلة في العراق، ووضع الإمام، أقمت في الفندق، وكانت اللقاءات تعقد في مقرّ المجلس الأعلى وقد تمحورت الأحاديث حول:

١ ـ المشكلة الفلسطينية، وقد شارك الدكتور چمران وكان دوره مؤثراً.

٢ ـ تنظيم أمل ـ الذي كان قد شُكّل حديثاً ـ وكانت معرفته مهمة بالنسبة إلي.

٣ ـ الأهم من ذلك، النقاش حول نظام الحكم.

كانت للسيد موسى وجهات نظر خاصة بشأن إيران، فهو ـ بحسب موقعه الخاص ـ كان لا بد أن يكون على علاقة بالحكومة الإيرانية، وكان في الوقت نفسه على علاقة حميمة بالمناضلين. ولقد كان هنالك اختلاف في وجهات النظر بينه وبين الإمام، كان يرغب في أن ألعب دوراً مؤثّراً في تقريبها، لذلك سافرت ـ في هذه الرحلة ـ إلى العراق لهذه الغاية، وأجريت مباحثات مع الإمام بهذا الخصوص، كانت مفيدة.

كما أن مباحثاتي كان لها تأثير في تعديل بعض المواقف ووجهات النظر المتطرفة ـ

مثل وجهة نظر الشهيد محمد منتظري ـ ولقد كان أنصار الإمام والثورة المتحمسون وعلى رأسهم المرحوم السيد مصطفى [نجل الإمامُ، وهم الطرف الأصلي في النزاع، الذي كان مصدره الأصلي والوحيد مسألة المرجعية، في حين لم يعلن السيد موسى، حرصاً على مصالح المجلس الأعلى، وأخذ المحاذير المحيطة كلها في الاعتبار، تأييده لمرجعية الإمام. إضافة إلى أنه كان يرفض أساليب النضال الذي يتجاهل الحكم [في إيران]، فقد كانت السفارة الإيرانية في لبنان من السفارات الحسّاسة، وكانت الضرورة تقضي أن تكون للسيد موسى علاقة بها. ولا شك أنه استطاع من خلال علاقاته الجيدة بالمسيحيين وأهل السنة، وحكومة إيران وسفارتها، أن يشكل تنظيماً راقياً بأفكار وطروحات مهمّة.

كان هذا نضالاً بأسلوب آخر، في حين كان نضالنا محفوفاً بالمخاطر والقهر والعداوة، وكان من الطبيعي أن لا تنسجم هاتان الطريقتان، على الرغم من منطلقهما الإسلامي، ومن أهدافهما المشتركة.

كان الشبان الإيرانيون في لبنان، يريدون أن يأخذ السيد موسى موقفاً صريحاً، ويعلن عداءه للنظام، وكانت لهم خطب لاذعة في السياق، وبيانات يصدرونها في مختلف المناسبات، وهو أيضاً كان يدرك أن تحقيق رغباتهم ثمنها خسارة المكتسبات المهمة والقيمة، التي لم يكن الحصول عليها خالياً من الصعوبات. إضافةً إلى أن هذه المكتسبات ذاتها، هي التي كانت توفر الدعم والحماية للقوى المعترضة.

كانت علاقات السيد موسى بالمناضلين العرب جيدة، ولا مشاكل بينه وبينهم؛ ولقد زرت الحوزة التي أسسها وكان يدرّس فيها.

اللقاء بعرفات

هذه العلاقة الحسنة التي ذكرتها [علاقة السيد موسى بحركات النضال العربية]، هي التي يسّرت لي في هذه المرحلة سبل اللقاء بياسر عرفات، الذي كان له في تلك المرحلة مكانة مهمة، وكان يعيش كقائد للفدائيين متخفياً؛ وقد رتّب السيد موسى هذا اللقاء بسهولة، وشارك شخصياً في المحادثات التي دارت فيه.

علمت في هذا اللقاء، أن القادة الفلسطينيين، يعرفون كلّ ما يتعلق بترجمة كتاب

«القضية الفلسطينية» ونشره، وعمق التأثير الذي تركه في إيران، وما نتج عن ذلك من السجن والتعذيب، وقد أظهروا احتفاءً بي، واحتراماً كبيراً للسيد موسى!

من هنا جاء الاستنتاج، أن السيد موسى كان يتمتع بمكانة رفيعة في أوساط القوى المناضلة في لبنان؛ مع القليل من عدم الانسجام بينه وبين مناضلينا فقط!، وقد علمت من خلال مقابلتي للشهيد منتظري ورفاقه، أنهم كانوا يرون أنه ذو نهج محافظ.

سعيت إلى إقناعهم بتقبّل النهج ـ انطلاقاً من وعي شروطه الخاصة ـ وأنّ بالإمكان الاستفادة من مؤسّسته، كستار نخدم من ورائه ثورتنا، ولا سبب يدفعنا إلى تجاهل واقعه ومحاذيره، وحمله على تقبّل نهجنا.

لقد أثمرت هذه الجهود، وكان لها تأثير محسوس في تحسن علاقاتهم بالسيد موسى، وتردّدهم على المجلس.

في المخيمات الفلسطينية

في كل الأحوال، كان للقائي بياسر عرفات في هذه المرحلة قيمة كبيرة، وأهمية تاريخية، لا أتذكر تفاصيل المحادثات التي دارت في ذلك اللقاء، الذي تبين لي فيه أن ياسر عرفات والفلسطينيين المشاركين، كانوا يعرفونني من خلال ترجمتي لكتاب أكرم زعيتر «القضية الفلسطينية»، أما ياسر عرفات كان بالنسبة لي ولجميع المناضلين شخصية معروفة.

جرى اللقاء مساءً في مكتبه، في مخيم فلسطيني في إحدى ضواحي بيروت، وصلنا إلى المكان بعد تغيير عددٍ من وسائل النقل، واستخدمنا المصعد الكهربائي للوصول إلى مكتبه.

كان النقاش حول أساليب الثورة هو محور اللقاء، وقد كنا نحن في تلك الأيام، متأثرين جداً بتجاربهم في أساليب النضال، وإقامة التنظيمات، وشبكات الارتباط السريّة والواسعة، التي كانوا يمتلكونها، وقد أنشأوا لهم قواعد في عدد كبير من البلدان.

لقد تأثر عرفات بالمعلومات التي أطلعته عليها، عن أوضاع الإمام والثورة، وتوجهات الثورة الإيرانية وأهميتها، ولقد قدّم هو كذلك شرحاً مفصّلاً عن عدد الشهداء،

وعن المشاكل التي تعترض الفلسطينيين، ودعاني لزيارة مقبرة الشهداء الفلسطينيين، وكنت قبل ذلك قد زرت في سوريا مزار الشهداء الفلسطينيين، وزرت عائلة أحد الشهداء، وتحدثت إلى والده، وكان برفقتي يوماً الشهيد «چمران»، أو الشهيد «محمد منتظري»، كان لقاءً مهماً ومثيراً، وقد كان عدد من عوائل الشهداء، قد تجمعوا في المنزل.

كان الجميع في تلك الأيام يولون مسألة تحرير فلسطين الأهمية القصوى، وكانت آمالنا كلها معقودة على المقاومة الفلسطينية المسلّحة. . .

لم يتطرق الحديث في ذلك اللقاء إلى أي موضوع، عدا موضوع الثورة. من الأماكن التي كان لزيارتها أهمية عندي، مدينة صور ـ الواقعة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية ـ لقد زرت المدينة، والتقيت بطلبة الحوزة العلمية فيها، كما زرت معمل حياكة السجاد الذي أسّسه الشهيد «چمران» لفقراء الشيعة.

العراق: رحلة العشق

كانت قد مرّت سنوات لم أرَ فيها الإمام، كنا نتواصل بواسطة الرسائل فقط، وكان السفر بصورة طبيعية وبالجواز العادي خطيراً، وجوابه عسير في إيران، لذلك استقرّ الرأي أن أسافر بجواز مزوّر، أحضره لي شخص يدعى «محمد»، كان لدى مزوّري الجوازات مهارة في إضفاء بعض التغييرات على الجواز وتغيير الصورة، وينتهي الأمر. سافرنا بالطائرة، وكان دليلي في هذه الرحلة «محمد» الذي سافر هو أيضاً بجواز مزوّر. كنا خائفين من مشكلات ممكن أن تصادفنا في مطار بغداد، أو إقدامهم على إجراءات ضدنا، قبل أن يعرف أصدقاؤنا بقدومنا، دون أن ننسى ظروف العراق السياسية الخاصة في تلك الأيام، وموقف «البعث» الذي استلم الحكم مؤخراً.

ولكن الحقّ يقال: لقد كان ما أقدمت عليه ـ على الرغم من وضعي الخاص ـ مجازفة جريئة جداً، انتقدني بسببها الأصدقاء، ولكنّ قلّة الحذر تلك، كان دافعها شوقي للإمام وحاجتي لزيارته، والاستماع إلى وجهات نظره حول ما استجد في أوضاع المقاومة، والاطلاع إلى ظروف رفاقنا ومؤيدينا في العراق.

لم تعترضنا أي مشكلة في مطار بغداد، وقد توّجهنا دون أدنى تأخير إلى النجف،

التي وصلنا إليها في آخر الليل، ولم يكن الوقت مناسباً لزيارة الإمام، فأمضينا ما تبقى من الليل في نزل شبيه بنزل المسافرين القديم في قم، ولكن الشوق لزيارة مرقد أمير المؤمنين المطهر، وشوقنا للقاء الحبيب (الإمام)، منع النوم من عيوننا.

ما إن طلع الفجر حتى كنت في حرم أمير المؤمنين، وقد دعوتُ الله هنالك، وأعتقد أن ذلك الدعاء قد استجيب لي في ما بعد!.

لم يكن من الممكن زيارة الإمام في المدرسة، لوجود عدد كبير من الطلبة [الإيرانيين] فيها، سيتعرفون إلينا؛ إضافةً إلى أنني لم أكن مرتدياً زيّ رجل الدين في أثناء السفر، وكان يجب أن أغيّر ملابسي قبل مقابلة الإمام.

مقابلة الإمام في النجف

في جميع الأحوال، لقد ارتديت في الفندق زيّ طلبة العلوم الدينية، ثم ذهبنا لزيارة ضريح أمير المؤمنين، وبعد ذلك قصدنا حضرة الإمام [الخميني]. كان حبي للإمام أقوى بكثير من حب الابن لأبيه، لا أنسى لحظة اللقاء بعد سنوات الفراق، كانت حالته جيدة بصورة عامة، على الرغم من الإرهاق الذي كان بادياً عليه. تكلمنا كثيراً، وهذه في الواقع خلاصة ما أتذكره من فحوى تلك المحادثات:

١ ـ حدثته عن الإمام الصدر ونشاطاته وخدماته، وأنني أؤمن أنه لا يجب أن يستبعد.

٢ ـ المسألة الثانية كانت موضوع المنافقين [مجاهدي خلق]»، ولقد أعلنت ـ بصدق ـ عن تأييدي لمواقف الإمام السابقة، وقلت:

لقد تبيّن لي الآن، أنكم كنتم محقّين منذ البداية في عدم تأييدكم لهم، وفي كلّ الأحوال، بعد خلافاتهم الداخلية وقع من بقي منهم، بعد الحوادث الأخيرة، في مشاكل عديدة، ويمكن أن يلجأوا إليكم لحلّها، وهم مصرون أكثر من أي وقت مضى على نيل تأييدكم، ولا نرى من المصلحة الآن، أن تعلنوا تأييدكم لمن تبقى منهم، وإذا كان هنالك من حاجة إلى المساعدة، سنقدمها نحن إليهم.

٣ ـ قضايا الداخل: انطلاقاً من محدودية التواصل والمراسلة، كان هنالك الكثير من الأمور التي كان يجب أن تُطرح في ذلك اللقاء: المعنويات، التجمعات الجديدة التي

كانت تتشكل مؤيدة لولاية الفقيه أو معارضة لها، الشخصيات، السجون. . .

٤ ـ عرضت برنامج سفري إلى أوروبا والذي أنا عازم على القيام به، ونيل موافقته على إيجاد قواعد لنا هنالك، وتقديم المساعدات المالية للقوى وغير ذلك. .

٥ ـ تحدثنا أيضاً عن الدروس والأبحاث، ومشاكل التقليد، وعنايته الخاصة بهذه المسائل في النجف، والمشاكل التي تعترضه في الحوزة، ومع الحكومة العراقية.

في تلك الجلسة الوحيدة التي استمرت عدة ساعات، أنهيت معه كل المحادثات الضرورية، ثم قصدنا منزل الشهيد السيد مصطفى لتناول طعام الغداء. كانت فرصة جيدة لقضاء مزيد من الوقت معه، أبادله وجهات النظر حول أوضاع الثورة في إيران والخارج:

قضايا الحوزات في إيران والنجف ولبنان، خلافات المقاومين في الداخل والخارج، وبخاصة في النجف، ومشاكل الإمام مع بعض علماء النجف، ومشكلة السيد مصطفى والإمام الصدر.

مكثت في النجف ثلاثة أو أربعة أيام: في منزل المرحوم «إملائي»، كان منزلاً صغيراً أشبه بالبئر، كأكثر بيوت النجف الصغيرة، وله حديقة صغيرة ومنخفضة.

زرت كربلاء، وعدت بعد ذلك برفقة السيد «دعائي» إلى بغداد، وكانت رؤية السيد «دعائي» من ضمن برنامج هذه الرحلة، فقد كان هو الناطق باسم الثورة (في البرنامج الفارسي الذي يُبثّ في بغداد، والذي كنا نواظب على الاستماع إليه في تلك الظروف الخاصة في ذلك الحين)، كان هو بحاجة إلى معلومات أكثر، لذلك كان يجب أن أراه، لأضعه في صورة الحوادث الجديدة.

أطلعني السيد «دعائي» على معلومات مفيدة جداً عن وضع العراق والنجف والقوى الثورية، والقوى المعادية للثورة، والمشكلات التي تعترض الثوار والإمام، وبرنامجه الإذاعي الجيد «نهضة رجال الدين في إيران»، الذي كان يعدّه ويذيعه من راديو بغداد، وكان له تأثير كبير في إيران. وقد تكررت لقاءاتنا.

اختلاف الأصدقاء

كان هنالك انشقاقاً أيضاً بين مؤيّدينا في العراق، إلى حدّ أن إحدى المجموعات

غادرت العراق إلى لبنان، لم تعترضنا مشكلة خاصة مع كل مجموعة من هذه المجموعات على حدة، ولكن الخلاف بينها كان متعباً لنا.

لقد بذلتُ مساعي حثيثةً لإعادة توحيد هذه القوى دون جدوى، وتابعنا تقديم المساعدات لكل مجموعة على حدة.

في نهاية مدة إقامتي في العراق، زرت الإمام مجدّداً، وعرضت عليه نتائج النشاطات والمقابلات التي أجريتها في العراق. تركز موضوع اللقاء بحسب ما أذكر على تقريب وجهات النظر، لدى القوى المناضلة في الداخل والخارج، كما غلب على اللقاء طابع الوداع.

عدت إلى بغداد بصحبة السيد «دعائي»، وقضينا يوماً في زيارة الأئمة في الكاظمية وسامرّاء.

في بغداد صرفت مئة دولار بالدينار العراقي، وكان هنالك فرق كبير بين سعره الرسمي وسعره في السوق السوداء، وكان الفرق لمصلحتنا، ولم نكن نحن في إيران في تلك الأيام نعرف هذا النوع من الأرباح.

غادرت بغداد إلى دمشق جوّاً، وأنا في أشد حالات التوتر والحزن، وأكملت برنامجي هنالك، ثم سافرت إلى أوروبا.

الرحلة إلى أوروبا

كنت قد أشرت من قبل، أنني قد اطلعت في رحلتي الأولى إلى الخارج، على إمكانيات العناصر والقواعد، هناك، وعلى احتياجاتها. والآن بعد تهيئة الإمكانيات، تقرر السفر لتلبية الاحتياجات.

كنا بحاجة إلى العناصر المؤيّدة في الخارج، كقواعد تملك حريّة التحرك، لإيصال صوت المقاومة إلى جميع أنحاء الدنيا، ولاجتذاب القوى التي لا تستطيع البقاء في إيران، ولإرسال عناصر إلى الداخل لتلبية بعض الاحتياجات المستجدة.

كان وجود مثل هذه القواعد في الخارج يحتاج إلى تمويل، لا يمكن للقوى

المهاجرة أن تؤمنه، فهم إما طلاب محتاجون، أو طلاب غادروا إيران في أثناء مسيرة النضال، وليس لديهم إمكانيات مالية. مثل «بني نصد»، و«قطب زاده»، و«يزدي» و«د. حبيبي». .

العمل الأساسي الذي قمنا به بعد الرحلة الأولى، هو تأمين دعم السيد «توليت» [السيد أبو الفضل] لنا، فقد كانت لديه إمكانيات مالية كبيرة، ولم يكن لديه أولاد كان رجلاً متنوّراً من الناحية الفكرية، ومؤيداً من الناحية العقائدية لأكثر نشاطات المقاومة الإسلامية، وعلى استعداد لوقف ثروته كلها لمصلحة المقاومة، بهدف تأسيس حكومة إسلامية.

أنشأنا لهذه الغاية مؤسسة، وضعنا لها نظاماً داخلياً، وعيّنا أعضاء هيئتها الإدارية، وكنت أنا واحداً من أعضاء هذه الهيئة، وقد وضع «توليت» ثروته وأمواله كلها بتصرّف المؤسّسة ـ باستثناء منزله في طهران، ومنزل سالارية في قم، ومبلغ من المال يكفيه لتغطية نفقات حياته الشخصية ـ ولم يكن إنجاز الأعمال وصرف الأموال، بحاجة إلى حضوره أو قراره، فقد كان لدى الهيئة الإدارية الحرية الكاملة في التصرف بالأموال.

في كلّ الأحوال، لقد تأمنت أموال كثيرة ـ بمقاييس تلك الأيام ـ عن طريق بيع الأراضي، والاستثمارات الأخرى، كما أن «توليت» حوّل بعض المال إلى الخارج، وسافر هو كذلك، وقد تزامن سفره هذا مع رحلتي الثانية، التي كان من ضمن برنامجها، مناقشته في بعض الأمور وتنظيم بعض النشاطات المشتركة.

هذه الإمكانات، سمحت لنا بتوظيف رأسمال في الخارج، مكّنتنا أرباحُه من تأمين احتياجات عناصرنا وقواعدنا في لبنان والعراق وأوروبا وأميركا، كما ساعد كذلك في تأمين الاحتياجات الداخلية الطارئة.

كان المرحوم «توليت» يملك أراضٍ شاسعة في قم. أسّسنا بمساعدة بعض الأصدقاء شركة باسم «دِجْ ساز» [قواعد البناء]، للاستفادة منها بكل معنى الكلمة، وقد ارتفعت أسعار الأراضي بسرعة فائقة، وفّرت إمكانيات مالية ضخمة، وُضعت بتصرف الهيئة الإدارية للمؤسّسة الخيرية.

اختلاف قطب زاده وبني صدر

واجهتنا في أوروبا في هذه الأثناء، مشكلة خاصة، هي الاختلاف والشقاق بين بني صدر وقطب زاده، اللذين لم ينسجما مطلقاً.

انصبّت مساعينا على حلّ خلافاتهما، ولكنّ هذه المساعي لم تنجح في التقريب بينهما، وقد انتقلت تلك الخلافات بعد انتصار الثورة إلى الداخل. حتى داخل مجلس شورى الثورة وكانا بين أعضائه، لم يتقاربا في أي وقت من الأوقات.

كان هنالك أيضاً خلاف بين القوى في أوروبا والقوى في أميركا ـ مع مجموعة الدكتور يزدي ـ ولكنّ بُعد الشقّة بين أوروبا وأميركا، خفف من بروز هذا النزاع، فقد كان النزاع في أميركا بين مجموعة الدكتور يزدي، وجمعية الطلبة المسلمين هدراً لا طائل من ورائه للوقت، ومزعجاً جداً، أما المشكلة الأساسية فكانت النزاع القائم في أوروبا الذي كان ملموساً بوجود ذينك الإثنين في باريس. وقد صرفا قواهما إلى حد كبير لإضعاف بعضهما البعض، وكان انعكاس تلك الخلافات في الداخل مؤذياً لنا إلى حدّ كبير.

تعود جذور الخلاف إلى علاقة قطب زاده بـ«نهضت آزادي»، وعلاقة بني صدر بـ«الجبهة الوطنية»، ثم كبُر الخلاف بالتدريج وفرّخ وأورق..

أَجْريتُ مباحثات مع كل منهما على حدة، ومعهما مجتمعين مرتين أو ثلاث، ولكن دون جدوى.

كان الدكتور حبيبي أفضل منهما، وقد ابتعد عنهما إلى مدينة بعيدة، وانصرف إلى الدرس والتحقيق، وشكّل مجموعة مستقلّة وبقيت علاقاته بهما جيدة.

لقد قصدته إلى مكان إقامته، طالباً مساعدته في إزالة التوتر بينهما، ولكنه كان يائساً من النتيجة، وقد قدّم توجيهات لم تكن مؤثرة. في النهاية، كان طلب إزالة الخلاف بينهما شرطاً لاستمرار مساعدتنا الأساسية لهما، وعُدنا بعد هذا القرار إلى إيران حيث زادت أعباؤنا. حتماً، تقلّصت المساعدات، ولا أتذكر أرقامها.

فمثلاً، حولت في آخر مرة من لبنان مئة ألف دولار إلى قطب زاده ليتسلمها من «توليت»، وقد قررت أن تكون علاقتهما مباشرة بالسيد «توليت».

من مجمل ما رأيته في تلك الرحلة، واستنتجته أن العمل المشترك مع قطب زاده أفضل وأيسر، فقد عاينت لديه تحولاً نحو الأفضل.

أما ذرائع النزاع بينهما، فهي بغض النظر عن الجذور عبارة عن:

١ ـ الإمام وحدود العلاقة به والتبعية له.

٢ ـ المقاومة المسلحة.

٣ ـ قضايا الإسلام الفكرية وكيفية الأخذ من الإسلام.

كان لدى بني صدر ادعاء القضايا الفكرية والإيديولوجية، أما قطب زاده، فلم يكن لديه مثل هذه الادعاءات.

مصير ثروة «أبو الفضل توليت»

بعد عودتي من أوروبا، اعتُقِلْتُ وسُجِنْتُ، وانطلاقاً من العلاقة الحميمة التي كانت تربط بين «توليت» وأحمد صدر الحاج السيد جوادي، أُجريت تغييرات في الهيئة الإدارية للمؤسسة،(١) لصالح «نهضت آزادي».

على الرغم من أن مكاني ظلّ محفوظاً، ولكن استُبعِدَ أصدقاءٌ كنا نثق بهم، مثل السيد «باهُنر»، لم أطلع على تفاصيل ما جرى، ولكنني عرفت أن مبلغاً من المال، كان قد أرسل إلى أميركا لإيجاد مقرّ ليزدي (إبراهيم)، ثم حَصَلت التغييرات.

كان «توليت» في أثناء وجود الإمام في باريس، قد وضع أمواله بتصرّفه، وقد كلّف الإمام مجموعة من ثلاثة أشخاص، تتولى مجتمعة التصرف بالأموال ـ أنا ومنتظري ومطهري ـ وكلف السيد عراقي أن يعلمنا بالأمر.

حصل ذلك في ظروف لا تتيح على الإطلاق الفرصة لمثل هذه الأمور. كانت قدراتنا وقوانا كلها موجّهةً لحلّ المشاكل المهمة في البلاد، فقد وصلتنا الرسالة مع عشية انتصار الثورة، وكانت المشكلات تعم البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ولكن وجود السيد «توليت» شخصياً، قلّل من ضرورة تدخّلنا الفوري، وشيئاً فشيئاً، بدأت أوجاع تداهم «توليت»، لم يعرها اهتماماً كبيراً في البداية.

---

(١) المؤسسة المشرفة على ثروة «توليت».

كان «توليت» قد انعطف في نهاية الأمر كلياً باتجاه «نهضت آزادي»، وقد نُظمت له وصية، أعطت زوجته حريّة التصرف بالأموال، ولكنّ وضعه لهذه الأموال في تصرف الإمام، وتكليف الإمام لنا نحن الثلاثة مجتمعين بمهمة التصرّف، لم يفسح بالمجال لهذه التغييرات.

هذه الأمور لم أكن على علم بها في أثناء حياة «توليت». ولكن مشكلة أساسية نشأت بعد وفاته، فقد كان القسم الأكبر والأساسي من هذه الثروة في أحد بنوك إنكلترا، حيث طالبوا بوثيقة «حصر إرث»، هنا ادعى القاضي موسى خان «أمير حسيني» ابن عمة توليت أنه الوريث، [لأن توليت لا ورثة مباشرين له يحجبون حق الإرث عن الأخوة]، وهكذا بقيت الأموال في المصرف في لندن، ولم تحلّ المشكلة إلا عن طريق المحكمة.

تدخل منتظري، وحكم بتخميس الأموال، تسلّم هو الخمس، ووُهب الباقي إلى جامعة الإمام الصّادق ـ التي كان هو أحد مؤسّسيها ـ وهي الآن بتصرفها.

لا أعرف مقدار ما صرف من هذه الأموال في الخارج لمصلحة الثورة قبل نجاحها وعدا ذلك المبلغ الذي أُنفق في تلك الرحلة لمعالجة بعض المشاكل، وقد أُنفق منها الكثير في الداخل لإيجاد بعض المراكز مثل: «مكتب نشر الثقافة الإسلامية».

تجوال ثقافي

خصّصنا في تلك الرحل، أوقاتاً لمشاهدة المراكز الثقافية والمتاحف المتخصصة في أوروبا. كان السيد «باقر زاده» ـ أحد أعضاء منظمة مجاهدي خلق ـ على تماسّ دائم بنا، وكانت لنا مباحثات ونقاشات عديدة، كان في لندن مسؤولاً عن إحدى مناطقها بتكليف من المنظمة.

كنا في كلّ بلد من البلدان نستعين بدليل لإنجاز أعمالنا، فبالإضافة إلى مشكلة اللغة، ما كان بالإمكان التعرّف إلى المقرات والمراكز والقوى بدون دليل، كما أن البُعد السياحي للرحلة كان يفرض ذلك، ولقد كان دليلي في تركيا مثلاً، طالب يعرف القوى الموجودة هنالك، في اسطنبول أو في أنقرة.

هامبورغ، آخن، بوخوم

كان المقرّ الأساسي في ألمانيا، «مركز هامبورغ الإسلامي»، الذي هو من مآثر آية الله البروجردي الخالدة، وخدماته الثقافية الجليلة. ساهم المرحوم «محققي» بتأسيسه، وجاء من بعده «بهشتي»، فأضفى عليه رونقاً مميزاً! وقد كان مديره في أثناء رحلتي هذه السيد «شبستري». وقد اجتمعت فيه بالطلاب، وحاورتهم. كانت هنالك أيضاً قوى ثورية خارج المركز ـ من الطلاب أو الأشخاص الذين استحالت عليهم الحياة في إيران في أثناء النضال ـ كانوا يعملون لخدمة الثورة إلى جانب مشاغلهم الخاصة.

كان في «آخن» مركز كان المسؤول عنه السيد «طارمي» ـ الذي كنت أعرفه من قبل ـ يعاونه فريق عمل، وكان يسكن في شقة صغيرة في مساكن الطلاب التابعة للكنيسة ـ وبما أنني في قسم من هذه الرحلة كنت برفقة العائلة ـ فقد نزلنا بضيافتهم. كان أحد أعضاء «مجاهدي خلق» اللطفاء، وكان الفريق الذي يعاونه لا بأس به، وقد قدمت لهما مساعدة مالية، من الإمكانيات التي كانت بتصرفي لحلّ مشكلاتهم المادية.

سافرت إلى هولندة، لإنشاء مقرّ للشباب المسلمين، كان هنالك مركز من مراكز المسلمين السنّة، أردت بطريقة من الطرق، وبتدبير معيّن تهيئة المجال للاستفادة من هذا المركز لنشاطاتنا السياسية، لكنني لم أوفق. زرت ذلك المركز، واطلعت على أوضاعه من قرب، وشاركت في صلاة الجماعة.

نظرتان مختلفتان

ذكرت من قبل أنّ التعرف إلى الحضارة الغربية عن قرب، كان أحد أهداف رحلتي هذه، ولكنّ البُعد السياسي لأسفاري، واضطراري أحياناً إلى التنقّل بصورة سريّة، لم يتح لي زيارة المراكز الاقتصادية المهمة وأشباهها، وما كان متيسّراً أكثر، مشاهدة المظاهر الحضارية كالمكتبات العامة، والمتاحف، وتنظيم المدن، والأوتوسترادات وغير ذلك. .

ما يلفت النظر أكثر من أي شيءٍ آخر في لندن، المتاحف المتخصّصة بتاريخ العلوم، وتاريخ الصناعات، والمكتبات العامة، والمراصد، وقد شاهدت كلّ ذلك بمساعدة أدلاء جيدين.

في أميركا أثارت «ردوود» انتباهي أكثر من أي شيء آخر، وكونت قبل رحلتي هذه بعض المواضيع المتخصّصة في هذا المجال، ولديّ فكرة عنها: غابات اصطناعية عظيمة، بأشجار خضراء نضرة، باسقة، يصل ارتفاعها إلى مئة متر أو أكثر.

(في آخر سفرٍ لي إلى مازردان، رأيت شتولاً كان قد أحضرها أحد المهندسين منذ خمس وعشرين سنة، وهذا يدلّ على أنّ أراضي مازندان ملائمة لهذه الأشجار؛ فقد أوصيت السيد «كلانتري» أن يهتم بهذا الموضوع جيداً).

كان هنالك [في أميركا]، الكثير مما يستحق المشاهدة، كالمغاور التي تعود إلى ثلاثة آلاف سنة.

مما شاهدناه أيضاً في هذه الرحلة: منظمة الأمم المتحدة، مجلس الأمن الدولي، جلساتهما المفتوحة.. وفي منظمة الأمم المتحدة قرأت خبر الإفراج عن آية الله خامنه إي في إحدى النشرات التي كانت توزعها المعارضة الإيرانية، وقد أفرحني هذا الخبر كثيراً. كان قد اعتقل قبل سفري بعدّة أشهر، وانقطعت عنّا أخباره كلّياً، وكنّا قلقين جداً من أجله. ومن مركز الأمم المتحدة نفسه أرسلت له رسالة تهنئة على بطاقة بريدية عليها صورة تمثال الحريّة، علمت بعد عودتي أنّه قد تسلمها، وقد رأيت مؤخراً صورة لها.

في «لوس أنجلوس» رأيت «هوليوود»، المنطقة التي يسكنها الفنانون، وفيها كثير مما تجدر مشاهدته.

في الغرب، تثير الحريّة المطلقة والتفلت من القيود الاجتماعية الشعور بالنفور، ولكن، مقابل ذلك للحريات السياسية جاذبية شديدة. في ذلك الحين كانت العلاقات بين أوروبا وأميركا من ناحية، وإيران من ناحية أخرى، جيدة، لذلك لم نكن موضع شبهة.

أما أوضاع بلدان مثل ألمانيا الشرقية وبلغاريا ويوغوسلافيا، فإنّها مؤسفة: يتذرع الموظفون بأيّ ذريعة لتأخير السائح ومضايقته ويرضون برشوة لا تزيد عن قلم مثلاً.

زرت بصحبة أخي محمد وبمساعدته عشرين ولاية أميركية، كان شعوري أن مثل هذه القارة العظيمة، التي تملك كلّ هذه الموارد والإمكانيات، ليست بحاجة لأن تمدّ يدها إلى قضم البلدان الأخرى، ولكن ما العمل: هذه هي نتائج القوة، والسعي إلى النفود والسيطرة.

اعتقال الأصدقاء

سمعت وأنا في بلجيكا خبر اعتقال أشخاص، وجهت إليهم وإلينا التهم نفسها، فتأكدت أنني سأعتقل حال عودتي إلى إيران. كان الملف في مجمله مثيراً للقلق.

اقترح عليّ بعض الأصدقاء أن أبقى خارج البلاد، ولكنني كنت أعتقد أن وجودي في إيران ـ حتى وأنا في السجن ـ أكثر فائدة من بقائي في الخارج وصمّمت أن أعود.

لم أتمكن من تحقيق بعض أهداف رحلتي، كالسفر إلى مصر مثلاً، ومحاولة إيجاد قاعدة هنالك، كنت ناقشت هذا الموضوع مع ياسر عرفات، أو السيد موسى، وكنا نرى أنه بإمكاننا تحقيق الكثير هناك، ولكن هذا العمل لم يتحقّق.

عدت إلى إيران في السيارة التي كنت قد اشتريتها في بداية رحلتي. آخر محطة توقفت فيها قبل العودة، «ڤان» في تركيا التي وصلت إليها ليلاً، ومن الفندق اتصلت بعائلتي هاتفياً. وقد رأيت فيما بعد في مستندات جهاز الساڤاك المنحل، أن هاتف منزلي كان في ذلك الحين مراقباً، فعلم الساڤاك بعودتي وأعطى أوامره لجمارك بازرگان، بسحب الجواز مني، ووضعي تحت المراقبة حال وصولي، وقد كنت مهيأً نفسياً لمثل هذا الوضع.

من الحدود الإيرانية إلى المعتقل

على الحدود الإيرانية سحبوا مني جواز السفر، ولكنهم لم يعتقلوني، علماً أنني كنت أتوقّع الاعتقال، ولكنهم أرادوا أن أبقى تحت المراقبة، ليتوصلوا إلى ضبط العلاقات واللقاءات التي سأجريها من خلال الاتصال ببعض الخيوط، لذلك اكتفوا بسحب الجواز، وقالوا لي: إن بإمكاني استعادته في طهران، بقيت حرّاً حوالى عشرة أيام، كانت فرصةً استفدتُ منها استفادةً كاملة، فقد كنت أعرف أنني سأُعتقل في النهاية، لذلك، قلت ما يجب أن أقوله، وسمعت ما كان يجب أن أسمعه، واطّلعت بما فيه الكفاية ـ على المسائل الداخلية التي حدثت في غيابي ـ وقد عقدت لقاءات متعدّدة في هذه الأيام العشرة، وفي آذارماه/ ٥٤ [١٩٧٥]، اعتُقلت ونُقلت ليلاً إلى سجن (المجلس المشترك).

التحقيق في مركز مكافحة الإرهاب

صباح اليوم التالي، بدأ التحقيق، بدأه «عضدي» بكثير من الوقاحة والتهديد والترهيب، كان في حادثة اعتقالي في العام ١٣٤٣ [١٩٦٤] واحداً من الذين حققوا معي، وقد أنزل بي يومها شديد العقاب. . ذكرني بالماضي، وقال إنه كان يومها محققاً عادياً، ولكنه اليوم ذو مكانة مهمة، وقد تولى شخصياً التحقيق معي لأهمية الموضوع، أو ربما لسوابقه معي.

بدأ تهديده بهذا البيت من الشعر:

[يك بار جستي ملخك. . .].

ثم قال: «أنت يجب أن تُعدَم هذه المرة، فقد أُنقذت في الماضي ولكن مستنداتنا اليوم كافية».

منذ البداية تركزت الأسئلة حول المقاومة المسلحة، وأكدت لهم في أثناء التحقيق، أنهم مخطئون؛ فنحن لا نؤمن بالمقاومة المسلحة، وهدف مساعينا مساعدة عوائل المعتقلين وتلبية احتياجاتهم من منطلق إنساني وعاطفي. ولشدّة ما قاومت، أحضروا السيد (لاهوتي) لمواجهتي به. كان منظره مرعباً، رأسه متورّم من شدّة التعذيب والضرب، ووجهه منتفخ ومدمّى. أجلسوه على كرسيّ قبالتي، وقرأ المحقق ـ لتحقيري وكسر شوكتي ـ هذا البيت من الشعر بقلّة أدب:

لا ثمن للحمار، حين يُشترى الجملُ بقرش واحد.(١)

كانت للسيد لاهوتي قيافة العلماء، وهو أكبر مني سنّاً، وكان المحقق يرمي من وراء قراءته لهذا البيت إلى القول: «إذا كان هذا ما فعلناه بالسيد لاهوتي، فما سيقع على رأسك أعظم».

عذّبوني كثيراً، ولم ينالوا أيّ اعتراف مني، كانوا يستندون إجمالاً على اعترافات «وحيد أفراخته».

---

(١) جايي كه شتر بود به يك غاز خَر قيمت واقعي ندارد.

احتجزت وحيداً في زنزانة انفرادية حوالي الشهر ـ في مركز مكافحة الإرهاب ـ وكانت من أمرّ الذكريات في هذه المرحلة، إضافة إلى الإهانة والتعذيب والترويع وقد جاء، انحراف [مجاهدي خلق] وارتدادهم ليضاعف العذاب.

لم أقر ولم أعترف باعترافات «وحيد أفراخته» التي تدينني، على الرغم من الجهود التي بذلها المحقّق لينتزع اعترافاً مني.

وهكذا أمضيت هذه الرحلة في مراحل السجن، وقد أحضروا في أواخر أيام اعتقالي ـ قبل نقلي إلى سجن «إڤين» ـ إلى زنزانتي السيد جلال رفيع. أحسست بالألم والإشفاق من أجله، فقد كان طالباً، أصغر مني سناً. وعلى الرغم من أن قوانين المحافظة على السريّة، كانت تفرض عدم الثقة؛ ولكن في كلّ الأحوال، حاولت في طرحي للعموميات أن أرفع من معنوياته.

الانتقال إلى إڤين

نُقلنا أنا والسيد لاهوتي إلى سجن إڤين بأسرع مما توقّعنا، وهنالك التقينا وجهاً لوجه بالأصدقاء الآخرين وقد علمنا بعد اجتماعنا في سجن إڤين، أنهم جميعاً في أثناء التحقيق، قد واجهوا التحقيق بالمنطق نفسه ـ دون أن يكون بيننا اتفاق مسبق ـ.

أول مجموعة منا تدخل السجن: العلماء: طالقاني، منتظري، مهدوي كني، رباني شيرازي، لاهوتي، أنواري، قالوا كلهم، واحداً بعد الآخر، الكلام نفسه، دون أن يكون أحدُنا قد رأى الآخر.

الاستنتاج المشترك

في المرحلة اللاحقة، أُحضِرَ عدد آخر من المعتقلين، من أنصار «الائتلاف»: السيد مهدي عراقي والسيد عسكر أولادي، والسيد لاجوردي، وقد توصلوا إلى الاستنتاج نفسه الذي توصلنا إليه.

فقد توضحت بصورة إجمالية وانطلاقاً من التجارب مجتمعة، النتيجتان المهمتان التاليتان:

١ ـ بدلاً من المقاومة المسلحة، يجب أن نسلك طريق المقاومة الشعبية الأكثر اتساعاً وشمولية.

٢ ـ إن الشيوعيين يشكلون ـ إضافة إلى النظام الحاكم ـ تهديداً جدّياً لنا، بسبب البلاء الذي أصاب المقاومة عن طريق المنافقين. فنحن نبذل الجهود المضنية لإدخال الشباب إلى الساحة، فينخرطون في النشاطات المسلّحة، فالشيوعيون يدّعون أن معرفة أسباب النضال لا يجيدها أحد غيرهم، ووضعوا للنضال المسلّح صيغاً وقواعد وأصولاً وتكتيكاً، وجعلوا الشباب يتعلقون بنخب المقاومة المسلحة، وأبطالها الأسطوريين كفيدل كاسترو، وتشي غيفارا، وليلى خالد، وآخرين من ذوي المنحى اليساري.

الاستنتاج الذي توصلنا إليه جميعاً، هو أننا أدخلنا الشباب إلى الساحة، فاصطادوهم هم حتى الفرق والمجموعات التي كنا نشكّلها، كانوا يجتذبونها إليهم.

السباحة عكس التيار

في سجن إڤين ـ مع الأخذ في الاعتبار مجموعة النتائج التي أشرنا إليها ـ كانت أهم محاور النقاش، تدور حول التداول في الأساليب الصحيحة للنضال.

كنا قد توصلنا أنا ومجموعة الأصدقاء إلى الاستنتاج أن النضال المسلّح، لن يؤدّي إلى نتائج مرضية والطريق الصحيح هو تمكننا من إدخال جماهير الشعب إلى الساحة، بمقاومة سياسية عمالية. في المقابل كان المنافقون [مجاهدو خلق] وأنصارهم، يرون أن سبيلهم الوحيد هو المقاومة المسلحة، وكانت الأجواء في السجن لمصلحتهم، لأن أكثر المساجين فيه، كانوا متهمين بالتورط في العمليات المسلحة بشكل أو بآخر.

أما نحن، فقد كنا مقارنةً بهم، أقوى ارتباطاً بجماهير الشعب، وكان قد اتضح لنا، أن العمليات المسلحة سدٌّ أمام امتداد حركة النضال وتوسّعها.

كانت مصلحتنا تقضي بتعميم النضال، وكنا نؤمن أن مقولة المقاومة المسلحة، قد انقضى أوانها، علماً أنها في مرحلة من المراحل، أفادت في تحريك الأجواء وكسر الجمود، وإيصال الرسالة.

كان الحكم في تلك الأثناء أشدّ حساسية بالنسبة إلى المقاومة المسلّحة منه إلى المباحث الأيديولوجية والسياسية، ليُخفض كفّة المقاومة المسلّحة، ولكن هذه الكفة كانت قد فقدت جاذبيتها؛ فالنظام في قمعه غير المحدود للحركات المسلّحة، لم يقف عند حدود معينة، ولم يرحم أحداً، وكان مستعداً لدفع أي ثمن.

كان هذا ما استنتجته أثناء رحلتي إلى الخارج ـ وكنت قد عدت حديثاً ـ فهناك يعطون الأهمية الكبرى لقضايا الناس، فالميزان هو مقدار الدعم الشعبي. لا يولون اهتماماً لمن يقول أن بإمكانه القيام بعمليات اغتيال وتفجيرات، وإنما يسألون باستمرار: ما هو حجم الدعم الشعبي لكم.

حتى القوى الموجودة في الخارج ـ والتي كانت وثيقة الصّلة بالحركات المسلّحة ـ كانت قد توصلت إلى النتيجة نفسها.

في الفرصة التي سبقت الاعتقال، تأكدت من خلال اللقاءات والنقاشات والمباحثات، أن كثيراً من القوى المخلصة ترى هذا الرأي.

كانت النتيجة واضحةً أيضاً في أثناء حديثي مع الإمام، فهو لم يؤيد الحركات المسلّحة منذ البداية، وقد جاءت الحوادث التي وقعت لتؤكّد صحّة موقفه، حتى الأصدقاء في النجف الذين كانوا في البداية يؤيدون المقاومة المسلّحة، دفعهم سير الحوادث إلى تأييد موقف الإمام.

إڤين: الجناح رقم ١

كان الحكم سعيداً من هذا الاستنتاج، وهذا الموقف، اعتقاداً منه أنه سيوجد شرخاً بيننا وبين الشباب، من هنا، فإن الجناح رقم/ ١ في سجن إڤين كان له وضع خاص.

من ناحية، اجتمع فيه قادة النضال، وهم لا يؤيدون الحركات المسلّحة، ومن ناحية أخرى، يمكن أن يستخدمه الحكم كوسيلة للتفرقة، ليفصلنا عن الشبان المتحمسين، والمتطرّفين، المؤيّدين للكفاح المسلّح.

خارج السجن حدث وضع خاص، فالعلماء الذين كان قد أُفرج عنهم، وأعلنوا معارضتهم للعمليات المسلّحة، لامَهم كثيرون على موقفهم الجديد هذا، علماً أن عقلاء القوم كانوا يحبّذون هذا الرأي، ويرون أنه الطريق الصحيح.

على طريقة المشّائين

وُلِدَتْ في السجن أولاً بأول، مواقف جديدة، تحوّلت إلى مواضيع للنقاش والمباحثات والصراع الفكري، وبخاصّة في السجن الذي كنّا محتجزين فيه.

كنا نصرف وقتاً في مناقشة كلّ وافدٍ جديد ـ بذلك الأسلوب الرائج في السجن ـ في أثناء السير والمشي ـ بعضهم يقتنع والآخرون يرفضون.

كان هنالك أشخاص ينتقدون نهج الإمام، وعدم إعلان دعمه للمقاومة المسلّحة من النجف. كانوا يعتقدون أن الجماهير كلّها ستنخرط في المقاومة المسلّحة، ولكن كيف يدخل الناس العزّل إلى الميدان؟.

جرت أبحاث أخرى كان لها منحىً أيديولوجي: الطبقة العاملة ودورها وموقفها، كان الذين ينطلقون من التصور المادي للتاريخ يعتقدون أن شرط انتصار الثورات، أينما كان، هو شدّة التناقضات الاجتماعية، والقمع الذي يتوّج هذا التناقض، والطبقة العمالية هي التي يجب أن تصارع طبقة أرباب العمل المسيطرة، وحيث لا يوجد طبقة عمالية، لا تتوافر الشروط الملائمة للثورة، ومن أخطاء الشاه، ترويج صناعات المونتاج وإعادة التصنيع التي كان من نتائجها ولادة الطبقة العاملة ونضجها، والطبقة العاملة ثورية في جوهرها.

كانوا يتصورون أن العمال مؤيدون لهم، ولن يتمكن رجال الدين من نيل تأييدهم، لأنهم قلّة من البورجوازيين، مرتبطة بالطبقة البورجوازية، والعمّال في خلاف [ماهويّ] جوهريّ معهم.

ما كان بإمكانهم أن يدركوا أن الطبقة العاملة المسلمة، تختلف عن الطبقات العاملة في بلدان تسيطر فيها الآراء والأفكار المادية. كان ردّنا أن الإمام، لديه الآن مناصرون في أوساط العمّال، أكثر من مناصريكم. فإذا كان العمال يقفون في مفترق طرق، ودعاهم الإمام من ناحية، وأنتم من الناحية الأخرى، فإنّهم سيستجيبون لدعوة الإمام.

كنا نركّز في نقاشنا على النقطة التالية، وهي أننا إذا وصلنا إلى محيط حرّ، فإنّ الطبقة العاملة، ستسلك طريق رجال الدين ولن تسير باتجاهكم، ولكن كان لديهم أمل

آخر، لم نتوصل إلى إقناعهم، فالمادية التاريخية، والديالكتيك، من الأصول والمسلمات التي لا يجوز المسّ بها.

كانوا يعرّفون حركة ١٥ خرداد، أنها حركة مرحلية وعشوائية. وأن مثل هذه الحركات لا توصل إلى أيّ نتيجة على الإطلاق.

كنا نوافقهم الرأي، أن حركة ١٥ خرداد، كانت عفوية، ولا برنامج لها، ولكن كانت لها جوانبها الإيجابية العديدة، في رفض شرعية النظام الحاكم، وزعزعة هيبته، وتمهيد الأرضية لوضعه في مواجهة الشعب، ولكنّ عدم وجود البرنامج سببه أن الشعب لم يكن ناضجاً سياسياً بما فيه الكفاية.

لو كنا نملك برنامجاً، لاستطعنا إبقاء الناس في الساحة، ولوفّرنا عليهم اليأس والإحباط والمشاكل.

حكم التاريخ

بعد أن أعلن الحكم عن سماحه بالحريات السياسية، استجدّ وضع بيّن صحة منطقنا، فقد رأينا بوضوح أن الجماهير قد دخلت الميدان، وكان الإمام هو المحور. الجماهير التي تتمتع بمثل هذه الروحية، لا يمكنها أن تنتظر دعم الطبقة العمالية [بالمفهوم الماركسي].

هم [الماركسيون]، كانوا يقولون إن الجماهير ستتبع أزيز الرصاص وليس نداء التكبير!.

نحن أيضاً كنا نرى أن لأزيز الرصاص جاذبية لدى الناس، ولكننا قلنا، إن ذلك كان في ما مضى [لتحريك الجمود]، وكان لأزيز الرصاص ودويّ المدافع تأثير في إحدى المراحل، ولكنّ جماهير الشعب استيقظت الآن وهي بحاجة إلى توجيه وإلى برامج.

أصداء صلاة عيد الفطر في تلّة «قيطرية»

حين وقعت حادثة موت السيد مصطفى [نجل الإمام الخميني] المشبوهة، والتي نتجت عنها المظاهرات المتكررة والحاشدة، تخلّى الجميع عن تحليلاتهم السابقة؛ علماً

أنهم ظلوا حتى أشهر معدودة قبل الحادثة، في حالة هجوم مستمرّ.

فحين أقيمت صلاة عيد الفطر في القيطرية، التي أمّها الشهيد «مفتح»، وأعقبتها تلك المظاهرات العظيمة والحاشدة، أُسقِط في أيدي المنتقدين، ووقعوا في حيرة من أمرهم. كانوا يدّعون أن الناس لا يؤيّدون رجال الدين، ولكنهم حين رأوا هذا الزحف الجماهيريّ العجيب وراء رجال الدين، وقد ظهرت مشاهد منه على التلفاز، رأوا أن «هذا هو الصحيح»، ورموا باستدلالاتهم جانباً: فحين يقع حدث عينيّ يفقد التحليل الذهني رونقه.

كانوا يتصورون أنّ الطبقة العاملة تؤيّدهم، وأن الناس تحت إمرتهم، وقد رأوا في هذا الحدث العينيّ، أنهم جميعاً يسيرون وراء رجال الدين. ففي مثل هذا الوضع لم يعد للعمليات المسلّحة مكان.

بعد مجزرة السابع عشر من «شهريور»

كان النقاش يحتدّ أحياناً، عندما يلجأ النظام إلى العنف، كحادثة السابع عشر من شهر يور، فيُقال: «لقد حان الوقت، الذي يجب أن يعلن الإمام فيه الجهاد، حتى يقوم الجنود الفارّون والناس المضطهدون بالردّ على الحكم بالسلاح»، كنا نجيب «هنا تكمن الخطورة، فإذا حدث ذلك، سيجد الحكم ذريعة لقمع الحركات السياسية، فتردي حراب الحكم ورصاصاته، الشعب الأعزل، فيُشيّع شهداءه، ولن يترك الساحة».

هنا يكمن الفرق الأساسي بين ١٧ شهريور و١٥ خرداد، كنا نقول لهم: «أنظروا الآن، ها قد نضُجت الجماهير الشعبية، ولن تتراجع على الرغم من القسوة والعنف والخسائر».

في النهاية، جاءت التحليلات من الناحية العملية لمصلحتنا، وبهذه الروحية خرجنا من السجن.

رمضان في السجن

خمس مرات، مرّ رمضان وأنا في السجن، ورمضان من الأوقات الجيدة في

السجن، وإحياء لياليه خالٍ من المشقة وممتع أيضاً. نبقى مستيقظين حتى وقت متأخر من الليل، ونعوض السهر بالنوم نهاراً، ونقضي ما تبقى من اليوم ببرامج التفسير والتجويد والفلسفة والتدريس. . . ولم يكن الحكم يعير كبيز انتباه للنقاشات والطروحات الدينية.

كان في السجن معنا عدد من الشبان، ثقافتهم الدينية ضحلة، وكان أفضل ما نقوم به، هذه المناقشات والمباحث الدينية.

وهل الشيخ الطوسي معارض كذلك؟

لقد ذكرنا من قبل، أن الحكم كان يُبدي حساسية زائدة من إدخال كتب لها طابع سياسيّ إلى داخل السجن، في حين أنه أقل حساسية بالنسبة إلى إدخال كتب التفسير والفلسفة والحديث الخ. . . وكانت تحدث أحياناً بعض المفارقات، مددها جهل مأموري السجن وأمّيتهم.

أوصى أحد رجال الدين مرّة طالباً كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي، وحين سمع المأمور اسم الكتاب [لفظ الخلاف مستخدمة بالفارسية بمعنى الاعتراض]، سأل متعجباً: «وهل الشيخ الطوسي معارضٌ، ليطلبوا إحضاره إلى هنا!؟».

مفتاح القرآن

كان لرمضانات إڤين من العام ١٣٥٤ـ١٣٥٦ (١٩٧٥ـ١٩٧٧) خاصية أخرى بالنسبة إليّ، وهي ملء أوقات الفراغ طيلة أيام الشهر بالعمل على تفسير بعض المفاهيم القرآنية وتبويبها، وعلى الرغم من أنّ هذا العمل استمرّ طيلة مدّة الاعتقال ـ حدود ثلاث سنوات ـ إنما لشهر رمضان حالة مميزة، ومناخ خاص.

كان أحد نشاطاتي الدائمة في المرحلة التي سبقت الثورة، هو العمل على دليل جامع نسبياً للمعارف القرآنية.

كان القرآن نعم الأنيس لي منذ مرحلة الطفولة، ومردّ ذلك كان محبة أبي الشديدة للقرآن. فقد كان يقضي وقته من مطلع الفجر وإلى ساعة تقريباً بعد طلوع الشمس، في قراءة القرآن والأدعية، وكان يستشهد دائماً في كلامه وأحاديثه بالآيات القرآنية. كنت في

سنوات دراستي الأولى في قم ـ كما ورد من قبل ـ متقدماً على أقراني في حفظ القرآن، وقد تقدمت إلى الامتحان أمام آية الله البروجردي، ـ بعد أن حفظت ألفية ابن مالك، ومنطق التفتازاني وعدة أجزاء من القرآن ـ فقدم لي جائزة تشجيعية، كانت حافزاً كبيراً لي، وقد أثّر تشجيعه في رفع معنوياتي، وضاعف اهتمامي بالقرآن، لما كان لشخصيته في نظري من مهابة وتقدير.

حفظ القرآن في الزنزانة الإفرادية

طيلة مرحلة النضال، وعندما كنت أسجن في زنزانة انفرادية، كان أفضل ما أملأ به أوقات الفراغ، هو حفظ القرآن. وقد حفظت حين اعتقلت في العام ١٣٥٠ [١٩٧١] ـ كما أشرت في الخواطر السابقة ـ حوالى خمسة وعشرين جزءاً من القرآن في سجن إڤين القديم ـ في الزنزانة الانفرادية ـ: عشرون جزءاً من أول القرآن وخمسة من آخره.

كان حفظ القرآن يملأ الوقت، وتكرار التلاوة، وبخاصة في الليل يرسخه في الذهن؛ كان ذلك فرصة مناسبة، للاستفادة من مضامين القرآن، وتصحيح نقاط الضعف الثقافية والأخلاقية.

تبويب المفاهيم القرآنية

كنا، حين نقوم بأي نشاط علميّ في مرحلة الدراسة، نحسّ دائماً بالحاجة إلى تبويب مواضيع القرآن وفهرستها، فقد كنا نضطر أحياناً إذا أردنا الاطلاع على موضوع معيّن، أن نراجع القرآن كلّه، وكان ذلك يتكرر باستمرار، فكان التحقيق في أي موضوع يتطلب وقتاً طويلاً، وكانت مسيرة التحقيق تقطع ببطء شديد.

كنت أشعر بالأسى والأسف، لأن المسلمين طيلة هذه القرون المتمادية، لم يقوموا بواجبهم نحو هذا الكتاب ـ الذي هو عهد الله إلى الناس، والعلاج الحقّ المبارك لأرواح البشر وأجسادهم ـ ولم يؤلفوا دائرة معارف لمواضيع القرآن وعلومه، تفيد المحقّقين، الباحثين عن المعرفة والحكمة، الساعين إلى النور والهداية، فتهدأ أرواحهم، وتشفى قلوبهم، وتطمئن خواطرهم.

من الكائن إلى ما يجب أن يكون

هذا الكلام لا يعني أن لا عمل على الإطلاق قد تحقق في هذا المجال، ولكنّ المقصود، أن هنالك فرقاً كبيراً بين ما أنجز وما يجب أن ينجز. فالتفسيرات التي وضعها العلماء والمحقّقون في كلّ عصرٍ من العصور منسجمةً ومعارف ذلك العصر، هي ذخائر قيّمة في متناول أيدينا، ولكنّ الاستفادة منها تهدر الكثير من الوقت والكثير من الجهد، ويظلّ المحقق قلقاً لأنه لم يتوصل إلى أبعاد القرآن، أو إلى وجهات نظره كلّها.

كذلك فإنّ التفسيرات الموضوعية، وفهارس الألفاظ والمعاني القرآنية الموجودة مثل «تفصيل الآيات» و«المعجم المفهرس» و«الجامع لمواضيع الآيات» وأشباهها لا تلب حاجة المحققين الكاملة.

في تلك المرحلة ذاتها، كان عالم صديق قد قام بتحقيق عدد من المواضيع القرآنية، وتعب لعدة سنوات، ثم فقد جميع مدوّناته في أحد أسفاره، وكان هذا الأمر باعث أسفنا الشديد وأسف الأصدقاء. في ذلك الحين رأيت من واجبي، لاستمرارية الدراسات القرآنية، ولمزيد من الإتقان في إدراك رؤى القرآن وأبعاده، أن أعمل على ملء هذا الفراغ الثقافي دينياً ومعرفياً. كانت تلك المرحلة مرحلة هيمنة الاستبداد، وصرفنا الكثير من جهدنا ووقتنا في النضال، ولم تتوفر لنا الأرضية المناسبة، لوضع هذه الأمنية المقدسة وهذا الهدف الرفيع موضع التنفيذ.

فرص عابرة

كنت، كلما دخلت السجن، أفكر في إنجاز هذه المهمّة، (بعد انقضاء مراحل التحقيق والاستجواب، التي تسلب المرء إمكانية التفكير والتحقيق، لما تسببه من اضطراب وتوتر وقلق، إضافة إلى الحجز في الزنزانة الانفرادية، التي لا مجال فيها للعمل)، ولكنّ قصر الوقت المتاح لم يوفر الفرصة الكافية لتحقيق هذا الهدف.

وقد قمت عدة مرات بعد انتهاء مراحل التحقيق والسجن الانفرادي، بالعمل على تحقيق موضوعات عدة من جملتها «الإشراف»، «الصبر»، «الجهاد»، مستفيداً من المصحف الذي يكون بحوزتي.

كما أنني قضيت معظم الوقت في حفظ القرآن، وقد حفظت ما مجموعه خمسة وعشرين جزءاً في المرات الأربع التي كانت قصيرة المدة (١٥ شهراً).

الغاية من هذه الخواطر، تسطير عشقي الكبير للقرآن وحبّي الشديد له، وإحساسي بواجبي الشرعي تجاهه: هذا الكتاب الذي هو بالنسبة إلى أهل القبلة كلهم، المصدر الأساس، الأغنى والأعمق لجميع المعارف الإسلامية، بل الإنسانية، إنه كتاب تحكيم وحكومة، وتنظيم وحكمة، كتاب ««لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزل من حكيم حميد».

لكن! على الرغم من قيمة هذا الكتاب وقدسيته في المجتمعات الإسلامية، لا تزال كنوزه مخفيةً.

الفرصة المناسبة

في النهاية، استُجيب دعائي، وسنحت الفرصة المؤاتية، والمجال الأرحب، لوضع هذا المخطّط موضع التنفيذ، وتحقيق هذا الأمل المرتجى، وذلك في آخر اعتقال لي، حيث اتضح لي انطلاقاً من ظروف تلك المرحلة، ونوعية الاتهامات الموجّهة إليّ، أن مدة السجن ستطول، فحزمت أمري وقرّرت القيام بعمل شامل في مجال فهرسة المعارف القرآنية. وعلى الرغم من الآلام الجسدية التي خلّفها التعذيب، كنت ثابت العزم، ولديّ ما يكفي من النشاط لبدء العمل.

طلبت من الساڤاك في سجن «المجلس المشترك» مصحفاً، فرُفض طلبي، لأنهم كانوا يعرفون أن القرآن مؤنس الوحدة في الزنزانة الانفرادية، يخفف الآلام والمشكلات والوحدة.

لم يمنعني عدم وجود مصحف من البدء في هذا الطريق المبارك، فاستعنت بذاكرتي، لأنني كنت في ذلك الحين أحفظ غيباً معظم الآيات القرآنية بلفظها وترتيبها. أمدّني الله بمدد من عنده، وتوصلت إلى نتائج مرضية، ولعدم وجود ما أكتب عليه، امتلأت صفحات ذهني بالمواضيع والمضامين القرآنية، منظمةً.

استقرّ في ذهني المخطّط الكامل للعمل، متناسباً والأهداف المرجوّة، دون كتابة سطر واحد أو ملاحظة واحدة.

بعد انتهاء التحقيق والانتقال إلى الجناح رقم/١ في سجن إڤين توفرت الظروف الملائمة.

كنت قد تخطّيت مرحلة الاستجواب، وتخلّصت من القلق والتوتر والوحدة، فقد كان هنالك جمع من أصدقائي، رفاق المعركة: وصار في حوزتي عدد من الكتب، وأدوات الكتابة، كما كنت أستدرك النقص من طريق الزيارات والزوار.

الخلاصة، أن جميع الأسباب اللازمة، ومن مختلف النواحي، قد توفّرت لإنجاز العمل المبتغى في كشف حقائق القرآن ومعارفه، وإعداد الدليل إلى المعارف القرآنية، وقد توصّلت في تلك الفرصة إلى أفضل النتائج. وكنت في أوج الحركة والنشاط، سعيداً بصحبة القرآن إلى حدّ يعجز القلم عن التعبير عنه.

طريقة العمل

كنت أبدأ العمل قبيل مطلع الفجر، بعد صلاة الصبح مباشرة، ولا أقوم في أثناء ذلك بأيّ عمل آخر، عدا الفطور والرياضة الصباحية وبعض الأعمال الروتينية الأخرى، كنت أتفرغ لهذا العمل كلياً (عدا الأيام التي أكون فيها مسؤولاً عن أعمال الخدمة والنظافة، وإعداد الوجبات الثلاث للمساجين، وتنظيف الأواني، التي تستغرق وقتي بكامله، فأعوضه في وقت آخر).

كان الجميع يعرفون أنهم لا يجب أن يُشغلوني في هذه الساعات بعمل آخر، وكنت ألجأ أحياناً إلى المناقشة والتباحث مع الآخرين لفهم موضوع ما فهماً أفضل، وقد كنا في السجن ـ والحمد لله ـ مكتفين من هذه الناحية.

حين بدأت، لم يكن بين يديّ سوى الأجزاء السبعة الأولى من تفسير «مجمع البيان»، ومن سورة الأنفال وحتى النهاية، وكان قد وصلني «تفسير الميزان».

عدا القرآن والتفسير، كانت عدة العمل قلماً ودفتراً من فئة المئتي ورقة، وفي النهاية امتلأ اثنان وعشرون دفتراً من البطاقات المتفرقة والمختصرة جداً، وكانت تنقصني الوسائل التي تسهل العمل كالملفات والكلاسورات وغيرها.

الاقتصاد في الامكانات

للاستفادة إلى الحدود القصوى من الوقت ومن الإمكانات المحدودة في السجن، ولتصغير حجم المستندات لتسهيل نقلها إلى خارج السجن، راكمت مجموعات من البطاقات الصغيرة الحجم والمختصرة. كنت أكتب مثلاً عدة قضايا مستخرجة من آية أو جزء من آية، بجانب عدّة عناوين، بجملة واحدة، كان هذا العمل صعباً في البداية، ثم بدأ يسهل بالتدريج.

في ما يلي نموذج من منهجية العمل:

ـ الإنسان.

ـ التاريخ: المجتمع الواحد تاريخياً، وانتفاء الاختلاف بين البشر.

ـ الوحدة: «كان الناس أمة واحدة».

ـ المجتمع.

ـ الاختلاف.

أو:

ـ الأنبياء.

ـ التبليغ.

ـ البشرى: دور الثواب والعقاب والبشرى والإنذار في دعوة الأنبياء.

ـ الإنذار: «فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين...».

ـ الثواب.

ـ العقاب.

في هذه السطور، كما هو ملاحظ، استخدمت إحدى عشرة بطاقة أي أن عدّة بطاقات، قد أعدت لجملة واحدة مرتبطة بعدد من العناوين. وعلى هذا النحو كانت كلّ صفحة من صفحات الدفتر تحتاج إلى عشرين بطاقة، وبما أن أكثر الدفاتر، قد استُخدمت

منها صفحتا الورقة الواحدة، احتاج كل دفتر (٢٠٠ ورقة)، إلى آلاف البطاقات.

في إعداد النص النهائي، صححت العبارات، واخترت الجمل الملائمة والأكثر تعبيراً عن المضمون ـ وبرحمة الله ولطفه، ونور القرآن ـ كانت العبارات تنثال من قلمي انثيالاً: فما إن أقرأ الآية، حتى ترتسم في ذهني لوحة واضحة لمواضيع الآية ومضامينها، فأسجل ذلك بسرعة وسهولة.

العباءة والتشادر

حكمت عليّ المحكمة البدائية بالسجن لمدة ست سنوات، ففكرت أن أكمل العمل في السجن، ولكن في الاستئناف، بعد توصية من العلامة الخوانساري، اختُصِرت المدة إلى ثلاث سنوات، فأدركتُ أنني لن أتمكّن من إتمام العمل في السجن، لذلك قررت أن أهرّب الدفاتر من السجن، خوفاً من مصادرة السافاك لحصيلة التعب، وكنا قد رأينا الكثير من أفعاله المؤذية والدنيئة هذه، كما أن الأصدقاء نبّهوني إلى هذا الأمر.

يسّر الله لنا طريق الخلاص حين صار يُسمح للزوار بالدخول، بعد أن كانت اللقاءات تتم من وراء الزجاج، كنت في أثناء كل زيارة من الزيارات أسلّم وأنا خائف مضطرب، دفتراً أو أكثر إلى زوجتي من تحت العباءة إلى تحت التشادر، وكانت هي تعرض نفسها بهذا العمل للخطر، بشجاعة مميزة. فقد كانت زوجتي تعرف أن حصاد عملي هذا، قيمته عالية، لي وللمجتمع الإسلامي، لذلك قامت بتهريب الدفاتر من السجن، ولم تواجه أيّ خطر بحمد الله ومنّته.(١)

أول الأعمال المشتركة

على الرغمن من أن العمل على القرآن، بدأ عملاً فردياً في البداية، وقد تعهّدت أن أنجزه شخصياً، ولكن منذ الأيام الأولى، ساعدني اثنان من رفاق السجن، السيد «معاديخواه» ـ الذي كانت لديه تجاربه في إنجاز عملٍ مشابه، في تبويب مفاهيم نهج

---

(١) للتعرف إلى مصير العمل على القرآن ومسيرته بعد الثورة: راجع مقدمة المجلد الأول من «تفسير راهنما» الصفحة ١٦ وما بعدها.

البلاغة، وقد أثّر في وضع المخطّط التوجيهي للعمل، كان بعيد النظر في الآيات مرة أخرى، وإذا توصّل إلى نقطة جديدة يثبتها على ظهر الصفحات نفسها، استمرّ هذا التعاون إلى ما قبل الإفراج عنه، حتى حدود الجزء الرابع من القرآن.

أما السيد «فاكر»، فقد أعدّ فهرساً كاملاً للعناوين، ولكنّ كلّ ما حضّره، ضاع في أثناء الانتقال [من إڤين وإليه].

في حين نجت الدفاتر الأخرى التي أخرجتها من السجن عن طريق الزيارات.

في كل الأحوال، كانت السنوات الثلاث التي أمضيتها في إنجاز هذا العمل من أفضل سنوات عمري، وكنت في أفضل حالاتي الروحية والمعنوية استقراراً.

لو لم أسجن في تلك المرحلة، لما أتيحت لي مثل هذه الفرصة، لا في مرحلة النضال، ولا في الظروف التي أعقبت انتصار الثورة.

الأرستقراطية في القرآن

هذا الجزء من الخواطر، يستدعي تذكّر عمل بسيط آخر، هو أيضاً خاطرة من خواطر إحدى دورات السجن. كان الدافع لهذا العمل، مطالعة كتاب لأحد الكتاب السوڤياتيين المعروفين، يتهم فيه الإسلام، أنه ظهر كتعبير عن تطلعات الأرستقراطية. فقمت بدافع تكذيب هذا الادعاء، بتمحيص القرآن بأكمله، وجمعت الآيات التي تثبت عدم صحة هذه النسبة. لم تكن الإمكانات متوافرة في ذلك السجن، فاستخدمت قصاصات أكياس الفاكهة وغيرها لكتابة الملاحظات. وقد كتبتها لحسن الحظ على نسختين، وقعت إحداهما في أيدي السجّانين، الذين استجوبوني من أجلها، والأخرى هرّبتها من السجن، وكانت من المذكرات الجيدة التي بقيت في حوزتي.

القرآن ملجأ آمن

أغتنم هذه الفرصة، لأتذكر تجربة من تجارب حياتي الثمينة. في جميع مراحل حياتي المليئة بالمنعطفات، إن كان ذلك في مرحلة النضال، أو في هذه المرحلة التي أتولى فيها زمام المسؤولية، لم أجد مطلقاً، في أي مكان أو أية ظروف نصاً يعادل القرآن في بناء شخصية الإنسان.

فأنا، حتى الآن، كلما أحسست ـ فكرياً ـ أن معنوياتي متدنية، ألجأ إلى القرآن، أقرأ جزأين منه أو ثلاثة، وأكرّر الآيات التي أقرأها عدة مرات، فتتحول النار في داخلي برداً وسلاماً.

كنت في الماضي ألجأ إلى القرآن مستمداً منه الصبر والأمان والاطمئنان في مواجهة المشاكل التي كانت تعترضني في مرحلة النضال، إضافة إلى التهذيب والسجن. . . وأنا الآن أعتصم به من مشاكل السلطة وسوء الاستفادة من مواقع المسؤولية.

القرآن علاج في جميع الحالات والأحوال، في العلاقات الإنسانية والحياة العائلية، في العمل والاقتصاد والإدارة، كما أنه النبع الذي يجب أن يُغذي الوعظ والإرشاد.

هو كتاب مفيد من أيّ النواحي وردته، ونحمد الله أن الشبان في هذه الأيام يَريدُونه أو يرددونه أكثر من الماضي.

أعمال متفرقة

إلى جانب الدراسات القرآنية، قمت بعمل أو عملين آخرين، كانا مؤثرين في ملء أوقات الفراغ في السجن، أحدهما الاستفادة من الدكتور شيباني لتعلم اللغة الفرنسية، وقد كانت لغته الفرنسية جيدة جداً، وكان لي من قبل معرفة متوسطة باللغة الإنكليزية، بعد عدة أشهر، تقدمت في هذه اللغة جيداً، وقررنا العمل على ترجمة القرآن إلى الفرنسية ـ لبلاشير المعروف ـ وقد عثرت بعد قراءة الجزءين الأولين على ستين ملاحظة، كانت كتيِّباً قيماً، فُقِدَ ـ للأسف ـ في ما بعد.

العمل الثاني

العمل الثاني كان نقداً لكتاب «فلسفة التاريخ» للدكتور پيمان. فقبل هذا الاعتقال ـ في أوج اهتمام الشباب بالماركسية ـ طلبت إلينا مجموعة من الأصدقاء أن نرد على الماركسيين في مجال فلسفة التاريخ، وقد قبلنا أنا والدكتور باهنر والدكتور پيمان مسؤولية طرح فلسفة التاريخ ـ التي كانت من محاور الخلاف الأساسية ـ برؤية قرآنية. فالماركسيون يفسرون التاريخ تفسيراً مادياً، في حين يطرح القرآن بوضوح تأثير العوامل غير المادية أيضاً في التاريخ.

كان الدكتور پيمان قد توصل في تحقيقاته إلى تأليف كتاب بعنوان «فلسفة التاريخ»، وقد أرسل إلينا نسخة إلى السجن بواسطة أحد الزوار. لاحظت بعد مطالعته أنه محكوم بالنظرة المادية أيضاً، فسجلت ملاحظات أرسلتها إلى باهنر ليساعد الدكتور پيمان في تصحيح الكتاب. لا أعرف اليوم مصير هذه الملاحظات، التي كان مطهري قد رآها، وحين زارني بعد الإفراج عني، هنّأني على هذا العمل.

مطهري بين قلق وسرور

بارك لي الشهيد مطهري مرتين ـ بالنسبة إلى بعض القضايا العقيدية ـ إحداهما بسبب الرد على ما جاء في كتاب الدكتور «پيمان». فقد قال لي بعد خروجي من السجن: «سررت كثيراً حين قرأت مناقشتك للإشكالات المطروحة في ذلك الكتاب، لأنني كنت أظن أن النظرة المادية المهيمنة في السجن، قد أصابت عدواها الجميع».

ـ الثانية حين علم بخبر نقاشي و«بهرام آرام» ـ الذي أشرت إليه في الخواطر السابقة، في أثناء رحلتي إلى الخارج. فقد قال لي، حين طال النقاش بتحدٍ وقلة أدب، وقد كان جالساً بطريقة استعراضية خاصة وهو يتكلم:

ـ «ألا نناضل نحن ضد الشاه؟».

ـ قلت: بلى.

ـ قال: «أتناضلون أنتم أيضاً ضد الشاه؟»

ـ قلت: بلى.

ـ قال: «إذاً، لدينا نقطة لقاء مشتركة، ولذلك لا يجب أن تقطعوا المساعدات عنا».

هنا قلت: «نحن نناضل ضد الشاه، لتطبيق أحكام الله، وأنتم تريدون أن تستبدلوا ستالين بالشاه، نحن لا نساعد في نضال هدفه إحلال ستالين محلّ الشاه»

هذا الردّ الصريح والمواجهة المباشرة، لرجل مسلّح، عنيف، قتل رفاق له في السلاح، في الصراع العقائدي والتصفيات الداخلية، كان من الممكن أن أثير عصبيته، فيلجأ إلى العنف دون أي رادع، كان هذا بالنسبة إلى مطهري عملاً مثيراً.

النظر إلى السجن من زاوية أخرى

بعيداً من المسائل الجدّية، كان المزاح والهزل في السجن حاجة نفسية، فقد كان السجناء يحاولون قضاء بعض الوقت بالضحك والتسلية والمزاح، وكان الجناح رقم/١ في سجن إڤين مميزاً ومثيراً من هذه الناحية.

بين العنف . . والتسلية

كانت معاملة السافاك لنا في سجن إڤين متقلّبة، متساهلة حيناً، وأحياناً عنيفة، فمنذ الأيام الأولى التي أدخلوا فيها مجموعتنا إلى ذلك السجن وضعوا برنامجاً آخر، لمزيد من الضغط، لإعادتنا من جديد إلى سجن «المجلس المشترك»، فأحضروا قيوداً إلى المكتب، وقيدونا بالأيدي الواحد تلو الآخر، أخذنا نحن الأمر منذ البداية على محمل الهزل، وفي أثناء الطريق، حولنا الحدث إلى موضوع للسخرية والمزاح، وضحكنا إلى حدّ إفقادهم صوابهم.

في مكتب «مكافحة المخدرات»، أحضروا ثياباً مستعملة وسخة وملطخة بالدماء لنلبسها. فقال طالقاني: «أنا لن ألبس هذه الثياب، لا نستطيع أن نصلي فيها»، قلنا لأنواري ممازحين، وقد كان سميناً، وكانت مقاسات الثياب العادية ضيّقة عليه، أنت يجب أن تلبس الثوب بالعرض؛ وهكذا انقلب الجو إلى الهزل والسخرية، فأعادونا إلى إڤين.

وهكذا حولنا الموقف نفسه، الذي كانوا يريدون من ورائه تحقيرنا، إلى مصدر للمزاح والتسلية، وقد ألف «أنواري» مرثية حول هذه الحادثة، كان يقرأها على طريقة مجالس العزاء، واستمرينا مدة، كلما أردنا أن نتسلى، نطلب إلى السيد أنواري، أن يعيد هذه المرثيّة على مسامعنا. ولقد كان في غرفتنا «ميكروفون» مخفيّ، يتنصت بواسطته السافاك علينا، ويتسلون بالاستماع إلينا.

تمثيل قصة الهجرة إلى الحبشة

في أحد الأعياد ـ أعتقد أنه عيد البعثة النبوية ـ استخدم بعض الأصدقاء الإمكانات

التي كانت متوافرة في السجن، لتمثيل قصة هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكانت مسرحية مثيرة للغاية، لعب كل واحدٍ الدور الذي يناسبه، وفي أثناء العرض، في أثناء تمثيل المناخ الذي كان سائداً في عصر صدر الإسلام، ومظاهر المقاومة المعروفة، تأثر أحد المساجين بشدة إلى حد الصراخ، فنزل مأمور السجن إلى الأسفل مسرعاً، وهو يتصور أن للتمثيلية طابعاً سياسياً، وأراد أن يجري تحقيقاً، إلى أن تمكن الأصدقاء من إقناعه بطريقة من الطرق.

برنامج المطارحات الشعرية

من تسلياتنا، أننا كنا نتحلّق حول بعضنا، وقد تقرر أن يُنشد كلٌّ منا بيتاً أو بيتين من الشعر بصوت عالٍ، كان بعض الأصدقاء يستصعبون الإنشاد، ولكننا كنا نصر على مشاركة الجميع، وكانت فرصة للتسلية؛ تخيلوا مشهد السيد طالقاني والسيد منتظري وهما ينشدان! أنا أيضاً لا أملك صوتاً جميلاً، وقد قال السيد طالقاني بعد أن أنشدت بيتين ممازحاً: «فهمنا الآن، ما هي الفلسفة الكامنة من وراء تحريم الغناء!».

تتداعى الآن إلى ذهني خاطرة تعود إلى الزمن الذي كنت أذهب فيه إلى أصفهان للتبليغ، أنشدت مرة مجلس العزاء بصوت عالٍ، بعد أن غادرت، صعد أحد معارفي إلى جانبي في السيارة وقال لي: «لي عندك رجاء، أن لا تنشد بعد اليوم».

شبهة بسط اليد وصلاة الجماعة

حين أعاد الحكم النظر بسياسته في المرحلة الأخيرة، وأفسح في المجال أمام الحريات السياسية، شعر السيد «منتظري» في ذلك الحين أننا «مبسوطو اليد»، ويجب أن نقيم صلاة الجمعة. كانت فتواه هي التالية: حين توجد الحكومة الإسلامية، أو يكون العلماء مبسوطي اليد، فإن صلاة الجمعة واجبة. الأصدقاء الآخرون لم يؤيدوا هذه الفتوى، وكانوا يقولون: «ما معنى بسط اليد هذا، وبإمكان أيّ سجّانٍ أن يغيّر أشكالنا، وأن يمنعنا من إقامة صلاة الجمعة».

في كل الأحوال، كان العلامة منتظري يقيم صلاة الجمعة. قال مرة في خطبة الجمعة ـ في منتصف شعبان ـ من ضمن كلام له عن ظهور الإمام المهدي، ما معناه:

«ليس من الضروري أن يظهر صاحب العصر، بصورة طالب علوم دينية، من الممكن أن يخرج على شكل لورد إنكليزي!»، استغل السيد لاهوتي هذا الكلام للضحك والتسلية، وكان في بعض الأحيان، يكرر هذه الخطبة بطريقة إلقاء هزلية.

إشارة إلى ثقافة السجون

بعد مراجعة خواطر السجن، يمكننا من خلال التمحيص في شعابها، أن نلقي نظرة على ثقافة السجن.

لا أزال أذكر حتى الآن طريقة تقسيم العمل في السجن. كان من المفروض أن يتولى كلّ سجين بدوره إنجاز الأعمال اليومية: كنس الأرض، غسل الأواني، إعداد الطعام، تحضير المائدة، توزيع الشاي والفاكهة والنُقل على المساجين، وإيقاظهم في شهر رمضان وقت السحور.

أرى من المناسب هنا، أن أتذكر بالخير الشهيد «عراقي»، الذي كان يحسن إدارة الأمور في السجن، وبخاصة في أيام الزيارات، حين يكون هنالك عدد من العائلات والزوّار، ويجب تنظيم وتقسيم ما يحضرون من الفاكهة والثياب والحاجات الأخرى، حتى لا يشعر بالحرمان من لا يزوره أحد، على الرغم من أن البعض في المدة الأخيرة قد أساؤوا الاستفادة من هذه الروحية في التعامل.

ولكن في كلّ الأحوال، إن الروح المحركة لهذه الثقافة لافتة وتستحق التقدير، سنعود إليها في الوقت المناسب.

الفصل التاسع

نحو الهدف

الالتحام بالجماهير

لم يكن قد بقي سوى عشرة أيام، وتنتهي مدة محكوميتي في السجن ـ التي كانت ثلاث سنوات ـ حين صدر القرار بالعفو عني، كان من الطبيعي أن أرفض مثل هذا العفو، فقد كان مضراً لي، وقد ورد في الملف [الذي أطلعنا عليه بعد الثورة]، أنه قد تم الإفراج عني بعفوٍ من الشاه، ولكن الأصدقاء نصحوا إليّ بقبوله لسببين:

١ ـ احتياجات النضال الذي زادت أمواجه، وقالوا، إن هنالك تأكيداً من خارج السجن، أنّ خروجك المبكر أفضل للمساعدة في إدارة الأمور.

٢ ـ هنالك احتمال، أن يفرض تغيير الحوادث تغييراً في الأوضاع، في أي لحظة من اللحظات، ويعود الحكم من جديد إلى مواقف القمع والعنف، ومن الممكن حينئذ أن يمنع الإفراج عن أشخاص انتهت مدة حبسهم، وأن يحدث من جديد، ما أطلق عليه في الماضي اسم «المذبحة الوطنية».

نظرات إلى التحقيق الفعلي للثورة

بهذه الروحية خرجنا من السجن ـ وكانت الغلبة في السجن لمنطقنا ـ وعلى عكس ما كان سائداً قبل بضعة أشهر، لم يبق أحد في تلك الظروف مصراً على مواقفه السابقة، وانتهت الخلافات الفكرية والعقائدية والأيديولوجية والتكتيكية لمصلحتنا. وكان هناك

تنظيم بانتظارنا، فقد دخل العلماء مطهري، بهشتي، باهنر وآخرون الميدان.

صحيح أن كثيراً من العلماء في السابق كانوا مؤيدين لنا من وراء الستار، ولكنهم حين ما بدأ العمل ووزعت المهام لم يتجرأوا على معارضة النظام علناً.

بينما، في العامين ١٣٥٦ـ١٣٥٧ [١٩٧٧ـ١٩٧٨] دخل جميع الأصدقاء ساحة المعركة علناً، وصفاً واحداً، وأعدّ كلّ شيء، ولم تتح لنا فرصة للراحة، حتى ليوم واحد. وقد كان الحكم في هذه الظروف المستجدة قد قرر أن يساير رجال الدين، بطريقة من الطرق، طامحاً إلى إحلال الهدوء والاستقرار محلّ الاضطراب، وحين ما خرجنا من سجن إڤين، لم يفتشوا أغراضنا، وكنا من قبل قلقين خوفاً من أن يصادروا الدفاتر المتعلقة بدراسة القرآن، والتي بقيت بحوزتنا بعد تهريب قسم منها إلى خارج السجن عن طريق الزيارات.

مجموعة معلومات

أفرج عني في شهر آبان ٥٧ [١٩٧٨]، قبل انتصار الثورة بشهرين أو ثلاثة أشهر، وقد زارتني في الأيام الأولى وفود كثيرة من قم وطهران وأماكن أخرى. كانت هذه اللقاءات مفيدة لي، فقد وضعتني بسرعة في أجواء الحوادث، فاطّلعت على ما كنت أجهله وأنا في السجن: التحالفات، تعدد وجهات النظر، تنوع البرامج، إدارة التحركات، اللجان المركزية للحركات، طبيعة العلاقة بالإمام، وغير ذلك من الأمور التي وضعتني في قلب الحدث.

كانت للحركات المرتبطة بالماركسيين والقوميين مطبوعاتُها، في ذلك اللقاء السياسي المفتوح، وقد حاوَلَت التعتيم على المحرك الأصلي لحركات النضال، أي المؤسسة الدينية، وشخصياتها البارزة، ومن هذه الزاوية حاولوا تجاهل أهمية الإفراج عنا، وأظهروه بلون باهت، حتى أنهم كتبوا بدلاً من هاشمي بهرماني، هاشمي طهراني. كانوا يخططون لمصادرة الثورة باتجاههم.

لقد كان موقفهم مختلفاً بالنسبة إلى السيد طالقاني، فقد أعدّ له الفريق الأول استقبالاً حاشداً، بينما وضع الفريق الآخر برنامجاً تفصيلياً للعلامة منتظري، كان لاختلاف موقفهم من العلامة طالقاني سببان:

١ ـ الصورة التي كونوها عن العلامة طالقاني، وظنهم أن بإمكانهم تحميله وجهات نظرهم.

٢ ـ شخصيته المبدئية، وسوابقه التي لا يمكن تجاهلها، وهم إن أرادوا أن يعزلوه، معنى ذلك تفشي الفرقة والاختلاف في ما بينهم.

في ذلك الحين، كان الإمام في باريس، وكان اتصالنا به جيداً، فقد أرسل مبعوثاً من طرفه، إضافة إلى المكالمات الهاتفية مع السيد أحمد [نجل الإمام] كان أول ما طرحناه، بعد الإفراج عنا مباشرة، أن يكون لنا ممثلون في باريس بصورة دائمة. كان من المتوقع أن أسافر أنا إلى باريس وقد هاتفني السيد أحمد، قائلاً «إن الإمام يسأل، لمَ لم تأتِ إلى باريس؟» فأجبته: «إن العمل كثير هنا، ولا فرصة لدينا للسفر إلى باريس».

لقد وصلنا، بعد العطش الذي كابدناه في زمن الغربة، فجأة إلى بحر الجماهير العظيم، وتحققت عملياً آمال السنوات العشر أو العشرين السابقة دفعة واحدة. لذلك فكرت أن ننشئ تنظيماً رسمياً لرجال الدين المقاومين [روحانيت مبارز]، وعلى الرغم من أن اجتماعات كانت قد عُقدت من قبل، صرنا نعقد جلسات دورية في الظروف الجديدة، ولكنّ التنظيم الفعلي، وتدوين النظام الداخلي وتصويبه وتنظيمه، وتصويب القوانين الإجرائية، أنجزت بعد خروجي من السجن، فأنا الذي كتبت النظام السياسي والقوانين.

الفرار

بعد فرار الشاه، وبلوغ المقاومة أوجها، اتسعت موجة الخوف لدى علماء النظام، الذين بدأوا، إضافة إلى جهودهم للمحافظة على نظام الحكم، بدأوا تهريب جزء من أموالهم إلى الخارج، وقد أعدوا برنامجاً للهرب، وهكذا هُرِّبت في مدة قصيرة مبالغ لا تحصى من الأموال إلى خارج البلاد، كما فر عدد كبير من الأشخاص.

في النهاية، اعترض موظفو البنك المركزي على تهريب النقد إلى الخارج، وقد ساعد هذا الفرار على تعزيز معنويات المناضلين، وإضعاف معنويات الحكم والمرتبطين به.

تنظيم رجال الدين المقاومين

كان الشكل الذي استقر عليه التنظيم كالتالي:

فريق منا: أنا ومطهري وبهشتي وباهُنر وموسوي أردبيلي ومفتح في اللجنة المركزية، وقسّمنا طهران إلى عدّة مناطق، وفي كلّ واحدة من هذه المناطق يُعقد اجتماع لرجال الدين الذين نعرفهم، ويتم انتخاب ممثّلين عنهم في اللجنة المركزية. من هؤلاء النواب ومن مجموعتنا، تشكلت الهيئة المركزية الجديدة لتنظيم [روحانيت مبارز]، ومجلس تخطيط. وكانت كل القرارات والتصويبات، ودخول أعضاء، وعزل آخرين تجري بصورة ديمقراطية.

في هذه المرحلة، وبناءً على اقتراحنا، وبأمر من الإمام، بدأ مجلس شورى الثورة يعمل، وتشكلت مجالس تعمل تحت مراقبته، لحل قضايا الثورة والمشاكل التي تعترضها: الطاقة والإضراب و..

ـ تفاقمت مشكلات المحروقات لدى الناس، ونتج عنها الكثير من المشكلات، فإضراب عمال النفط في فصل الشتاء، أخلّ في تأمين الطاقة للاستهلاك المحلي، وكان الحكم يعدّ العدّة للاستفادة من تلك المشاكل لصالحه. أحد أسباب الخلل، مصدره المشاكل التي طرأت على مصافي التكرير، وامتلاء الخزانات بسبب إيقاف التصدير، مع أن المضربين كانوا أساساً قد امتنعوا عن تصدير النفط، وليس تكريره للاستخدام الداخلي.

إضافة إلى أن الإضراب نحا منحىً متطرفاً فأثّر على الإنتاج من أجل الاستهلاك الداخلي، وكانت الغاية من ذلك عرقلة تحركات أجهزة الحكم والآليات العسكرية، التي كانت تستفيد من هذا الإنتاج.

لا شك أن إيقاف التصدير، كان ضربة قوية للنظام، علماً أن الاحتياط النقدي تدنّى، ولم يعد بإمكان النظام الوقوف على قدميه.

كما أن المشكلات التي نتجت في العالم، للنقص في التدفئة وغير ذلك بسبب إيقاف تصدير النفط الإيراني، زادت من الضغوط الدولية على الحكم لحلّ هذه المشكلة.

كانت صفوف الناس المنتظرين دورهم للحصول على مشتقات النفط، تصل أحياناً

إلى حدود الكيلومتر الواحد، لا أذكر الآن الاقتراح الذي قُدّم لحل هذه المشكلة. في كل الأحوال، كانت لجنة الإضراب فاعلة، وكانت على علاقة وثيقة بمجلس شورى الثورة.

الميل إلى الشورى

كان الميل إلى الشورى في تلك الأيام شديداً، فقد كانت ذاكرتنا مثقلةً بالخواطر المرّة من الاستبداد والدكتاتورية، ولم نكن نرغب بأيّ وجه من الوجوه، أن نلجأ إلى الأساليب الفردية في الحكم؛ فقد كانت مقاومة الاستبداد من أقوى دوافع النضال لدى الشعب ولدينا جميعاً؛ وكنا نرى أن التخلّص من الاستبداد، لا يكون إلا بالشورى، ولم يفكر أحد مطلقاً بالحكم الفردي، لهذا السبب جاء تشكيل مجلس شورى الثورة أمراً طبيعياً، وليس من المهم على الإطلاق، أن ننسب ابتكارَه إلى فردٍ واحد أو اقتراح خاص.

إنّ تركيبة مجلس شورى الثورة، كانت عبارة عن الأشخاص الذين يثق بهم الناس والإمام، ويتمتعون بميزة الرغبة في العملِ الجماعي لم يكنْ السيدان منتظري وطالقاني قد أفرجَ عنهما بعد، وكان الأعضاء الآخرون عبارة عن الساده: مطهري، المهندس بازرگان، الدكتور سحابي، بهشتي، موسوي أردبيلي، باهنر وأنا، وأشخاص مثل المهندس سحابي والدكتور شيباني واللواء قرني وغيرهم.. كل واحد ارتبط بنا في ما بعد بدافع ما.

بعد سفر مطهري إلى باريس، أصبح مجلس شورى الثورة ـ الذي تشكل من قبل ـ رسمياً وأُعلن عنه، علماً أن أسماء الأشخاص لم يعلن عنها حتى النهاية.(١)

---

(١) وجه إلى آية الله بهشتي سؤال عن مكان انعقاد جلسات مجلس شورى الثورة، ومن سيحضرها، ومن الذي يختار أعضاء مجلس الشورى فكان جوابه كالتالي: «ذكرت، أن الأشخاص يعيّنهم الإمام، بمعنى أن الإمام كلّف أولاً مجموعة من خمسة أشخاص، للتعرف إلى الأشخاص المناسبين للإدارة في المستقبل، وهذه المجموعة عبارة عن: آية الله مطهري، هاشمي رفسنجاني، موسوي أردبيلي، دكتر باهنر، وأنا، بعد ذلك تحدثنا نحن إلى السيد «مهدوي كني»، وأطلعنا الإمام على نتيجة المحادثات، وقد صار عضواً مشاركاً، وعلى هذا النحو أصبح عدد أعضاء مجلس شورى الثورة ستة أشخاص، أضيف إليهم آية الله طالقاني، وخامنه إي. في كل الأحوال هؤلاء الأعضاء الستة الأول هم: مطهري، رفسنجاني، باهنُر، موسوي أردبيلي، مهدوي كني، وأنا، بدأنا بالاستعلام عن الأشخاص، ثم قُبِلَ بعد ذلك بالتدريج المهندس بازرگان، الدكتور سحابي، وعدد آخر من الشخصيات المعروفة من الإمام. في كل الأحوال يتألف مجلس شورى الثورة من بضعة رجال دين من أعضاء [روحانيت مبارز]، ومن شخصيات لها تجربة سابقة في صحيفة «إطلاعات» الثلاثة ٣١ تيرماه ١٣٥٩ [١٩٨٠].

لجنة المحروقات

تشكلت بأمر من الإمام لجنة مهمتها حل مشكلة المحروقات، كنت أنا أحد أعضائها، لم يكن وارداً بالنسبة إليّ أن أشارك شخصياً في هذه اللجنة، فقد كانت احتياجات الهيئة المركزية كبيرة، وكنت أشعر أن تلبيتها ضرورية أكثر، ولكن الإمام كان على ما يبدو يعتقد بأن الهيئة لن تتمكن من إنجاز مهامها كما يجب، ما لم يكن في عداد أعضائها رجل دين معروف، ولذلك أورد إسمي.

وقد تألفت الهيئة بناء على أمر من الإمام، مني ومن المهندس بازرگان والمهندس كتيرائي، على أن نتفق نحن على اختيار عضوين آخرين. كان اختيار المهندس بازرگان لخبرته في هذا المجال، أما بالنسبة إلى اختيار الآخرين، فإن المهندس بازرگان هو الذين سمّى المهندس حسيبي.

لجنة الإضراب

كان العمل الأساسي لهذه اللجنة، تحديد نوع الإضراب الأقوى تأثيراً والأقل ضرراً بمصالح الشعب والوطن، وتجنُّب الإضراب الذي يلحق ضرراً وخسائر بالمواطنين ويسيء إلى الثورة، وهذا معناه، أن الإضرابات إذا أخلّت بحياة الأفراد والجماعات وتولّدت عنها احتياجات جديدة، فيجب العمل على تأمين هذه الاحتياجات، وحلّ مشاكل الناس الناتجة عن الإضراب. كانت جماهير الشعب تطيع قرارات هذه اللجنة، وبعض تجار البازار يدعمونها مالياً.

نتائج خطبة حسيبي

كان المهندس حسيبي قد سبق أعضاء الهيئة في السفر إلى خوزستان، وألقى في الأهواز خطبة، يغلب عليها منطق «الجبهة الوطنية» وثقافتها، ولا تلائم ذائقة الثوريين الثقافية، وكادت ردود الفعل التي نجمت عنها أن تودي بنجاحنا في تحقيق أهداف السفر. ولم يوفّق بازرگان إلى تلافي الآثار السلبية التي خلّفتها الخطبة على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها.

كان لا بد من أن ألقي خطبة في منشآت شركة نفط عبدان المركزية، وكانت الأصول تقضي أن يكون نص الخطبة في حوزة المهندس كتيرائي، ولكنه لم يعرضها عليّ حتى الآن، فقد كان هو مدير الهيئة.

خطبة عبادان

الخطبة التي ألقيتها قلبت المعادلة، وأبعدت الأحكام المسبقة والاعتراض وسوء النية. كان كلامي حماسياً وثورياً، يستند إلى المشكلات التي واجهت حركة النضال في مختلف مراحلها، وإلى الاعتقالات، وتجربة السجن، وآراء الإمام، فتحسَّن الوضع، وأدى إلى تعاون المضربين مع الهيئة بإخلاص، ووُضعت برامج لحلّ المشاكل الناتجة عن الإضراب، كان لها تأثير في حلّ مشاكل الناس، ونقص الوقود، وكذلك في لفت نظر المراقبين الأجانب إلى مدى قدرتنا ونفوذنا؛ فقد كانت مسألة النفط الإيراني في تلك الأيام من أكثر المشاكل العالمية حساسية، وكانت الأخبار المرتبطة بها تنتشر بسرعة كبيرة في جميع أنحاء الدنيا.

كانت عشرات ناقلات النفط الضخمة راسية في مرفأ جزيرة «خارك» وجوارها ولم يسمح لها بالتعبئة، ولم تزوّد بالوقود لتعود أدراجها. رأينا المنظر بالهليكوبتر، واقترحنا تزويدها بالوقود، فتحلّ مشكلتها، وفي الوقت نفسه تفرغ معامل التكرير، وتحلّ مشكلة التكرير.

رافَقَنا في تلك الرحلة السيدان «نعمت زاده» و«شهيد قندي»، وهما طالبان شابان كانا يعرفان بعض أعضاء الهيئة، والسيد «محسن رضائي» وأصدقاؤه الذين كانت لديهم مجموعة ـ مؤلفة من سبع فرق مسلّحة، تشكّلت كردّ فعل على ارتداد [مجاهدي خلق] ـ وقد نال رضائي مكانة وتقديراً لدى القوى الثورية بعد إعدام أحد المسؤولين الإنكليز في خوزستان، كان هنالك أيضاً السيد طباطبائي الذي عمل لمدة قاضياً حين قيام الثورة وقد قدم إلينا الكثير من المساعدة.

اتخذت الهيئة من منزل السيد كياوش ـ الذي غيّر اسم عائلته في ما بعد إلى «علوي تبار» ـ مقراً لها، كان لافتاً أن يكون الأستاذ كياوش مضيف أهل هيئة رسمية للثورة.

زرنا في هذا السفر إضافة إلى عبادان، خارك والأهواز وگوره، وأخيراً سافرنا إلى شيراز، التي كانت المصفاة فيها أيضاً تعاني من المشاكل، وهناك التقينا بآية الله محلاتي وآية الله دستغيب، وخطبنا في مسجد الوكيل بجمع من أهالي شيراز.

كانت رحلة ناجحة ومثيرة، ظهرت أهميتها للعيان، وكان لها تأثير أساسيّ على الحكم والناس الذين حُلَّت مشاكلهم من ناحية، وعلى المراقبين الدوليين والأجانب من ناحية أخرى.

لجنة المسيرات

كانت هذه اللجنة من اللجان الفاعلة، التي ظهر أثرها الأساسيّ في مسيرات التاسوعاء والعاشوراء، وقد كان لهذه المسيرات، إضافة إلى كونها نقطة تحول في سلسلة مسيرات الثورة، خصوصيتها.

كانت المسيرات الجماهيرية الواسعة في تلك الأيام، أهم العلامات المميزة للثورة، تبدأ عادة من المساجد المتفرقة في أحياء طهران، يقودها رجال الدين، وتلتحم في شوارع طهران الرئيسية باتجاه النقطة المقرّرة؛ وفي كل الأمكنة، كان رجال الدين في مقدّمة الصفوف.

مفترق الطرق: الموت أو الحياة

كان ردّ الحكم، أنه هدد بضرب المتظاهرين بالطائرات، وأنه سيقتل أهل طهران قتلاً عاماً، نقلنا هذا التهديد إلى الإمام، فأكد الإمام على ضرورة القيام بالمسيرات في جميع الأحوال.

أجرت الحكومة في تلك الأيام مباحثات معنا، ممثلة باللواء «مقدّم»؛ عُقدت إحدى الجلسات في مجلس مطهري قبل سفره إلى باريس، كان حواراً مهماً، ربما كان التقرير عنه لا يزال في ملف مطهري.

كانت المباحثات تهدف إلى إقناعنا بأنّ الحكم مستعدّ لتلبية مطالبنا كلّها، كما أنه سيسمح بعودة الإمام إلى طهران بشروط معيّنة. في كلّ الأحوال من المستحسن إيجاد نص هذه المباحثات.

في النهاية وافق الحكم على إقامة المسيرات، ولكن بشروط: منها أن المسيرة يجب أن تنطلق من حسينية الإرشاد شمالاً، وأن لا تتضمن الشعارات إهانات للشاه.

الشرطان نُقِضا، وكان المتظاهرون يرفعون شعار «الموت للشاه»، على مساحة واسعة. وقد ألقيتُ في ذلك اليوم خطبة لمدة عشرين دقيقة في ميدان الحرية، واقفاً على سطح باص صغير، ومستخدماً مكبراً يدوياً للصوت. كذلك ألقى السيد مرواريد على ما أعتقد خطبة أيضاً في ذلك اليوم.

انطلقت مسيرة التاسوعاء بتوجيه من تجمعنا، وبمجلس مؤلف من ثلاثة أشخاص: أنا والمهندس سحابي وشخص آخر، بناء لدعوة السيد طالقاني، وجاءت مسيرة العاشوراء مكملة لها بالسعة نفسها وباندفاعة جماهيرية؛ وكان الإمام هو صاحب القرار الأساسي وراءها.

خصوصية هذه المسيرة، أنها حدّدت مصير الثورة، ووضعتنا على مفترق طريقين: الموت أو الحياة.

فإذا خضعنا لمساومات الحكم، ستكون النتيجة مزيداً من السلطة والتسلط، وإذا رفضنا، فاحتمال القصف بالطائرات وارد. لقد سرنا بناء على إصرار الإمام باتجاه الخطر الكبير، وأثبتنا في الوقت نفسه قوة الثورة في مواجهة الحكم، ورفضها الخضوع لتهديداته.

كنا مستعدين نفسياً في مسيرتي التاسوعاء والعاشوراء للشهادة، وبسبب التحدي والضغط اللذين تعرض لهما الحكم، كان احتمال الخطر بالنسبة إلى المتواجدين في الصفوف الأمامية للمسيرة كبيراً جداً.

منجزات الشهور الثلاثة الأخيرة

كانت الأعمال الهامة التي أُنجزت في الوقت الفاصل بين الإفراج عني ونجاح الثورة على الشكل التالي:

١ ـ تشكيل منظمة رجال الدين المقاومين [روحانيت مبارز] رسمياً.

٢ ـ تأليف مجلس شورى الثورة.

٣ ـ تشكيل المجالس الفرعية لشورى الثورة، وفي النهاية إدارة الإضرابات والمسيرات.

٤ ـ تأسيس مركز الاستقبال والمراجعات، ودراسة المسائل المتعلقة بعودة الإمام.

٥ ـ الاعتصام في الجامعة.

٦ ـ في النتيجة، انتشار أصداء الثورة عالمياً، تحت تأثير التوقف عن تصدير النفط الإيراني.

حكومة بختيار

مع تشكيل حكومة بختيار، توثقت علاقاتنا بالدولة، وكان في تجمعنا عدد كبير من الناشطين القوميين، فقد كان أعضاء [نهضت آزادي] وبختيار نفسه وعدد من معاونيه، من الذين أيدوا عملياً وفكرياً حكومة مصدّق، وكانوا في هذه المرحلة جسر الارتباط بيننا وبين الحكومة.

ليس لي شخصياً سوابق مع بختيار، ولا أتذكر شيئاً، عن حضوره في أيٍ من الجلسات التي كنا نعقدها.

مع ذلك، كان هنالك أشخاص على علاقة ببختيار: منهم اللواء «مدني» و«أمير انتظام»، كانا يساعدانه ويساعدوننا إلى حدٍّ ما، فقد كان من رفاق المهندس بازركان، وآية الله طالقاني، وكانوا صلة الوصل وفريق الارتباط، وكنا نستفيد منهما، وحين عاد الإمام وكانت الثورة في أوجها، كانا يزوران مقرّ الإمام بصورة دائمة كمبعوثين لبختيار ويتباحثان معنا، «مدني» كنت أعرفه من قبل، فهو من جهة على علاقة بآية الله طالقاني، ومن جهة أخرى، هو من أهل كرمان، ووالده أحد رجال الدين المعروفين في كرمان. أما «أمير انتظام» فلم أكن أعرفه من قبل؛ كانا في موقف وسطي فهُما على معرفة وثيقة بالحكومة والوزراء من ناحية، وعلى علاقة بالمناضلين وقادة الثورة من ناحية أخرى. كانت هذه العلاقة بالإجمال مفيدة للثورة، ويجب الأخذ في الحسبان فطنة الإمام وبعد نظره لاتفاقه معهم.

استطاع الإمام بطباعه المختلفة عن طباع أيّ قائد ثورى آحاديّ النظرة، من خلال المحافظة على العلاقة بهؤلاء العناصر واستقباله لهم، استطاع أن يضلّل الحكم من ناحية، ويبقي على الأمل لدى الجبهة الوطنية، ويمنع إحباطها المحتمل. مصدر هذا الاحتمال، أنه لو لم يحدث هذا لدفعت الثورة على فرض نجاحها، ثمناً أضخم، ولشاهدنا التفجيرات وما يستتبعها من مجازر عامة وعنف شامل، علماً أن التحليل المبني على النظرة البَعْدِيَّة للتاريخ عمل صعب جداً.

المهم في هذه المباحثات، أنها لم تعط الحكم أي مكسب، وقلّلت من ردود فعله القمعية.

الاعتصام في حرم الجامعة

واجهت عودة الإمام مشاكل عديدة، مصدرها اختلاف وجهات النظر بصدد سفر بختيار إلى باريس: حسم الإمام الخلاف، وكانت له الكلمة الفصل: فقد أعلن رسمياً أمام مراسلي وكالات الإعلام العالمية، أنه لن يستقبل بختيار ما لم يستقل من الوزارة.

في حين كان بختيار من خلال لقائه بالإمام كرئيس دولة، يريد أن يضفي على نفسه الشرعية، والإعلان عن لاشرعيته جعله يتردّد.

حين وضع الإمام شرط استقالة بختيار قبل اللقاء، أكد على عدم شرعية حكومته، وقد كان عدد من أهل الحكم في هذه المدة، قد قابلوا الإمام في باريس بعد استقالتهم من مناصبهم، وقد كان لذلك تأثير سلبيّ على النظام، في النهاية بعد أن يئس الحكم من إمكانية اللقاء بالإمام رسمياً، أعلن رفضه عودة الإمام إلى إيران، وعلى أثر هذا الإعلان حدث الاعتصام في الجامعة.

من المهم هنا أن نذكّر ببعض النقاط الأساسية:

١ ـ لجأ الحكم في أيام الاعتصام هذه إلى استخدام العنف في حرم الجامعة، فأجّجَ من جديد موجةً من الاستياء، ورفع الناس في المظاهرات هذا الشعار: «أيها القادة، سلحونا».

٢ ـ عقدنا جلسة مطوّلة في مكان يدعى اليوم باسم «تالار العلامة أميني». طرح فيها

مجموعة من الطلاب ـ لعلهم هم الذين أعلنوا عن أنفسهم فيما بعد باسم «تجمع الجامعيين الإسلاميين» جملة من القضايا والمقترحات، وقد استمرّ النقاش لعدة ساعات.

٣ ـ عقدت قبل الاعتصام جلسة في مدرسة الرفاه، اختلفت فيها وجهات النظر، بشأن استمرارية المقاومة وعودة الإمام.

الثورة على بساط الريح

إعلان الإمام عن عزمه على العودة إلى إيران، بأي ثمن ومهما كانت التوقعات، حسم النقاش والتردّد والاختلاف: وإن كان قد ضاعف من قلقنا وتوترنا.

كنا بالأمس خائفين من مجزرة عامة يتعرض لها الشعب جرّاء التهديد باستخدام سلاح الجو، وها نحن اليوم قلقون من أن يحدث للإمام ما لا تحمد عقباه، ولا يمكن إصلاحه.

أنا لا أعلم الآن ما الذي منعهم من تنفيذ هذا القرار الخطير، هو في نظري الإلهام الغيبي، أو ما يسمى «نصر بالرّعب»: مبدئياً لو أن ما سيحدث بعد الرحلة كان متوقعاً لديهم، لكان عليهم أن يقدموا على عمل ما.

أما التحليل القائل إن المانع، كان وجود هذا العدد الكبير، من مراسلي وكالات الأنباء العالمية داخل الطائرة، فلا أعتقد أنه كان وارداً في الحسبان، مع وجود الخطر الذي كان يهدد وجود الحكم، وتوقع التغيير في بلد حسّاس كإيران، رغماً عن أميركا والإنكليز.

ربما كان المانع الأصلي في نظرهم عدم جرّ البلاد إلى مزيد من الفوضى والهرج والمرج. في كل الأحوال كانت هذه الحادثة التاريخية المهمة، فريدةً لا مثيل لها يُقاس عليه، ولا يمكن فهمها بالتحليل الماديّ.

اللحظات الصعبة. . . والأجمل

كانت اللحظات التي قضيناها في المطار بانتظار طائرة الثورة، ثقيلة وصعبة ومقلقة،

كانت تسير ببطء شديد، وكانت قلوبنا تخفق بقوّة، وكنت أنا أحد منظمي مراسم الاستقبال.

أولاً: لم يكن لدينا من وسيلة، تمكننا من المحافظة على الطائرة التي تقلّ الإمام في الفضاء، ولا حين هبوطها.

ثانياً: بعد وصول الإمام، كان هنالك احتمال لأي عملٍ في أثناء سيره فلم تكن القوى الأمنية في المدينة تحت يدنا في جميع النواحي، على الرغم من وجود عدد كبير من القوات بتصرفنا.

في حين كانوا هم من جهتهم يسيطرون على المطار والشوارع، وجميع الأمكنة الأخرى، ولديم مجال واسع للتحرك، لقد كان بإمكانهم توجيه ضربة إلى الإمام بسهولة.

كنا قد بذلنا مساعياً حثيثة وجهوداً كبيرة، لتوزيع القوات الأمنية التابعة لصالون التشريفات، في جميع الأمكنة وبخاصة في أرض المطار، والأماكن الحساسة، ولهذا السبب لم نسمح لأنفسنا بالتغافل لحظة، حتى أننا لم نستجب لأشد احتياجاتنا العاطفية في تلك اللحظة، فأنا على الرغم من كل ذلك العشق والحبّ للإمام، لم أقابله في المطار، ولعلّ ذلك أثار استغراب الجميع.

وصل الإمام، نزل من الطائرة، وتوجه نحو المكان المخصص له، وألقى خطبة قصيرة، كنا طيلة هذه المدّة على مسافة بعيدة نسبياً خلف جموع المستقبلين، نراقب الأوضاع حرصاً على عدم الإخلال بالتنظيم. لم أذهب إلى جنة الزهراء «بهشت زهرا»، فضَّلْتُ متابعة المهام الموكولة إليّ: في هذه اللحظات ذاتها، كنا نعقد جلسة في منزل السيد موسوي أردبيلي، بمشاركة السيدين بهشتي وباهنر، لدراسة القضايا الملحّة وبرمجتها.

صدمة في أوج الفرح

كنا لا نزال في منزل موسوي أردبيلي، عندما وصلنا نبأ اختفاء الإمام، كان أول تفسير يتبادر إلى أذهاننا، هو أن الحكم قد خطّط لخطفه، أُصِبنا جميعاً بالقلق، وعشنا لحظات صعبة، إلى أن أخبرونا من منزل السيد «پسنديده» عن مكان وجود الإمام.

لم تُتح لي مهامي المتعددة فرصة زيارة الإمام، ولم أتمكن من رؤيته في تلك الليلة. في اليوم التالي، وقد كان في المدرسة العلوية، يستجيب لمشاعر الناس، قابلته للحظات. قال لي بلهجة عتب ومحبّة «أين أنت؟ أنا هنا منذ يومين، ولم أرك».

لم أرد أن أشرح ماذا كنا نفعل، أجبت باختصار: «لدينا مشاغل ومسؤوليات كثيرة، ومكان إقامتك بعيد عنا». لم أبق طويلاً، لحظات معدودة، قَبَّلْتُ بعدها يده، وغادرت.

أكثر المراحل توتّراً

كانت أكثر الأخبار السرية التي تصلنا في تلك الأيام، تتمحور حول استعداد الحكم لاستخدام أقصى درجات العنف، ما لم يعترف الإمام بصفة بختيار الرسمية. انصبّت جهودنا في هذه المرحلة، على منع تحقق مثل هذه الإجراء، وقد قمت بمباحثات عديدة مع بختيار وقره باغي ومقدّم... وكنا قد وجدنا وسيطاً مناسباً لكل واحد من مفاتيح الحكم الأساسيين. كانت السياسة الإجمالية التي اعتمدناها، أن نشغل الحكم بالمباحثات بأي وسيلة، وأن نفعل المستحيل كي لا تصل الأمور إلى العنف، إلى أن يقوى استعداد الناس، وترتفع معنوياتهم، وقد دارت المباحثات أيضاً حول إقناع بختيار بالاستقالة.

لقد كانت هذه المرحلة، أكثر مراحل التاريخ الإيراني توتراً واضطراباً.

الأيام المصيرية

وصلت المباحثات في نهاية الأمر إلى الطريق المسدود، واتضح أن بختيار غير مستعدّ للاستقالة، والإمام لا يرضى بأقل من تشكيل حكومة إسلامية. بدأ يتضح أولاً بأول، أن طريق التفاهم مقفل: أولاً: المرسوم التاريخي الذي أصدره الإمام وأعلن فيه اسم المهندس بازرگان رئيساً للوزراء في حكومة الثورة، ثانياً: العرض العسكري للقوات الجوية أمام الإمام، لم يمرّ دون تأثير، ويجب عَدُّهُ من العوامل المهمة التي أدت إلى هزيمة الحكم.

ظروف اختيار بازرگان

أهم المباحث التي طُرِحَتْ، منذ الأيام الأولى لعودة الإمام إلى إيران: البحث في

تشكيل الحكومة. كنا قد توصلنا جميعاً إلى هذه النتيجة: وهي أن الحكومة يجب أن تتشكل من عناصر «نهضت آزادي»، في حين كانت حكومة بختيار مؤلفة من عناصر الجبهة الوطنية، لم يكن هنالك قوى أخرى، عدا المنافقين [مجاهدي خلق]، ونظرائهم، الذين لم يكونوا بأي حالٍ من الأحوال مصدر ثقة، ولم يكن قد تقرّر بعد، أن يتدخل رجال الدين في الأمور الإجرائية.

كان هذا أحد الأصول المتفق عليها، وغير المكتوبة، وعلى هذا الأساس قرّرنا نحن أن نعمل كمجلس، ونوكل السلطات التنفيذية إلى غير رجال الدين، إضافة إلى أننا كنا لا نملك التجربة والاستعداد الكافيين للتنفيذ في هذه المرحلة، كانت الضرورة تقضي بتشكيل الحكومة، وتشكيل المجلس، ومجلس الخبراء، وتغيير القوانين الأساسية.

من هنا نشأت الحاجة إلى حكومة مؤقتة لإنجاز هذه الأعمال. فقد كان الإمام مصراً، على تشكيل مؤسسات رسمية، ولم يكن يرغب أن تدير مجموعة ثورية البلاد.

المشكلة التي كان علينا أن نواجهها في تكليف عناصر «نهضت آزادي» بالأمور التنفيذية والإجرائية، هي أن الإمام كان لا يحسن الظن بالأحزاب، أما الموافقة على تشكيل حزب الجمهورية الإسلامية فكان أمراً لا بد منه.

وبهذه الذهنية، اشترط لتكليف بازرگان بالمسؤولية أن يتعهد هو ومعاونوه أن لا يديروا البلاد بعقلية حزبية.

أما القول إن بازرگان قد وضع شروطاً لقبول المسؤولية، وأنه شرح موقفه بتفكير مميّز وسليقة إجرائية خاصة، أو أن السيد طالقاني كان قد أوصى بازرگان برفض المسؤولية، فأنا لا أتذكر هذه الأمور، علماً أنّ القرائن تقول العكس، ومن بينها الشرط الذي وضعه الإمام في قرار تكليف بازرگان برئاسة الحكومة.

بعد أن شُكِّلت الحكومة المؤقتة، أمر الامام أن أقرأ نصّ التشكيل في جلسة رسمية عامة وبحضوره. هذا القرار، والقرار الآخر المتعلق بعضويتي في اللجنة التي كلّفت بحل مشكلة الطاقة، كانا بالنسبة إلى الكثيرين رسالة موجّهة. قرار الحكومة المؤقتة كان واضحاً في هذا المرسوم، أما اختياري كمُبلّغ لرسالة الإمام ـ ربما وضعت حوله التحليلات في ما بعد ـ لم يكن إجراءً معقداً، ليوضع له برنامج خاص من قبل. لعل تشاوراً كان قد جرى

مع الإمام بهذا الشأن، واختارني الإمام وقد أذيعت رسالته، من جهاز بث متنقل يغطي قسماً من طهران.

في الوقت نفسه كان النظام الحاكم يعاني داخلياً من تعدّد مراكز القوى، وفي الجملة لم يكن هنالك انسجام بين بختيار وقره باغي.

في كل الأحوال في الواحد والعشرين من بهمن، صدرت الأوامر بتشكيل حكومة عسكرية، وأمر الإمام بحلّها في بيان لاحق، وأمر الناس بعدم الخضوع لها. هذه المواجهة أظهرت من جديد شخصية الإمام المميزة، الذي سجل رقماً إضافياً بشجاعته لمصلحة الثورة.

فجر ليلة ليلاء

ابتداء من صباح الواحد والعشرين من بهمن، بدأت المواجهات الدامية، وازدادت حدّة في المساء، وقد حاولنا في ليلة الثاني والعشرين إقناع الإمام بتغيير مكان إقامته، كي لا يكون بمتناول أيديهم، ولكنه رفض. كان قراره هذا خطيراً، ولكنه يعبر عن نفسيته المميزة وشجاعته الفائقة، ولعلّ الإمام كان قلقاً من أن يؤدي تغيير مقر الإقامة إلى إضعاف معنويات الأصدقاء، وتقوية عملاء النظام.

بعد أن يئسنا من إقناع الإمام، استنتجنا أننا لا يجب أن نبتعد عن هذا المقر، فاخترنا أنا ومجموعة من الأصدقاء المدرسة العلوية للبنات مكاناً لتجمعنا فمنها يمكن أن نرى إطلاق النار إذا حدث.

دخل أهل الحكم في صراع مباشر مع الشعب، وكان كل فرد من أفراد الشعب يتصرف بحسب سليقته. أحد الأشخاص استولى على دبّابة تمركز بها قرب مقرّ الإمام؛ بعض أفراد الشرطة ألقوا بأسلحتهم، وبعض الأشخاص هاجموا الثكنات، واستولوا على الأسلحة من المخازن.

ابني محسن أحضر من إحدى الثكنات مدفعاً رشاشاً يدوياً، وفي وسط الطريق أوقفته مجموعة من اليساريين، اقتحموا سيارته واستولوا على ما كان معه، فعاد إلى المنزل خالي الوفاض.

من أصعب مهامنا في تلك المرحلة تجميع تلك الأسلحة، وقد تولى محمد منتظري

مهمة مصادرة الأسلحة، وقد امتلأت مدرسة الرفاه، بأكوام الأسلحة المسروقة والمتنوعة، وقد استغلّت المجموعات السياسية المنظمة الفراغ الحكومي لتسليح عناصرها.

بعد الانتصار

كان الوضع مضطرباً، وكانت أيدينا فارغة، فلا شرطة ولا تنظيم مناسب، ولا فريق عمل منسجم. وكان كثيرون مستاؤون منّا، لأنهم لا يُختارون أعضاء في مجلس الشورى: المرحوم رباني شيرازي، السيد لاهوتي، محمد منتظري، السيد مرواريد. لم يكن لدينا الوقت الكافي ولا الظروف الملائمة للتوضيح. فمثلاً بالنسبة إلى تشكيل مجلس شورى الثورة، لم يكن الاختيار النهائي لنا، لقد اقترحنا أسماء عديدة، ولكن في كلّ الأحوال، كان التدقيق بالأسماء والرأي النهائي للإمام، ولكن لحسن الحظ لم يؤد هذا الاستياء إلى حصر القوى المخلصة لجهودها من أجل الحصول على المكتسبات.

ظروف تشكيل الحزب

أول ما خطر ببالنا جميعاً في تلك الظروف، هو الفراغ التنظيمي. كان الأصدقاء جميعاً قد أحسّوا أن نقص التنظيم السليم هو الذي أوقعنا في هذه الفوضى.

كنا قبل ذلك ـ قبيل الإفراج عني مباشرة ـ قد بحثنا في تشكيل الحزب، وعملنا لتحضير مسودات العمل، ولكننا جوبهنا بمعارضة الإمام. فالإمام منذ البداية كان يسيء الظن بالأحزاب، ويراها مدعاة للتفرقة، كان لا يزال في العراق، فسافر السيد «طاهر خرّم آبادي» لزيارته ونيل موافقته، ولكن جوابه كان سلبياً.

في هذه المرّة، قابلْتُ الإمام وعرضت عليه النتيجة التي توصلنا إليها، وأن النقص الأساسي الذي نعاني منه، سببه عدم تشكيلنا حزباً. فقال: «اذهبوا وشكلوا تنظيماً»، وقد أُعلِن عن تشكيل الحزب في الأيام الأولى لانتصار الثورة، وكان «منتدى التوحيد» هو المقر الأصلي الذي يجري فيه تسجيل أسماء المنتسبين، ومن ثم كان ذلك يجري في المساجد والمراكز الدينية الأخرى.

كان لا بد لنا، في تلك الأيام، انطلاقاً من إحساسنا بالحاجة والضرورة، على الرغم من ضيق الوقت وتراكم العمل والمسؤوليات، أن نصرف جزءاً من وقتنا في تشكيل الحزب.

الملاحق(*)

(*) في هذا القسم، تعميقاً لمعرفة القراء الكرام ببعض آراء المؤلف ومن خلاله خط الثورة، نورد فيما يلي مقدمتي كتاب «القضية الفلسطينية: مأثرة الاستعمار السوداء»، و«أمير كبير» أو «بطل مقاومة الاستعمار»، إضافة إلى نص مقدمة مقررات مجلس شورى الثورة.

الاستعمار[1]

تقديم

[إلى أكثر من مليون لاجئ فلسطيني، دفعهم الدمار والمجازر التي ارتكبها المستعمرون والصهاينة، إلى ترك ما لهم وما عليهم، وها هم الآن مبعدون في المخيمات، يعانون الفقر والذل والمشقات].

ما من لفظة على وجه البسيطة، تبعث على النفور، وتوحي بالشؤم كلفظة «الاستعمار».

قبل أن يعمد البشر إلى اجتياح البلاد الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، واحتلالها بطريقة دبلوماسية، كان هذا اللفظ مرادفاً لأحسن الألفاظ وأشرفها، فحين فكرت الدول الكبيرة الطماعة التوسعية في أن تغتصب ثروات الدول الضعيفة، ومواردها وكرامتها وشخصيتها المستقلة، لم تطلق على نفسها لقب السارق، المغير، الطاغي، الباغي ـ على الرغم من أن أعمالها أشد وقاحةً من السارقين العاديين ـ وإنما استخدمت لفظة «الاستعمار»، التي توحي بالعفة والشرف، هذه اللفظة التي تبشر ظاهرياً بالسعادة والرقي والتطور، والتي تنعش الروح وتحيي الأمل. لقد اختاروا هذه الكلمة، حين قالوا رياءً للناس، ها نحن قد جئنا لنؤمن لكم السعادة، ونأخذ بيدكم لنوصلكم إلى قافلة الرقي

---

(١) المقدمة التي وضعها الشيخ أكبر هاشمي رفسنجاني، لكتاب القضية الفلسطينية لأكرم زعيتر. طهران السابع من ذي الحجة ١٣٨٣ هجري.

والتطور، لتتمتعوا بمزايا البشر، وبحياة أفضل، ولذة أكبر، ولتستفيدوا من الموارد الطبيعية والإنسانية بشكل أفضل.

لقد اختيرت هذه اللفظة الراقية الجذابة، القيمة، التي تحمل هذا المفهوم الواسع، لأهداف متوحشة، خائنة لا تعرف الرحمة، ولعلها المرة الأولى التي تتنكر فيها جرائم البشر بصورة مضللة، لمدة غير محددة.

التضليل

إنها في النهاية ليست أكثر من لفظة، مهما كانت فاتنة ومضلّلة، ليس بإمكانها أن تقاوم قبح المعنى ورداءته الفائقة، ومن الواجب التفكير أن هذه القبعة المحبوبة لن تصبح بهذه السرعة أقبح مما تحتها ولا أطول حياة. فقد تعلم الدبلوماسيون دروس الغش والخداع، وقلبوا في أذهانهم جميع المفاهيم والمعتقدات العالمية المقدسة والشريفة، فوجدوا أن الدين هو الأصل الذي يمكنه أن يضمن للفظة الاستعمار المحافظة على ماء الوجه، وبما أنهم كانوا قد قرروا أن لا يرحموا أحداً، لم يخافوا من تلطيخ سمعة أرفع وأقدس المفاهيم في دنيا البشر ومسخها.

وهكذا فإن البلاد التي وقعت في قبضة المستعمرين، رافق طلائع الغزاة إليها رهبان وقساوسة.. أنفقوا أعمارهم في زوايا الكنائس متفرغين للعبادة، ولخدمة الحق والحقيقة، وخدمة خلق الله والتضحية في سبيل الآخرين. وها هم اليوم قد سافروا إلى تلك البلاد البعيدة ليضعوا أقوالهم موضع التنفيذ، وليطبقوها عملياً، لتخليص الناس من الذل والتخلف. وتلك الأمم المسكينة، التي لم تكن تتَخيل أن الموضوع يمس وجودها وكيانها، وحتى إن تصورته، ما كان بإمكانها أن تستوعبه، لذلك تفاءلت بقدوم طلائع الغزاة، وأحسنت استقبال الضيوف غير المدعوين، ووضعت تحت تصرفهم جميع إمكاناتها ومواردها. فإذا فوجئ الناس في البداية بما لم يتوقعوا، فلهم النصائح الأبوية والحكيمة للقادة الدينيين، المستمدة من نصائح تُحرف آيات الإنجيل المقدس، تأمرهم بالصبر وتَحَمل الذل والأذى، وتؤملهم بوعود تفوح منها رائحة الوحي، تجعلهم يحلمون بحياة بديلة ومستقبل أفضل.

هذا هو مرد ذلك الربط بين الدين وبين كلمة الاستعمار، وكان هناك مستقبل ينتظر هذين المفهومين المقدسين، فماذا حدث؟

غزو العقول والمشاعر

في النهاية لا يستطيع شرف لفظة ما، والتعليمات المغلوطة والمضللة للكنيسة أن تصمد طويلاً في مواجهة المُسَلمات والوقائع المحسوسة، وليست جنايات الاستعمار شيئاً يمكن أن يظل مخفياً وراء الستار إلى الأبد، فهم يريدون أن يستغلوا الناس أمام أبصارهم، وأن يسحبوا دماءهم، وليس لأموال المستعمرين وأرواحهم وناموسهم وشرفهم وحقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية مفهوم أو مصداق، لذلك يجب قبل أي شيء آخر سرقة عقول الناس ومداركهم، وغزو أفكارهم ومشاعرهم، وإبقاؤهم يرسخون في أغلال الجهل ليسوقوهم كالحيوانات ويستثمروهم، دون أن يدركوا ما يُصنع بهم، يجب أن تعصب عيونهم كحصان المعصرة، يدير الرحى دون أن يعرف ماذا يفعل، كما جاء في القرآن الكريم عن أهل العذاب: ﴿لو كنَّا نسمعُ أو نعقِلُ ما كنَّا في أصحابِ السعيرِ﴾ [الملك: ١٠].

هذه أكثر الضربات التي نفذها المستعمرون سوءاً وظلماً وتجنياً على المجتمعات المستعمرة (أي في المستعمرات الرسمية أو في البلدان المستقلة ظاهرياً ولكنها تحت نفوذ الاستعمار وسلطته).

يجب أن يظلّ هؤلاء الناس محرومين من الثقافة والعلم والأدب بالمعنى الواقعي، وأن تقفل في وجوههم أبواب الفضيلة، إن الأبدان ترتعش والضمائر تهتز حين تتطلع إلى إحصاءات أعداد الأميين في المستعمرات في منتصف القرن العشرين.

قال باتريس لومومبا في خطبة له في عيد استقلال الكونغو بحضور ملك بلجيكا المستعمِرة: «إن عدد المتعلمين في جميع أنحاء بلادنا لا يتعدى المئتين، وليس لدينا طبيب واحد لكل خمسين ألف إنسان».

حتى الآن، ليس في الكونغو كلها التي يبلغ عدد سكانها أربعة عشر مليون نسمة طبيب أو مهندس أسود من سكان البلاد الأصليين.

لم يسمح الاستعمار حتى الآن أن تدون ألفباء الكونغو الأصلية، التي نُسخت كلياً،

وليس في أرض الكونغو كلها التي تبلغ أكثر من مليونين وسبعمئة ألف كلم[2](تعادل مرة ونصف المرة مساحة إيران)، كتابٌ واحد أو جريدة باللغة الكونغولية الأصلية.

في «أنغولا» المستعمِرة البرتغالية، التي يبلغ عدد سكانها أربعة ملايين ونصف المليون، لا تجد سوى سبعمئة وخمسين تلميذاً يدرسون بأساليب القرون الوسطى ومناهجها، وفي مرحلة الاستعمار كلها التي بلغت ثلاثمئة وخمسين سنة لم يتمكن سوى أربعة أشخاص [أنغوليين] من الوصول إلى الجامعة، وحديثاً حين أنهوا دراساتهم حرموا من العودة إلى ديارهم وخدمة مواطنيهم.

قبل أن تقع الجزائر في قبضة فرنسا، كان معظم أهلها باعتراف الجنرال الذي اجتاحها، يعرفون القراءة والكتابة، ولكن على أثر فظائع الاستعمار ومحاربته لمشاعر الناس، لم يكن في مدارس الجزائر في العام ١٨٨٧ ميلادي، بناء على إحصاء حكومي رسمي، من أصل خمسمئة ألف طفل جزائري في سن الدراسة، أكثر من تسعمئة وثلاثة وستين طفلاً، وهم يرتادون المدارس الخاصة بالفرنسيين.

في هذا العصر الذي تسعى فيه ممالك العالم الحر، للاحتفال بموت آخر أمي فيها، تتراوح إحصاءات الأميين في البلاد الواقعة تحت سيطرة الاستعمار المباشر أو غير المباشر، بين ٨٥٪ و٩٥٪.

أذكر أن الصحف كتبت، حين أعطت بلجيكا المستعْمِرة الكونغو استقلالها، «الآن، حين يغادر البلجيكيون الكونغو، فإن أكثر المؤسسات الثقافية، والاجتماعية، والإدارية، السياسية، وكلّ إدارة تحتاج إلى المتعلمين، ستصبح فارغة».

لماذا نذهب بعيداً في بلادنا نفسها، حيث نبدو أحراراً في الظاهر، على الرغم من سوابقنا التاريخية، وإمكانياتنا الكبيرة، فإن عدد الأميين بحسب الاعتراف الرسمي يصل إلى حدود ٨٥٪، وقد قال الدكتور «خانلري» وزير الثقافة السابق في تصريح رسمي:

«في الحال الحاضرة، إن ٨٥ ٪ من أطفال إيران الذين هم في سن الدراسة (حوالي مليون وستمئة ألف نسمة)، محرومرن من التعليم، وبرامجنا الثقافية والتعليمية نسخة من البرامج الفرنسية قبل سبعين سنة».

المتعلمون ودورهم في مواجهة الاستعمار

صحيح أن أكثر عملاء الاستعمار وصنّاعه في البلدان الخاضعة للاستعمار المباشر أو غير المباشر، أو الذين هم بتعبير آخر أسرى الاستعمار القديم والرجعي أو الجديد والمتمدن هم من المتعلمين، ولكن قراءة ما يتعلق بالانتفاضات والثورات في وجه المستعمرين ترينا أن محركيها وركائزها .هم المتعلمون، أو أنّ لهم ولا يزال السهم الأكبر فيها. وبخاصة أولئك الطلاب الذين حصّلوا علومهم في الخارج، في الدول الأجنبية الحرة، الذين خرجوا من الأقفاص، وتنفسوا في محيط حرّ أنفاساً طازجة نقية، واستفادوا من الاحتكاك بالأفكار والمطبوعات، كان لهم الدور الأساسي في الانتفاضات والثورات في وجه المستعمرين. لقد آلمهم ما رأوا عليه مواطنيهم عليه المسجونين في أقفاصهم مقطوعي الأجنحة، وبين ما رأوه بعد أن فتحواباب قفصهم على مصراعيه، فاشتعلت النار في صدورهم، هذه النار أحرقت في النهاية خيم الاستعمار ومضاربه وحوّلتها إلى أطلال، فخلّصَتِ البلادَ والعباد من مخالب أولئك المفترسين.

إن قراءة أخبار الثورة الإيطالية، وانتفاضة الهند، والثورات المصرية، والثورات المتلاحقة في أفريقيا وأميركا اللاتينية، تكفي لتقويم أثر الطلاب في كسر هيبة الاستعمار وهيمنته.

ولكن بما أن أكثر هؤلاء الشبان لا نفوذ لهم في بلدانهم، ولا مراكز لهم تثير الاهتمام، فإن أنغام مطالبتهم بالحرية التي تبعث الأرواح، تتغلب عليها مكبرات الصوت التي يبث منها الاستعمار وعملاؤه عربداتهم، فتمحوها وتقضي عليها، ولكن شرارات أنوار الحرية، التي تشع من أفكارهم لا بد من أن تشعل النار في بيادر الاستعمار، وتدفع واحداً أو أكثر من الينابيع الوطنية للتضامن معهم وضم الصوت إلى أصواتهم.

هكذا حدثت الثورة في الهند مع الدور المميز لغاندي.

في إسبانيا يلجأ فرانكو منذ عشرين سنة إلى قمع الحركات الوطنية بمنتهى العنف والدكتاتورية، ولكن الاستعمار اليوم أوشك أن يركع حين ضم رجال الدين أصواتهم ـ خافتة أو عالية ـ إلى أصوات الوطنيين. في الجزائر وتونس والعراق وسوريا ومصر

والبلدان الإسلامية الأخرى، تلقى الاستعمار ضربات عنيفة وتعلم دروساً لا تنسى حين توحدت خطى القوى الوطنية والدينية.

إن أخطر ما يواجهه الاستعمار، أن تلجأ القوى الدينية العظيمة إلى ضمّ صوتها إلى أصوات الطلاب الشباب، فتتوحد الأهداف، لذلك تراه يلجأ إلى بث الاختلاف والتفرقة بين الطبقات المستنيرة والمقامات الدينية، التي تسيطر على أكثر منابع القوة والنفوذ أصالة وعمقاً وجذرية وتماسكاً.

الإسلام عدو الاستعمار

إن هذه المشكلة تقل حتماً في المستعمرات التي أهلها مسيحيون يتبعون الكنيسة ـ عملية الاستعمار وركيزته ـ ولذلك يسعون في أفريقيا إلى القضاء على الإسلام والتبشير بالمسيحية، وأخيراً بالصهيونية.

وفي الكونغو على الرغم من أن الإسلام أقدم من المسيحية، ولكنّ الاستعمار لم يُتح له فرصة النمو، حتى أن مسلمي الكونغو البالغ عددهم مئة وسبعين ألف نسمة، لا مسجد لديهم ولا أي مركز ديني آخر.

ومع أن المسلمين ـ لنقص في أعمال التبشير والدعوة ـ لا يعرفون الإسلام جيداً، فإن الحركات المناهضة للاستعمار، دفعت الشعوب المستعمَرة التي ترى الكنيسة عميلة للاستعمار، إلى التوجه نحو الإسلام الذي لا يعرفونه جيداً، ولكنهم كونوا عنه فكرة عامة، إنه يحارب الاستعمار والاستثمار والظلم والتفرقة.

ذكر لويس ماسينيون في كتابه «التقويم السنوي للعالم الإسلامي»: «إن أكثر من ستمئة ألف نسمة من زنوج أفريقيا يعتنقون الإسلام سنوياً».

في أميركا الشمالية والجنوبية، وفي شبه جزيرة ماليزيا، وبورما واليابان وحتى في قارة أوروبا، تدفع تعاليم الإسلام المناهضة للاستعمار الشعوب باتجاه الإسلام. وقد أظهر رئيس اتحاد الشباب الشيوعي في الاتحاد السوڤياتي شدة استيائه من اهتمام الشبان بالإسلام وميلهم نحوه.

الخلاصة، أن أحد أدوار الاستعمار المشؤومة لحفظ مصالحه ومنافعه، هو قمع

الثقافات والأديان التي تسير بالاتجاه المعاكس لمنافعه، والسيطرة على مشاعر الناس ومداركهم وعقولهم. أو بتعبير أفضل صار الاستعمار فكرياً، يضع سداً منيعاً أمام رقيّ المجتمعات ورفعتها وتقدمها.

تعليم كبار السن

إن جرائم الاستعمار بحق البشرية والمتمثلة بالقضاء على الثقافات المحلية والوطنية وبخاصة في البلدان المستعمرة لا نهاية لها، فقد أدرك المستعمرون الدور الذي يمكن أن تلعبه السينما والمسرح والإذاعات والصحف ووسائل الإعلام في تثقيف الناس ورفع مستوى تفكيرهم وتعريفهم بدورهم الوطني والاجتماعي، والذي تفوق أهميته دور المدارس والجامعات، لذلك كان من الطبيعي أن لا يسمح بأن تُضرب مصالحه عبر هذا الطريق، فمد يده الجانية لاستخدام هذه العوامل في قتل الفضائل البشرية، والقضاء على ملكات الإنسان، وتسطيح مستوى التفكير العام لحفظ منافع الاستعمار القذرة.

الأفلام الجنسية والخلاعية، والمسرحيات المضلّلة، والصور السامة والمخدرة، التي تعرض في دور السينما والمسارح والتلفزيون دون أي رادع أخلاقي. صفحات الجرائد والمجلات وبرامج الراديو المملوءة بقصص العشق والجرائم والقصص البوليسية ومسابقات التسلية الرياضية أو الأدبية المضرة.

وبدلاً من أن يُستفاد من وسائل الإعلام الجليلة هذه في ترقية الأفكار، بعرض الأفلام العلمية والصناعية والزراعية والأخلاقية والاجتماعية، وإعداد البرامج التعليمية لتهذيب الفكر، وتنمية الشعور بالشرف والسمو، وتعريف الشعوب إلى حقائق الحياة، تُستغل على العكس من ذلك لتضليل الشعوب وتخدير العقول والأفكار وإفساد الشباب بدلاً من حثهم على الاهتمام بالحياة الاجتماعية والسياسية والوطنية والاقتصادية وقضايا الاستقلال والحرية.

خلاصة القول: إنّ المستعمرين يبثون من داخل هذه المتاريس الوطنية الحساسة السم والفساد باتجاه الشعوب، لإشغالها وإلهائها وتنويمها وتخديرها وتعطيل العقول، ليتمكنوا من اغتصاب الثروات.

منذ وقت ليس ببعيد، نسي أحد نواب المعارضة في برلماننا، جميع آلام وطننا ومصائبه، وركز هجومه على وضع الرياضة غير المرضي في بلادنا، ومن اللافت في ما قال: «في هذه البلاد التي يبلغ فيها عدد المواخير المرخصة إثني عشر ألف مركز، لا يجوز أن يكون عدد المراكز الرياضية أقل من ذلك بكثير». يعرف القراء المحترمون جيداً أن مثل هذا الكلام يقال في برلمان دولة، وَضْعُ مصارع فيها أو ملاكم أو عداء أو بطل، قفز من حيث المدخول والاحترام والشخصية والشهرة، وحتى من حيث السياسية والتدخل في الشؤون الإدارية والقانونية للدولة، أعلى بدرجات من وضع عالم من الدرجة الأولى، أو أستاذ فيزياء أو كيمياء في الجامعة، حتى في المؤسسات الثقافية، تجد أن وضع لاعب كرة قدم أفضل من وضع طالب متفوق.

ما من شك على الإطلاق أن المراكز والمنظمات الرياضية في البلاد، يجب أن تكون مرتبة ومجهزة لعلاقتها بنشاط الأمة وسلامتها، ولكن، في بلد مثل إيران يبلغ عدد الأميين فيه حوالى ٨٥٪، وتهدر مواهب أطفاله الفقراء في الفلوات والشوارع والصحارى ورعي الأغنام، من الواجب أن تنصب المعالجة فيه على الأمراض الأساسية التي تفتك فيه بالصميم.

من المؤسف أكثر أن يشكو فنانو هذه البلاد، من عدم تقدير فنهم في إيران، كما تقدر راقصة في العالم المتمدن، ولكن متفوقاً واحداً يمكن أن يطبب سنوياً عشرات المرضى المشرفين على الموت، أكثر فائدة لنا من جميع النواحي. في بلدنا هذا فنانون يبلغ دخلهم في ليلة واحدة آلاف التومانات، في حين أن عدداً كبيراً من علماء هذه البلاد ومفاخرهم لا يملكون منزلهم الخاص.

كل هذا الكلام في بلد لم يخضع في أي يوم من الأيام لمحتل، ولم يكن مستعمرة، ولم يدّع أحد الحماية له أو القيمومة عليه، ولكنه معرّض للغزو الاستعماري غير المباشر، إذاً فليكن الله في عون زنوج أفريقيا، وجزر المحيط الأطلسي والجزر الهندية، التي هي رسمياً وقانونياً تحت سيطرة الأجانب، ومملوكة للمستعمرين إلى الأبد.

من جرائم الاستعمار

إذا كان المستعمرون القدماء كـ«نبوخذ نصر» و«جنكيز خان» وأمثالهما، قد قاموا

بحملات توسعية وأغاروا على البلاد والعباد واحتلوا الممالك والمدن إرضاء لنزعة التوسع، وإدخال الأراضي التي وطأوها تحت راياتهم، فإن فعلهم هذا يبقى أفضل بكثير من هذه الغزوات المدروسة والدبلوماسية، لأن سكان البلدان المفتوحة كانوا يتمتعون على الأقل بمزايا رعايا الدولة الفاتحة، في حين أن هؤلاء الغزاة المتمدنين الذين سيطروا قروناً متمادية على الجزء الأكبر من هذا العالم، ونهبوا ثروات البلاد وممتلكات أهلها، دون أن يُمنح هؤلاء مزايا التابعية للدول المستعمرة.

إنكلترا هي رب هذ النوع من الاستعمار وسيدة المستعمرين، منذ عشرات وأحياناً مئات السنين وهي استعمرت بلاداً وأراضي كـ«برمودا»، و«إيرلندا الشمالية» و«إيرلندا الجنوبية» و«الهندوراس الإنكليزية»، و«جزر باهاما»، و«جزيرة غرينلند»، و«جبل طارق»، و«برونواي الشمالية»، و«هونغ كونغ»، و«جزيرة مالطا»، و«سنغافورة»، و«عدن» والإمارات التابعة لها، وجزيرة «روكوترا ساراڤاك»، و«جزائر المالديف»، و«روديسيا»، و «نيوزيلندة»، و«جزيرة جامايكا»، و«باسوتولند»، و«بكانالند»، و«سوازيلند»، و«الكاميرون الإنكليزي»، و«غامبيا»، و«سيراليون»، و«كينيا»، و«زنجبار»، و«تانجانيكا»، و«الصومال الإنكليزي»، و«أوغندا»، و«جزيرة ماريتيس»، و«جزيرة سيجلز»، و«جزيرة نودو»، و«جزيرة الصاموآي الغربية»، و«جزائر يونين يا توكولي»، وجزيرة «دي لندس»، و«جزائر سليمان»، و«جزائر جيلبرت وأسيل»، و«جزائر هيبريد الجديدة»، وجزيرة«پيرت كرن»، و«جزيرة فيجي»، و«جزيرة تونيگا»، و«اتحادية الهند الغربية»، و«جزيرة التوباكو»، و«جزيرة الپاربادوس»، و«جزائر الويندوارد»، و«كينيا الإنكليزية»، و«جزائر الفوكلاند»، و«جورجيا الجنوبية»، و«أرغونيا الجنوبية»، و«غراهام لند»، و«شتلند الجنوبية»، و«كودستلند»، و«جزيرة القديسة هيلانة»، و«جزيرة تريستان دوكونها»، «آس شن»، «هلگولاند»، «قبرص»، «سيلان»، «برما»، «السودان»، «الهند»، «العراق»، الأردن»، «الكويت»، الإمارات العربية»، وعشرات البلدان الأخرى التي كانت معرضة للاحتلال أو بتعبير أفضل «الغزو الأوروبي».

إن إنكلترا تربح من هذه الأراضي الوسيعة والشاسعة، والجزر الغنية التي أبقيت على تخلفها تربح مليارات المليارات، عن طريق الغزو والنهب، لسنوات متمادية، وجميع

وسائل الحمل والنقل الإنكليزية الأرضية والجوية والبحرية، تنقل من هذه البلاد إلى أوروبا والعالم المتمدن النفط والألماس، والذهب والفضة والبلاتين والقصدير والنحاس والنيكل والحديد والفحم الحجري، والحرير الصخري، والمانيزيوم والمرمر والعقيق والفيروز والگرانيت، والذهب الأبيض والسولفور، والكاؤءلين، والتينانيوم والعاج والكوربا، والكوبالت والفوسفات والمواد الكيميائية المهمة والجلود والحرير والصوف والصمغ والأسماك والقطعان، وزيت الفستق وزيت اللوز والفستق والفاكهة وجوز الهند والقمح والشعير والقطن والرز وقصب السكر و. .

ولا يقدمون بالمقابل شيئاً إلى البلدان المستعمرة رسمياً، وإلى البلدان المستقلة ظاهرياً كإيران والعراق وتركيا والپاكستان والحجاز واليمن يصدرون الأدوية الفاسدة أو التي انتهت مدة استخدامها، والأسلحة التي تجاوزها الزمن، والنيلون والسيگار، والمواد المخدرة والخمور، والمعلبات، والمواد القديمة والمستعملة، التي تحتاج يومياً إلى قطع الغيار الغالية الثمن والكلفة.

فرنسا الاستعمارية، التي احتلت واستعمرت لسنوات أو لقرون بلاد الجزائر ومدغشقر وأفريقيا الغربية ومالاوى وأكواتري والغابون والصومال الفرنسي وجزر الكومورو ورونين وگوادالوب، والمارتينيك، وجزر القديس پروكلين، وغينيا الفرنسية وپولينزي، وجزيرة پنس، ومجموعة جزر الواليس، وجزر السويالتي، وجزر الهولن، وجزر الفوتونا، ومناطق القطب الجنوبي، وجزر كامبوج، والكاميرون، والڤيتنام، وموناكو، وهاييتي، وسار، وتوگو، وتونس، والحبشة، وليبيا،[1] مراكش وعشرات البلدان الأخرى، قد ارتكبت في هذه البلدان كل أنواع الجرائم، والاستعمار الفرنسي مكملاً الاستعمار الإنگليزي، نهب واستولى على كل خيرات المستعمرات ومواردها.

البرتغال المخادعة والمستعمرة لمناطق عديدة مثل: جزر سان طوم وأنغولا والموزامبيق.

لم تكن أقل من أخواتها من دول الاستعمار في الظلم والنهب والتعدي، كما أن جرائم بلجيكا في مستعمراتها كالكونغو وغيرها كانت أفظع من جرائم أخواتها.

---

(١) ليبيا: كانت تحت سلطة الاستعمار الإيطالي [المترجمة].

أميركا نفسها التي عانت طويلاً من تعسف الاستعمار البريطاني، ولم تتوصل إلى نيل استقلالها وفك قيودها إلا بعد معاناة شديدة، حين دخلت الساحة، كان أكثر المنافسين قد بسطوا اليد على البلدان الضعيفة، ووجدت القليل من مناطق النفوذ، صارت أينما توجهت تصطدم بموظفي وزارة المستعمرات الإنكليزية وسائر الغربيين. هذا البلد لم يقف مكتوف الأيدي، وفكر في إعادة السيطرة على الدول التي دفعت للخروج من نير الاستعمار ثمناً غالياً، من دم أعزائها، فأراد أن يدخل إلى هذه البلاد عن طريق تقديمه القروض والمساعدات، وقد فتح معبراً إلى هذه الدول بعقد المعاهدات العسكرية والعمرانية وتقديم الرساميل وإرسال الخبراء والمستشارين، وإيجاد قواعد عسكرية لها في هذه الدول بذريعة محاربة الشيوعيين والإرهابيين (الذين ولدوا نتيجة سوء تصرف وجرائم عملاء الغرب. ونتيجة لعدم رضى الأمم عن تدخل الإمبريالية في شؤونها) كما أنه وضع جيوش هذه البلاد (التي يفترض أن تدافع عن مصالح الأمة)، تحت سيطرته لأستخدامها للدفاع عن مصالحه، وشيئاً فشيئاً سيطرت أميركا على هذه البلاد من جديد، وجعلتها رهينة لها سياسياً واقتصادياً.

في هذه الأثناء استغل الاستعمار الأحمر تململ الشعوب وغضبها العارم على الاستعمار الغربي، فسيطر على عقول الناس وأرواحهم بقناع حماية المظلومين، واسترداد حق العمال، وكسر شوكة المستغلين، فسوّد مصائر الأمم الضعيفة.

أذكّر هنا، أنني لا أعني بلفظة الاستعمار، ذلك الشأن المعروف منه أو ما يسمى بالاستعمار الرسمي والقانوني، وإنما أعني كل نوع من أنواع النفوذ واستغلال الأجانب واستثمارهم للبلدان الأخرى «مستعمرة كانت أو تحت الحماية، أو مستقلة ظاهرياً».

صحوة الشعوب

في هذه الأثناء استجابت إحدى سُنن الخليقة الحتمية «التضاد بين منافع الظالمين ومصلحة المظلومين» لاستغاثة الشعوب المستَعْمِرة، وأوجدت تضاداً يستحيل التئامه بين استعماري الغرب والشرق. وعرّفت البشرية على أثر تضارب مصالح السياستين وبدء الحرب الباردة، أسرار الجرائن التي ارتكبها المستعمران، ومؤامراتهما المتلاحقة بحق الإنسانية، التي لا يعرفها أحد غيرهم، والتي وردت على ألسنتهم حين بدأ كل فريق يفضح الفريق الآخر.

تصادمت الجبهات السوداء والحمراء من اليمين واليسار: وأرعدوا وأبرقوا، ولمع من بين الرعود والبروق شعاع من نور، كشف للناس المظلومين في جميع أنحاء الدنيا الكثير من المسرحيات السوداء، التي أنتجتها أيادي المستعمرين، فرأوا بأم أعينهم ما جعلهم يرتجفون رعباً ويرتعدون. وقد أغدق أرباب الاستعمار الأسود على الدول الواقعة تحت سيطرتهم الأسلحة لتجهيزها لمواجهة تهديدات الاستعمار الأحمر، وابتكروا مسألة القروض ـ التي هي بحد ذاتها زنجير من صنع الاستعمار ـ أو مقايضة السلاح بالنفط أو الذهب.

لقد فضح الشيوعيون جرائم الإمبريالية في أفريقيا والهند وأميركا اللاتينية ودول الشرق الأوسط، أمام أنظار العالم، وفضح الإمبرياليون جنايات الشيوعيين وضغوطهم وراء الجدار الحديدي في گرجستان وأرمينيا وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقوزقستان وآذربيجان ولتوانيا، وملداوي، وقرقيزستان وغيرها.

هذه الحرب الباردة فضحت صورة الاستعمار، وعرفت الدنيا وأهلها إلى شخصيته القبيحة والكريهة والمنفرة، التي ظلت عمراً مديداً مخفية تحت نقاب الألفاظ الخادعة والدعاوى المنحرفة والمضللة التي خدرت الناس: وهكذا فَقَد النقابُ وفَقَد صاحبُ النقابِ شَرَفَه إلى الأبد.

قبل الحرب الباردة أيضاً وأثنائها وبعدها، جدت أمور أخرى لعبت دوراً مهماً في إظهار حقيقة ما يقوم به المستعمرون: كان وراءها الطلاب الجامعيون في الداخل والخارج، وبعض الصحف والمطبوعات الحرة الملتزمة وطنياً وأخلاقياً، وعدد من قادة الجمعيات الوطنية والدينية الحساسين والمناضلين والفدائيين ، إضافة إلى الأسفار والرحلات، والسياح [وإن كان أغلب السياح يعملون لمصلحة الاستعمار].

مهما كانت العوامل الأولى لصحوة الشعوب، فقد ظهرت في جميع أنحاء الدنيا عملياً كمقاومة عظيمة للاستعمار، أسود كان أم أبيض. وبخاصة إذا أجرينا مقارنة بين أوضاع البلدان التي تحررت من نفوذ الاستعمار، وأوضاع البلدان التي لا تزال خاضعة للمستعمرين، فتقدّمُ الأولى ورقيُّها إحياء روح الحرية والرغبة بالتحرر، وتحطيم أغلال الأسر والعبودية والاسترقاق لدى الثانية، فقد وجدت الشعوب أن الهند كانت مثلها أسيرة الاستعمار، استطاعت بعد أن كسرت قيودها، في خلال مدة قصيرة، أن تبني مصنعاً للحديد الصلب، يصنع أكثر من مليون طن ونصف، وستصل سعته بعد سنة إلى مليونين

ونصف المليون، حين يبدأ تنفيذ المرحلة الثانية من البرنامج، وبدأت فيها اليوم أيضاً الصناعات الثقيلة، ومصانع الطائرات والسيارات والمولدات والعجلات، ويصرّف قسم من صناعاتها في السوق الآسيوي.

في حين أن الشعوب التي لا تزال أسيرة الاستعمار، تسمع منذ سنوات عديدة الوعود ببناء مصانع الحديد الصلب، وتتحمل نفقات الدراسات الأولية، لتعيين المكان المناسب لإنشائها، ودعوات الخبراء المهندسين، وتعيين الكوادر الإدارية، هذه النفقات التي تعادل كلفة بناء المصنع الأساسية، ومع ذلك لم يروا أثر المصنع حتى الآن.

ترى الشعوب المستعمرة أيضاً أن كوبا بعد نجاتها من قبضة الاستعمار الأميركي قلّ عدد الأميين فيها ووصل إلى حدود ٣٪، يرون أن ڤيتنام الجنوبية في أثناء صراعها الحالي ضد الاستعمار الفرنسي المجرم، جعلت أربعة عشر مليون نسمة من أصل سبعة عشر مليون من مجموع السكان متعلمين بغضون ثماني سنوات.

بالمقابل لا تزال نسبة الأمية في البلدان الخاضعة لنفوذ الاستعمار تتراوح بين ٨٥٪ و٩٥٪، وهذه النسبة يمكن رؤيتها بالعين المجردة. لقد سمع المستعمرون، أو شاهدوا، الحياة الراقية والشريفة والمرفّهة التي يرفل فيها العمال والفلاحون في البلدان المتحرّرة، وسمعوا أيضاً أن العمال في الكونغو، الذي يتجرأ على العمل لدى المستثمرين البلجيكيين المستعمرين أقلّ من عدد الساعات المطلوبة، تُقطع يده مباشرة، ويُعطى شهادة بعدم الانضباط.

وفي «أنغولا» المستعمرة البرتغالية، يقدّم المندوب البرتغالي يومياً بعد أن يقبض ثلاثة آلاف دولار رشوة، خمسمئة عامل مسكين بأجر يومي لا يتجاوز العشرين ريالاً، للعمل إجبارياً لمدة خمس سنوات، لدى المستثمرين البلجيكيين المستعمرين ويعمل هؤلاء العمال في مخيمات خاصة تحت مراقبة أفراد الشرطة المسلّحين.

وعلى الرغم من أن أراضي الكونغو يمكن أن تزرع وتعطي غلالاً لثلاثة مواسم سنوياً، إلا أن الكونغوليين لا يعرفون حتى الآن الزراعة، ولا محاصيل القمح الشعير، وليس في هذا البلد من أقصاه إلى أقصاه والذي تبلغ مساحته مليونين وسبعمئة ألف كلم^{٢} أي أثر لزراعة الحبوب.

في ولاية كاتانگاي في الكونغو نفسها، حيث عمل المستعمرون بكل قواهم لدعم حكم أحد عملائهم «موسى تشومبي» ـ المجرم الذي قتل لومومبا عدو الاستعمار ـ يملكون معدن الأورانيوم بكثرة: ومثقال واحد منه تبلغ قيمته مليوناً ومئتي ألف تومان، ويمكن أن يُحفظ الغرام الواحد منه لمدة ألف وخمسمئة سنة، ويستخدم في معالجة آلاف المرضى المصابين بداء السرطان. في هذه المنطقة! أغلب الناس عاطلون عن العمل وفقراء وجائعون.

ولا تزال حتى الآن سلسلة جرائم المستعمرين مستمرة والدماء تسيل في أنحاء العالم، من قصف قلاع اليمن بالمدفعية، إلى قتل آلاف المسلمين في قبرص، وألفي مسلم في الهند، ومحاربة الجنود الصوماليين بالدم والنار..

ولقد شاهدَت البلدان المستعمرة مؤخراً كيف ركّع أحرارُ الجزائر خمسمئة ألف جندي فرنسي، وأخرجوا فرنسا التوسعية من أرضهم واستعادوا مقدّرات بلادهم.

لا يُتوقّع من الشعوب التي رأت بأمّ العين ولمست لمس اليد آثار الاستعمار المشؤومة ومظاهر الحرية الرفيعة، أن تقبع مكتوفة الأيدي وتسمح للاستعمار بالاستيلاء على خيراتها ومواردها، وتعيش هي إلى الأبد أسيرة الفقر والذل والبلاء، والجهل والاستلاب.

مقاومة الاستعمار

لقد ارتفعت في النهاية من جميع أنحاء الدنيا أنغام المطالبة بالتحرر، وتسعى جميع البلدان المستعمرة كلياً أو جزئياً، أو الواقعة تحت الحماية أو الانتداب، لنيل استقلالها الكامل وقطع دابر الاستعمار، وتتزايد يوماً بعد يوم الثورات الوطنية التي تسعى إلى اقتلاع الاستعمار من جذوره.

لقد استخدم الاستعمار حتى الآن كل الطرق للقضاء على الثورات هذه، المكر والخداع والوعد والوعيد والتهديد، والكذب، وتغيير الحكومات والمندوبين وشراء ذمم المنافقين، في الأماكن الحساسة داخل المجتمعات المقاومة، ولكن هذه الأساليب باتت عاجزة عن خداع الشعوب، التي لا تطمح إلا إلى الاستقلال، والاستقلال فقط.

هنا، حيث يعمل الاستعمار من وراء الستار، يمارس أقسى درجات العنف والسجن والتعذيب والقتل والحرق بأفجع الطرق وأشدها وحشية. ويختار المستعمرون لمثل هذه الأعمال جلادين متخصصين من أرذل طبقات الشعب وأكثرهن انحطاطاً، ممن لا أصل لهم ولا نسب،أو من اللقطاء أو المحكومين بالإعدام أو السجن المؤبد، يربونهم على وأيديهم ويعلمونهم أساليب الظلم والتعذيب والإجرام، ودروس القسوة، ويحتفظون بهم تحت لواء خاص كمقاتلين محترفين، وقوات تدخّل سريع وكوماندوس ومظليين وشرطة و. .

يستفيدون من خدمة هؤلاء حين يرفض الجنود والضباط الشرفاء تنفيذ التعليمات الإجرامية. أمر أحد قادة الجيش الفرنسي في الجزائر جنوده قائلاً: «املأوا مداخل المغاور التي يختبئ فيها المقاتلون الجزائريون بالحطب والمواد الحارقة الأخرى، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوا هؤلاء الثعالب».

هؤلاء الفرنسيون أنفسهم الذين يدّعون الحضارة، قصفوا أكثر من مرة على إثر انفجار قنبلة ما، مستشفيات الجزائر بالنيران وقتلوا من فيها من المرضى.

لا بد أنكم تعلمون أن فرنسا ربت ألفي كلب من الكلاب الشرسة، لتتعقب بواسطتها أحرار الجزائر ومقاوميها.

آخر حرب الاستعمار وأشدها خطورة

لقد حَدَث وسيحدث، أن ركّعت الشعوب بنضالها وتضحياتها المستعمرين وأجبرتهم على الاستجابة لمطالبها ولإرادتها في تقرير مصيرها. لذلك رأى هؤلاء المغتصبون، بعد الدروس التي تعلموها والخبرات التي اكتسبوها، وللفرار من هذه المتاهات، أن يعطوا الشعوب استقلالها، ولكنه استقلال أسخف بدرجات من ذلك الاستعمار السابق: لقد غيروا في الواقع شكل الاستعمار ونمطه، وبدأوا حملات من نوع آخر، تبدو شريفة في الظاهر وأقل كلفة، وأشدّ خطراً.

هذا الاستعمار الجديد أو الاحتلال غير الرسمي عن طريق النفوذ في المؤسسات الحاكمة، والسيطرة على المراكز الحساسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية،

بواسطة أشخاص باعوا ضمائرهم وأوطانهم، حباً بالظهور، وسعياً وراء المنصب والشهرة والمال.

مع هذا الشكل من أشكال الاستعمار، لا بد من محاربة القوى الوطنية العظيمة والأصيلة في المجتمع، أو تشويه سمعتها، خوفاً من أن تتمكن في يوم من الأيام من اقتلاع الاستعمار من جذوره.

لا بد أن يلجأ هذا الاستعمار الجديد إلى الهجوم مباشرة أو غير مباشرة على الدين وعلى العلماء الدينيين [حتماً الأديان المناهضة للاستعمار] الذين هم في الأصل القوة الاجتماعية الأصيلة والمتجذرة.

ولا بد أيضاً من بث روح الفرقة والاختلاف بين هذه الطبقة وبين الطبقات المستنيرة الأخرى، وحقن بعض الأفكار والمبادئ التي تُضعِف روح الغيرة والنخوة والشهامة والمعارضة للاستعمار، كفصل السياسة عن الدين، أو واجب حفظ الأرواح في كل المراحل، وتجنب سفك الدماء و... وغيرها من الأفكار المتخاذلة... والتي ينادي بها أحياناً قادة اجتماعيون، كشكل آخر من أشكال الاستعمار المباشر.

حين يحين الوقت، ويرون أن العمل قد سبق الكلام وأن جميع الحراب قد صدئت، يلجأون إلى العنف، ويواجهون كل شيء وكل إنسان بالدم والنار، في ذلك اليوم الذي يضطرون فيه إلى وقف الهجوم، يُخرجون آخر لسعاتهم السامة ويغادرون.

يغادرون، ولكن طالما أن الفكر الاستعماري لم يغادر عقول الناس نهائياً، ستستمر المحاولات لإيجاد الحواجز التي تمنع تقدم الشعوب، عن طريق تحريك العملاء من المخربين والجواسيس.

ما العمل؟

إن الكتاب الذي بين أيدينا [القضية الفلسطينية]، يمثل بوضوح جزءاً من جنايات الاستعمار، وحيله، وخدعه، وقسوته، وظلمه ومجازره وانتقامه.

إن فلسطين التي لم تكن مستعمرة رسمياً، [وكانت تحت الانتداب]، ودخلت ساحة المقاومة الوطنية في مرحلة مبكرة، هذا الكتاب يجسد قسماً كبيراً من حيل الاستعمار

وردود فعله في مواجهة نضال الشعب الفلسطيني، ولا يبحث في الممارسات السوداء، قبل يقظة الشعوب المستعمرة.

إن قراء هذا الكتاب يدركون جيداً، كيف يُنشب المستعمرون مخالبهم في جسد الأمة، وكيف يلتصقون بها كما يلتصق البق يمتصون دمها، وكيف يخرجون ألسنة كألسنة العقارب يلسعون بها العناصر اليقظة في الأمة، وينفثون فيها السموم، وحين ييأسون بعد استخدام آخر ما في جعبتهم من أعمال المكر والخداع، يحاربون الشعوب بالحديد والنار، ويستخدمون أقصى درجات العنف.

يجب أن يقرأ الشعب الذي يعاني من سيطرة المستعمرين هذا النوع من الكتب، ويتمعن بقراءته ويدقّق في معانيه، ليدرك أسباب انتصار الثورات أو انكسارها، كي لا يكرّر أخطاء الآخرين.

إن أهم ما في النضال وأرفعه قيمة وأشده إيذاءً للمستعمرين، هي روحُ التضحية الوطنية المترافقة مع التنظيم والبرامج والأهداف. إن الأمة الغير مستعدة للتضحية، يجب أن لا تدخل ساحة النضال، والمجتمع الذي لم يحدّد وهو يناضل أهدافه، ولا تشكيلات أو برامج لديه، لن يصل في النهاية إلى أي هدف.

وحدهم أولئك الذين يحملون أهدافاً سامية، ويدخلون الميدان بتنظيم وبرامج، ويتميزون بالانضباط والاستقامة سيتوصلون إلى الانتصار.

﴿إنَّ اللذين قالوا ربُنا الله ثم آستقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون﴾.

تحديد الأهداف، والسلوك المستقيم هما ذخيرتا التوفيق:

السابع من ذي الحجة، من العام ١٣٨٣

أكبر هاشمي رفسنجاني

مقدمة كتاب «أمير كبير»[1]

تقديم

إلى جميع المسلمين الذين يعانون من ضعف البلاد الإسلامية وانحطاطها، ويسخّرون وجودهم من أجل عظمة الإسلام ومجد المسلمين، والذين يضحّون بإخلاص لإحياء الإسلام، وتخليص المسلمين من قيود المستعمرين.

من الأفضل، أن ألفت نظر القراء المحترمين، قبل تفصيل الحديث عن برامج أمير كبير المناهضة للاستعمار، إلى اختلاف الظروف في المرحلة التي كان يعيش فيها أمير كبير، عن الظروف التي نحيا فيها نحن، لتتوضّح بشكل أفضل عظمة أفكاره الثورية المعادية للاستعمار.

في هذه المرحلة، جميع الشعوب تنفر من الاستعمار ومن الاستثمار، وبخاصة تلك التي فُرض عليها أن ترزح طويلاً في أحضان التخلّف؛ إن للمستعمر في أذهان الشعوب صورة غاية في القبح والبشاعة، وإن كل ما يرتبط بالاستعمار من قريب أو بعيد كفيل بتحريك أفكار الناس وتهييج مشاعرهم، وبخاصة الشعوب المستعمَرة. وهنالك دعوات واسعة جرت ولا تزال تجري في جميع أنحاء العالم، وحتى داخل البلدان الكبرى للاستعمار نفسها، تدعو إلى مناهضة هؤلاء المستغلّين، وهذه الظاهرة المشؤومة.

---

(١) التمهيد، مقدمة لكتاب **أمير كبير** أو «بطل مقاومة الاستعمار»، تأليف الشيخ أكبر هاشمي رفسنجاني، الطبعة الأولى، طهران ١٣٤٦ هـ.ش. مؤسسة مطبوعات فراهاني.

في النصف الأول من القرن العشرين، ظهر على المسرح السياسي في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية التي رزحت عشرات وأحياناً مئات السنين تحت نير الاستعمار، ظهر رجالٌ عظماء، أبطالٌ قاوموا الاستعمار الذي كان يعتبر بلادهم ملكية خاصة له، ومسرحاً لأفظع غاراته وسرقاته، وقد حالفهم النجاح، ووفّقوا في وضع شعوبهم على طريق مقاومة الاستعمار، لم يمر يوم أو ليلة في ذلك الحين، لم تُذَعْ فيه عشرات الأحاديث والخطب المحكمة، من مختلف الإذاعات العالمية، تدعو إلى مناهضة الاستعمار، أو لم تُنْشر فيه مئات المقالات اللاذعة، النارية في الصحف العالمية المعبرة، لفضح استغلال الاستعمار للأمم والشعوب، ولم يمرّ أسبوع دون أن تقوم حركة مسلحة في ناحية من أنحاء الدنيا، يقوم بها الوطنيون المناهضون للاستعمار وأعوانهم وما من شهر يمرّ، دون أن تحدث معارك دموية بين الشعوب المستعمَرة والدول الاستعمارية العدوانية أو عملائها، وأخيراً، لم يمر عام دون أن يُهدَم مركز أو أكثر من مراكز الاستعمار ومتاريسه، أو يتزلزل على أقل تقدير.

علماً أن المستعمرين في المقابل، لم يجلسوا مكتوفي الأيدي، وأوجدوا لهم بدلاً من المتاريس المحكمة، مراكز لها شكل آخر، أكثر إحكاماً، وأشدّ خطورة.

أينما فكُت يد أسير بالقوة من قيودها، قُيّدَت رجلاه عوضاً من ذلك بالسلاسل، وفي النتيجة، في أكثر البلدان التي ابتُليت بالاستعمار، بقي أصل الاستعمار، ولم يتغير سوى شكله ولونه. ولكن، كان من البديهي أن يفقد الاستعمار والمستعمرون عفّتهم الكاذبة، ومسوّغات وجودهم وحيثياته. وتحظى الحركات المناهضة للاستعمار بالتأييد والسمعة الطيبة، وهذا ما أرمي إليه.

الخلاصة، انطلاقاً مما طُرح من قبل، فإن النضال ضد الاستعمار، وإن كان ذا قيمة ويستحق التقدير، لكنه ليس أمراً جديداً أو غير مرتقب، إنما الجديد، غير المنتظر، هو أن تقف الأمّة أو الدولة مكتوفة الأيدي، مستسلمة للاستعمار، ولكن. . .

ولكن «أمير كبير»، منذ مئة وعشرين سنة مضت، كان القابض على أعنة الأمور في البلاد، وكانت الظروف والأوضاع في تلك الأيام مختلفة عما هي عليه اليوم، ولم تتيسّر عوامل من شأنها أن تفضح المستعمرين، وألاعيبهم، لقد كان أولئك الثعالب يبدون في

نظر كثير من الخاصّة وقادة البلاد حملاناً مسالمة، وظهر أولئك الأعداء المجرمون كأصدقاء محبّين ومضحّين.

في تلك الأيام كانت آسيا كلها عرضة لغزوات المستعمرين، وأفريقيا سلعة في أيدي المغتصبين الأوروبيين، وأميركا اللاتينية لقمة سائغة للغزاة المتحضّرين.

كانت البحار واليابسة والسماء والأرض، كلها تخضع لفريق واحد من الناس، مغرور وبخيل وطامع يدّعي التمدّن! في عدد من البلدان.

لم يكن قد دخل ساحة السياسة العالمية رجال من أمثال السيد جمال الدين، أو غاندي، أو نهرو أو لومومبا أو نكروما، أو بن بلاّ أو سوكارنو، ومئات الرجال الكبار، المناضلين، الشرفاء: النخبة المناهضة للاستعمار في آسيا وأفريقيا وسائر بلدان العالم. وكانت الشعوب الأسيرة لا تزال عمياء جاهلة، غير قادرة على إدراك أبعاد القضايا الأساسية للسياسة الخارجية، تعمه في غياهب الجهل والتخلف. لم يتوقع مستعمرو العالم ولم يخطر ببالهم على الإطلاق ما سيصدر من الشعوب من بطولات وتضحيات: في الجزائر، والكونغو، وفلسطين، والهند، وأندونيسيا ومصر وكوبا وغانا وعشرات الدول الخاضعة الأخرى، أو حركات التحرر في العراق وتركيا، وحروب الصين والهند الصينية، ومقاومة «ڤيت مينه» و«ڤيت كنگ»، ونضال الشعوب المستضعفة في أفريقيا وأميركا الجنوبية، السياسي والاقتصادي والثقافي.

في ذلك الزمان، في إيران التي كانت خاضعة للاستعمار، والتي نحن بصدد الحديث عنها، كانت أكثر المناصب الحسّاسة بأيدي أشخاص غير أكفياء وعملاء للأجانب، وكانت مخالب الاستعمار متغلغلة حتى عمق أعماق المملكة، تقبض على كلّ شيء، والأمة غارقة في سبات عميق؛ في مثل هذه الظروف أدرك أمير كبير بنظره الثاقب وذكائه الفذّ خطر الاستعمار، وفنّد أكاذيبه، وشخّص حبائله وأهدافه غير المرئية.

لقد تمكن أمير كبير بمثل هذا الحسّ المميز والإدراك النافذ، أن يكون في طليعة النضال ضد الاستعمار، وأن يشخِّصَ معالم الطريق التي يجب أن تُسلَكَ، ويرسمَ صورةَ الاستقلال والمجد بخطوط واضحة ومقروءة، وأن ينظّمَ برنامجاً لتفكيك سلاسل المستعمرين، وفكّ طلاسم استثمارهم، هذا البرنامج نفسه هو الذي استخدمه بعد قرن من

الزمان الأبطال الوطنيون، مناهضو الاستعمار، (مع تغيير طفيف، فرضه تغيّر الزمان)، وتوصّلوا من خلاله إلى نتائج مرضية.

لقد أدرك أمير كبير أن الفقر والفساد المستشريين في البلاد، هما الأرضية الملائمة لنمو الاستعمار، لذلك سعى بكل ما أوتي من قوة إلى استئصال جذور الفقر والفساد.

كان قد أحسّ أيضاً، أن الأشخاص غير الأكفياء والأرذال، الذين يبيعون نفسوهم في أي إدارة أو منصب، هم كالآلات أو الدمى في أيدي المستعمرين ولذلك سعى أن يعزل هؤلاء الأشخاص من كوادر الهيئة الحاكمة.

لقد لَمَسَ ميرزا تقي خان لَمْسَ اليد، وفهم بدقة حاجة أي وطن مستقل لأشخاص متعلمين، ومتخصصين في العلوم والفنون الجديدة، وإلى خبراء في الصناعة وعلوم العصر، وما لم يأت اليوم الذي يستغني فيه الوطن عن الخبراء والمستشارين الأجانب لحلّ مشاكله العملية والفنية، لن يرى وجه الاستقلال، ولهذا الغرض أقدم على تأسيس «دار الفنون» بحماس منقطع النظير، لتخريج مثل هؤلاء الأشخاص وتربيتهم؛ كان يعرف أن ثروة الوطن، يجب أن تُصرف داخل الوطن. ومعادن الوطن وذخائره يجب أن يستخرجها علماؤه، وأموال الأمة ورساميلها يجب أن توظف في الفروع الاقتصادية لهذا الماء والتراب، وقد قدّم كلّ الدعم لتحقيق هذه الأهداف السامية.

كان أمير يعتقد أن البلد المستقلّ يجب أن يصل إلى الاكتفاء الذاتي، ولن يؤدي بيع المواد الخام بقيمة منخفضة وشراء المصنوعات الغالية الثمن إلى أيّ نتيجة سوى العجز المالي والإفلاس وهدر ذخائر الوطن وثروته، ولذلك بدأ بالعمل على التصنيع الوطني، واستخراج المعادن دون كلل أو ملل.

كان «أمير انتظام» يعتقد، أنه من غير الممكن المحافظة على حقوق البلاد والامة وقطع دابر المعتدين، دون امتلاك جيش قويّ ومجهز بالسلاح العصريّ، في عالم، لا تعيّن فيه الحدود والحقوق إلا بالقوّة، ومصير كلّ شخص وكلّ شيء مرتبط بالقوة. لذلك وضع الأسس لتأليف جيش حديث وقويّ ومجهّز بما يتطلبه العصر.

الخلاصة أنه أدخل في برامجه الإصلاحية كلّ ما يلزم استقلال الوطن وعظمته

واعتباره، ورفاهية الأمّة وسيادتها، ولم يبق فقط في مرحلة التفكير وطرح الأفكار والبرامج ـ كما هو السائد في أعمال القيمين في البلاد المتخلّفة، الذين يخططون ويبرمجون ولا يتوصلون إلى مرحلة التنفيذ ـ بل كان قبل كل شيء رجل تنفيذ وعمل.

نحن في هذا الكتاب، نرسم صورةً لأوضاع البلاد قبل أن يتسلم أمير كبير زمام الأمور، ثم نشرع بعد ذلك بشرح ما أقدم عليه أمير كبير وإصلاحاته، ونضاله ومناهضته للاستعمار وعملائه، ثم نشير بعد ذلك إلى ظروف سقوط أمير كبير، وعودة الاستعمار من جديد.

نتذكر في خاتمة هذا الكلام، أن هدفنا الأصلي في هذا الكتاب شرح نضال أمير كبير ومقاومته للاستعمار، وإذا ذكرنا أبحاثاً متعلقة بالإصلاحات الداخلية، فلعلاقتها بمقاومة التخريب الذي سبّبه وجود الاستعمار.

ونضيف أن المؤلف في هذا الكتاب، لم يكن بصدد التحقيق التاريخي، ولذلك لا يجب أن يتوقع القراء الكرام أن يروا تقسيمات وتحليلات وتحقيقات على أساس المنهج التاريخي، ولكن الهدف الأصليّ، هو التحقيق في موقف أمير كبير ودوره في مواجهة الاستعمار والمستعمرين، وقد جاء هذا البحث تتمة للكتابات السابقة عنه.

مقدمة مقررات مجلس شورى الثورة

في تلك الأيام التي كان فيها الإمام مقيماً في باريس، نقل إلينا الأستاذ الشهيد مطهري حين عودته من باريس أمر قائد الثورة العظيم الشأن، بتشكيل مجلس شورى الثورة.

كان حضرة الإمام قد أمر بأن تتشكل النواة الأساسية لمجلس شورى الثورة من السادة الشهيد مطهري والشهيد بهشتي وموسوي الأردبيلي والشهيد باهنر، وأنا؛ [هاشمي رفسنجاني]، على أن تضاف أسماء أشخاص آخرين تتفق آراء هؤلاء الخمسة على اختيارهم، وقد تقرر في الجلسات الأولى أن يتألف مجلس الشورى من رجال دين ومن غيرهم بنسبة متساوية ومتقاربة.

كان ترتيب اختيار الأعضاء الآخرين المكملين لمجلس الشورى، إلى الحدود التي تسعفني إليها الذاكرة وبالاستعانة بذاكرة الآخرين، على هذا النحو، قبل انتصار الثورة: السادة السيد محمود طالقاني، السيد علي خامنه إي، مهدوي كني، أحمد صدر سيد جوادي، المهندس بازرگان، الدكتور سحابي، المهندس كتيرائي، اللواء قرني (الشهيد) والعميد مسعودي، الذين اختيروا بناء على اتفاق الآراء.

بعد انتصار الثورة، وتشكيل الحكومة المؤقتة، انتقل بازرگان وسحابي وكتيرائي والحاج سيد جوادي وقرني إلى الحكومة والجيش، واختير بدلاً منهم الدكتور حبيبي والمهندس سحابي والدكتور شيباني وبني صدر وقطب زاده، وفي المرحلة التالية، بعد استشهاد الأستاذ مطهري اختير كل من المهندس مير حسين موسوي وأحمد جلالي والدكتور پيمان وتولى السيد مسعودي مهمة تنفيذية.

بعد احتلال وكر الجاسوسية الأميركي واستقالة الحكومة المؤقّتة تغيّر تركيب مجلس شورى الثورة، الذي كان حتى هذا التاريخ يقوم بدور المجلس في مواجهة القوى الأخرى، وتولى بأمر من القائد المسؤولية التنفيذية فتغير تبعاً لذلك، وأضيف إلى التركيبة الجديدة بازرگان ومعين فر وآخرون وعهد إلى پيمان وجلالي وموسوي بمسؤوليات أخرى.

بعد انتصار الثورة، وبسبب الظروف الأمنية، كان مجلس شورى الثورة سرياً، ولم يتمكن النظام حتى نهاية عمره أن يعرف شيئاً عنه، ولذا لم تدوّن صورة الجلسات، ولم نترك أي مستند وراءنا. كانت مسؤولية مجلس الشورى قبل انتصار الثورة تنحصر في توجيه الثورة، وصارت المسؤولية بعد انتصار الثورة البحثُ والمشورة في أمور حفظ النظام وتوزيع المسؤوليات، ووضع البرامج والقوانين الأساسية والأمور الأخرى، وكنا نستشير القائد المعظم في الأعمال المهمة ونعمل بحسب توجيهاته.

قبل أسبوعين من انتصار الثورة لم تكن مباحثات وقراءات مجلس شورى الثورة مدوّنة، وأول جلسة دوّنت مباحثاتها هي جلسة ٨/ ١٢/ ١٣٥٧ [١٩٧٩]، دوّنها الدكتور شيباني.

كما ستلاحظون، محاضر الجلسات ليست كاملة، وبعض المسائل لم تدون، وبعض الجمل ناقصة وأحيانا غير مفهومة، ولكنها في مجملها مفيدة، ويمكن أن تكون مستنداً يؤرخ للثورة، بالاستعانة بمذكرات وخواطر أعضاء مجلس الشورى، والمنشورات الصادرة عنها والتصويبات على الموجود منها.

يجب الاعتراف أن إغفال التدوين الكامل للمذكرات والمستندات الصادرة عن مجلس شورى الثورة خطأ فادح، والسبب الأساسي لهذا الإهمال، هو الأعمال الكثيرة المتراكمة، وقلة التجربة، وعدم تحديد المسؤوليات وعدم معرفة القوى الإسلامية وقوى الثورة.

من الواجب أيضاً تذكّر هذه النقطة، وهي أن مذكرات جلسات لجان شورى الثورة، التي كانت تنصب على المباحثات وتصويب اللوائح، وبقيت أيضاً بعيدة عن التدوين والضبط، وليس في أيدينا سوى نتائج المباحثات، التي تتضمن تصويبات عديدة.

بعد انتخاب أول رئيس جمهورية وانتقال رئاسة شورى الثورة إليه، كرئيس للسلطة الإجرائية، كان كاتب الجلسات السيد بازرگان، الذي كان يدوّن خلاصة المذكرات، التي يُعَدُّ إسنادها ضعيفاً من وجهة تاريخية.

آخر مرحلة عمل لشورى الثورة، التي تشكلت بعد انتخابات أول مجلس شورى إسلامي في غيابنا، لها وضع آخر وحالة خاصة وأجواء خاصة.

المستند رقم ١/ ٤

صورة عن الإيصال الذي أرسله رفسنجاني إلى القراء قبل نشر كتاب: «القضية الفلسطينية».

جانب السيد: . . .

الموضوع: كتاب «سرگزشت فلسطين»

هذا الإيصال المرسل إليك ضمن هذه الرسالة، متعلق بكتاب نشر بحمد الله وفضله في شهر فروردين العام ١٣٤٣هـ. ش، الموافق لذي القعدة ١٣٨٣هـ.ق، سيكون أفضل وسيلة لتعريف الأمة الإيرانية بالمصائب العديدة التي ألحقها الاستعمار بالشعوب الإسلامية، ويرسم صورة بيانية واضحة للجرائم التي ارتكبها داخل البلاد الإسلامية التي كانت مسرحاً لأفظع مجازره.

يتحدث هذا الكتاب عن الفاجعة المؤسفة والمصيبة العظمى التي أصابت فلسطين من جرّاء إنشاء دولة إسرائيل الهجينة في قلب العالم الإسلامي، وهو ملف كامل عن خداع المستعمرين وحيلهم، وعن شعوذات المنظمات التي وجدت باسم العدالة والحرية، وعن دكتاتوريات الدول التي تدّعى الديمقراطية وتسلطها، وعن درجات البغي والإجرام التي تمارسها الدول التي تدّعي الرحمة وحماية الضعفاء، بينما هي تنتزع أرواح الشعوب الضعفية التي لا حول لها ولا طَوْل، وتستعمرها وتستثمرها باسم الحماية والرعاية.

يشرح هذا الكتاب أيضاً، نمط تفكير اليهود وسلوكهم، وكيف يعملون

كرأس حربة للدول المستعمرة تحت ستار دين سماوي مقدّس، وقد قاموا بدعم من المستعمرين بأفظع المجازر في الأراضي المقدسة.

هذا الكتاب هو ترجمة لكتاب عربي، صاحبه أحد الأبطال المناضلين، الذي عاين الحوادث في فلسطين بأم العين، ودرس المعطيات، وفهمها فهماً جيداً. أسباب ما جرى ونتائجه، وعرضها في هذا الكتاب عرضاً جيداً. في النتيجة يمكن القول إن هذا الكتاب أفضل أثر حتى اليوم، يعالج كيفية نشوء إسرائيل المغتصِبة في قلب العالم الإسلامي، وفي منطقة الشرق الأوسط الحسّاسة.

يشرح المؤلف في هذا الكتاب بأسلوب مشوّق وبيان ناصع بعيد من التعصب يشرح الحوادثَ التي وقعت في فلسطين، منذ مرحلة الانتداب التي أعقبت تقسيم ممتلكات الدول العثمانية، وتفككها إلى دول عربية تحت انتداب الإنگليز والفرنسيين وحمايتهم، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ودعم الاستعمار العلني والسري لليهود، ونضال العرب، ومعاركهم وإضراباتهم وتظاهراتهم، وتقديم الدول الكبرى المساعدات إلى اليهود وتحيّز المنظمة الأم العلني لدولة اليهود الغاصبة، وتهجير أكثر من مليون لاجيء فلسطيني، ثم ينتهي المخاض مسفراً عن ولادة طفل لقيط ورعايته..

هذه المواضيع ومئات المواضيع الأخرى معروضة أمام القرّاء في هذا الكتاب. وبما أن واجب كلّ مسلم أن يوصل أفكار الآخرين، التي تشرح الحوادث التي أصابت إخوته المسلمين، والتي لم تسمح قوى الاستعمار بكشف النقاب عنها حتى اليوم؛ فقد قمنا بترجمة هذا الكتاب ونشره تلبية لنداء واجبنا الشرعي، ونتمنى على المهتمين والمعنيين والمتدينين، أن لا يحرمونا من دعمهم لإتمام هذا الواجب الشرعي، الذي نأمل أن يوقظ شعب إيران من غفلته، ويأخذ العبرة مما أصاب الشعب الفلسطيني.

بين أيديكم.. كذا من الإيصالات، نرجو إعلامنا بالعدد الذي ترغبون بالمساهمة به، ونرجو أن يصلنا الرد قبل نهاية شهر رمضان كحد أقصى.

ترسل المراسلات إلى صندوق بريد رقم/ ٣، قم، مكتب التشيّع.

من ملف المخابرات

استجواب السيد أكبر علي هاشمي بهرماني

المستندات ١ و٢ و٣ و٤

ـ عرّف عن نفسك؟

ـ اسمي أكبر، اسم أبي علي، اسم عائلتي هاشمي بهرماني، رقم هويتي ٣٠٨ ـ رفسنجان. تاريخ الولادة ١٣١٣، محل الولادة قرية بهرمان ـ رفسنجان، مسلم (شيعي جعفري) متزوج ولي ثلاثة أولاد صبي وبنتان، عملي: طالب علوم دينية في قم. ميزان علومي: قريب الاجتهاد، محل السكن: قم، شارع صفائية، حارة پجويان، منزل الدكتور مصفّا.

ـ ماذا تعرف من اللغات الأجنبية؟

ـ معرفة تامة باللغة العربية، ومختصرة جداً باللغة الأنكليزية.

ـ أتتقن الكلام أيضاً باللغة العربية أم لا؟

ـ أعرف العربية الفصحى بأسلوب الأدب العربي القديم، وعلى هذا النحو يمكنني أن أتكلّم بها، أعرف قليلاً اللغة العربية المعاصرة، ولكنني لا أتقنها، وإذا قرأت الصحف العربية أفهم أكثر مواضيعها.

ـ اشرح وضعك التعليمي منذ البداية حتى اليوم؟

ـ في الخامسة من عمري، دخلت الكتّاب في قريتنا، ودرست فيه حتى سن الرابعة عشرة على يد السيد حبيب المقرئ، بعد ذلك جئت إلى قم، ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم لا أزال أتابع دراسة العلوم الدينية، ولم أنهِ بعد المرحلة الكلاسيكية، وأدرس في الوقت نفسه التاريخ والجغرافيا ومبادئ الرياضيات، بصورة غير منتظمة.

ـ هل قمت حتى الآن بالتأليف أو بالترجمة؟

ـ ترجمت كتاب «سرگزشت فلسطين» أو «سجل الاستعمار الأسود»، هذا الاسم أنا الذي وضعته له، واسمه الأصلي «القضية الفلسطينية»، ولم أقم بتأليف أو ترجمة كتاب آخر، كتبت بضعة مقالات فقط في نشرة «مكتب تشيّع» الدورية.

ـ كتاب «سرگزشت فلسطين»، بأي لغة كان مكتوباً في الأصل، وكيف حصلت عليه أنت؟

ـ الكتاب كان مكتوباً باللغة العربية، وكاتبه هو السيد أكرم زعيتر سفير الأردن الحالي في إيران، وهذا الكتاب أخذته من الحاج «خليل كمره اي» بواسطة السيد «صالحي كرماني».

ـ من هو السيد «صالحي كرماني»، وما هي علاقتك به؟

ـ هو أحد أصدقائي، وإمام مسجد «سبحان» في طهران.

ـ أنت طلبت الكتاب، أم قُدِّم إليك، وما هي نواياك من وراء الحصول على هذا الكتاب؟

ـ سمعت من السيد ناصر ابن السيد «كمره إي» أن لدى والده كتاباً مهماً يشرح القضية الفلسطينية، فأرسلت إلى السيد صالحي في طهران أن يؤمّن الكتاب ويرسله إليّ ففعل.

ـ ماذا قرّرت بعد قراءتك الكتاب؟

ـ بعد أن قرأته، رأيت أنه كتاب مفيد، فكتبت رسالة إلى السيد زعيتر، أستأذنه

بترجمة الكتاب إلى الفارسية، فأرسل لي رسالة تتضمن موافقته.

ـ أنت ترجمت الكتاب شخصياً أم أن آخرين ساعدوك في ترجمته؟

ـ لا، أبداً، لم يساعدني أحد، لقد ترجمته بنفسي.

ـ متى بدأت ترجمة الكتاب ومتى انتهت؟

ـ استغرقت ترجمة الكتاب أربعة عشر شهراً، تقريباً، فبعد الصيف الماضي، أرسلت إلى السيد زعيتر الرسالة، وكنت قد بدأت الترجمة قبل ذلك، وبعد نيل الموافقة، تابعت العمل بجدية أكبر واستمر أربعة عشر شهراً.

ـ كم من الوقت استغرق طبع الكتاب، وأين طُبع؟

ـ استغرقت طباعة الكتاب مدة شهرين، وقد أنجرت الطباعة في مطبعة حكمت في قم.

ـ هل طلبت الإذن من المراجع المختصة، لطبع هذا الكتاب ونشره؟.

ـ لا، أبداً، لم أفعل ذلك، لأن الكتب في قم تأليفاً كانت أم ترجمة، تطبع وتنشر دون إذن مسبق من المراجع المختصة.

ـ حتماً قبل طباعة الكتاب ونشره، وزّعنا في قم وسائر المدن إيصالات بالدفع المسبق وبيانات تعرّف بالكتاب.

ـ يبدو أن ما يُطبع وينشر في قم هو الكتب الدينية، في حين أن هذا الكتاب، ليس كتاباً دينياً. لماذا لم تتبع التعليمات المطلوبة، والقرارات النافذة، وتحصل على الإذن؟.

ـ أولاً، ما ذكر ليس منحصراً بالكتب الدينية في قم، وثانياً لهذا الكتاب وجهة دينية، لأنه متعلق بأحداث جرت في الأراضي الإسلامية المقدّسة ومن الواجب أن يطّلع عليها المسلمون الآخرون.

ـ لهذا الكتاب مقدمة بقلمكم، هل أنت الذي كتبتها أم لا؟.

ـ نعم، أنا كتبتها.

ـ في هذه المقدمة، مجموعة من المواضيع التي لا علاقة لها بأصل الكتاب، ماذا قصدتم من وراء كتابتكم لهذه المقدمة؟

ـ أحسست في أثناء قراءتي للكتاب أن الاستعمار وراء ما حدث في فلسطين، ولذلك فإن هذه المقدمة التي تتحدث عن الاستعمار، مرتبطة بمواضيع الكتاب، وكان غرضي من وراء كتابتها، أن أوضح أسباب هذا النوع من الحوادث ومصدرها.

ـ ألم تفكر وأنت تكتب هذه المقدمة أن المواضع كانت سياسية صرفة وأن من الواجب نيل الإذن من المراجع ذات الصلاحية؟

ـ لا، المقدمة التي تهدف إلى توضيح مواضع الكتاب ذات المنحى الديني، لها هي الأخرى منحى دينيّ.

ـ ما اسم مدير وصاحب المطبعة؟

ـ اسمه السيد إخوان برقعي.

ـ ألم يتحدث إليك السيد برقعي بشأن الترخيص لنشر الكتاب المذكور؟

ـ لا.

ـ ما هو عدد النسخ التي طبعت من هذا الكتاب، ومن موّلها؟

ـ هذا الكتاب طبع ثلاث مرات حتى الآن، وبلغ عدد النسخ أربعة آلاف وخمسمئة نسخة.

ـ اذكر تاريخ طبعات الكتاب؟

ـ الطبعتان الأولى والثانية مرتبطتان معاً، فقد تبيّن في أثناء الطباعة أن الطلب شديد، فطبعنا في حينه دفعة أخرى، وقد تمت الطبعتان الأولى والثانية منذ سنة تقريباً وبيعت كلها، والطبعة الثالثة، أنجزت في طهران في شهر رمضان من العام الجاري، وبلغ عدد النسخ في الطبعتين الأولى والثانية ألفين وخمسمئة نسخة، وفي الطبعة الثالثة ألفين.

ـ من الذي موّل طباعة هذا الكتاب؟

ـ لقد طبعت ووزّعت عدداً من إيصالات القبض قبل المبيع، فأمنت المصاريف الأولية، ولم يساعدني أحد.

ـ ما هو عدد الكتب التي بيعت حتى الآن؟

ـ الطبعتان الأولى والثانية نفدتا حتى الآن، ونُسخُ الطبعة الثالثة، موزّعة في المحافظات، ولا أعرف عدد النسخ المباعة.

ـ هل لديك توضيحات أخرى؟ تفضل.

ـ في ما يتعلق بالأذن، حين وُزّعت إيصالات القبض والبيانات المتعلقة بالكتاب، استدعت مديرية الأمن في قم، أحد المكلفين، وبعد استجوابه بشأن الكتاب، طُلب إليه أن يكتب تعهّداً، بأن يقدم إليهم نسخة قبل التوزيع، وقد نفذ تعهّده، وفي هذه المدّة، مع أن مديرية الأمن قد اطّلعت عليه، لم تأمر بأخذ إذن مسبق بالطباعة.

ـ اكتب بخط يدك نصاً عن موضوع الاستعمار؟

ـ يمكن كتابة الكثير عن الاستعمار والمخاطر التي تتعرض لها البشرية من قبله، والجرائم التي ارتكبت بحق البشرية من هذا الطريق لا حصر لها، بحيث يقف الإنسان أمامها عاجزاً من أين يبدأ. إن البلاد الأسيرة للاستعمار إلى حدود ما، محرومة من أكثر المواهب الطبيعية والامتيازات البشرية. الثقافة، والصحّة، والصناعة، استغلال الموارد الطبيعية، والخلاصة أن مظاهر الحضارة والتمدن نادرة أو معدومة بين الشعوب المستعمَرة، إن ما كتبته في مقدمة كتاب «القضية الفلسطينية» عن هذا الموضوع لا يعدو كونه موجزاً لسجل الاستعمار الأسود والقذر والملطخ بدماء الشعوب المستعمَرة ودموعِها. يمكن القول بصورة موجزة إنه أحد أسس التخلف والفقر.

ـ هل سافرت خارج إيران حتى الآن أم؟

ـ نعم، سافرت مرتين إلى مكة ومرة إلى كربلاء، ولم أذهب إلي أي مكان آخر.

ـ كيف تؤمن نفقات معيشتك؟

ـ لديّ عدد من أشجارالفستق في بهرمان ـ رفسنجان، وأؤمن مبلغاً آخر من طريق المنبر [الدعوة والتبليغ].

ـ أذكر المقالات التي نُشرت لك حتى الآن بالتفصيل؟

ـ نشرت المقالة الأولى، سنة وفاة المرحوم آية الله البروجردي في المجلة السنوية «مكتب التشيع». تحت عنوان «الشيعة والمرجعية»، والمقالة الأخرى في العدد الرابع من الدورية نفسها بعنوان «المعجزة». وفي العدد الخامس نشرت مقالة أخرى بعنوان «إسرائيل وفلسطين». وقد كتبت ضمناً كتاباً باسم «العائلات المحظوظة». كمشاركة في إحدى المسابقات، التي نظّمتها إحدى المؤسسات الثقافية التابعة لوزارة الثقافة، وقد أرسلت نسخة إلى المؤسسة المذكورة، ونسخة أخرى لا تزال في حوزتي، لم تطبع حتى الآن.

ـ وقّع أمام إجاباتك؟.

ـ نعم. أكبر هاشمي.(١)

المستند رقم ١٤

أحمدا آباد ١١ آذر ماه ١٣٤٣. [٨٣ ـ ٨٤هـ، ٦٤ ـ ١٩٦٥ ميلادية].

لقد وصلتنا رسالتكم المحترمة، وسرّنا ذلك كثيراً. وأنا شديد الأسف لابتلائكم

(١) أمام جميع الأجوبة، كما يتضح من صور محاضر التحقيق، يبدو توقيع المستجوب. وضمناً هذا التحقيق تمَّ في أثناء اعتقاله في أول العام ٤٣ وربيع وصيف العام ٤٤، ويجدر التوضيح هنا: أنه بعد التعذيب الذي رافق التحقيق. وبما أن الاتهامات لم تثبت من ناحية، ومن ناحية أخرى ضغوط بعض المقامات الدينية والمراجع على الحكم للإفراج عنه، أعادوا النظر في سلوكهم، ولذلك قبل الإفراج عنه، أجريت معه تحقيقات مؤدّبة، من جملتها هذا التحقيق، المتعلق بكتاب «سرگذشت فسلطين». لذلك وجدنا أنه من المناسب إيراد وثيقة هذا الاستجواب لارتباطها بالكتاب المذكور [الناشر].



يعود مشوهي الحرب

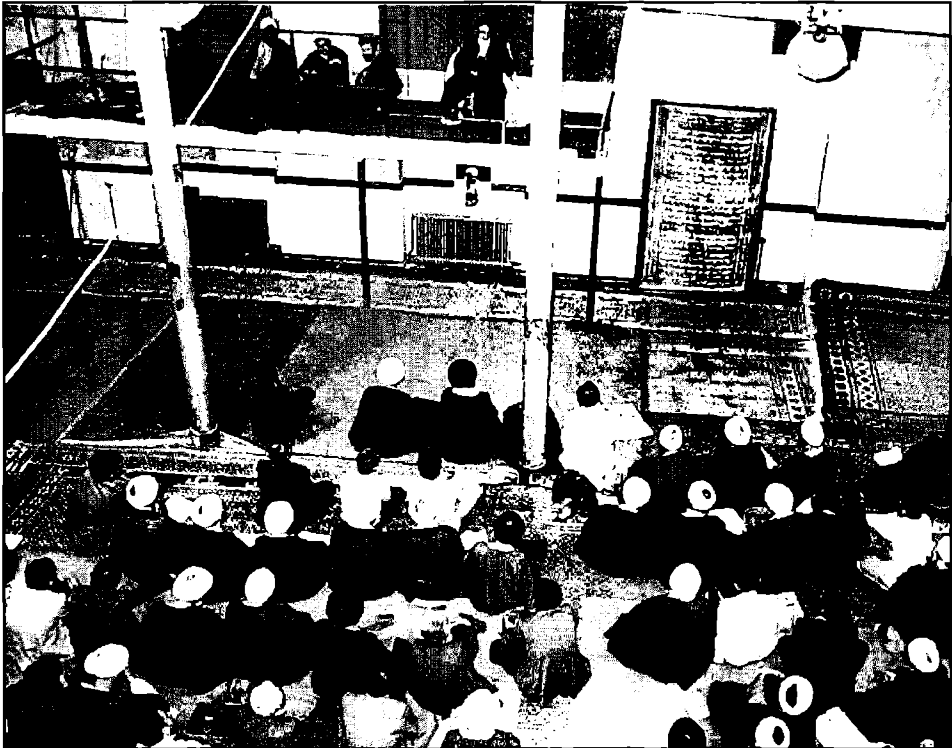


يوم صلاة الجمعة في طهران



في اجتماع المجلس الأعلى لشورى الدفاع



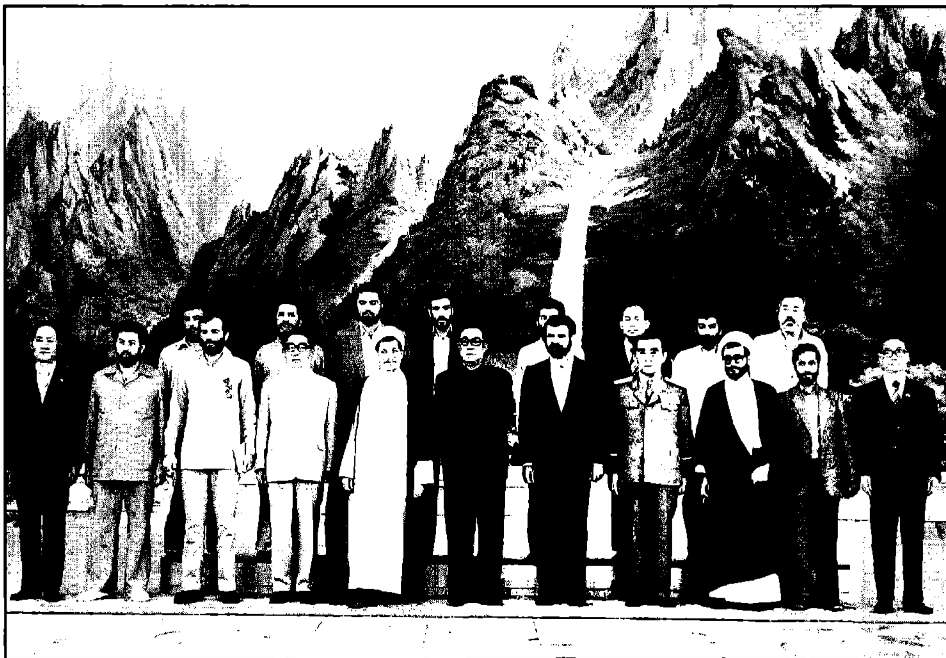


لقاء النواب بالإمام (بمناسبة الافتتاح السنوي لمجلس الشورى)

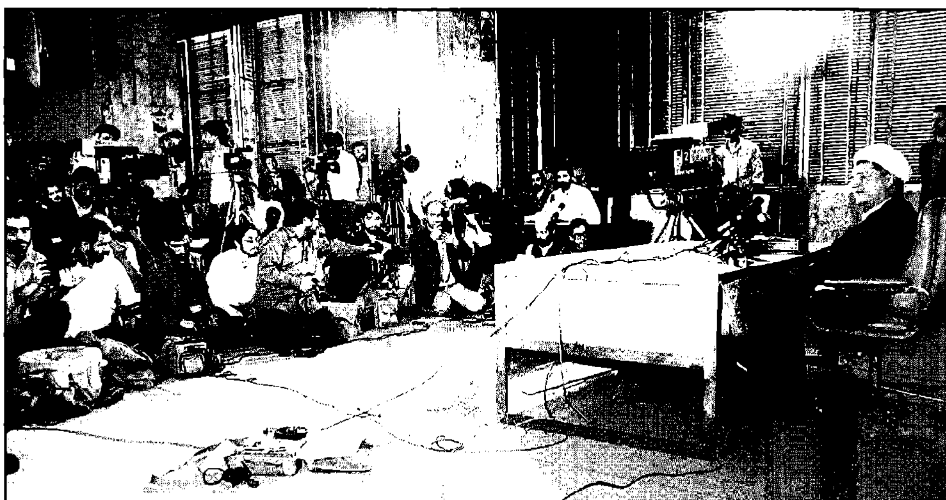




مع كيم إيل سونغ رئيس جمهورية كوريا الشمالية



مع كيم إيل سونغ في زيارة رسمية إلى كوريا الشمالية



مقابلة صحافية مع الإذاعة والتلفزيون

مع ياسر عرفات



في زيارة إلى دولة ماليزيا



هيئة رئاسة مجلس الشورى

من اليمين: أسد الله بيات محمد يزدي هاشمي رفسنجاني موسوي خوئينيها مرتضى الويري

(مقرر) (نائب ثان للرئيس) (رنيس) (نائب رنيس أول) (مقرر)



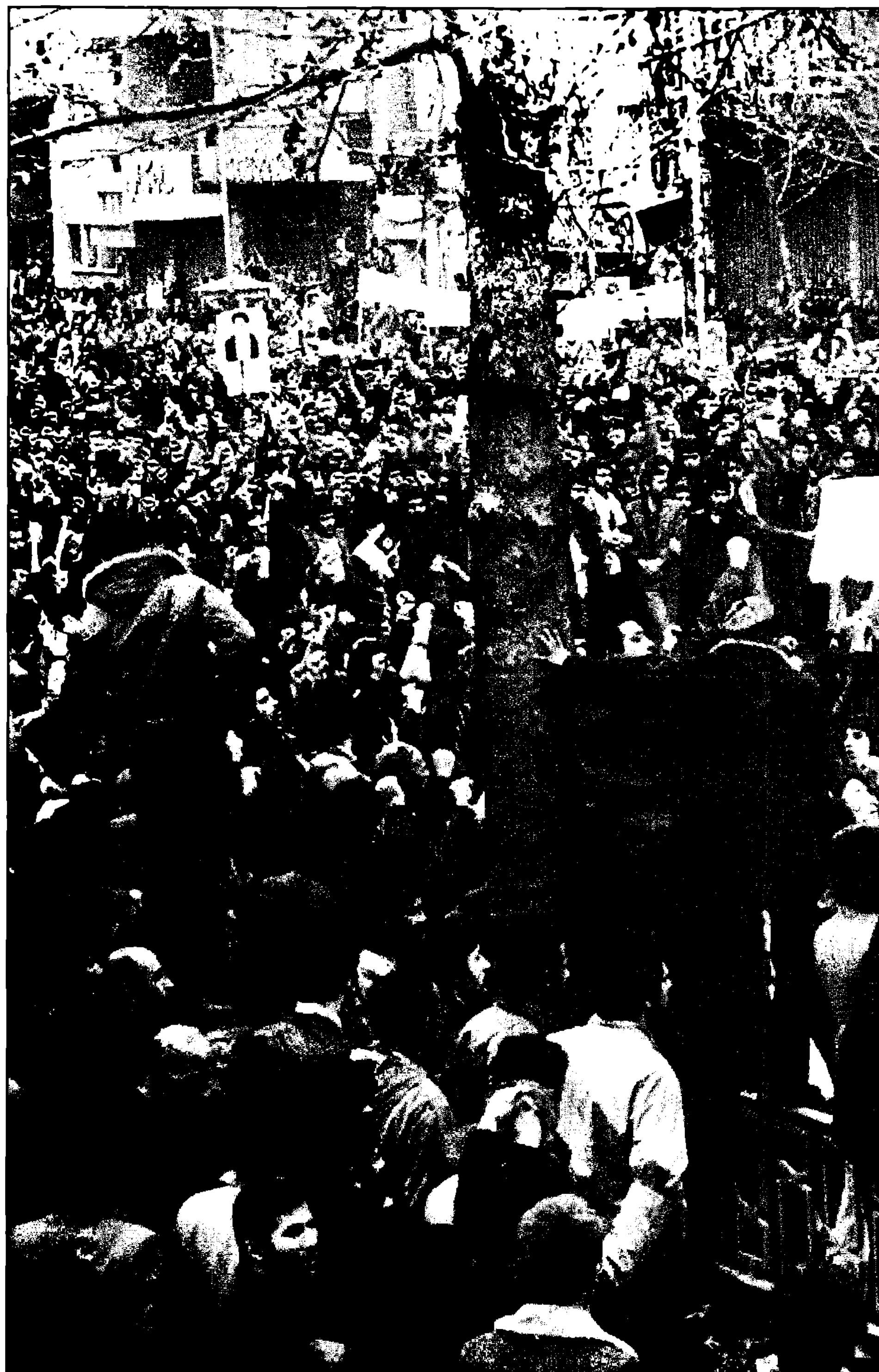
السيد الكاشاني مع الدكتور مصدق



الإمام الخميني في شهر محرم عام ١٩٦٣



رفسنجاني مع الشهيد الدكتور محمد جواد باهنر (اليابان ١٩٧٥)



حشود إيرانية في انتظار وصول الإمام الخميني من فرنسا



الإمام الخميني لحظة وصوله من منفاه إلى إيران



رفسنجاني يتلو قرار تكليف بازركان بتشكيل الحكومة الإيرانية



بازركان يقبل تكليفه تشكيل الحكومة ويشكر الخميني ورفسنجاني لثقتهما به



المهندس مهدي بازركان قبل إقرار الدستور (يلقي بيان حكومته الموقتة)



رفسنجاني بين آية الله محمد حسين بهشتي والسيد علي خامنه إي



من اليمين: مرتضى مطهري – هاشم صباغيان – مهدي بازركان – هاشمي رفسنجاني – يد الله سحابي



رفسنجاني مع بهشتي وخامنه إي



رفسنجاني مع خامنه إي وأردبيلي



رفسنجاني في لباس الجيش

بالأجهزة الأمنية، وأتمنى أن لا تواجهوا نظائرها من بعد، وأن تتابعوا حياتكم بالراحة التامة والرفاه.

لقد استفدت كثيراً من كتاب «سرگزشت فلسطين»، ومن المؤسف أن يبقى هذا الكتاب مهملاً، ولا يُستفاد منه. أقدم إليكم هذا الشيك المتواضع، الذي يمكّنكم من ابتياع عدد من النسخ ووضعها في أيدي العموم.

المخلص

دكتور محمد مصدق

المستند رقم ١٦

سفارة المملكة الأردنية الهاشمية ـ طهران

التأريخ: ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤

حضرة اللواء الركن «پاكروان».

بعد تقديم فائق الاحترام والأشواق،

وبما أننا نعرف أن وقتكم ثمين، كتبنا إليكم هذه الرسالة، وأحجمنا عن طلب موعد للقاء بكم.

كما تعرفون إنّ كتابنا «القضية الفلسطينية» قد تُرجم إلى اللغة الفارسية، وهذا الأمر أسعدنا كثيراً، لأنه يتيح الفرصة لمثقفي هذا البلد الأخ والصديق، أن يطلعوا على قضيتنا المقدّسة، وبخاصة أن المكتبات هنا لا تخلو من كتب تعكس النظرية الصهيونية الباطلة. لقد ازداد أسفنا حين علمنا أن مدير محافظة گرمسار قد أمر بجمع نسخ الكتاب المذكور المعروضة للبيع، وتضاعف ألمنا حين علمنا أن محافظ خرَّم آباد قد أمر أيضاً بجمع نُسخ هذا الكتاب ومنع بيعها، وكذلك تألمت جداً حين علمت أن مديرية الأمن في قم قد أمرت بجمع نسخ هذا الكتاب من المكتبات ومنعت بيعها، وأخطرت صاحب المطبعة أنها ستقفل له مطبعته.

لا أريد أن أعطي أي تفسير لهذه التصرفات، ولكنني أكتفي بإحالة هذه القضية ذات

الهدف الإسلامي المحض إلى جنابكم، وأنا متأكد أنكم لا توافقون على مثل هذه التصرفات، وستأمرون بإعادة الكتب المصادرة، وأن تأذنوا أن يباع هذا الكتاب الذي يعالج الموضوع بمنهج علمي، بحرية.

أرجو في الختام أن تتقبلوا فائق احترامي، وخالص شكري.

المخلص أكرم زعيتر

المستند رقم ٢٢

نسخة خطية غير مؤرخة، وهي عبارة عن خلاصة لكتاب «سرگزشت فلسطين» مقدمة بناء لطلب رئاسة الساڤاك:

إن كتاب «القضية الفلسطينية» تأليف أكرم زعيتر، وترجمة أكبر هاشمي رفسنجاني الذي طبع دون إذن مسبق من وزارة الثقافة، في مطبعة حكمت في قم، كما يقول تقرير الساڤاك في طهران، والذي تقرر أن يُخضع للدرس والتحقيق:

هذه خلاصة المواضيع التي يعالجها:

يتحدث هذا الكتاب بصورة مجملة عن تأريخ تقسيم الأراضي الفلسطينية بين البلاد العربية واليهود المقيمين في فلسطين، وتدخّل الدول الاستعمارية [بحسب مصطلح المؤلف]، إنكلترا وأميركا في البلاد المذكورة، حيث يشرح المؤلف هذا الموضوع بكلمات وجمل فاقعة، ثم يعمد إلى تقبيح أفعال الدول المذكورة وبخاصة إنكلترا ودورها في تأسيس دولة إسرائيل. ضمناً، يرى المؤلف في مقدمة الكتاب المذكور تحت عنوان «الاستعمار» في السطر الثاني من الصفحة ١٠ أن استقلال أكثر دول الشرق الأوسط ومن الجملة إيران، هو استقلال ظاهري.

مع الأخذ في الاعتبار العلاقات الحسنة التي تربط دولة «شاهنشاهي إيران» وإنكلترا والولايات المتحدة، وكذلك نظرية المؤلف في ما يتعلق باستقلال إيران، الذي يعتبره استقلالاً شكلياً، فإن الاستمرار في نشر مضامين الكتاب المذكور أعلاه، مخالف لمصالح البلاد الحيوية.

المستند رقم ١/ ٢٥

المكان: طهران.

مصدر الخبر: مخبر خاص.

تاريخ وصول الخبر: ١٣/ ١١/ ٤٣.

تاريخ التقرير: ١٥/ ١١/ ٤٣.

بناء على الدعوة المرفقة ربطاً [المستند مفقود]، عقدت جلسة «الهيئة الزينبية» من الساعة الحادية عشرة وحتى الساعة الواحدة والعشرين من نهار ٧/ ١١/ ٤٣ في منزل أكبر خليلي الواقع في شارع خراسان، محلة باغ، بحضور حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ شخص. في هذه الجلسة تكلم هاشمي الواعظ ومن جملة ما قال:

«إن المسؤولين وأولياء الأمر مثلهم كمثل الرعاة الذين يحرسون القطعان. ومن واجبهم أن يحموا قطعانهم من شر الحيوانات المفترسة وبقية الآفات، فإذا تغافل المسؤول أو الراعي فإن القطعي معرّض للبلاء. أسفاً لحال هذه الأمة أو هذا القطيع، فالأجنبي قلبه لا يحترق من أجلنا، وقد سلّمنا زمام أمورنا، يفعل بنا ما يشاء.

هذه المعاهدة المشؤومة، لاحظوا المصائب التي تحملها، من ناحية، ومن ناحية أخرى، ما تتضمنه من مقررات بخناق الشعب الإيراني. لهذا السبب رفع الإمام الخميني الصوت عالياً وقال في خطبة مهمة له: «أيها الشعب، لقد ذهب الإسلام»، لأنه يعرف الجرائم التي تتضمنها. فالرجال العظام يعرفون ما يقولون.

لا يقولون مثلنا: «لا دخل لنا»، أو «اصرفوا النظر عن هذه الأمور»، أو «هم سياسيون، ونحن لا دخل لنا بالسياسة»! الإسلام لا ينحصر فقط بدخول المسجد وبالصلاة والصيام. . هذه الحكومة المشروطة (الدستورية)، التي أريقت كل تلك الدماء في سبيلها، لماذا يجب أن تصير على هذا النحو؟ أيها السادة! كل ما لدينا مزوّر، مجلسنا مزوّر! أنا نفسي كنت حاضراً في انتخابات رفسنجان، أقدم شخص لا يعرفه أحد، ولا رأي له، على نقل الصندوق السري كمسؤول عنه، أيستطيع هذا الوكيل الغشاش أن ينجز أمراً لأمته أو على الأقل لموكّليه.

لو أن علماءنا، كانوا متيقّظون يقظة كاملة، لما وصلت بنا الأمور إلى هذا الحد. العلماء هم معلمو المجتمع، ولكن للأسف، فإن بعضهم لا يقوم بأي عمل سوى إقامة صلاة الجماعة».

وقد أنهى الواعظ المذكور كلامه بالدعاء للخميني.

المستند ١/ ٩٠ ص١ و٢

رئيس مجلس الوزراء.

مديرية المخابرات والأمن

س.ا.و.ا.ك

يشرفنا أن نرفع إلى معاليكم ما يلي:

بحسب المعلومات التي كانت قد وصلت إلى مديرية المخابرات، تبين أن عدداً من رجال الدين المتطرفين، مؤيدي آية الله الخميني، يريدون ليلة رأس السنة، أو يوزّعوا بياناً في قم. وبعد المراقبة المكثفة بهذا الصدد، نعلمكم أن خمسة طلاب هم:

١ ـ علي دهخدا، ٢ ـ يزدان أميني، ٣ ـ سيد قاسم داود الموسوي، ٤ ـ حميد مددي، ٥ ـ محمد علي منتظري ـ في أثناء توزيع البيان، في الصحن المطهر اعتقلتهم قوات الأمن، للتحقيق معهم، وقد اعتُقل بعد ذلك تدريجياً أربعة آخرون هم ١ ـ الشيخ حسين علي منتظري، ٢ ـ علي حجتي كرماني، ٣ ـ عبد الرحيم ربّاني شيرازي، ٤ ـ أحمد بيگدلي آذري، وقد وجهت إليهم تهمة إعداد البيان المشار إليه، وثلاثة منهم يحملون درجة الاجتهاد وهم من مدرّسي حوزة قم.

وقد عثر في منزل الشيخ حسين علي منتظري، الذي يعمل مدرساً [في الحوزة]، على أوراق مضرّة مختلفة مثل: منشورات وكالة تاس، منشورات سفارة أندونيسيا، صحيفة مردم [الشعب]، الناطقة بلسان حزب تودة المنحل، صحيفة إيران آزاد [إيران الحرة]، ومنشورات وبيانات عديدة أخرى مضرة، وقد أظهر [الشيخ حسين منتظري]، في أثناء التحقيق العادي عدم معرفته بوجود مثل هذه المستندات في منزله، وأنها ربما كانت لابنه، أو أن أشخاصاً

آخرين غير معروفين لديه، من بين الذين يترددون على منزله، قد وضعوها هنالك.

في منزل أحمد بيگدلي آذري، عمله مدرس وصاحب مكتبة، وُجد «نظام داخلي» من ست صفحات، يبدو من خلال قراءته أنه مهم من الناحية الأمنية يبدو أن هذا «النظام الداخلي» مدوّن بهدف إنشاء تنظيم معين تحت ستار ممارسة تعاليم الإسلام والكتاب المقدس «القرآن» وسيرة الأئمة. في المادة الأولى من هذا النظام الأساسي المذكور إشارة إلى أركان الجمعية الأساسيين التي تضم ثمانية أقسام هي على التوالي:

مجلس الشورى الأعلى للمؤسسين، شعبة الأمور المالية، لجنة التبليغات والتعليمات، شعبة الإعلام والعلاقات العامة، شعبة التحقيقات، شعبة المناطق، الدائرة الاستشارية والقضائية. إن القضايا المدرجة في هذا النظام الأساسي توحي بنشاط سرّي محتمل لهذه الجمعية، وتوضح كذلك أن المؤسّسين وواضعي هذا النظام الأساسي المذكور على معرفة كافية بكيفية إدارة الجمعيات السرّية.

... وبعد التحقيقات تبين أن ثمانية أشخاص من مدرسي حوزة قم وعلمائها قد شاركوا في الجلسات الأولية وهم:

١ ـ علي مشكيني، ٢ ـ حائري طهراني، ٣ ـ علي قدوسي، ٤ ـ مصباح يزدي، ٥ـ هاشمي رفسنجاني، ٦ ـ محمد خامنه إي، ٧ ـ علي خامنه إي، ٨ ـ أميني.

لذلك يجب التحقق من ماهية هؤلاء العناصر، الذين يُحتمل أنهم يفكرون بتشكيل تنظيم سياسي، وإجراء التحقيقات اللازمة عنهم.

بعض مواد النظام الأساسي:

المادة ١٩: أسماء أعضاء الجمعية مسجلة في الدفاتر «بالرموز»، وكل تنظيم أو شعبة لا يجب أن يعرف سوى عناصره.

المادة ٢١: لا يحق لأي وحدة أن تساعد وحدة أخرى أو تتوحد معها، إلا بأمر خاص من فوق.

المادة ٣٣: كل الأعضاء يسجلون في جميع الدفاتر بأسماء مستعارة، ولا يجب أن يعرفهم سوى المحاسب ورئيس الشعبة.

المادة ٥٧ : دائرة العلاقات العامة، يسمح لها بالاستفادة من مستشارين ومتخصصين من خارج الجمعية.

المستند رقم ١/ ١١٣

الموضوع؛ تقرير الساڤاك عن مجلس العزاء الأسبوعي في مسجد موسيبن جعفر؛

الساعة ٢٠، يوم ٣٠/ ٤/ ٤٦.

عدد المشاركين حوالى ٢٥٠ شخصاً.

. . . بعد أن أقام السيد محمد رضا سعيدي الصلاة، شرح السيد مرتضى خاتمي بعض المسائل المتعلقة بالتيمم، ثم صعد هاشمي رفسنجاني المنبر ومن جملة ما قال:

«. . . بالله انظروا ما يجري في مدينتكم، كل ليلة تجد في كل زاوية من زوايا هذه المدينة، أولئك الذين يمسكون مقدرات هذا البلد بأيديهم ينفقون آلاف التومانات على القمار والرقاصات، وعدد لا يحصى من الناس يعانون من الحرّ والجوع وانقطاع المياه. . قرأت في إحدى المجلات أن ما أنفق في عرس شابين يهدوديين في عاصمة بلدنا بلغ مئتين وخمسين ألف تومان وثوب العروس أحضر من باريس. لقد جرى هذا في بلد إسلامي، وفي هذا البلد الإسلامي نفسه لا يجد الناس ما يقيم أودهم يطعمونه لأولادهم.

المال الحرام، الاختلاط، نهب الضرائب، الغلاء؛ كلها تجتمع في هذا البلد. من الذي أوجد هذا التمييز الطبقي؟.

قال علي لمالك الأشتر: «أنصف الله وأنصف الناس من خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك».

نحن نعيش في بلد يرمي فيه عدد من الناس لحم الدجاج لكلابهم، وعدد آخر لا خبز لديهم، عدد آخر إحدى بناتهم تعمل راقصةً في أوروبا، والأخرى في طهران. . لعن الله هؤلاء الذين يعيشون في عاصمتنا: يأخذون مالنا وثروتنا ونفطنا، ويستفيدون من مواردنا: افرضوا أن من بين أهل أميركا ٦٪ تملك وتنفق ٦٠٪ من موارد البلاد، أكان من الممكن أن تصل إلى الرقي والتمدن؟.

. . . أتعرفون أن الإسرائيليين يمارسون على إخواننا العرب في صحراء سيناء، ما كان الألمان قد فعلوه باليهود!».

استمرت الجلسة حتى الساعة ٢١,٣٠.

المستند رقم ٢٥٧/ ٠

موضوع الخبر: بعض ما جاء في موعظة أكبر هاشمي رفسنجاني في حسينية الإرشاد.

٢٥/ ٧/ ٤٧.

في الساعة ١٩,٤٥، بعد أن أورد المذكور أعلاه مقدمة عن أوضاع العالم قبل أربعة عشر قرناً، ذكر أمثلة مفصلة من بلدان اليونان، الصين، مصر، مكة وإيران، كما أورد شواهد تاريخية، عن كيفية معاملة تلك الشعوب للنساء، وبعد أن انتقد البلاط الساساني، وخسرو پرويز، أشار إلى حملة العرب على إيران وقال:

«ذُكر في كتب التاريخ الإيرانية أنّ العرب حين هاجموا إيران، أحرقوا مكتبة همدان بالنيران. هذا الموضوع مجانب للواقع، وليس في أي مصدر تاريخي معتبر إشارة إلى هذا الأمر.

المستند ١/ ٣٠٥

موضوع الإخبارية: جزء من كلام علي أكبر هاشمي رفسنجاني في مسجد هدايت:

التأريخ: ٢٠/ ٩/ ٤٧

صعد المذكور أعلاه الساعة ٢٣ يوم ٢٠ ـ ٩ في مسجد هدايت إلى المنبر وقد قال في مقدمة كلامه؛ «اللهم! امح إسرائيل من الوجود، وانصر العرب والمسلمين على اليهود»! ثمّ دعا لرجال الدين ومن الجملة الخميني، ثم بدأ بحثه حول فلسطين ومما قاله: «إن الشعب الفلسطيني الذي ذاق مرّ العذاب على أيدي المستعمرين، فكّر للخلاص من هذا العذاب الأبدي بأن ينهض ويثور، علّه يكسر قيود المستعمرين. . كذلك فإن الجزائريين ثاروا أكثر من مرة ليتخلصوا من الاستعمار الفرنسي، وإن كانوا في البداية لم

يتصولوا إلى أية نتيجة ولكن العاقبة كانت الانتصار لأن التوق إلى الحرية والتعاون كان أقوى من كل شيء».

ثم وجه الكلام إلى الحاضرين قائلاً لهم: «أنتم أيضاً يمكنكم أن تنتصروا بهذه الوسيلة، وأن تتخلّصوا من نير المستعمرين».

من الأشخاص المعروفين الذين حضروا هذه الجلسة: صادق كانونيان، حسن تهراني، محمود مقدم، محمد مصطفوي، والمهندس بازرگان.

تقرير السافاك

المستند ٣٠٨/ ١ بتاريخ ٢٢/ ٩/ ٤٧ [١٩٦٩]

موضوع الإخبارية: كلام لعلي أكبر هاشمي رفسنجاني

التاريخ: الساعة ٢٣ يوم ٢٢/ ٩ في مسجد هدايت:

من جملة ما قال: «لا قيمة للدعاء الذي ندعوه نحن وأنتم، إن لم نهيء الأسباب والوسائل اللازمة، كأن نجلس ونقول: اللهم امحق الاستعمار! لا قيمة لهذا الكلام، يجب أن نرفع أيدينا ونحارب، كما يفعل أهل فلسطين الآن، لقد انتظروا في البداية، أن يحرّرهم العرب، ولكنّ ذلك لم يحدث، حتى فهموا في النهاية أن عليهم أن يتسلحوا ويحاربوا، ويستردوا بالقوة الأرض التي اغتصبها اليهود منهم كما ثار الشعب الجزائري».

وقد أضاف بعد ذلك: «منذ مدة، جاء إلى إيران شخص من الثوار الجزائريين وقد التقيت به، قال: إن الفرنسيين كانوا يتدخلون بشؤوننا كلها، عدا المسجد. لقد استفدنا نحن من المسجد. وقد حالفنا التوفيق في النهاية.

وفي نهاية كلامه هاجم إسرائيل بشدة... وانتهت الجلسة بالدعاء: أن تزول إسرائيل وينتصر الشعب العربي».

المستند ١/ ٣١٤

موضوع الإخبارية: بعض ما جاء في خطبة علي أكبر هاشمي رفسنجاني في مسجد هدايت.

التاريخ؛ الساعة ٢٢ من يوم ٢٢/ ٩/ ٤٧

من جملة ما قال المذكور أعلاه: «نحن لسنا في الحقيقة مسلمين، لم يبق من الإسلام إلا الدعاء. يجب أن نستفيد من جميع الإمكانات الموجودة مثل: الصحف والراديو والتلفزيون. ما هو العيب في أن نستخدم هذه الآلات وهذه الوسائل؟ يجب أن نسيطر على هذه الوسائل، ثم نقلبها على رؤوسهم. اليوم في هذه المدينة نفسها يبلغ عدد المساجد ١٨٠ مسجداً، وفي مقابل كل واحد منها «سينما» و«كلوب» و«كافه» و«كاباريه»، وبهذا الشكل استطاعوا أن يسطيروا على عقول شبابنا.

أتعرفون لماذا تبيع أميركا طائرات الفانتوم للإسرائيليين؟

لأن إعلامهم قويّ وواسع الانتشار: لقد ادعت وسائل الإعلام [الصهيونية]، أن ستة آلاف يهودي قد أبيدوا في المحارق النازية في الحرب العالمية الثانية. إنهم يكذبون. .

لا يتحدثون هنا عن آلاف الأشخاص الذين قُتلوا في الأردن، الصحف الإيرانية التي تُصدر مئة ألف نسخة، لم تتجرّأ أن تكتب شيئاً عن هذا الموضوع، فقط أدرجت خبراً مبتوراً ومختصراً.

يتساءلون لماذا لا تعترفون رسمياً بإسرائيل؟ قد جاؤوا من أقاصي الأرض أخرجوا السكان الأصليين من بيوتهم واحتلوها.

حين زار أمير كبير روسيا وجد فيها ما ليس له وجود في إيران، وحين عاد، بدأ بإنشاء مدرسة دار الفنون، وأرسل إلى النمسا مبعوثاً ليحضر لها المعلمين والخبراء. والسبب الذي دفعه للاستعانة بمعلمين من النمسا، هو كي لا يفسح في المجال أمام الاتحاد السوڤياتي وأميركا أو إنكلترا لاستعمار بلادنا. .

وبسرعة أنجز العمل في المدرسة ولم يحضر المعلمون. فقال له السفير الإنگليزي نحن نرسل إليكم معلمين، ولكن أمير لم يقبل، ولكن حين وصل المعلمون النمساويون كان أمير قد عُزل من منصبه، وبدأت دار الفنون العمل، وتولّت تربية أبنائنا. ولكن هل يستطيع الطفل الذي يفتح عينيه في أحضان مربية فرنسية ويكبر على يديها، أن يكون وفياً لوطنه؟».

المستند رقم ١/ ٣٢١

ترجمة نصّ البيان الذي وزّعه الطلاب الإيرانيون في ڤيينا.

وضع النص أساساً باللغة الألمانية، وقد أثبتت ترجمته الفارسية في الكتاب ص٧٨٧.

«براتراند راسل» «في سجون الشاه»:

«في الأسبوع الأخير، وصلتني أخبار من بلدان مختلفة، من شرق أوروبا وغربها، وأفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وحتى من الإيرانيين أنفسهم، مفادها أن الوضع في إيران وخيم، ومردّ ذلك العمليات الإرهابية والاغتيالات التي تجري في هذا البلد، وهكذا فإن انعقاد المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في ٢٢ نيسان ١٩٦٨ في طهران، بمناسبة الذكرى العشرين لولادة «شرعة حقوق الإنسان، قد أظهر إلى العيان ما يتعارض وهذه الحقوق. فقرب البناء الذي انعقد فيه هذا المؤتمر العالمي المهم، يوجد السجن المعروف «قزل قلعه»، المخصص للسجناء السياسيين، الذين يتذكّر العالم أنه أسوأ مكان، بعد سايغون وأثينا».

إن إيران هي من أوائل البلاد التي وقّعت «شرعة حقوق الإنسان»، ومع ذلك، تقوم منذ سنين بإنزال عقوبات قاسية بالمعتقلين، دون أن يخضعوا للمحاكمة. المطبوعات مراقبة، والناس محرومون من أبسط حقوقهم الإنسانية، كحرية المعتقد والرأي والاجتماع.

والپوليس السريّ ـ الساڤاك ـ يمنع بالقوة والضغط ممارسة هذه الحقوق، الواردة في الفقرات ١٧ و١٨ و١٩ من شرعة «حقوق الإنسان»، بالتفصيل: إن القسوة والظلم المعبّران عن أسلوب الأجهزة الحكومية الإيرانية قد وصل اليوم إلى حدّه الأقصى.

في العام ١٩٤١ استعفى رضا شاه پهلوي لتحالفه مع النازيين، وتولى الحكم بعده ابنه محمد رضا پهلوي، الذي كلّف الجنرال زاهدي برئاسة الوزارة في العام ١٩٥٣، مانعاً الدكتور محمد مصدق من تأميم النفط الإيراني. وأعاد العلاقات السياسية المحكمة بالإنگليز، وجاء انعقاد مؤتمر بغداد الذي عرف في ما بعد «بالسنتو» الذي أدخل إيران في

الأحلاف العسكرية الغربية، وقد أنفق الشاه في السنوات الأخيرة ثروة لا تحصى على الشؤون العسكرية.

في الأشهر الأخيرة عمت إيران الإضرابات والمظاهرات الواسعة وقد جوبه المتظاهرون بالاعتقال أو النفي.

لقد قام طلاب جامعات طهران وشيراز في بداية شهر شباط بإضراب شامل، فحاصر الجيش الجامعات، وأُقفلت جامعة شيراز، واعتُقل حوالي الخمسين طالباً من قادة المظاهرات، يمكن أن نذكر منهم «بهمن أرفع زادة»، و«علي رضا أرفع زادة» و«مجيد إحسان»، و«بيجن جزني» و«حسين ظريفي». وقد أدخل أغلب هؤلاء الطلاب، دون إثباتات، ودون محاكمة إلى سجون مرعبة، سيئة الماء والهواء، كسجن «سمنان» قرب الصحراء، أي إلى هذا المكان الذي تصل فيه درجة الحرارة إلى ٦٠ درجة. بعض هذه السجون بعيد مئات الكيلومترات عن مراكز التجمع السكاني، بحيث يتعذّر على عائلات المسجونين معرفة أدنى الأمور عن أبنائهم من إدارات السجون.

في العام ١٩٦٥ تشكلت سلسلة من المحاكمات، وكانت مصدر انتقاد وكالات الإعلام الأجنبية، كان أغلب ضحاياها من الطلاب والمثقفين، الذين أُرسلوا بعدها إلى سجون المحافظات. يمكن أن نذكر منهم «پرويز نيكخواه» و«أحمد منصوري»، اللذين حُكما بعشر سنوات سجن، وحكم على البعض الآخر بالسجن المؤبّد.

كما أن ضحيتَيْ المحاكمة الثالثة، «حكمت جو» و«خاوري»، قد نقلا بصورة سرّية من سجن القصر ـ قسم السجناء السياسيين في طهران ـ إلى سجون المناطق.

إن المادة ٧٩ المتممة للقانون الأساسي، الذي كُتب بحضور هيئة محلّفين لأسباب سياسية، يُستخدم منذ خمسة عشر عاماً بصورة مضحكة. كان يُحاكم معارضو الحكم في المحاكم العسكرية، وعلى هذا النحو جرت محاكمات مجموعة من أساتذة جامعة طهران ـ في العام ١٩٦٣ ـ ومحاكمات طلابها في الأعوام التي تلت، في محاكم سرية.

في العامين ١٩٦٤ و١٩٦٥، اغتيل بصورة سرية بواسطة البوليس السرّي محامو الدفاع عن أساتذة جامعة طهران، وهكذا تأكد أن من يعطي لنفسه الحق بالدفاع عن أحد

المسجونين يفقد حياته. في هذا العام أيضاً، تعرّض الطلاب والمثقفون المتهمون للتعذيب.

إن القضايا التي سنعرضها في ما يلي، مستلّة من رسالة مؤرخة في ١٣ كانون الأول ١٩٦٧، كتبتها مجموعة من سجناء الجناح رقم ٤ في سجن القصر: «إن السجناء السياسيين، في نظر الأقلية الحاكمة في إيران، ليسوا بشراً حتى أنهم لا يصلون إلى مرتبة الحيوانات، فهم ينقلون، لإجراء التحقيقات الأولية إلى «سجن القلعة»، أو إلى سجون أخرى مخصصة للتعذيب ـ في أثناء الاستجواب ـ حيث إن غالبيتهم يصابون في أثناء التحقيق بعاهات جسدية. بعد ذلك يُنقلون إلى سجن «القصر» السياسية، حيث يقضون هنالك سنوات طويلة، أو ما تبقى من عمرهم. إنّ أقلّ اعتراض في هذا السجن على سوء معاملة القيمين عليه، يؤدي للإبعاد إلى أماكن بعيدة سيئة المناخ كبندر عباس أو برازجان أو إيرانشهر.

في سجن القصر حيث نوجد، في الجناح رقم/ ٤، حوالي مئة سجين سياسي، ويمكن أن نجسّد لكم الواقع الذي نعيش فيه، بشرح مختصر لظروف الحياة هنا:

تمديد مدة السجن للسجين:

في الأشهر السبعة أو الثمانية الأخيرة، أُرسل عدد كبير من المساجين إلى المحاكم العسكرية، وهنالك تقرر زيادة مدة حبسهم. ينطبق هذا الكلام على «عبد الله مولاتي» و«حسين بنكدار» لقراءتهما الدعاء. وقد أضيفت ثلاث سنوات إلى مدة حبسهم بحسب المادة ٦٦. وسيطبق هذا العمل أيضاً على السيد «محسن مطهري» لأنه كان قد قال حين أُفرج عن أحد أصدقائه «فليحالفك الحظ». ولم يعلن حتى الآن عن تاريخ إجراء المحاكمة.

نُفّذ هذا الأمر أيضاً «بعبد الله حاكمي»، لأنه بعد خروجه من السجن، التقى بأصدقائه في جلسة حميمة. ولكن، أفرج عنه لتدخل وسطاء من ذوي النفوذ.

هذا أيضاً واحد من الأخبار المحزنة: لكل واحد من السجناء مكان مساحته ١,٥٠ × ٧٠ سنتم. بعض المساجين كأولئك المحجوزين في الجناح رقم ٣ من سجن القصر،

ليس لديهم فضاء مفتوح يمكن أن يتحرك فيه المساجين أو أن يتنشقوا الهواء، حصة الواحد منهم يومياً ١٢ ريالاً و١٤ غراماً من السكر وغرام واحد شاي، وحصته الأسبوعية ٢٠ غراماً من الصابون ورغيفا خبز. من الطبيعي أن يؤدي هذا الوضع إلى الضعف والمرض، وبخاصة إذا كان السجين مضطراً أن يستخدم جزءاً من المال ثمن ثياب وأشياء ضرورية أخرى.

كتبتْ مجموعةٌ من السجناء السياسيين في قزل قلعة ـ طهران ـ أيضاً بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، بعض المسائل عن تعذيب السافاك لأحد تجار البازار المتنورين، الذي كان متهماً بالمشاركة في توزيع أحد البيانات.

«علي أكبر رفسنجاني»، كاتب الرسالة، تعرض للتعذيب لمدة اثنتي عشرة ساعة وقد تضرّرت إحدى أذنيه. تعرض «علي غيوري» إمام مسجد «پل سيمان» ـ في طهران للفلق والصفع والركل وشد الأذنين. وربطت أوزان بذراعيه، بحيث تشقق جلده، وتشوشت أنفاسه، وبسبب هذا العمل أصيبت رئتاه وكليتاه وأحد أطرافه.

«رباني شيرازي» عذب على طريقة القبان، و«صاحب الزماني همداني» الذي كان مريضاً وضعيف البنية، تعرض في مركز السافاك قم و«قزل قلعة» للتعذيب ساعات متواصلة، تعذيب هذا الشخص وصل إلى حدٍّ نخجل نحن من ذكره. هو الآن مريض ولا نعرف إن كان سيبقى على قيد الحياة أم لا. «مهدي كروبي» أيضاً جُلِد بشدّة بحيث أن أذنه قد تعطّلت وضعُفت قدرته على الكلام، بحيث أننا عاجزون عن كتابة ما حدث له.

«شارعي شيرازي»، مات تحت ضربات الفلق، وكذلك «مرتضى أصفهاني» مات تحت التعذيب، فهيم كرماني ومؤيد قمي تعرّضا في «كرات» للتعذيب، وكذلك «سعدي هاشمي» و«سبزواري» و«آبادي» و«كرماني» و«رفسنجاني» وعدد آخر من أصدقائهم المثقفين تعرضوا في قم للتعذيب.

هؤلاء الصالحون! في القرن العشرين هذا، وُضعوا أيضاً تحت التعذيب بعض تجار البازار، مثل رضا مزارچي، موسى همداني، مصطفى ميرخاني، محمود مرآتي، بهشتي، شيرازي، كلفشي، تارمان، عابديني، أخوان حاج مهدي، وعدد كبير آخر. إضافة إلى أن حياة هؤلاء في سجن القلعة بحدّ ذاتها موت تدريجي.

كما أنهم بدون سبب أقدموا على نفي «منتظري» من قم إلى مسجد سليمان واقتحموا منزل الخميني.

نحن لم نكتب هذه المسائل لنحرّضكم ضد الساڤاك، ولكننا أردنا أن نضع الحقيقة أمام أعينكم. نحن اخترنا طريقنا وسنتابع السير فيه، وعليكم أنتم الآن أن تختاروا طريقكم.

في العام ١٩٦٥، أدى الاعتراض الشديد اللهجة الذي صدر عن المنظمات الإنسانية العالمية، على محاكمات السجناء السياسيين، إلى تخليص اثنين من الإعدام. مثل هذا الاعتراض مجدّداً يمكن أن يساعد في تخليص حياة عدّة أشخاص.

اتحاد الطلبة الإيرانيين في ڤيينا

تقرير الساڤاك رقم ١٧٥٣٠/ هـ. ش

المستند رقم ١/ ٤٣٩

الموضوع: خطبة أكبر هاشمي رفسنجاني الواعظ في مسجد همت

التاريخ: ٣/ ١١/ ٤٨، تاريخ الخبر ٤/ ١١/ ٤٨

في الساعة ٢٠ من يوم ٣/ ١١/ ٤٨، خطب أكبر هاشمي رفسنجاني في مسجد همّت ومما قاله بعد المقدمة:

إن موضوع بحثنا اليوم «الإسلام في إيران، وكما قلنا في الأسبوع الفائت، نريد أن نعرف ماذا فعل الإسلام في إيران؟ والإيرانيون قبل الإسلام في العصر الساساني ماذا كانوا يملكون؟ هل سلبنا الإسلام شيئاً؟

يجب أن تُفهم هذه الأمور كلها، يجب أن نعلم ماذا قدّم الإسلام لإيران؟ ولماذا اعتنق الإيرانيون الإسلام؟ لمواجهة روح التعصب والعنصرية التي تُشاع اليوم؟ وما يُقال عن الإسلام، بأنه دينٌ غريب عن إيران؟ وإن العرب البدو القساة الغلاظ، غزوا إيران وفرضوا على الشعب الإيراني الإسلام بالقوّة، وفعلوا كذا وكذا.

إن الأيدي والقوى التي غذّت الخلاف بين السنّة والشيعة، والأيدي التي أوجدت

الأحزاب السياسية كالبهائية والوهّابية في هذه البلاد، هي نفسها وراء الأصوات القائلة إن الإسلام غريب عن إيران، والتي تمجد إيران القديمة في العهد الساساني.

القضايا التي أعرضها تستند إلى التاريخ: هذا التاريخ المكتوب بالفارسية والموجود في جميع المكتبات. القضايا التي عالجها كلٌ من المستشرق الدانماركي كريستين سن، ومرتضى راوندي في كتابه «تاريخ إيران الاجتماعي» بأجزائه الثلاثة، والتي تتحدث عن بلاط الساسانيين وعن خسرو پرويز وخسرو انو شيروان.

ما أطرحه الآن، مستمدٌ من هذه التواريخ نفسها. لقد قال الطبري الكلام نفسه، ولكن سنترك الطبري الآن جانباً لأنه مسلم، وكي لا يقال إن التعصب كان وراء ما كتب:

... في العهد الساساني، كان الزواج بين المحارم وبين الأخوة مسموحاً، وكانوا يعبدون النار، ويعبدون آلهة متعددة صنعوها بأنفسهم.

لم يكن بإمكان أيّ إنسان أن ينتقد خسرو [كسرى]، وكان الضغط يكمّ أفواه الناس.

ماذا يعني تمجيد الحكم الساساني ومدحه الآن؟

أيعني أنهم يريدوننا في القرن العشرين هذا: عصر الذرّة، أن نعود إلى عبادة النار؟

ألا يدعو ذلك إلى الهزء والسخرية في هذا العصر؟

يتابع المخبر تقريره بقوله: إن الخطيب بعد ذكره لمجموعة من القضايا المتعلقة بظهور الإسلام، قال: «إن الإيرانيين كانوا يذهبون إلى مكة والمدينة وبلاد الحجاز، فشاهدوا وضع الإسلام ونبيّ المسلمين، وكانوا حين يعودون يخبرون مواطنيهم بما رأوا وسمعوا، وهكذا تهيّأت عقول الناس لاعتناق الإسلام.

كانوا يشاهدون كيف أن خسرو پرويز يستولي على أموال الناس العامة ويفرض عليهم الضرائب الباهظة، ثم ينفق كل ذلك في حياة البذخ والترف واللهو.. وأن الناس المستعبدين ما كان بإمكانهم انتقاد الحكم، فقد كان خسرو پرويز يضع نفسه فوق مستوى البشر.

أنو شيروان، الذي يكثر الحديث عنه اليوم، قال مرّة لندمائه إذا كان لأحدكم اعتراضٌ على رأيي فليذكره، فانتقد أحد كتّابه الخاصين آراءه، فما كان منه إلا أن أخذ منه القلم والدواة، وظل يضربه بهما على رأسه إلى أن مات. يُذكر كذلك أن أنو شيروان نفسه

قتل مرّة ستة وثلاثين ألف سجين سياسي، لأن كلفة الإنفاق على السجناء مرهقة لخزينة الدولة.

هذه الجريمة التي ارتكبها أنو شيروان، لم يرتكبها نبوخذ نصّر ولا حتى المغول. لقد رأى الإيرانيون، في جوارهم ديناً سماوياً، ليس فيه جرائم، والناس يتجولون في الحواري والأسواق، ويعترضون طريق النبي، ويعرضون عليه قضاياهم بكل حرية، كيف لا يعتنقون هذا الدين؟

يتجنون على التاريخ ويقولون إن نبي المسلمين كان متعدد الزوجات، نردّ عليهم بالقول إن زوجة النبي الأولى هي خديجة، ونساؤه الأخريات كن نساء قُتل أزواجهن في الحروب، عدا عائشة. . .

كان خسرو پرويز يحتفظ في قصره بثلاثة آلاف امرأة وآلاف الفتيات، وكانت قوانين البلاط الساساني تسمح للملك أن لا يقارب زوجته أكثر من مرة واحدة طيلة عمره، ويسمع الإيرانيون أن نبي الإسلام يجالس في المسجد المسلمين الإيرانيين وبلال الحبشي، يستشيرهم في أمور الناس، فيقارنون بين هذا الوضع وبين نظام حكمهم، ويرون أن أي شخص كان يريد أن يدخل إلى قصر خسرو پرويز مثلاً، كان يجب أن يضع منديلاً على فمه وأنفه، كي لا تنتشر أنفاسه في فضاء قصر «شعاع السعادة الإلهية»، ويجب من ثمَّ أن يسجد على الأرض عدة مرات ويقبِّل قدمي كسرى ونعليه، ثم يقول بضع كلمات كان قد لُقّنَها، تعني أنك أنت الله، فليتمجّد اسمك، وأمثالها.

كان الإيرانيون يرون هذه الأحوال والأوضاع، وبعضهم شاهد في أثناء سفره إلى مكة والمدينة بعض شعائر الإسلام وتعاليمه، وكان الناس في ذلك المحيط المفعهم بالخوف والعنف يتناقلون الأخبار، وشيئاً فشيئاً، تهيأت عقول الناس، وحين أرسل عمر الحملة على إيران، لم يستطع الجيش الإيراني المجهز، أن يقاوم عدداً محدوداً من العرب البدو، وفرّوا من أمامهم، واعتنق الإيرانيون الإسلام.

إذا أردنا أن نقول إن الإسلام دينٌ غريب، ولأن العرب هم الذين أدخلوه إلى إيران فهو أجنبي، فلنقل إن «المشروطية» [الحكم الدستوري]، أيضاً أجنبية، فالحكم أخذ الدستور من الإنگليز الأجانب.

حين تكون الطروحات والأفكار جيدة، يجب أن تُقبل.

لماذا قَبِلَ الشعب الإيراني «المشروطية»؟ لأنه كان في ضيقٍ من تعسّفِ القاجاريين واستبدادهم، ورأى أنه إذا قبل المشروطية فإن نوّاب الشعب سيجتمعون معاً ويتشاورون في شؤون البلاد، ويكون للبلاد «مجلس نيابي».

إنهم الآن تحت لواء حب الوطن والوطنية، يطرحون قضايا غايتها تضليل الشباب الذين لا يعرفون التاريخ.(١)

رأي المخبر: لقد صور علي أكبر هاشمي رفسنجاني بصورة إجمالية، ملوك إيران القدماء كشياطين مستبدين، وأظهر أن العرب أحرار من أي قيد. إن كلامه يقتل في المستمع الروح الوطنية، وينفّر المستمعين من تاريخهم.

رأي قائد العمليات: استناداً إلى ما ورد في الخبر، نؤيد رأي المخبر.

تقرير السافاك رقم ١١٧٩/هـ.ش

المستند رقم ١/ ٤٥١

الموضوع: خطبة أكبر هاشمي رفسنجاني في مسجد همت

التاريخ: الساعة ٢٠ يوم ١٠/ ١١/ ٤٨

---

(١) إن انتشار التهجم على الإسلام، وذمّ العرب، موضوع مهم وأساسي في تاريخ إيران المعاصر، وبخاصة في العهد البهلوي، ويحتاج شرحه إلى تحقيقات واسعة، وإلى كثير من التعاون. ما يمكن أن نشير إليه في هذا الموجز، أنه حين كان الشعور الديني المتأجج يضغط على الحكم، كان هذا الأخير يجند قدراته الإعلامية كلها لتجييش المشاعر القومية والعنصرية بأساليب شيطانية، وكان يستغل في سبيل ذلك بعض الحوادث التاريخية التي تهيج المشاعر المعادية للعرب وللإسلام.

وقد تضاعفت أمواج هذه الدعايات بعد حركة ١٥ خرداد ١٣٤٢ [٥/٦/١٩٦٣]، بأشكال مختلفة، ووصلت إلى أوجها في احتفالات الذكرى الألفين وخمسماية لتأسيس الحكم الساساني، والتي تُوّجت بتغيير التقويم الهجري الشمسي، إلى التقويم الشاهنشاهي.

في مثل هذه الأجواء، التي بُذلت فيها الجهود للتخلّي عن الإسلام وتعزيز سائر الأفكار والثقافات التي من شأنها إضعافه والقضاء عليه، وحشو عقول الشباب بالأفكار التي تروج أن الإسلام في إيران، هو نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي واحتلال العرب لإيران، كان قسم من نشاط القوى المناضلة منصبّاً على تفنيد هذه المزاعم والأباطيل؛ ولم تكن غايتهم التهجم على إيران القديمة وتاريخها.

بدأ المذكور أعلاه، كلامه بعد المقدمة بقوله: «دار بحثنا في الأسبوع الماضي حول الإسلام في إيران أو الإسلام وإيران». ثم لخّص أهم ما ورد في خطبته السابقة، وقال إن البحث اليوم سيتركز حول النظام الاجتماعي في إيران في عهد خسرو پرويز، ونظام الإسلام الاجتماعي في القرن الأول للدعوة، ومقارنة هذين النظامين والحكمين أحدهما بالآخر. يجب أن نعلم في البداية ماذا قدم الإسلام لوطننا، وماذا أخذ منّا. لأن الكلام كثير اليوم حول إيران القديمة، لا مانع من معرفة ما كانت عليه إيران في العهد الساساني، والتاريخ القديم لهذه البلاد، ومآثر الأجداد ـ إن لم يكن وراء ذلك مخططات خطرة ـ فلنتذكر تاريخنا السابق للإسلام، ولنطّلع عليه. ولكن الكلام الذي يقال باسم الوطنية، والحديث عن مفاخر إيران القديمة وراءه ما وراء، ما هي الغاية من الكلام عن «مزدك وماني والأڤستا)، وخسرو پرويز ويزدجرد والأكاسرة؟ ما معنى دموع التماسيح التي تذرف من أجل القدماء، ووضع «الأڤستا» مقابل القرآن؟ هم يعلمون أن الناس لن يعودوا إلى عبادة النار، ولن يتخذوا «الأڤستا» كتاباً مقدساً لهم. الكلام عن حملة المسلمين على إيران، وتمزيقهم التحف الفنية من رسوم وسجّاد، وإبادة المكتبات الإيرانية، وأمثال هذه الأقوال، الغاية من ورائها القول إن الإسلام دين أجنبي، جاء إلى إيران من خارج حدودها الجغرافية، في صدر الإسلام، وفي حكومة عمربن الخطاب.

أولاً: هم الذين تخلّوا عن «الأڤستا» أمام منطق القرآن، وكتاب «الأڤستا» المدوّن هذا كُتِبَ في القرن السابع الهجري.

لماذا لا يذكرون اسم «ابن سينا» أو «الخواجة نصير الدين الطوسي»، ولا يجرون الأبحاث عنهما؟ سنبحث في الأسابيع القادمة هذه الموضوعات».

تطرق المتكلم بعد ذلك إلى جملة آراء تتعلق بالنظام الاجتماعي للساسانيين وقارن بينه وبين الإسلام والقوانين القرآنية، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الامتيازات الطبقية بلغت في العهد الساساني حداً كبيراً، كان فيه عامة الناس عبيداً وأسرى لنزوات الأكاسرة. الطبقة الأولى هي طبقة الملوك، والثانية الموبذان، والثالثة: رجال الدين، والرابعة: طبقة الجند، والخامسة: طبقة المعلمين، وأخيراً عامة الشعب».

ثم وضّح المتكلّم الامتيازات الطبقية بين هذه الطبقات، مستشهداً بتاريخ «كريستن

سن»، ثم قال: «أريد أن أضرب لكم مثلاً: السادة لا يتذكرون الأوضاع التي كانت سائدة قبل مرحلة المشروطية. كانت مرحلة استبداد، وكان الملوك يفعلون ما يشاؤون. المشروطية صحيحة ونظام جيد، لو أنها طبقت تطبيقاً صحيحاً، واختار الناس ممثليهم الذين يعبّرون عن ميولهم، وأوصلوهم إلى المجلس، حتى ولو جاءت هذه المشروطية [هذا الدستور] من الخارج.

ثم تابع المتكلم حديثه عن دموع التماسيح التي تذرف من أجل الأجداد، والأقستا والغايات المضمرة من ورائها، ثم أنهى كلامه بدعاء قال فيه: «اللهم، أبعد شر اليهود وإسرائيل وأعوانها عن المجتمعات الإسلامية»..

تقرير السافاك رقم ١٥١٣٣/ ٢٠هـ ٣٠

المستند رقم ١/ ٤٩٧

الموضوع: جلسة هيئة أنصار الحسين

التاريخ: ٨/ ٣/ ٤٩

... هاشمي رفسنجاني بعد شرح بعض الآيات التي كان قد كتبها على اللوح، استطرد إلى بحث مسألة التشيع والتسنّن وقال:

«إن الاختلاف بين الشيعة والسنّة لا أساس له، وأهل السنة أنقياء ومتدينون، حتى أن الإمام علي كان يصلي وراء أبي بكر، وأم كلثوم، ابنته كانت زوجة عمر الخليفة الثاني. لقد جذّر هذا الاختلافَ الشاهُ عباس، لأنه كان يريد أن يحارب الدولة العثمانية ليفتح الطريق للأوروبيين، لذلك سعى بواسطة علماء بلاطه أن ينشر دعايات مضلّلة وأقاويل مسيئة إلى أهل السنة، لخداع الناس، وتحريضهم على محاربة العثمانيين [أهل السنة]، وقد اقتنع الناس بدعايات الشاه عباس المضلّلة، وتجذّر هذا الاختلاف الكبير، ووصل الأمر هذه الأيام أن يقول أحدهم [أحد العلماء] إن اليهود أفضل من أهل السنة.

حقيقةً إن هذا الكلام يدعو إلى الأسف، أن يقول هذا الشخص العالم، مثل هذا الكلام السخيف.

حين يكون مرجع التقليد ذا علم وحسّ اجتماعي ثابتين، نحن نمسح تراب قدميه

بعيوننا، أما حين يكون عالماً، ولكنه فاقد للإدراك والحس الاجتماعيين، فهو مطرود بنظرنا ولا يستحق أن نتبعه».

. . . ثم أضاف السيد هاشمي: «أصولاً شخص سني في كل الأحوال أفضل من مئة يهودي،[1] لأنه على الأقل مخلص لأمته ولبلاده، ولن يبيع وطنه للأجانب. .

توضيح المخبر: كان آية الله رفيعي قزويني في الأسبوع الفائت، قد قال في أثناء خطبته في المسجد الجامع: أن اليهود أفضل من أهل السنة، وقد أزعج هذا الكلام الحاضرين. لذا فإن هاشمي ردّ على كلام قزويني.

رأي قائد العمليات: لأن آية الله رفيعي قزويني، حيادي، ولم ينضو تحت لواء الخميني لذلك هو موضع انتقاد رجال الدين والوعّاظ المعارضين.

تقرير الساڤاك رقم ١٥٢٠١/ ٥٠هـ/ ٣

المستند رقم ١/ ٤٩٨

الموضوع: جلسة عدد من رجال الدين في منزل كاشاني

لقد انعقدت جلسة من الساعة الخامسة وحتى الساعة الثامنة من يوم ١٣/ ٣/ ١٩٤٩ في منزل حسين كاشاني، وقد شارك فيها كل من: حسين كاشاني، جعفر شجوني، السيد علي غيوري، السيد صادق عسكري، أكبر هاشمي ومحمد إمامي كاشاني. وضع صادق عسكري تسجيلاً لأخبار إذاعتي مصر والأردن، في آلة التسجيل، وقدم الشروحات اللازمة عن الألفاظ المستخدمة.

وقال إمامي كاشاني: لقد تحدث مع مراجع قم عن الرساميل الأجنبية، التي ستوظف في إيران، وهم ليسوا مستعدين للقيام بأي إجراء، مع أنهم يعدّون هذا العمل سيئاً، ولكنهم يقولون إنهم يائسون من الحصول على نتيجة إذا اعترضوا، وبما أن الدولة لم تستجب لهم في السابق في موضوع ديني محض، فإنها ستجيبهم بما أن هذا الموضوع

(١) المقصود: الصهاينة، في هذا التقرير واضح أن مخبر الساڤاك لا يميز بين الصهيوني واليهودي.

اقتصادي، إنها قادرة وقوية ولن تسمح للاستعمار بالدخول إلى البلاد. لذلك يرون أن لا صلاح لهم في التحرك».

قال هاشمي بعد ذلك:

«سمعت أن الدولة قد وهبت قطعة أرض كبيرة في شيراز للبهائيين لبناء «حظيرة القدس»، وأن آية الله محلاّتي قد ذهب إلى مشهد للتشاور مع علمائها، يبدو أن الجميع يساعدون البهائيين في هذه الأيام.

. . . بعد ذلك، أظهر «عسكري» جريدة «الجمهورية» العراقية وقال: «دخول هذه الصحيفة إلى طهران ممنوع، لي صديق في سفارة العراق يدعى السيد أجاقي، يأتي أحياناً لزيارتي، وهو الذي أحضر لي هذه الصحيفة». وقد أخذ مرواريد هذه الصحيفة إلى منزله ليتمرن على اللغة العربية على سبيل الأمانة.

تقرير السافاك رقم ١٣١٧/هـ.ش

المستند رقم ١/ ٥٥٦

الموضوع؛ خطبة أكبر هاشمي رفسنجاني في حسينية الإرشاد.

التاريخ: ١٨/ ١١/ ٤٩

بدأ المذكور أعلاه، كلامه في الساعة ١٠,٢٠ يوم ١٨/ ١١/ ٤٩، بعد أن ذكر مقدمة عن «الانحراف في الإسلام»، وأسباب الانحراف وبواعثه، والتعريف بواضعي الأحاديث والروايات، ودور كعب الأحبار في إضافة الروايات والأحاديث، ويد اليهود في نشر الخرافات والانحرافات في المجتمع الإسلامي. . .

وقد أشار المتكلم أيضاً إلى شركة «الهند ـ الشرقية» وظروف تشكيلها. . . ثم استطرد إلى الكلام عن الحروب الصليبية وقال: «منذ مئات السنين قام المستعمرون الصليبيون وحاربوا العالم الإسلامي، واليوم زرعوا إسرائيل في قلب العالم الإسلامي. راجعوا تاريخ المرحلتين الصفوية والقاجارية، واقرأوا ماذا كتبوا عن حياة الشاه عباس

الكبير، كان الشاه عباس يذهب من أصفهان إلى مشهد سيراً على الأقدام، يبدو الأمر ظاهرياً أنه مسلم طاهر وشيعي مخلص، ولكن، في بلاطه كان يشير عليه السفير الأجنبي «شارلي»، وقد أمر في حضوره أن يُؤتى بجندي عثماني كان أسيراً لديهم، وهو مقيد بالأغلال، وأمر بقتله، ثم وجه كلامه إلى شارلي وسائر السفراء الأجانب: أنتم أيضاً عاملوا هؤلاء الأتراك الذين لا يفهمون الكلام، على هذا النحو.

اقرأوا تاريخ القاجارية: كان ناصر الدين شاه، يقيم مجالس العزاء في التكية التابعة لدار الحكومة، وكانت الملكة والأميرات يشاركن في العزاء، حيث تُقرأ سيرة سيد الشهداء لتضليل الناس. في الوقت نفسه، أعطى النفط للأجانب، وامتياز استخراج المعادن، والبحر، والغابات الطبيعية ولا يزال النفط في أيديهم حتى الآن. . .

اليوم، يوم عيد الأضحى، قوافل الحجاج التي تسافر من هنا إلى مكة على رأس كل منها أحد رجال الدين. وظيفة رجال الدين هنالك أن يشرحوا حقائق الدين لمسلمي العالم المتجمعين هنالك، وينقّوا الدين من الانحرافات العالقة به. وبدلاً من أن يهجم الحجاج ويتدافعوا نحو «الحجر الأسود»، لتقبيله، ويقتلوا واحداً منهم تحت الأرجل، فليتدافعوا نحو صناديق مساعدة اللاجئين الفلسطينيين. أينما توجهنا نرى انحرافاً، يذهب الإنسان من طهران إلى قم، ليس في قم شيء، قم مدينة دينية فقط، فيها حوزة علمية، الحق يقال إنها تقدمت جداً. . . في قم ترون مقابل الحوزة العلمية الكثير من الانحرافات. في وسط الصحن ثلاثة شبان غلاظ الرقاب، يوم عيد الأضواء، يأتي الناس ويضيئون الشموع، فيطفئها الشبان من الناحية الأخرى. ما معنى هذا العمل؟ حوّلوا نفقة هذا العمل لتبليغ دين الإسلام. كانوا يضيئون الشموع في مقامات الأئمة، قبل أن توجد الكهرباء. لقد منعتم آلاف الممارسات المنحرفة، امنعوا إضاءة الشموع. إذا كنتم تحتاجون إلى فتوى، ففي قم علماء سيقدمون لكم الفتوى. . .».

«في دعائه الأخير قال عبارات معادية للصهيونية والاستعمار الغربي، كما أنه أعلن عن «ضرورة مساعدة إخواننا الفلسطينيين بالمال والأرواح.

تقرير الساڤاك رقم ١١٩٠٧/ ٢٠هـ ٣٠

المستند رقم ١/ ٥٦٢

الموضوع: خطبة شيخ أكبر هاشمي رفسنجاني في حسنية الإرشاد

الساعة الثانية من يوم ٢٩/ ١١/ ٤٩، قال المذكور أعلاه في خطبته: «أمر الرسول أصحابه بعدم الإساءة إلى اليهود الذين يعيشون في مكة والمدينة، إلا إذا خانوا فلا يجب السكوت عنهم. ولقد خان اليهود فأجلوا عن المدينة. ما يقال إن تسعة ملايين يهودي قد قتلوا في المحارق النازية في الحرب العالمية الثانية، كلام مبالغ فيه وغير صحيح، فلو جُمع يهود العالم كلهم لن يصل عددهم إلى هذا الرقم. اليوم الحرب الدينية بين الفلسطينيين واليهود متواصلة لماذا يرسل يهود إيران المال إلى إسرائيل؟

هذه الحرب دينية، وإلا لماذا أحرقوا المسجد الأقصى إذاً؟ مجموعة من اليهود تجمعوا من سائر الأقطار وأخرجوا المسلمين من ديارهم.

يهود إيران، الذين يحصّلون المال من هذه البلاد، لماذا يرسلونه إلى إسرائيل؟ . . .».

تقرير الساڤاك رقم ١٢٠٧٠

المستند رقم٢/ ٥٦٤

موضوع الخبر: خطبة. . . هاشمي رفسنجاني في مسجد فخرية

التاريخ: ٩/ ١٢/ ٤٩

اعتلى هاشمي رفسنجاني المنبر في الساعة ١٥، ٢٠ ومما قاله:

«لإبعاد الفساد والانحراف عن المجتمع، يجب محاربة ثلاثة أسباب، وهي عبارة عن الأنانية والجهل والخوف الذي لا مسوّغ له. نحن المسلمين لا نملك روح التعاون والمساعدة، وحولنا جائعون بلا طعام ومرضى بلا دواء، ومسلمو فلسطين تحت ضغط الاستعمار الصهيوني وفي كل لحظة تنصب فوق رؤوسهم قنابل النابالم، وآلاف المسلمين في السجون الإسرائيلية في العراء معرّضين لأشعة الشمس الحارقة، ونحن غير مكترثين.

في الحروب الإسرائيلية العربية الأخيرة أرسل يهود إيران مساعدات لإسرائيل، نحن لا يجب أن نكتفي بالقول لماذا فعلوا ذلك، وإنما يجب أن نقوم نحن أيضاً بواجبنا» انتهت الجلسة في الساعة ٢١. وبلغ عدد المشاركين حوالي الألف شخص.

تقرير الساڤاك رقم ١٢٥٥٠

المستند رقم ١/ ٥٧٣

الموضوع: جلسة هيئة أنصار الحسين

الأصل في الملف رقم ١٦٢٠٣٨

في جلسة هذا الأسبوع لهيئة أنصار الحسين شارك حوالي ٢٥٠ شخصاً، وبما أن هاشمي رفسنجاني لم يكن قد حضر، فقد تكلم في هذه الجلسة السيد محمد آل أحمد ومما قاله:

«. . . لقد كبرت طهران منذ ثلاثين سنة وحتى الآن، وتوسعت، . . . وزاد فيها عدد دور السينما والكاباريهات والبارات. . . وزاد أيضاً عدد المساجد، ولكن لماذا لم يتقدم أحدٌ في طريق الدين؟ سبب ذلك أن الناس لا يعرفون من أمور الدين سوى البكاء على الإمام الحسين، لقد تركوا الواجبات، وتعلقوا بالمستحبّات، لماذا لا يسيرون على طريق الإمام الحسين؟ لماذا لا يتذكرون ثورة الإمام الحسين؟ بعض الخطباء حين يرون أن الناس يريدون البكاء، يقرأون لهم مجالس العزاء، ويضرب الناس رؤوسهم.

استيقظوا أيها الأصدقاء! وادعوا خطباء يعرفون معاناة المجتمع، خطباء من أمثال هاشمي ومحلاتي والدكتور باهُنر وخامنه إي، ليوضحوا لكم الحقائق. حين كنت معتقلاً التقيت بشبّان، كانوا قد تربوا في عائلات مسلمة متدينة، والآن قد صاروا شيوعيين. حين سألت أحدهم عن سبب ذلك: قال: حين يلبس ماو لباس العمال، ويعمل في الزراعة، يرى الإنسان أنه قائدٌ حقيقي.

قلت: ألم تكن حياة علي على هذا النحو؟ أوليس في الإسلام مثل هذا البرنامج؟

كل ذلك جاء نتيجة لعدم وجود مرشدين يأخذون بأيدي هؤلاء المرشدين».

تقرير الساڤاك رقم ١٣٦٠٣

المستند رقم١/٦٠٨

الموضوع: جلسة هيئة أنصار الحسين

التاريخ: ٢١/٣/٥٠ [١٩٨١ ـ ١٩٧٢]

.. بعد أن كتب هاشمي آيات جديدة على اللوح، وقبل أن يبدأ بشرحها تابع الكلام على موضوع يوم القيامة الذي كان قد طرحه في الأسبوع الماضي ومما قاله:

«في يوم الحساب، هل سيكون مقامكم، أنتم الذين لم تفعلوا شيئاً كمقام الفدائيين الفلسطينيين؟ أو ستنالون الثواب نفسه الذي سيناله الثوار الجزائريون؟ لا، الأمر ليس على هذا النحو.

حالياً نحن الشيعة مثلنا كمثل اليهود، نعدّ أنفسنا أرفع مقاماً من الآخرين، ونتصور أن الأعمال كلها تتحقق بالدعاء وتلاوة القرآن. الدعاء يحتاج إلى عمل يسانده، لا أن نقول إن الأئمة هم الذين سيحققون لنا الأهداف.

ظل الفلسطينيون ثمانية عشر سنة يفكرون هذا النوع من التفكير، وينتظرون ملوك العرب [الحسين وفيصل و...]، ولكنهم حين أعادوا حساباتهم رأوا أن عليهم أن يتحركوا، فتسلحوا ووقفوا بمواجهة اليهود.

والآن إن لم يكونوا قد انتصروا في هذه السنوات الأربع فإن المستقبل أمامهم، وسيصلون في النهاية إلى حقوقهم، كما فعل الشعب الجزائري الذي ظل تحت الاستعمار الفرنسي مئة عام، وقد حرمهم الاستعمار الفرنسي من كل شيء، حتى من لغتهم العربية، فوقفوا بمواجهة الظلم، إلى أن نالوا استقلالهم.

لدى الفدائي الفلسطيني اليوم مدفع رشاش وقنابل و... ولا يستطيع أحد أن يتجاهله. حين يقضي الفلسطيني أسبوعاً كاملاً في حر الصحراء، وليس في حوزته سوى قربة ماء حار، وغذاؤه من هوام الصحراء، ليتمكن من القضاء على عدد من اليهود، هل سيكون حسابه وحسابكم سواء؟ في يوم الحساب تُعرف المصائر.

تقرير السافاك رقم ٢٠٦٣/ ٢٣ هـ

المستند رقم ٦٣١

تاريخ ١٣/ ٥/ ٥٠ [٧١ ـ ٧٢]

موجه إلى رئاسة مجلس الوزراء، من مديرية المخابرات: س.ا.و.ا.ك

الموضوع: آراء علي أكبر هاشمي رفسنجاني

بناء على بلاغ مخفر مدينة قزوين، حضر المذكور أعلاه في الساعة ١٩ يوم ٢٩/ ٥/ ٥٠ تلبية لدعوة «منظمة الشباب المسلمين العلمية»، للكلام في قزوين، وقبل أن يبدأ خطبته، أخذنا منه تعهداً، أن يحصر خطبته في القضايا الدينية، وأن لا يذكر في كلامه ما يضرّ بمصلحة البلاد العليا، لذا في الساعة ٢٠ من اليوم المذكور، ذهب إلى المنبر وقال في أثناء خطبته الدينية:

«منذ حوالي الألف والأربعمئة عام، تمكّن المسلمون من الوصول إلى أفريقيا وإلى أقاصي الدنيا، متكلين على القرآن وعلى الإسلام.

الإسلام اليوم ضعيف إلى درجة أن سبع مئة مليون مسلم لم يستطيعوا الوقوف بوجه مليوني صهيوني أوجدتهم أميركا وفرنسا والإنگليز، والآن، القدس، أحد الأماكن المقدسة الإسلامية هي تحت سلطة اليهود»...

ثم قال: « إن المسلم الحقيقي هو الفدائي الفلسطيني، الذي يستطيع بالرشاش أو القنبلة على الرغم من المشقات الكبيرة التي يتحملها والعطش والاختباء في المغاور، أن يقتل جندياً صهيونياً. ولكن المسلم الذي لا هدف له سوى زيارة الأماكن المقدسة، وقراءة القرآن والصلاة ونيل ثواب الآخرة ليس مسلماً».

... كما انتقد المذكور أعلاه في كلامه ما فعله الجيش الأردني، وتوجيهه الأسلحة إلى صدور الفدائيين الفلسطينيين».[1]

---

(١) في هذا السفر، أحضروني إلى مبنى الأمن، وبعد الاستجواب والتحقيق والتهديد من قبل رئيس منظمة مخابرات وأمن قزوين، أخرجوني من المدينة، وكي يطمئنوا إلى عدم عودتي إلى المدينة رافقني رجال الأمن إلى خارج المدينة.

تقرير السافاك رقم ٦٩٩/ ٢٠/ هـ/م

المستند رقم ١/ ٦٤٣

الموضوع: كلام أكبر رفسنجاني في ذكرى ولادة علي في دماوند

مما قاله السيد رفسنجاني في هذه المناسبة:

«لم يكن عليّ يخرج في الشوارع والأحياء، في موكب من الخيالة أو المشاة، وكان يمنع الناس من القيام بهذا العمل، وقد رأى مرة وهو خارج من الكوفة على حصانه، أن مجموعة من الناس تسير وراءه تعظيماً، فقال لهم:

لا تفعلوا ذلك إلا تحقروا أنفسكم، إن عملك هذا شبيه بعمل الأعاجم الذين يفعلون ذلك، وكانوا مستعبدين لحكامهم».

ثم قال السيد رفسنجاني: « لم يكن علي ليرضى أن يظهر له الناس في الحواري والشوارع التعظيم، أو أن يصفقوا له ويرفعوا الشعارات، أيوجد في مكان ما من العالم زعيم لا يجتاز الطرقات والشوراع دون أبهة وجبروت؟ ويغضب إن لم يصفق له الناس، ويظهروا له التبجيل والتعظيم»؟

ثم أضاف: «إن هذه مهمة الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات التي يجب أن تعلّم الناس احترام ذواتهم، ووظيفة الوعّاظ أن يقولو إن علياً، لم يكن ممن يسيئون إلى أعدائهم، أو يسجنونهم، أو يمنعونهم من التنقل من مكان إلى آخر ويفرضون عليهم الإقامة الجبرية، لقد كان يعطي أعداءه كلهم الحرية، وهذه الحرية هي التي دفعت واحداً من الحزب السياسي المعارض له إلى اغتياله».

تقرير السافاك على استجواب علي أكبر هاشمي رفسنجاني

المستند رقم١/ ٦٥٦

الساعة ١٧ يوم ١٦/ ٥٠٧ [١٩٧٢]

س: اذكر اسمك وهويتك الكاملة.

ج: أكبر هاشمي بهرماني، ابن علي، رقم هويتي ٣٠٨ رفسنجان، تاريخ ولادتي العام ١٣١٣، عملي: واعظ، من سكان طهران. . .

س: أقسم بشرفك أنك ستقول الصدق ولا شيء غيره.

ج: أقسم أنني سأقول الصدق.

س: هل سبق أن استدعتك المراجع الرسمية أو الأمنية، أو اعتقلتك؟

ج: نعم، اعتُقلت مرتين، اعتقلني السافاك، مرة منذ سبع سنوات في قم، وسجنت لمدة أربعة أشهر بتهمة التآمر ضد مصالح البلاد، ومن ثم بُرّئت وأُفرج عني، المرة الثانية منذ أربع سنوات في طهران، اعتقلت وسجنت لمدة ثلاثة أشهر في سجن «قزل قلعة» وسجن «القصر»، ثم أفرج عني.

س: في أي حزب أو تنظيم سياسي أو ديني، أنت عضو الآن أو لك نشاطات؟

ج: لست عضواً، ولا ناشطاً في أي حزب أو جمعية.

س: أذكر أصدقاءك وأصحابك في طهران وسائر المدن.

ج: أصدقائي وأصحابي في طهران هم الدكتور محمد جواد باهُنر موظف في مديرية المناهج في وزارة التربية والتعليم، والدكتور محمد مفتح (معلم في الجامعة)، والسيد مرتضى مطهري(معلم في الجامعة)، والسيد حسين مهديان (تاجر حديد) والسيد محمد رضا صالحي كرماني (واعظ)، والسيد محمد إمامي كاشاني (واعظ)، والسيد محمد رضا مهدوي كنى (إمام مسجد).

ومن أصدقائي السابقين في قم: السيد محمد مهدي رباني أملشي (طالب) والسيد علي حجتي كرماني (طالب)، والسيد هادي خسرو شاهي (طالب) والسيد ناصر مكارم شيرازي (مدرس).

س: اشرح نوع العلاقة التي تربطك بالسيد (تقوى).

ج: سيدٌ باسم «تقوى» اتصل بي منذ عدة أشهر، وقال إنه يريدني بعمل، ثم حضر إلى منزلي وقال: أريد أن أطبع كتاب «تحرير الوسيلة»، وأريد منك أن تمدني بالمال

اللازم، وهو كتاب مُربح، فقلت له بشرط أن أكون شريكاً في الأرباح، أنا الآن لا أملك المال، وسأطلب المساعدة من أصدقائي، لأن مساعدتي وحدها غير كافية لإنجاز عملك هذا.

اتصل بي تلفونياً بعد مدة، وطلب إليّ أن أفيَ بوعدي، فقلت له، لا أستطيع الآن، ربما أخذت قرضاً، وبعد يومين أو ثلاثة قلت له إنني لن أتمكن من المساعدة، وأنا في ضائقة مالية.

س: ما هي حدود معرفتك بعبد الرحيم رباني شيرازي؟

ج: أعرفه منذ مدة ويعد من أصدقائي، وقضينا مدةً معاً في سجن القصر.

س: أيّ مرجع تقلّد؟

ج: أقلّد آية الله الخميني.

س: أذكر ما تعرفه عن بيانات الخميني، التي وزّعت مؤخراً.

ج: لا أعرف عنها شيئاً، فقط استمعت إلى حديثه من راديو بغداد.

س: نشر مؤخراً كتيّبٌ بعنوان «الإمام الخميني»، ماذا تعرف عن محتوياته؟

ج: لا أعرف عنه شيئاً أبداً.

س: أذكر ما هي علاقتك بالسيد محمود طالقاني.

ج: أعرفه منذ عدة سنوات، فهو إمام الجماعة في مسجد هدايت، وأعرف أنه كان سجيناً سابقاً وله نشاطات سياسية.

س: ماذا تعرف عن المهندس بازرگان؟

ج: أعرفه هو أيضاً. فقد كان أستاذاً في الجامعة، وقد اعتقل بعد ذلك وسجن، ثم أفرج عنه، ويعمل الآن في الصناعة (في شركة صافياد).[1]

---

(١) أظهر المحقق من أجوبتي هذه عصبية شديدة، وشرع بشتمني ويهينني ومع ذلك أصريت على إجاباتي. فقال لي في النهاية مشيراً إلى مقاوماتي في الاستجوابات السابقة: قال وافقت أم لم توافق، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر.

س: أي كلام قلته، يظهر في التحقيقات في ما بعد أنه غير صحيح سيعرضك للملاحقة.

ج: أوافق.

س: صادق على اعترافاتك في الصفحات الثلاث ووقّعها.(١)

ج: نعم، سأوقع.

تقرير أحد مخبري الساڤاك رقمه ٣٥٤ في سجن «قزل قلعة»

المستند رقم ١/ ٦٦٤

بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٥٠ [١٩٧٠ ـ ١٩٧١]

في أثناء المدة التي كنت فيها سجيناً في الجناح رقم ٢، الزنزانة رقم ٢٨، واجهتني مجموعة من القضايا، أرى أن ذكرها ضروري:

إحداها متعلقة بشاب كان شريكي في الزنزانة يدعى محمد أهرى مصطفوي، اعتقل هذا الشاب بتهمة بيع وتوزيع بعض كتب الخميني ورسائله، وكان يملك مكتبة لبيع الكتب في شارع «بزرجمهري». من خلال مباحثاتي ومحادثاتي مع هذا الشاب، استنتجت أنه شديد التديّن. ومن مؤيدي آية الله الخميني، وحتماً كانت مجموعات هؤلاء الشباب كما تبين من خلال الأحاديث كبيرة العدد، وقد اعتقل معظمهم وسُجن في هذا المعتقل، وقد عرفت منهم في أثناء تحقيقاتي [السرية] «عظيمي» صاحب مكتبة آذر مقابل جامعة طهران، «علي خليليان» عامل في معمل لبيع الورق في البازار، «مرتضى أفشار»، «نجفي» طالب اقتصاد في جامعة طهران، «تفنگدار»، «هاشمي رفسنجاني» الواعظ، وبعض الأفراد الآخرين.

وهؤلاء الذين ذكرتهم يعرفون بعضهم معرفة بعيدة أو قريبة.

---

(١) كما هو ملاحظ، لم يكن هنالك مستند أو أدلة محكمة تستدعي الاعتقال، ويبدو أن هذا التوقيف كان لمنع القيام بنشاطات معادية لاحتفالات الألفين وخمسمئة عام.

علي خليليان في السجن العمومي، وهو من أصدقاء محمد أهري مصطفوي، وهو ينقل له أخبار السجن والخارج من خلال نافذة الزنزانة المطلة على الفناء، وقد أنّبه مرة حرّاس السجن من أجل ذلك، كما أنه منذ عدة أيام أخبر مصطفوي من خلال النافذة أن السيد عظيمي اعتقل بناء لاعترافات شخص يدعى «تفكندار»، الذي اعترف في أثناء التحقيق معه بكل شيء وقد قال للمحققين لا تضربوني «فالنجاة في الصدق»، وأفشى كل ما يتعلق بعظيمي والبيانات. تفكندار هذا كان معتقلاً في الزنزانة المجاورة للزنزانة ٢٨، ثم نُقل منها إلى السجن العمومي.

كذلك فإن هاشمي رفسنجاني أحد الوعّاظ المشهورين، وبحسب قول مصطفوي هوثوري، قد أُحضر منذ عدة أيام إلى الجناح رقم ٢، وهو يعرف مصطفوي، ومما استنتجته من محادثتي لمحمد مصطفوي، أنه هو شخصياً لا علاقة له مباشرة بهذه الأعمال، ولكنه يعرف هؤلاء الأشخاص معرفة عامة وكاملة إلى حدّ ما.

في حديث لي من مدة مع مصطفوي، حين أظهرت له ميلاً شديداً للتعرف إلى طبقة رجال الدين ومؤيدي الإمام الخميني والتعاون معهم، وأن يكون مرشدي في هذا المجال، قال لي، وهو في العادة متحفّظ جداً في أحاديثه، إن شاء الله، نرى بعضنا خارج السجن، وأرشدك، وقال كذلك:

إن مسجد هدايت الواقع في شارع اسلامبول، هو مكان يجتمع فيه هؤلاء الأشخاص، وقد ذكر أيضاً اسم واعظ يدعى «طالقاني»، مشهور في هذا المجلس، وقال إن هذا الشخص هو أحد الرجال الثوريين، يعظ أحياناً في هذا المجلس، وهذا المسجد هو مقر الأشخاص والطلاب المتطرفين.

موضوع آخر متعلق بشخص كان موجوداً في الزنزانة المقابلة، أي الزنزانة رقم ٢٠، اسمه المهندس داورپناه، وهو مهندس كهرباء، ومتخرج أيضاً من قسم العلوم والحقوق السياسية من أميركا. وقد قضى مدة ١٣ عاماً في أميركا في ولاية كاليفورنيا في مدينة بركلي، ومدة في ألمانيا وأوروبا، وقد اعتُقِلَ بسبب تعاونه واتحاد الطلبة الإيرانيين. وقد عاد إلى إيران منذ ثلاثة أشهر. كما يُستنتج من الكلام معه أنه شخص متزن وواثق من نفسه، وحتى الآن لم يقم باعترافات دقيقة، ولكن إلى الحدود التي توصلت أن أصبح فيها

موضع ثقته ـ في هذه الأثناء كان السجناء يعتقدون أنني مسجون بسبب نشاطاتي السياسية في الخارج، في إنكلترا ـ لذلك وثق بي هو أيضاً من هذه الناحية ثقة كبيرة، وكان يتحدث إليّ عن أعماله، ولكن هذه الأحاديث كانت تبقى ناقصة، لأننا كنا نجريها في أثناء النزهة من خلال نافذته المطلة على الفناء. ولكن إذا كان رؤساؤنا المحترمون يرون من الصالح أن أُنقل إلى زنزانته، من المحتمل أن أتمكن من الحصول على معلومات دقيقة منه وجديرة بالاهتمام.

وهو كذلك يعرف الكثير مما يجري خارج السجن، بواسطة المساجين الآخرين الذين يحادثهم من نافذة زنزانته المطلة على الفناء، مثلاً منذ عدة أيام، تحدث إليّ عن القبض على سارقي مصرف «ظفر» ومجموعة من عناصر تنظيم «آرمان خلق» وأخبرني أن حكم الإعدام قد نُفّذ ببعضهم ومن بينهم «طاهري» و«مدني» و«كتيرائي» و«طراح». ومرة قال لي إن مجموعة من الطلاب الإيرانيين في أميركا هم أعضاء في الاتحاد، وأنهم قاموا بمظاهرات في أميركا احتجاجاً على اعتقاله، في كل الأحوال هو في الزنزانة الانفرادية رقم ٢٠/ الجناح رقم٢.

هنالك أيضاً بعض القضايا المتعلقة بشخص يملك مقهى في «رأس الخيمة»، وقد اعتقل هو وخمسة آخرون بتهمة حيازة رشاشات وأسلحة يدوية، وقد نُقل من رأس الخيمة إلى هنا، ومنذ عدة أيام سألته عن ثمن تلك الأسلحة فقال، إن ثمن الرشاش الواحد ألفا تومان والزناد ألف تومان، والرشاشات هي من نوع الكلاشينكوف وأنواع مصنوعة في إيران. وقد قال لي ذلك الشخص أن بإمكاني الدخول إلى رأس الخيمة من طريق بندر عباس بصورة غير شرعية، وقال: حين يُفرج عني يمكنك أن تسأل عني، فأنا هنالك معروف باسم الياس، وهنالك يمكن أن تحضر الأسلحة، لقد أظهر هذا الشخص أن الأسلحة المكتشفة هي لثلاثة من أصدقائه، وهم مسجونون في هذا السجن نفسه، وهو لا علاقة له بالموضوع.

وهو يتأمل ضمناً أن يتم الإفراج عنه بعد الاحتفالات بذكرى مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الأمبراطورية الإيرانية.

زنزانته رقمها ١٩ في الجناح رقم ٢.

قسم من تقرير مطول للساڤاك بتاريخ ١/٨/ ٥٠ [١٩٧١ ـ ١٩٧٢]

المستند رقم ٦/ ٦٦٦

الموضوع: المجموعات الدينية المتطرفة، والجبهة المسماة وطنية في الخارج

بكامل الاحترام نعرض ما يلي:

بناءً على المعلومات التي وصلتنا من ممثلنا في فرنسا، الذي تمكن من تصوير رسائل صادق قطب زاده ـ العضو الفاعل في الجبهة المسماة وطنية، والعنصر المتطرف دينياً ـ وإرسالها إلى المركز، تبيّن من خلال هذه الرسائل أن هنالك نشاطات تخريبية سرية، تقوم بها عناصر الجبهة المذكورة والمتطرفون من رجال الدين في فرنسا ولبنان وأميركا.

كما أن مندوبنا المذكور قد أرسل إلى المركز صوراً لرسائل أخرى هذه خلاصتها . . .

. . . بعدما ذكرناه أعلاه، نلخص بعض الإجراءات التي قمنا بها:

١ ـ معرفة عناوين أصحاب الرسائل بواسطة قسم مراقبة صناديق البريد. . .

٢ ـ إعطاء التعليمات والأوامر إلى المندوبين لمعرفة الشبكات العاملة في ألمانيا وأميركا وإنگلترا وفرنسا ولبنان، والطلب إلى ممثلينا في الكويت وتركيا، اختيار أشخاص وتدريبهم وإرسالهم إلى لبنان لاستقصاء المعلومات عن الفدائيين هناك والتغلغل في صفوفهم.

. . . وقد تبين لنا من مجمل المستندات التي بين أيدينا أن هنالك شبكة واسعة من الأعضاء الناشطين في الجبهة المسماة الوطنية، ومن رجال الدين المتطرفين، قد تشكلت في خارج البلاد: في ألمانيا الغربية: ستراسبورغ، آخن، وفي لبنان: بيروت، وفي فرنسا: باريس، وكذلك في إنگلترا وأميركا. ويبدو أن قطب زاده هو رئيس هذه الشبكة، وعنصر الارتباط بين الشبكة والجهاز المدبّر الذي هو مجهول حتى الآن.

المسألة الأخرى: هي أن مجموعة مرتبطة بآية الله الخميني والاتحاد العالمي لطلبة

إيران، تتلقى دعم المشار إليه في مختلف نشاطاتها، ولذلك من الضروري جداً إيفاد مخبرين لمراقبة المشار إليه [قطب زاده]. أما بالنسبة إلى تمويل هذه المجموعة فإن ما توصلنا إليه حتى الآن، هو أن أشخاصاً في لبنان، وكذلك في داخل إيران يمولون نفقات هذه الشبكة . .

«رسالة موجهة من هاشمي رفسنجاني إلى السيد الخميني»

المستند رقم ٦٦٧/

وصلت نسخة مصورة عنها إلى السافاك، القسم ٣١٢، بتاريخ ١/٨/ ٥٠ [١٩٧٢]

باسمه تعالى:

حضرة آية الله العظمى السيد الخميني دام ظله:

بعد السلام، نذكر أننا كنا قد أرسلنا إليكم منذ مدة رسالة، لم نتلق جواباً عنها، ولكننا نعلم كثرة مشاغلكم، لذلك لا ننتظر في الواقع أي رسالة منكم، وقد رأيت من الضروري والواجب أن أعرض عليكم القضايا التالية:

١ ـ إن حديثكم الأخير الذي بثّته إذاعة بغداد، وأشرطة التسجيل والبيانات، قد وصلت إلى غالبية أفراد الشعب، وقد جاءت في المكان والوقت المناسبين، وكانت جدّ مفيدة، وشديدة التأثير، مع أنها أزعجت بعض رجال الدين، ودفعتهم إلى القيام أحياناً ببعض ردود الأفعال؛ ولكنها في مجملها تتضمن حقائق ووقائع من المفيد والواجب كشفها والإعلان عنها ـ وبخاصة لصدورها عن مرجع كبير فرق الشبهات ـ لتبرئة الإسلام من الانحرافات التي ألحقت به.

ندعو الله عزّ وجل أن يطيل عمركم، ويوفقكم في مساعيكم لتبيان طريق الإسلام الصحيح.

٢ ـ لقد علمنا من مصدر موثوق، أن رسالة من جانبكم قد وصلت إلى وكالات الأنباء في أوروبا، تعلن أن الحوادث التخريبية التي وقعت في إيران، هي من عمل الأجهزة الرسمية الإيرانية، لتحقيق أهداف معينة.

يوافق القائد دون أدنى شك، أن للمقاومة المسلّحة والأعمال الفدائية التطوعية في إيران، حقيقية ومتجذرة وأصيلة، ينفذها شبان فدائيون، مخلصون، لا غبار عليهم، ومجال عملهم واسع ومتعدد الجوانب. وقد اعتُقِلَ منهم، بحسب المصادر الموثوقة، حتى الآن حوالى سبعمئة عنصر من الفدائيين والمجموعات المرتبطة بهم، وعلى الرغم من الاعتقالات والخسائر، فإن حركة النضال تتقدم باطراد وشمولية، ويومياً تقع في طهران والمدن الأخرى حوادث مهمة. من المهم القول إن الأكثرية المطلقة لهذه المجموعة، من الطلاب والعمال، وعلى عكس ما تدعيه الحكومة، ليس هنالك ما يثبت أن لهذه الحركة الثورية منطلقات ماركسية وشيوعية، وقد اعتُقل كثير من الشبان المسلمين المتدينين بهذه التهمة، حتى أن مجموعة كان قد حُكم على أفرادها بالإعدام، انصرفوا قبل ساعات من تنفيذ الحكم بهم، إلى الدعاء وقراءة القرآن في داخل السجن.

ولهؤلاء منزلة رفيعة لدى أفراد الشعب وبخاصة الوطنيين والمناضلين، وإذا كانت هنالك شائعات حولهم فهي مغرضة.

لذلك نتمنى، إذا رأيتم أن كلامنا صحيح، أن لا تسمحوا بنشر هذه الرسالة، وأن تستعيدوها، وتمنعوا نشرها موقتاً.

٣ ـ ألقت الحكومة مؤخراً القبض على عناصر مجموعة أخرى، تنظيمها مبنيٌ كلياً على أساس الإسلام والدين، ومن المحتمل أن يكون عدد الذين اعتقلوا قد بلغ الأربعين: هؤلاء شبان مسلمون، متعلمون، مؤمنون، أتقياء، متعبدون، مطلعون على معارف الإسلام، وأبعاد الإسلام العالمية، وهم متدينون مئة بالمئة، وإلى الحد الذي نعرفه عنهم، لا غبار على سلوكهم، وهم في غالبيتهم من المهندسين والأطباء والقضاة والأساتذة، شغل معظمهم مناصب حساسة ومهمة، وبعضهم من معارفكم أو له علاقة بكم.

إن اعتقالهم الجماعي أمرٌ مؤسف، ولكن الكشف عن هذه المسألة أعطى للنضال الديني قيمة ورونقاً.

٤ ـ إذا كنتم ترون أن من الصلاح، أن تطالبوا بمبادرة عالمية لإنقاذ أرواح هؤلاء المجاهدين المؤمنين، فإن ذلك سيكون دعماً قيّماً ومؤثّراً لهم في الخارج والداخل.

٥ ـ إن آلاف السجناء من العمال والكسبة، لا معيل لهم ولعوائلهم، نتمنى إن لم يكن هنالك من مانع لديكم، أن توجهوا إلى الشعب الإيراني رسالة لحثّه على مساعدة عوائل هؤلاء المناضلبين، وأن لا يبخلوا بأموالهم عليهم.

٦ ـ سينعقد في نيويورك قريباً، مؤتمر موسع للطلاب الإيرانيين في الخارج، وستصلهم رسالة من الفئات المناضلة في الداخل، سنرسل إلى القائد نسخة عنها؛ فإذا وجّه إليهم القائد أيضاً رسالة، يحضّهم فيها وينصحهم بالمحافظة على وحدة الموقف، وتفادي الفرقة والتشتت في مواجهة العدو المشترك، نعتقد أنها ستكون مؤثّرة ومفيدة.

٧ ـ هنالك مسألة مهمة تراودني منذ مدة، وهي أن حجة الإسلام السيد مصطفى [الخميني] بناء على معلومات موثوقة وصلت إلى آية الله آقا زاده، يولي ثقته في بعض المسائل المهمة للسيد موسى أصفهاني ويتعاون معه؛

المسألة التي لا تحتمل النقاش هي أن هذا الشخص انطلاقاً من سوابقه وقرائن أخرى، لا يمكن أن يكون موضع ثقة.

لقد التقيت به صدفة في آخر أيام إقامته في عبادان، في شهر رمضان، وقد كان مقيماً في فندق عبادان الكبير ضيف الدكتور إقبال «شركة النفط». وقد التقينا أكثر من مرة في دعوات إفطار. كان يقول: أريد أن أذهب سراً إلى البصرة لمقابة سيدة من أقاربي، وأخيراً ذهب، وفي محرّم من العام نفسه، تحدّث من إذاعة القاهرة وهاجم البلاط الإيراني، ثم أوقف في باريس، وبعد ذلك سافر إلى العراق ـ قبل سفركم إليها ـ. من اللافت في الموضوع، أن الحصول على جواز السفر في تلك الأيام في عبادان كان سهلاً، كما أن ضيف الدكتور إقبال يحصل على التأشيرة في ظرف ساعات! فلماذا السفر سراً؟ ربما كان سبب ذلك، ليقول في البلاد العربية إنه فارّ، حتماً هذا حدس.

بعد ذهابه، كتبت الصحف الإيرانية، إنه اختفى بعد استيلائه على مبلغ من المال يبلغ حوالي أربعمئة ألف تومان من المصارف والأفراد.

نحن نعرف أن رجلاً هو موضع ثقة الدكتور إقبال، ويكون ضيفه في الأيام الأخيرة

من إقامته، لا يتدنى لمثل هذه المبالغ، علماً أن بإمكانه أن يحصّل الملايين عن طريق الإقطاعيين والرأسماليين والمستوردين.

الخلاصة، أننا انطلاقاً من تفكيرنا بالأمور التدقيق بها، لم نجد سبباً وجيهاً يدفعه لفعل ذلك لأن صلته بالبلاط جيدة، ويختار التنقّل من مكان إلى آخر على حريته.

من الجيد أن يكون ضميره وأهدافه ودينه بهذه القوة، فتدفعه إلى مغادرة إيران، ولكن ذلك غير واضح بالنسبة إلينا!

في كل الأحوال، انطلاقاً من هذه المقدمات، من الواجب والضروري الاحتياط والتحفظ في مثل هذه المسائل، ومن المرجح أن يكون هذا الشخص هو المصدر الأساسي وراء كشف المعلومات العاملة في البلدان العربية، وبخاصة العراق وفلسطين، واعتقالها.

هذا وإن الحكومة تذكر يومياً في النشرات الصباحية أخباراً عن تمرده، وحتى «الإعلان عن جمهورية إيران».

الخلاصة، إذا رأيتم من المناسب، نتمنى أن تطلبوا إلى السيد مصطفى أن لا يكون السيد آقا زاده موضع ثقة، علماً أن لا مشكلة في الاستفادة منه، دون إطلاعه على الأسرار وبدون أن يتعرف إلى العناصر الأخرى، وشرط عدم كشف القناع أمامه. لا بد، إذا أردتم أن توجهوا أمراً ما، أن لا يكون مستنداً إلينا أو إلى شخص آخر.

٨ ـ إن السيد قمي لأسباب شخصية [وليس من أجل الأهداف]، غاضب منكم ومن أصدقائكم، فإذا رأيتم من المناسب أن توجهوا بضعة رسائل وتصدروا بياناً تدعونه فيه إلى متابعة النضال، فإنه بذلك تطمئنونه، فهو في النهاية إن لم يكن مؤيداً للمقاومة، فهو لا يفكر ـ والعياذ بالله ـ في المرجعية أو الزعامة وبعيد عن بعض مظاهر الأنانية الموجودة حتى لدى الأشخاص المؤمنين ذوي الأهداف، ولكنه على عكس الآخرين صريح وشجاع ومباشر في طريقة طرحه للقضايا، كان من المقرر أن يعرض السيد پسنديدة هذا الأمر عليكم.

٩ ـ الدروس التي طبعت كتاباً بواسطة جلال الدين [الفارسي]، صَدَرَتْ بحلة جيّدة، نتمنى أن تكون أثراً خالداً.

١٠ ـ السيد لاهوتي الذي كان قد قدم للأوقاف منزل «گرمسار» بأمر من القائد، واستأجر لسكانه منزلاً في طهران، ومنبره لا يلقى رواجاً لأسباب سياسية، يستأذنكم بعض ممثليكم في شراء منزل له، نعتقد أن مثل هذا الإذن بعيداً عن العدالة.

من طرف [الشيخ] هاشمي رفسنجاني إلى السيد الخميني

تقرير الساڤاك رقم ١٤٣٢٧ ـ ٢٠ هـ، ١٢

المستند رقم ٦٧٨

الموضوع: الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني [مخابرة هاتفية]

التاريخ: ١٩/ ٩/ ٥٠ [١٩٧٢]

بتاريخ ١٩/ ٩/ ٥٠، قالت زوجة المذكور أعلاه، لزوجة السيد رضا الصدر إمام الجماعة في مسجد الإمام الحسين الواقع في ميدان شهناز: «سمعت أن السيد موسى الصدر قد حضر من لبنان، ومن المقرر أن يلتقي بالشاه، أريد أن تذكّريه، بأن يقوم بعمل ما، يفيد في الإفراج عن الشيخ أكبر، لأنه غير مذنب، فقط هنالك ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة بعنوان «الخميني»، يقولون إنها من عمل الشيخ أكبر، وهو يقول إنها ليست له».

فقالت زوجة السيد رضا:

«أولاً ليس صحيح على الإطلاق خبر لقاء السيد موسى بالشاه، وثانياً لقد اعتقلوا ابن أخته، وقد بُذلت حتى الآن مساعٍ حثيثة ولم يُفرج عنه، وفي كل الأحوال سأخبره الأمر».

تقرير الساڤاك رقم ١٤٤٥١/ ٢٠ هـ، ١٢ [مكالمة هاتفية]

المستند رقم ١/ ٦٨٠

التاريخ: ٢٤/ ٩/ ٥٠

الموضوع: السيد موسى الصدر

بتاريخ ٢٤/ ٩/ ٥٠، قال الشيخ علي أصغر مرواريد لعلي حجّتي كرماني:

«كنت أريد أن أقابل السيد موسى، وأكلمه بشأن صديقنا». فأجاب حجتي: «بعد ساعات سيتوجه السيد موسى إلى قم، وبالنسبة إلى موضوع رفيقنا، فإن مطهري جاء منذ وقت قصير إلى قم، وقابلنا معاً شريعتمداري ونجفي مرعشي، وقلنا لشريعتمداري، من الأفضل أن تتفقوا أنتم والسيد ميلاني والسيد خوانساري، وأن تعرضوا أمام السيد موسى الوضع العام للسجناء، ليطرح هو موضوعهم.

قال شريعتمداري: أنا أولاً يجب أن أرى السيد موسى، وأستعلم منه إذا كان مستعداً أم لا، فإذا كان مستعداً فلا مانع لدي».

وأضاف حجتي: «لقد تحدثت في الليلة الماضية إلى السيد موسى مطوّلاً، وقال لي: «أنا مستعد من جميع النواحي، وأريد طالما أنني هنا أن أنجز عملاً ما، ولكنّ الظروف الآن غير مؤاتية، وأنا أنتظر أن تصبح الظروف أكثر ملاءمة».

وقد طمأن حجّتي مرواريد، أنه سيضع السيد موسى في الأجواء، ويشرح له الظروف والأحوال.

قال مرواريد: «من الممكن أن أحضر أنا أيضاً إلى قم، فأزوره وأكشف له النقاب عن جميع القضايا».

توضيح المخبر: الشخص الذي يدعوه مرواريد «رفيقنا» هو الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني، الذي هو حالياً في السجن.

تقرير لسافاك رقم ١٩ ـ ١٤١ / ٢٠ هـ ١٢٠

المستند رقم ٦٨٢

التاريخ: ٢٤/ ١١/ ٥٠

الموضوع: معلومات نور الدين علوي طالقاني

قال علوي طالقاني ضمن لقاء خاص: «إن الخميني في العراق، وخبر سفره إلى

تركيا ولبنان شائعة ليس إلا». وأضاف: «إن السيد موسى الصدر رئيس المجلس الشيعي في لبنان قام بمساع كبيرة للإفراج عن رفسنجاني».

كما أنه أضاف كذلك: «أرسل لي إسلامي شخصاً، ليأخذ ثماني نسخ من كتاب ولاية الفقية للخميني، فأعطيته إياها، ولكنّ ثلاثة منها كانت مستنسخة».

جزء من تقرير الساڤاك

عن: علي أكبر هاشمي رفسنجاني

السجين: ٢ ـ ٥. ٣٦ ـ ٦٦ ـ ٤٠١ / ٩ ـ ٨ ـ ٥٠ [١٩٧٢]

... الخلاصة «إن علي أكبر رفسنجاني، في الأساس شخص متعب، وسوابقه كلها تؤيد هذا الكلام، والمدة التي قضاها في السجن زادته جرأة، وتمسكاً بأفكاره أكثر من ذي قبل، وبعد خروجه من السجن، قام بنشاطات غير قانونية بجرأة فائقة، وإذا أخذنا في الاعتبار شدة تأثيره في المحيطين به، فإنه يقوم بتحريض عدد من الشباب، إضافة إلى تسريب الأخبار والمعلومات الداخلية إلى الأجانب، فإنه يستغل الوعظ والمنابر، لإشاعة الفوضى والبلبلة في البلاد، وهو دائم الإصرار على إنكار الحقائق المتعلقة بأفكاره المنحرفة، وأفعاله المضرّة بمصالح البلاد.

حين يكتمل ملف المشار إليه، سيُحال إلى المحكمة العسكرية الشاهنشاهية لتحديد نوع العقوبة».[1]

التقرير رقم ١٠٩٧١/ ٢٠ ـ هـ ـ ١٢

المستند رقم ١/ ٦٨٩

التاريخ: ١٦/ ٢/ ٥١ [١٩٧٢]

الموضوع: الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني

---

(١) نقلنا من هذا التقرير الجزء الأكثر أهمية بالنسبة إلى القارئ العربي. ويقع التقرير في سبع صفحات من ص١١٨٩ إلى الصفحة ١١٩٥ من الجزء الثاني.

بتاريخ ٥/ ٢/ ٥١،ة أفرج عن المذكور أعلاه، ويوم ٧/ ٥/ ٥١، الساعة العاشرة حضر لزيارته كلّ من الشيخ حسين كاشاني والشيخ محمد إمام كاشاني، والسيد علي غيوري، والسيد فضل الله مهدي زادة محلاتي، والشيخ حسن لاهوتي، والشيخ محمد حسن طاهري أصفهاني و. . . وكذلك جمع من طلبة قم. . .

قال هاشمي عن المساجين من رجال الدين: «إنهم يتمتعون بروح عالية ومعنويات مرتفعة وكانوا يتوقعون من المؤسسة الدينية أن تقوم بأكثر مما قامت به، [من أجلهم]».

قال أحد طلاب قم: «إن مجموعة من النساء سافرن من طهران إلى قم، واعتصمن في منزل آية الله شريعتمداري، وأضربن عن الطعام، ولكن شريعتمداري نصحهن، فعدلن عن إضرابهن، ولا يزلن الآن في منزل شريعتمداري، وتحرضهن السيدة «ميهن دوست».

رأي المخبر: حظي هاشمي رفسنجاني بعد اعتقاله الأخير بشعبية واسعة، ويذهب المعارضون إلى زيارته باستمرار. كذلك من الضروري اللجوء إلى إجراء ما، يضمن إخراج النساء من منزل شريعتمداري، بصورة لائقة، لأن عدد المعتصمات يمكن أن يتزايد بتحريض السيدة «ميهن دوست».

تقرير سرّيٌّ مقدم إلى رئاسة السافاك بتاريخ ٢٣/ ٢/ ٥١

المستند رقم ١/ ٦٩٥

عن الشيخ حسين علي منتظري والشيخ أكبر هاشمي رفسنجاني، والشيخ علي أصغر مرواريد والسيد صادق روحاني والشيخ فضل الله مهدي زاده محلاّتي والشيخ أبو القاسم خزعلي.

نقل القسم المتعلق برفسنجاني: . . . «بالنسبة إلى الشيخ رفسنجاني، على الرغم من خروجه منذ مدة قصيرة من السجن، فإن زوجته قد سافرت إلى قم بهدف الانضمام إلى المعتصمات، لا بد أن ما أقدمت عليه زوجته كان بتحريض منه، إضافة إلى أن الشخص هو في الأساس شخص متعب، ومع أنه معيشياً يحيا في رفاهية كاملة، لم يوقف تحركاته المشبوهة، كذلك فإن الشيخ مرواريد على الرغم من تنبيهه أكثر من مرة إلى بعد

آرائه عن الصواب. فإنه لا يزال ناشطاً في تحريض الناس.

من المفروض أن يطرح في مجلس أمن طهران الاجتماعي، المصادقة على السوابق المضرّة لهاشمي ومرواريد، وأن يطردا إلى سيستان وبلوچستان.

وضمناً، كان مجلس الأمن الاجتماعي قد أصدر أوامره إلى ساڤاك قم لطردهما منها...

تقرير الساڤاك رقم ١٨٢٠٥/ ٢٠هـ ١٢

المستند رقم ١/ ٧٨٢

الموضوع: مجلس عزاء أقامته «هيئة أنصار الحسين»

في صباح ٢٢/ ١٠/ ٥١، انعقدت جلسة الهيئة المذكورة، وشارك فيها حوالى «١٢٠٠» الألف ومئتي شخص، وقد خطب الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني في الجموع ومما قاله:

«في عصر الإمام الباقر، قامت أول حركة مسلحة في وجه الخلفاء الظالمين بقيادة أخ الإمام، وبدعم من الإمام، ببرامج سرّية وعلنية، وهذا جواب على كلام القائلين إن الإمام لم يكن يتدخل في السياسة، ورجال الدين لا يجب أن يتدخلوا في السياسة، في حين أن الرسول الأكرم كان برنامجه سياسياً، وكان في أثناء الحروب يجمع الناس في المسجد، ويبدأ عمله من المسجد. كذلك فإن الإمام الحسين وقف في وجه الظلم والعدوان، وفي كل الأحوال، لقد وقف المؤمنون في مواجهة الظلم والعدوان، وناضلوا ضدّ الخلفاء»، ثم أضاف:

«ذكرى الإمام الحسين، لا تعني قراءة أبيات من الشعر، وجعل الناس يبكون، معنى العزاء على هذا النحو فرضه الصفويون؛ الصفويون الذين بنوا القصور والمساجد في قزوين وأصفهان، بنوا المساجد لخداع الناس حين رأوا أن مسلمي إيران غير مستعدين لمحاربة إخوانهم العثمانيين، شرعوا في التبليغات المذهبية لدفع الناس لمحاربة

العثمانيين، وكان الناس [البسطاء يقولون إن حكومتنا دينية، كما أن الحكومات اليوم متواطئة مع بعض آيات الله، لخداع الناس، وحملهم على الاعتقاد أن حكومتهم حامية للإسلام، في حين أن العلماء لا يجب أن يؤيدوا الحكومات الجائرة».

تقرير السافاك رقم ٧١١٤/ ٢٠هـ، ١٢

المستند رقم ١/ ٨١٥

التاريخ: ٩/ ٨/ ٥٢ [١٩٧٤]

الموضوع: أقوال محمد مدير شانه چي والشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني

في الساعة ٢١، يوم ٢٤/ ٧/ ٥٢، كان المذكوران أعلاه، في عداد الحاضرين في مسجد جاويد ـ شميران، حيث كان الشيخ مرتضى مطهري يلقي موعظته. . .

وفي أثناء الحديث، قال محمد مدير شانه چي لأصدقائه: «إذا كنتم تعرفون أشخاصاً يرغبون في التبرع للعرب، وللمنظمات الفلسطينية، أرشدوهم لكي يسلموا أموالهم إلى الشيخ رفسنجاني، ليرسل هذه الأموال بواسطة سفير مصر إلى الفدائيين الفلسطينيين باسم مقلدي الإمام الخميني. فقد جرى حديث مع سفيري مصر وسوريا ليفتحا حساباً باسمهما، ليتمكن الناس من وضع تبرعاتهم في هذا الحساب دون أن يتعرضوا للمشاكل».

وقال هاشمي رفسنجاني كذلك: «إنه كان على الإفطار في أحد الأماكن، وقد التقى هنالك بممثل سفير مصر، الذي اشتكى من معاملة رجال الأمن والمخابرات، وقال: إنهم يضيّقون علينا كثيراً».

تعليق الخبير: «لقد تم فعلياً فتح حساب باسم سفارتي مصر وسوريا، وقد قُدّم تقرير بهذا الشأن. ويستنتج من خلال الخبر، أن هاشمي رفسنجاني على صلة بهاتين السفارتين ويعمل لحسابهما».

تقرير الساڤاك رقم ١٢١٠٤/ ٣١٢

المستند رقم ٨٢٧

طلب صادر عن الإدارة العامة للساڤاك [الدائرة الثالثة] إلى جميع فروعها للتحقيق بشأن المساعدات المقدمة إلى الفلسطينيين بتاريخ ٥/ ١٢/ ٥٢.

إن موضوع جمع الأموال لمساعدة دولة مصر، وجمع الأموال للفلسطينيين، موضوعان مختلفان، فبالنسبة إلى مساعدة دولة مصر، فإن بعض المتعصِّبين دينياً، الذين لهم آراؤهم الخاصة في ما يتعلق بموضوع الحرب بين العرب وإسرائيل، قد قدموا المساعدات إلى مصر، بعد أن فتحت سفارتها في إيران حساباً خاصاً.

ولكن مسألة جمع الأموال للفلسطينيين بواسطة الأشخاص [موضع التحقيق] مهم جداً.

لذلك يُرجى أن تأمروا أن يتم التحقق بواسطة المخبرين والمساعدين عن صحة موضوع جمع الأموال بواسطة الأفراد المذكورين للفلسطينيين، والأموال التي جُمعت، هل حوّلت إلى أحد المسؤولين في إيران، أو أنها أرسلت بصورة سرّية إلى الفلسطينيين؟

ومن هم المحرضون للقيام بهذا العمل؟ وعن أي طريق أرسلت هذه الأموال إلى الفلسطينيين، ومن هم الذين تولوا عمليات جمع هذه الأموال؟(١)

يجب أن تُعلموا المديرية العامة بكل التحقيقات العادية، أو أي نوع من المعلومات عن نشاطات هؤلاء الأفراد، أو الذين يكشف التحقيق عن وجودهم، وكل المعلومات التي تساعد لجلاء الموضوع.(٢)

رئيس المديرية العامة الثالثة: ثابتي سرّي

(١) من مستندات سابقة نعرف أن أسماء المطلوب مراقبتهم هم: «أسد الله بنكدار، رحماني آهن فروش، حاج توكلي، هاشمي رفسنجاني، علي أكبر پوراستاد ومحمد مهدي مدير شانه چي، والشيخ مرتضى مطهري».
(٢) ربما كان المقصود الحرب العربية الإسرائيلية.

تسلسل الأحداث

١٢/٣/١٣١٣ [٢/٦/١٩٣٤]:

سافر رضا شاه إلى تركيا واجتمع إلى كمال أتاتورك.

٢١/٤/١٣١٤ [١٢/٧/١٩٣٥]:

قامت في مشهد تظاهرات معادية للزيّ الموحّد وللقبعة «الشاپو»، في مسجد گوهرشاد، جوبهت بعنف شديد، وقتل حوالى الألفين من أفراد الشعب، وقد سُجّل هذا اليوم في تاريخ إيران باسم «قيام گوهرشاد».

١٧/١٠/١٣١٤ [٧/١/١٩٣٦]:

أعلن عن إلغاء الحجاب في إيران، وذلك في الاحتفالات التي أقيمت في «قصر العلوم» بحضور رضا شاه وزوجته وبناته.

١٠/١١/١٣١٥ [٣٠/١/١٩٣٧]:

توفي الحاج الشيخ عبد الكريم الحاثري اليزدي مؤسّس الحوزة العلمية في قم وبانيها.

١٧/٤/١٣١٦ [٨/٧/١٩٣٧]:

توقيع معاهدة الاتفاق والتعاون (معاهدة سعد آباد)، بين إيران وتركيا والعراق وأفغانستان في قصر سعد آباد.

١٠/٩/١٣١٦ [١/١٢/١٩٣٧]:

استشهد السيد حسن المدرس مسموماً بعد حوالى تسع سنوات من النفي في «خواف».

٣/٦/١٣٢٠ [٢٥/٨/١٩٤١]:

احتل حلفاء إيران، بعد أن أغار الاتحاد السوڤياتي من الشمال والإنجليز من الجنوب.

٢٥/٦/١٣٢٠ [١٦/٩/١٩٤١]:

نُحّيَ رضا شاه پهلوي، ونُصِّب ابنه محمد رضا پهلوي مكانه.

٩/١١/١٣٢٠ [٢٩/١/١٩٤٢]:

توقيع المعاهدة الثلاثية بين إيران والاتحاد السوڤياتي والإنجليز.

١٧/٩/١٣٢١ [١٢/٨/١٩٤٢]:

خرجت الجماهير في مظاهرات حاشدة وصاخبة في ميدان بهارستان، لفقدان الخبز والنقص في المواد الاستهلاكية الأوليّة، وأعقبها اقتحام للمجلس، وضرب النواب وشتمهم، واقتحام المتاجر، وعاشت طهران وضعاً مضطرباً، وقد أسفرت المظاهرات عن مقتل عدد كبير من الناس وإعلان الحكم العسكري.

٨/٦/١٣٢٢ [٣٠/٨/١٩٤٣]:

اعتقلت القوات السوڤياتية والإنجليزية عدداً كبيراً من الشخصيات السياسية والعسكرية والصحافية الإيرانية بتهمة التعاون مع الألمان.

٦/٩/١٣٢٢ [٢٧/١١/١٩٤٣]:

عقد في طهران «مؤتمر طهران» الذي ضم رؤوساء الدول الثلاث: الاتحاد السوڤياتي وأميركا، وإنكلترا (ستالين، روزفلت وتشرشل).

٢٨/٣/١٣٢٣ [١٨/٦/١٩٤٤]:

اعتُقل آية الله السيد أبو القاسم كاشاني بأمر من الحلفاء.

١٢/٦/١٣٢٤ [٣/٩/١٩٤٥]:

أصدر السيد «جعفر پيشه وری» بياناً أعلن فيه الحكم الذاتي في آذربيجان.

٢٦/٩/١٣٢٣ [١٧/١٢/١٩٤٤]:

أعلن «القاضي محمد» رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، جمهورية كردستان المستقلة.

١٥/١/١٣٢٥ [٤/٤/١٩٤٦]:

توقيع معاهدة «قوام ـ سادچيكف»، المتعلقة بخروج القوات السوڤياتية من إيران، والمسألة الأذربيجانية، وامتياز نفط الشمال.

٢١/٩/١٣٢٥ [١٢/١٢/١٩٤٦]:

دخول القوات الحكومية إلى تبريز، وسقوط حكومة أذربيجان المستقلة، ولجوء زعماء الجبهة الديمقراطية إلى الاتحاد السوڤياتي.

٣٠/٢/١٣٢٧ [٢٠/٥/١٩٤٨]:

انطلاق التظاهرات الحاشدة من «مسجد الشاه» المندّدة بالممارسات الصهيونية في فلسطين بقيادة آية الله كاشاني.

١٥/١١/١٣٢٧ [٤/٢/١٩٤٨]:

تعرض الشاه لمحاولة اغتيال، مقابل كلية الحقوق ـ جامعة طهران، نفذها «ناصر فخر آرايي»، ولكنه نجا منها، وأعلن الحكم العسكري في طهران، وجرت اعتقالات واسعة.

١٧/١١/١٣٢٧ [٦/٢/١٩٤٨]:

ألقي القبض على السيد أبو القاسم كاشاني، ونُفيَ إلى «خرم آباد».

١٣/٨/١٣٢٨ [٤/١١/١٩٤٩]:

اغتيل «عبد الحسين هجير» وزير البلاط في مسجد سپهسالار على يد حسين إمامي العضو في جمعية «فدائيان إسلام».

١٣٢٨/٨/٢١ [١٩٤٩/١١/١٢]:

تشكلت «الجبهة الوطنية الإيرانية» بزعامة الدكتور محمد مصدّق.

١٣٢٩/١١/٦ [١٩٥١/١/٢٦]:

عُقد لقاء موسع في «مسجد شاه» للمطالبة بتأميم النفط، بدعوة من آية الله كاشاني.

١٣٢٩/١٢/١٦ [١٩٥١/٣/٧]:

قُتِلَ رئيس الوزراء «سپهبد رزم آرا» في «مسجد شاه» على يد خليل طهماسبي عضو جمعية «فدائيان إسلام».

١٣٢٩/١٢/٢٩ [١٩٥١/٣/٢٠]:

توقيع الشاه على قانون تأميم صناعة النفط بعد المصادقة عليه في المجلس.

١٣٣٠/٢/٧ [١٩٥١/٤/٢٧]:

تولّى الدكتور مصدّق رئاسة الوزراء.

١٣٣١/٤/٣٠ [١٩٥٢/٧/٢١]:

نتج عن إقالة الدكتور مصدّق، إضراب عام في طهران وسائر المدن، وقيام العديد من المظاهرات التي جوبهت بالعنف، وبمجزرة جماهيرية كانت حصيلتها آلاف القتلى والجرحى، فعزل الشاه «قوام» من رئاسة الوزراء، وأعاد تكليف الدكتور مصدّق.

١٣٣٢/٥/٢٢ [١٩٥٣/٨/١٣]:

أصدر الشاه بصورة سرّية قرار عزل الدكتور «محمد مصدّق»، وتعيين اللواء زاهدي رئيساً للوزراء، وسافر بصحبة ثريا إلى رامسر في إجازة.

١٣٣٢/٥/٢٥ [١٩٥٣/٨/١٦]:

أعلنت الحكومة في بيان مقتضب حدوث انقلاب عسكري، وفرّ الشاه بصحبة ثريا في طائرة خاصة إلى بغداد، وأُلقيَ تمثالا محمد رضا شاه ورضا شاه أرضاً.

٢٨/ ٥/ ١٣٣٢ [١٦/ ٨/ ١٩٥٣]:

سقطت حكومة مصدق، في أعقاب الانقلاب العسكري وتولى اللواء زاهدي رئاسة الوزراء.

١٧/ ٨/ ١٣٣٢ [٨/ ١١/ ١٩٥٣]:

بدأت محاكمة الدكتور مصدّق.

٢٧/ ٦/ ١٣٣٣ [١٨/ ٩/ ١٩٥٤]:

توقيع وثيقة «شركة النفط الإيرانية» المؤلفة من إحدى وخمسين مادة وملحقين، يتضمنا الغرامات والضرائب على الأرباح. وقد جوبهت هذه الوثيقة بمعارضة شعبية واسعة.

١٩/ ٨/ ١٣٣٣ [١٠/ ١١/ ١٩٥٤]:

أعدم الدكتور «حسين فاطمي»: وزير الخارجية في حكومة مصدق، رمياً بالرصاص في ساحة الرماية التابعة للفيلق الثاني.

١٦/ ٢/ ١٣٣٤ [٦/ ٥/ ١٩٥٥]:

قامت في طهران وبقية المناطق مظاهرات حاشدة، معادية للفرقة البهائية، بعد الخطبة التي ألقاها الشيخ «محمد تقي فلسفي»، وتحدّث فيها عن هذه الفرقة.

٢٧/ ١٠/ ١٣٣٤ [١٧/ ١/ ١٩٥٦]:

أعدم صباح هذا اليوم رمياً بالرصاص، كل من «نواب صفوي»، «خليل طهماسبي، مظفر ذو القدر»، والسيد «محمود واحدي».

٣٠/ ١٠/ ١٣٣٥ [٢٠/ ١/ ١٩٥٧]:

انتهت مباحثات وزراء حلف بغداد (السنتو)، وقد شارك في هذه الجلسة رئيس الوزراء الإيراني حسين علاء.

٢٣/ ١٢/ ١٣٣٥ [١٤/ ٣/ ١٩٥٧]:

حظي مشروع تأسيس منظمة المخابرات والأمن بموافقة مجلس الشورى الوطني.

٨/ ١٢/ ١٣٣٦ [٢٧/ ٢/ ١٩٥٨]:

اعتقل اللواء «ولي قره ني» معاون قائد الجيش ورئيس الأركان بتهمة الانقلاب.

٢٩/ ٧/ ١٣٣٧ [٢١/ ١٠/ ١٩٥٨]:

قدم الدكتور منوچهر إقبال إلى المجلس مشروع قرار «من أين لك هذا»! على أساس أن يقدم جميع موظفي الدولة مستندات تثبت مصادر أموالهم وممتلكاتهم.

٢/ ١٠/ ١٣٣٧ [٢٣/ ١٢/ ١٩٥٨]:

تشكلت اللجنة التأسيسية، التي أوكل إليها التحضير لاحتفالات الذكرى الألفين وخمسئة لتأسيس الامبراطورية الساسانية.

١٤/ ١٢/ ١٣٣٧ [٥/ ٣/ ١٩٥٩]:

وُقعت بين أميركا وكلّ من إيران وباكستان وتركية، اتفاقية دفاع مشترك ثنائية، وقد قال خروتشوف ضمن حديث له «إن شاه إيران يخاف من شعبه، لذلك عقد حلفاً مع أميركا ليحمي نفسه».

٢١/ ١٢/ ١٣٣٨ [١٢/ ٣/ ١٩٥٩]:

خصصت الصحف افتتاحياتها للحديث عن الفساد في الانتخابات، وطالبت الشاه بعزل منوچهر إقبال.

٢٣/ ٦/ ١٣٣٩ [١٤/ ٩/ ١٩٦٠]:

بناء على قرار صادر عن مؤتمر الدول المصدّرة للنفط الخام في الشرق الأوسط الذي انعقد في بغداد، شُكّلت منظمة باسم هذه الدول، أطلق عليها اسم «الأوپك».

١٤/ ٨/ ١٣٣٩ [٥/ ١١/ ١٩٦٠]:

أعلن الشاه تعيين أكبر أبنائه الذكور «رضا پهلوي» ولياً للعهد.

٤/ ١٢/ ١٣٣٩ [٢٣/ ٢/ ١٩٦١]:

أضرب طلاب جامعة طهران، وتظاهروا تعبيراً عن عدم رضاهم عن الوضع السياسي السائد في البلاد، وقد جوبهت المظاهرات بعنف شديد.

١٠/ ١/ ١٣٤٠ [١٩٦١/٣/٣٠]:

توفي المرجع الأعلى للطائفة الشيعية آية الله العظمى البروجردي بالسكتة القلبية.

١٢/ ٢/ ١٣٤٠ [١٩٦١/٥/٢]:

أعلن جميع أساتذة التعليم الثانوي والمدرسين في كل أنحاء البلاد الإضراب مطالبين بتصحيح أجورهم، وتوقفوا عن التدريس.

١٦/ ٢/ ١٣٤٠ [١٩٦١/٥/٦]:

كُلّف الدكتور أميني بتشكل الوزارة.

٢١/ ٢/ ١٣٤٠ [١٩١٦/٥/١١]:

أخبر المهندس بازرگان الدكتور مصدّق في رسالة بعثها إليه، بتأسيس جمعية [نهضت آزادي].

٢٥/ ١٠/ ١٣٤٠ [١٩٦٢/١/١٥]:

بعد أن أبلغ الشاه الحكومة بإصدار قانون الإصلاح الزراعي، أعلن رجال الدين معارضتهم لهذا القانون.

٢٢/ ١٢/ ١٣٤٠ [١٩٦٢/٤/١٣]:

توفي آية الله السيد «أبو القاسم كاشاني».

١٥/ ١/ ١٣٤١ [١٩٦٢/٤/٤]:

عادت جامعة طهران إلى العمل، بعد توقف الدروس في أعقاب المظاهرات المعادية للحكومة التي قام بها طلابها.

٢١/ ١/ ١٣٤١ [١٩٦٢/٤/١٠]؛

سافر الشاه برفقة فرح إلى أميركا لمدة أسبوعين.

٢٨/ ٤/ ١٣٤١ [١٩٦٢/٧/١٩]:

تسلّم أمير أسد الله عَلَم من الشاه قرار تعيينه رئيساً للوزراء.

١٥/٧/١٣٤١ [٧/١٠/١٩٦٢]:

صادق المجلس على مشروع إنشاء مجالس الولايات والمحافظات. وكان من ضمن بنود هذا المشروع: حذف شرط القسم على القرآن للنواب، وحذف شرط الإسلام للمقترعين، وحرية النساء في المشاركة في الانتخابات.

١٦//٧/١٣٤١ [٨/١٠/١٩٦٢]:

على أثر معارضة العلماء ورجال الدين ـ الذي لا سابقة له ـ للمصادقة على مشروع مجالس الولايات والمحافظات، قرّر آيات الله: الخميني والگلپايگاني وشريعتمداري في جلسة مشتركة، أن يطلبوا إلى الشاه إلغاء المقررات، ودقوا ناقوس الخطر، مطالبين العلماء بالمشاركة في الاعتراض عليها.

١٧/٧/١٣٤١ [٩/١٠/١٩٦٢]:

أرسل كل مرجع على حدة برقية إلى الشاه، يطالب فيها بإلغاء المقرّرات.

٢٣/٧/١٣٤١ [١٥/١٠/١٩٦٢]:

ردّاً على برقيات العلماء، قال محمد رضا پهلوي، نحن قبل الجميع نعمل على حفظ الشعائر الدينية، ولفت نظرهم إلى ظروف العصر والتاريخ وأوضاع البلاد الأخرى. وقد حاول الشاه في حركته هذه، وفي عدم ردّه على برقية الإمام الخميني أن يعلن عن تجاهله له.

٢٨/٧/١٣٤١ [٢٠/١٠/١٩٦٢]:

ردّاً على أجوبة الشاه، وُجهت إليه برقيات عديدة من العلماء، ومختلف طبقات الشعب، وفي برقية وجهها إليه الإمام الخميني، أعلن أن زعماء إيران والأعلام وسائر المسلمين لن يسكتوا على الأمور المخالفة للشرع.

١٠/٨/١٣٤١ [١/١١/١٩٦٢]:

أعلن الشعب بمختلف فئاته، وفي جميع أنحاء البلاد تأييدهم لموقف العلماء من إلغاء المقررات، وعقدت في مساجد قم وطهران اجتماعات لهذه الغاية.

١٥/٨/١٣٤١ [٦/١١/١٩٦٢]:

وصلت من جديد برقيات احتجاج، من مراجع قم والنجف بصورة مستقلة.. وقد خاطب آية الله «الخميني» في برقيته «أسد الله علم»، وذكره بعاقبة الذين يخالفون الشرع والقانون.

٧/٩/١٣٤١ [٢٨/١١/١٩٦٢]:

خطب «محمد تقي فلسفي» في مسجد «أرك»، مهدّداً الحكومة بأن ردّ فعل الناس سيكون عنيفاً ما لم تُلغَ المقرّرات، وعلى إثر ذلك عقدت الحكومة جلسة طارئة.

٨/٩/١٣٤١ [٢٩/١١/١٩٦٢]:

تراجع الحكم أمام إصرار العلماء، وألغى مجلس الوزراء المقرّرات.

١١/٩/١٣٤١ [٢/١٢/١٩٦٢]:

انتقد الإمام الخميني في خطبته بمناسبة بدء الدراسة الرسمية في الحوزة، الحكومة من خلال كلامه على الدور الأساسي لرجال الدين في البلاد. وقد أعلن الإمام الخميني والمراجع في بيانات لهم انتهاء الأزمة، وشكروا الشعب لتجاوبه.

١٩/١٠/١٣٤١ [٩/١/١٩٦٣]:

أعلن الشاه الأسس الأساسية الستة لثورته البيضاء:

١ ـ إلغاء نظام الإقطاع، ٢ ـ تأميم الغابات، ٣ ـ بيع أسهم المصانع الحكومية إلى العمال، ٤ ـ إشراك العمال في أرباح المعامل والمصانع، ٥ ـ إصلاح قانون الانتخابات، ٦ ـ إيجاد سپاه دانش.[١]

٢٣/١٠/١٣٤١ [١٣/١/١٩٦٣]:

أعلن رئيس الوزراء يوم ٦ بهمن، «يوم الاستفتاء»، على اللوائح السداسية للثورة البيضاء.

(١) قانون التجنيد لخدمة العِلْم، يلحق على أساسه الخاضعون لقانون خدمة العَلَم المؤهلون للتعليم.

٢/ ١١/ ١٣٤١ [٢٢/ ١/ ١٩٦٣]:

قامت تظاهرات واسعة في طهران وقم اعتراضاً على الاستفتاء، بعدما اصدر الإمام الخميني بياناً حرّم فيه المشاركة في الاستفتاء. وقد تعرّض آية الله خوانساري الذي كان بين المتظاهرين للإهانة من قبل القوى الأمنية، وقد حاصرت قوات الجيش المدينة، واعتقلت عدداً من رجال الدين. . .

٣/ ١١/ ١٣٤١ [٢٣/ ١/ ١٩٦٣]:

قامت في قم تظاهرات واسعة، شارك فيها رجال الدين وجماهير الشعب في الساحة العامة، اعتراضاً على سفر الشاه إلى المدينة، وقد حاصرت قوات الأمن المدينة واعتُقِلَ عددٌ من رجال الدين.

٤/ ١١/ ١٣٤١ [٢٤/ ١/ ١٩٦٣]:

هاجمت قوى الأمن جامعة طهران، وضربت الطلاب وأهانتهم.

سافر الشاه إلى قم، وفي صحن الحرم، ألقى خطبة، تعرّض فيها للعلماء ولرجال الدين ووصفهم بالرجعية وبالظلامية. وقد تمّ اعتقال عدد كبير من قياديي «الجبهة الوطنية» و«النهضة الحرة»، وعدد من رجال الدين من بينهم آية الله طالقاني، وعدد من الطلاب.

٦/ ١١/ ١٣٤١ [٢٦/ ١/ ١٩٦٣]:

أقرّ بالقوانين السداسية، بعد استفتاء شارك فيه حوالى ستة ملايين نسمة.

٧/ ١١/ ١٣٤١ [٢٧/ ١/ ١٩٦٣]:

بناء لطلب علماء قم، امتنع الفقهاء وأئمة الجماعات من الذهاب إلى المساجد وإقامة الصلاة.

١٤/ ١١/ ١٣٤١ [٣/ ٢/ ١٩٦٣]:

فشل إضراب المساجد، بسبب اختلاف المواقف، وضغوط النظام، وتدخل بعض رجال الدين.

٢٨/ ١١/ ١٣٤١ [١٧/ ٢/ ١٩٦٣]:

أصدر تسعة من العلماء والمراجع الكبار ومن بينهم آية الله الخميني، بيانات أعلنوا فيها مواقفهم.

٧/ ١٢/ ١٣٤١ [٢٦/ ٢/ ١٩٦٣]:

بمناسبة عيد الفطر، أصدر آية الله الخميني بيانات حثّ فيها الناس على الصّمود والتصدّي لحكومة الاستبداد، وعدم مساندتها، ووصف الاستفتاء، أنه تجميل لسمعة الحكومة.

٢١/ ١٢/ ١٣٤١ [١٢/ ٣/ ١٩٦٣]؛

في العام ١٣٤١، حرّم آية الله الخميني وسائر المراجع عيد النوروز، وعدّه يوم حداد عام، وقد لقيَ هذا التحريم تأييد رجال الدين والجمعيات الدينية.

١/ ١/ ١٣٤٢ [٢١/ ٤/ ١٩٦٣]:

بيان الإمام الخميني الذي حرّم فيه العيد، وزّعته مجموعة من الطلاب، بإشراف حجة الإسلام محمد منتظري.

٢/ ١/ ١٣٤٢ [٢٢/ ٣/ ١٩٦٣]:

هاجمت القوات الحكومية المدرسة الفيضية، وقد ضُرب الطلاب وجُرح عددٌ منهم وقُتل عددٌ آخر، وخرّبت المدرسة، واعتُقل عددٌ من الطلبة. وفي الوقت نفسه الذي اقتحمت فيه المدرسة الفيضية، اقتُحمت أيضاً «المدرسة الطالبية» في تبريز، ومنزل آية الله قمّي في مشهد.

٣/ ١/ ١٣٤٢ [٢٣/ ٣/ ١٩٦٣]:

أصدر الإمام الخميني بياناً انتقد فيه اقتحام المدرسة الفيضية، وقال إن هذا الاقتحام يعيد إلى الأذهان حملات المغول، وبما أن التقية في هذه المرحلة حرام، لذلك نطلب باسم الأمة توضيحاً من السيد عَلَم.

٦/ ١/ ١٣٤٢ [٢٦/ ٣/ ١٩٦٣]:

أعلنت جمعية «رجال الدين المناضلين» في طهران وقم ومشهد وأصفهان وشيراز الإضراب، تعاطفاً ودعماً لحوزة قم العلمية، وقد شارك في هذا الإضراب أيضاً بازار طهران وأسواق المدن الأخرى.

١٤/ ١/ ١٣٤٢ [٣/ ٤/ ١٩٦٣]:

طلب آية الله الحكيم إلى رجال الدين والمراجع في قم في برقية وجهها إلى الإمام الخميني أن يهاجروا إلى النجف

٢٠/١/١٣٤٢ [٩/٤/١٩٦٣]:

تجاهل الحكم إعفاء طلبة العلوم الدينية من التجنيد الإجباري، وقد أخضع هاشمي رفسنجاني للخدمة العسكرية الإلزامية.

٢١/١/١٣٤٢ [١٠/٤/١٩٦٣]:

أبرق الخميني إلى آية الله الحكيم، معلناً أن لا مصلحة في هجرة العلماء إلى النجف.

١١/٢/١٣٤٢ [١/٥/١٩٦٣]:

بمناسبة أربعين شهداء الفيضية وجه آية الله الخميني بيانات إلى المراجع الآخرين.

٢٨/٢/١٣٤٢ [١٨/٥/١٩٦٣]:

وُزّع بيانٌ للإمام الخميني، يخاطب فيه الوعّاظ والمتكلمين والهيئات الدينية، عن المهام الموكولة إليهم لمواجهة الإعلام الرسمي، والاستفادة من شهر محرم لنشر أهداف النضال. كما أصدر «نهضة إيران الحرة» بياناً، أعلنت فيه توحيد موقفها مع موقف «النهضة الإسلامية»، واتصال مسيرتها عن مسيرة الأحزاب السياسية الأخرى.

١/٣/١٣٤٢ [٢٢/٥/١٩٦٣]:

بدأت مجموعة من متديني طهران المرتبطين بالهيئات الإسلامية المتحالفة، عملها التنظيمي الجديد، وقد كان لهذه المجموعة دور في نشر وتوزيع بيانات الإمام الخميني، وإنجاز المهمات العمليات للنضال.

١٢/٣/١٣٤٢ [٢/٦/١٩٦٣]:

بناء على تقرير مخفر بيرجند، اعتُقل السيد علي خامنه إي بتهمة تحريض الجماهير، والحديث عن حوادث قم.

١٣/٣/١٣٤٢ [٣/٦/١٩٦٣]:

تحولت المجالس الحسينية في طهران وقم إلى مظاهرات واسعة معادية للشاه. وقد وجه الإمام الخميني عصر يوم العاشر خطابه إلى الشاه مزعزعاً مهابته الزائفة، قائلاً: «يا جناب الشاه! أنا أنصح إليك أن تكفّ عن هذه الأعمال».

١٥/٣/!٣٤٢ [٥/٦/١٩٦٣]:

الساعة الثالثة صباحاً، اعتقل كلٌ من آية الله الخميني في قم، وآية الله الحاج «حسن

قمي» في مشهد، وآية الله الشيخ «بهاء الدين محلاتي» في شيراز، وعددٌ أخر من العلماء والوعّاظ.

١٥/ ٣/ ١٣٤٢ [٥/ ٦/ ١٩٦٣]:

احتجاجاً على اعتقال آية الله الخميني وبقية العلماء، أعلن التجار والعمال الإضراب العام في جميع أنحاء البلاد، وبخاصة في قم وطهران ومشهد وشيراز وقزوين وكاشان وورامين، وسارت تظاهرات حاشدة ودموية؛ فقد واجهت القوات النظامية الجماهير بالرشاشات والمدافع، وأُعلن الحكم العسكري في غالبية المدن، وقد اعتقلت الحكومة العسكرية عدداً من رجال الدين والوجهاء. وقد تجاوز عدد القتلى في حركة ١٥ خرداد الخمسة آلاف.

وقد أكد آية الله مرعشي نجفي في بيان له: إننا لن نتراجع عن تحركنا إلى أن يعود آية الله الخميني إلينا صحيحاً سالماً.

١٦/ ٢/ ١٣٤٢ [٦/ ٣/ ١٩٦٣]؛

نُقل آية الله الخميني من مقر الضباط إلى سجن القصر.

٢٠/ ٣/ ١٣٤٢ [١٠/ ٣/ ١٩٦٣]:

قدم إلى طهران عدد كبير من كبار العلماء ورجال الدين، من جميع أنحاء البلاد مطالبين بالإفراج عن آية الله الخميني أو اعتقالهم جماعياً، وقد قابل آية الله كالوند الشاه باسمهم، وقد وعده الشاه بعدم التعرض لحياة الإمام الخميني.

وقد أنهى التجار والكسبة إضرابهم الذي استمر أربعة عشر يوماً بعد أن قابل السيد أحمد الخوانساري الإمام الخميني في السجن.

٢١/ ٣/ ١٣٤٢ [١١/ ٣/ ١٩٦٣]:

فرّ هاشمي رفسنجاني الذي كان يخضع للخدمة العسكرية الإلزامية من الثكنة.

٤/ ٤/ ١٣٤٢ [٢٥/ ٦/ ١٩٦٣]:

نُقل آية الله الخميني إلى ثكنة «عشرت آباد».

٢٥/ ٤/ ١٣٤٢ [١٦/ ٧/ ١٩٦٣]:

أقيمت نشاطات جديدة بمناسبة أربعين شهداء الخامس عشر من خرداد، تخليداً لذكراهم، ولمصلحة النضال.

٢٩/ ٤/ ١٣٤٢ [٢٠/ ٧/ ١٩٦٣]:

أفرج عن جميع العلماء ورجال الدين الذين اعتقلوا في ١٥ خرداد والمرحلة التي تلت في قم وطهران وسائرا لمناطق، ولكن الخميني وقمي ومحلاتي لم يُفرج عنهم.

٢/ ٥/ ١٣٤٢ [٢٤/ ٧/ ١٩٦٣]:

مُدّد للحكومة العسكرية في طهران وشيراز لمدة شهرين.

١١/ ٥/ ١٣٤٢ [٢/ ٨/ ١٩٦٣]:

نُقل الخميني وقمي ومحلاتي من سجن «عشرت آباد» إلى منزل في الداودية في طهران، وكانت القوى الأمنية تحاصر المنزل وتمنع الدخول إليه أو الخروج منه.

٣١/ ٥/ ١٣٤٢ [٢٢/ ٨/ ١٩٦٣]:

أعلن رجال الدين وغالبية المراجع تحريم مشاركة الشعب في انتخابات المجلس الحادي والعشرين.

٢٤/ ٧/ ١٣٤٢ [١٦/ ١٠/ ١٩٦٣]:

قمع رجال الأمن إضراب البازار الذي أعلنَ اعتراضاً على قانون مجلسي الشيوخ والشورى.

٢٥/ ٧/ ١٣٤٢ [١٧/ ١٠/ ١٩٦٣]:

عاد العلماء المعتصمون في طهران إلى مدنهم، بعد أن أعطتهم الحكومة وعوداً من جملتها الإفراج عن آية الله الخميني.

١١/ ٨/ ٤٢ [٢/ ١١/ ١٩٦٣]:

في ساحة الرماية في ثكنة حشمتية أُعْدِمَ الأخَوان؛ «طيب حاج رضائي» و«إسماعيل حاج رضائي» وهما من معتقلي حادثة ١٥ خرداد.

٢٦/ ٨/ ١٣٤٢ [١٧/ ١١/ ١٩٦٣]:

قدمت حكومة عَلَم إلى المجلس مشروعاً يقضي باستفادة القوات العسكرية الأميركية في إيران من الحماية القضائية.

١٣/ ٩/ ١٣٤٢ [١٢/ ٤/ ١٩٦٣]:

أعلن أهل تبريز الإضراب على أثر اعتقال عدد من كبار علمائها، فأعلنت الحكومة الحكم العسكري، وقمعت الإضراب.

١٦/ ١٠/ ١٣٤٢ [٦/ ١/ ١٩٦٤]:

حكم على آية الله طالقاني والمهندس بازرگان من قيادي «نهضت آزادي» بالسجن لمدة عشر سنوات.

١٧/ ١٢/ ٤٢ [٨/ ٣/ ١٩٦٤]:

سقطت حكومة عَلَم وسُمّي حسين علي منصور رئيس حزب «إيران الحديثة» [إيران نوين] رئيساً للوزراء.

٢٠/ ١٢/ ١٣٤٢ [١١/ ٣/ ١٩٦٤]:

أعلن عن ولادة «منظمة المهندسين المسلمين».

٨پ/ ١/ ١٣٤٣ [٧/ ٤/ ١٩٦٤]:

بعد فك الحصار عن آية الله الخميني، عاد إلى منزله في قم، حيث استقبل بفرح عام بمشاركة جماهيرية واسعة، وأُقيمت الاحتفالات في الحوزة العلمية وبقية المدن.

٢١/ ١/ ١٣٤٣ [١٠/ ٤/ ١٩٦٤]:

أعلن آية الله الخميني أمام الجماهير المحتشدة في قم وفي جميع المناطق، رداً على الأخبار التي بثها الحكم عبر الصحف عن تفاهم جرى بين رجال الدين والحكومة: «إن الخميني لن يتفاهم معهم، مهما فعلوا».

٢٤/ ١/ ١٣٤٣ [١٣/ ٤/ ١٩٦٤]:

ألقى الإمام الخميني في المسجد الأعظم في قم خطبة مطوّلة ومفصّلة، انتقد فيها الحكم انتقاداً شديد اللهجة، وقد أعلن عن موقفه، وأكد على متابعة مسيرة النضال.

٢٦/ ٢/ ١٣٤٣ [١٦/ ٥/ ١٩٦٤]:

تشكل داخل حوزة قم أول تنظيم سياسي ـ عسكري، باسم «الجمعية السرّية لإصلاح الحوزة». يمكن أن نذكر من بين مؤسسيها: السيد علي خامنه إي، أكبر هاشمي رفسنجاني، حسين علي منتظري، علي مشكيني، رباني شيرازي.. وقد وضعوا لهذا التنظيم نظاماً أساسياً مفصلاً ومدوّناً، وكانوا يصدرون نشرتين سرّيتين هما؛ «البعثة»، و«الانتقام».

في أرديبهشت من هذا العام، نُشر كتاب «القضية الفلسطينية: سجل الاستعمار الأسود»

تأليف أكرم زعيتر وترجمة علي أكبر هاشمي رفسنجاني. وقد ذكر المترجم في المقدمة التي وضعها للكتاب، أن الاستعمار هو السبب في ما جرى في فلسطين، وأن الحكومات في البلاد ذات الاستقلال الصّوري كإيران، هي صنيعة الاستعمار. وقد عدّ السافاك الكتاب من ضمن «الكتب المضرّة»، ووضع مترجمه تحت المراقبة.

٣/ ٥/ ١٣٤٣ [٢٥/ ٧/ ١٩٦٤]:

صادق مجلس الشيوخ على قانون المعاهدة.

١٨/ ٦/ ١٣٤٣ [٩/ ٩/ ١٩٦٤]:

خصّص الإمام الخميني درسه الأول في الحوزة بعد العطلة الصيفية، لانتقاد نفوذ الأجانب في البلاد، وفضح مخطّطات الاستعمار للسيطرة على الدول الإسلامية.

٤/ ٨/ ١٣٤٣ [٢٦/ ١٠/ ١٩٦٤]:

أعلن الإمام الخميني في كلام شديد اللهجة معارضته لإبرام «المعاهدة»، مطالباً الحكومة والمجلس برفض القانون قائلاً: «إنهم خونة، لقدا خانوا الوطن».

٣/ ٨/ ١٣٤٣ [٢٥/ ١٠/ ١٩٦٤]:

في منتصف الليل، اعتُقِلَ الإمام الخميني من منزله في قم، ونُقل إلى طهران، وأُبعد بالطائرة إلى تركيا. وما إن انتشر خبر نفي الإمام حتى عمت موجات الغضب والاحتجاج جميع أنحاء البلاد، وأضرب بازار طهران. واعتصم أهالي نجف آباد بزعامة آية الله منتظري، وأعلن العلماء ورجال الدين معارضتهم لهذا العمل ودعمهم للإمام، وأُعلِنَ الحكم العسكري في طهران والمدن الكبرى، واعتقل كذلك السيد مصطفى الخميني ـ نجل آية الله الخميني. .

١٤/ ٨/ ١٣٤٣ [٥/ ١١/ ١٩٦٤]:

اعتراضاً على نفي آية الله الخميني، عُطّلت الدروس في حوزة قم العلمية، وكذلك صلاة الجماعة في طهران ومشهد وقم وعدد من المدن الأخرى.

٢١/ ٨/ ١٣٤٣ [١٢/ ١١/ ١٩٦٤]:

نُقل الإمام الخميني من أنقرة إلى «بورصة»، الواقعة غرب أنقرة.

٢٧/٨/١٣٤٣ [١٨/١١/١٩٦٤]:

في الجلسة التي عقدها شريعتمداري في المسجد الأعظم في قم، انتقد المقربون إليه مظاهرات الطلبة، وكانت هذه الحادثة ذات تأثير قوي في انفصال أنصار الثورة عن آية الله شريعتمداري، وسُميت تلك الليلة بـ«ليلة الضرب».

١٥/٩/١٣٤٣ [٦/١٢/١٩٦٤]:

أرسل فرع السافاك في طهران رسالة إلى الإدارة المركزية يطلب فيها التحقيق مع أكبر هاشمي رفسنجاني حول كيفية نشر كتاب «القضية الفلسطينية» [سرگذشت فلسطين].

١٣/١٠/١٣٤٣ [٣/١/١٩٦٥]:

اعتقل السيد مصطفى الخميني من جديد بعد أيام قليلة من الإفراج عنه، ونُفي إلى تركية.

١/١١/١٣٤٣ [٢١/١/١٩٦٥]:

اغتيل حسين علي منصور رئيس الوزراء على يد محمد بخارايي، وبمساعدة آخرين من هيئة «الائتلاف الإسلامي».

٦/١١/١٣٤٣ [٢٦/١/١٩٦٥]:

عُين وزير الاقتصاد أمير عباس هويدا رئيساً لمجلس الوزراء.

١٧/١١/١٣٤٣ [٦/٢/١٩٦٥]:

ألقى أكبر هاشمي رفسنجاني خطبة في جلسة «الهيئة الزينبية»، وسمّى في معرض انتقاده لنفوذ الأجانب في البلاد قانون «المعاهدة» [كاپيتيلاسيون] بالفاجعة.

٢٩/١١/١٣٤٣ [١٨/٢/١٩٦٥]:

وجه عددٌ من حجج الإسلام وفضلاء الحوزة العلمية في قم رسالة مطوّلة إلى أمير عباس هويدا، يعترضون فيها على ممارسات الدولة المخالفة للدين وللقانون، والضغط والعنف المخيّمان على البلاد، وتعذيب السجناء السياسيين، ونفي آية الله الخميني، والأوضاع العامة المؤسفة في البلاد، وكان أكبر هاشمي رفسنجاني أحد موقعي هذه الرسالة.

٧/١٢/١٣٤٣ [٢٦/٢/١٩٦٥]:

تم إحياء مراسم الذكرى السنوية الأولى للهجوم على الفيضية (في ٢٥ شوال) في قم، نتج عنها مظاهرات حاشدة للطلاب دعماً للإمام الخميني.

١١/١٢/١٣٤٣ [١/٣/١٩٦٥]:

اعتُقِلَ هاشمي رفسنجاني في قم بتهمة تحريض الطلبة والدعاية للإمام الخميني في أحداث السابع والثامن من إسفند.

٢/١٢/١٣٤٣ [٢١/٢/١٩٦٥]:

وُجهت إلى رفسنجاني تهمة الإخلال بالأمن، فنقل إلى طهران، وسُلّم إلى الساڤاك.

١٣/١٢/١٣٤٣ [٣/٣/١٩٦٥]:

نقل هاشمي رفسنجاني إلى سجن «قزل قلعة» لتنفيذ الحكم بالسجن.

١٤/١٢/٤٣ [٤/٣/١٩٦٥]:

بدأت جلسة التحقيق الأولى مع علي أكبر هاشمي رفسنجاني بواسطة الساڤاك، حول أوضاعه الحياتية والمعيشية، وعائلته وأصدقائه ومعارفه، ومستوى معرفته بآية الله الخميني، وخطبه ومواعظه، وكتاب «القضية الفلسطينية» وتحريض المتظاهرين في حوادث ٧ و٨ اسفند.

٢١/١/١٣٤٤ [١٠/٤/١٩٦٥]:

أُعدِمَ رضا شمس آبادي بعد محاولة اغتيال الشاه الفاشلة في قصر المرمر.

٣/٣/١٣٤٤ [٢٤/٥/١٩٦٥]:

طلب آية الله «حسين كفايي» أحد علماء النجف، في رسالة بعثها إلى الساڤاك الإفراج عن هاشمي رفسنجاني.

٢٦/٣/١٣٤٤ [١٦/٦/١٩٦٥]:

نفّذت أحكام الإعدام ببخارايي، أماني، صفار هرندي، ونيك نجاد، الذين شاركوا في اغتيال حسين علي منصور [رئيس الوزراء].

١٢/٤/١٣٤٤ [٣/٧/١٩٦٥]:

في جلسة مشتركة واستثنائية لمجلسي الشيوخ والشورى، مُنح الشاه لقب «آريامهر».

١٣/٧/١٣٤٤ [٥/١٠/١٩٦٥]:

نفي الإمام الخميني وابنه السيد مصطفى من تركيا إلى العراق، وقد سكنا في النجف.

٢٤/ ٧/ ١٣٤٤ [١٦/ ١٠/ ١٩٦٥]:

بدأت الصحف تدريجياً بنشر أخبار كشف أعضاء حزب الملة الإسلامي واعتقالهم.

٢/ ١٠/ ١٣٤٤ [٢٣/ ١٢/ ١٩٦٥]:

أعدّ الساڤاك لائحة بأسماء اثني عشر شخصاً من الوعّاظ، و«رجال الدين المتطرفين» الممنوعين من الكلام والمشاركة في عاشوراء، ومن بين هذه الأسماء اسم هاشمي رفسنجاني.

٩/ ١٠/ ١٣٤٤ [٣٠/ ١٢/ ١٩٦٥]:

اعتقل علي أكبر هاشمي رفسنجاني، لاعتلائه المنبر في نجف آباد دون إذن مسبق، من قوى الأمن المحلّية، ولدعائه لآية الله الخميني، ومن ثمَّ حُوّل إلى مركز الساڤاك في أصفهان، وأعيد بعد استجوابه إلى قم.

٢٧/ ١٢/ ١٣٤٤ [١٧/ ٣/ ١٩٦٦]:

تجمع في منزل آية الله مرعشي نجفي في قم عدد من الطلبة ورجال الدين من الحوزة، ومن بينهم أكبر هاشمي رفسنجاني، مطالبين بإلغاء قرار نفي الإمام الخميني، والإفراج عن المعتقلين السياسيين.

١/ ١/ ١٣٤٥ [٢١/ ٣/ ١٩٦٦]:

ردّاً على استبدال التقويم الشاهنشاهي بالتقويم الهجري القمري، انتشر في قم بيان تحت عنوان «إعلان الخطر»، واعتقل عددٌ من رجال الدين والطلبة، من بينهم آية الله منتظري، وحجّة الإسلام رباني شيرازي، وأخضعوا للاستجواب. وبناء على تقارير الساڤاك تم اعتبار هاشمي رفسنجاني أحد المحرّضين الأساسيين.

١٧/ ٣/ ١٣٤٥ [٧/ ٦/ ١٩٦٦]:

بعد اعتقال عدد من رجال الدين بعد توزيع بيان «إعلان الخطر» في قم، كُشف النقاب عن النظام الأساسي لجمعية إصلاح الحوزة السريّة، مما أدى إلى هجرة بعض مؤسسي هذه الجمعية ومن بينهم السيد علي خامنه إي وأكبر هاشمي رفسنجاني إلى مسقطي رأسيهما.

٢٤/ ٧/ ١٣٤٥ [٧/ ٦/ ١٩٦٦]:

أفرج عن آية الله منتظري، الذي كان مسجوناً في سجن «قزل قلعة» منذ أول فروردين.

١٧/ ١٠/ ١٣٤٥ [٧/ ١/ ١٩٦٧]:

احضر السيد علي خامنه إي الذي كان يعظ في المسجد الجامع في كرج، إلى المخفر، وطُلب إليه أن يكتب تعهّداً خطياً، أن لا يتطرّق إلى المسائل غير الدينية، وحين رفض مُنع من صعود المنبر وأعيدُ إلى طهران.

١/ ١/ ١٣٤٦ [٢١/ ٣/ ١٩٦٧]:

بدأ العمل في مدرسة الرفاه في طهران، التي كانت قد تأسست بناء على اقتراح أكبر هاشمي رفسنجاني، وأصبحت بالتدرج إحدى مراكز النضال.

١٤/ ١/ ١٣٤٦ [٣/ ٤/ ١٩٦٧]:

اعتقل السيد علي خامنه إي على يد مخفر مشهد، وحوّل إلى مركز الساڤاك.

١٧/ ١/ ١٣٤٦ [٦/ ٤/ ١٩٦٧]:

وزّع أول بيان للإمام الخميني من المنفى موجه إلى الطلاب، يدعوهم فيه إلى الاستقامة والصمود. كذلك انتقد في رسالة مفصّلة موجّهة إلى هُويدا الوضع السائد في البلاد.

٤/ ٣/ ١٣٤٦ [٢٥/ ٥/ ١٩٦٧]:

في أثناء سفر الشاه وفرح إلى الخارج قوبلا في ألمانيا بمظاهرات معادية، نظمها الطلاب الإيرانيون في هناك.

١٧/ ٣/ ١٣٤٦ [٧/ ٦/ ١٩٦٧]:

قمعت قوات الأمن المظاهرات الشعبية المعادية لإسرائيل في طهران، واعتقلت قائدها آية الله غروي.

١٩/ ٣/ ١٣٤٦ [٩/ ٦/ ١٩٦٧]:

في أعقاب الحرب في فلسطين المحتلفة، أصدر الإمام الخميني بياناً حرّم فيه بيع النفط وكل أنواع العلاقات مع سرائيل، وقد أصدر مراجع آخرون بيانات ورسائل بهذا الخصوص.

١٠/ ٤/ ١٣٤٦ [١/ ٧/ ١٩٦٧]:

خطب علي أكبر هاشمي رفسنجاني في الجلسة الأسبوعية في مسجد موسيبن جعفر في

طهران وقد انتقد تزايد مراكز الفساد في البلاد، وهاجم قرار إصلاح الأراضي، ونهب المستعمرين لثروات البلاد وتفشي الفقر المدقع . . .

١٣٤٦/٤/٢١ [١٩٦٧/٧/١٢]؛

أقفلت مطبعة بزرجمهر، التي كانت تطبع بيانات الإمام الخميني.

١٣٤٦/٤/٢٣ [١٩٦٧/٧/١٤]:

انتقد أكبر هاشمي رفسنجاني في خطبته الأسبوعية في مسجد «موسيبن جعفر» في أثناء حديثه عن التمايز الطبقي الحاد في المجتمع، قلة اكتراث رجال الدولة بالدين وحمل على الجرائم التي اقترفتها إسرائيل بحق العرب.

١٣٤٦/٦/٧ [١٩٦٧/٨/٢٩]:

استغلّت قوى الأمن والساڤاك العطلة الصيفية فاحتلت الفيضية، متذرعة بإعادة التعمير، مما أدى إلى اعتصام الطلاب في منازل المراجع، وإلى احتجاج العلماء في مشهد والنجف، وقد قابل وزير البلاط آية الله گلبايگاني في قم، ونقل اعتراضه إلى الشاه، وقد تراجع الحكم في النهاية.

١٣٤٦/٦/٣٠ [١٩٦٧/٩/٢١]:

أيد الشاه حقّ إسرائيل في الوجود.

١٣٤٦/٧/٢ [١٩٦٧/٩/٢٤]:

أُحضر هاشمي رفسنجاني إلى مركز الساڤاك، واستجوب لتردده على سفارة الكويت، للحصول على الصحف العربية، وسُجّل في تقارير الساڤاك أن أعماله وتحركاته تحت المراقبة.

١٣٤٦/٨/١٢ [١٩٦٧/١١/٣]:

اعتقل هاشمي رفسنجاني لتوزيعه بياناً عنوانه «عزاء باسم العيد»، اعتراضاً على احتفالات التتويج.

١٣٤٦/٨/١٢ [١٩٦٧/١١/٣]:

اقتحم الساڤاك منزل آية الله الخميني ومكتبه في قم.

١٣٤٦/٩/٧ [١٩٦٧/١١/٢٨]:

أرسل السافاك لائحة بأسماء رجال الدين المحظور عليهم الكلام. . إلى جميع مراكز السافاك في المحافظات، وقد ذكر من بينها اسم هاشمي رفسنجاني، على الرغم من وجوده في السجن.

١٣٤٦/١٢/٣٠ [١٩٦٨/٣/٢٠]:

صدرت أيضاً لائحة جديدة باسم «ممنوعي المنبر» من بينها اسم هاشمي رفسنجاني.

١٣٤٧/١/٢٧ [١٩٦٨/٤/١٦]:

دعا آية الله الخميني في رسالة وجهها إلى الطلاب ورجال الدين بمناسبة عاشوراء إلى توحيد الجهود.

١٣٤٧/٢/٢٧ [١٩٦٨/٥/١٧]:

أصدر الإمام الخميني فتوى بتقديم الزكاة وسائر الصدقات إلى المجاهدين الفلسطينيين وقد فتح حساب مصرفي بتوقيع آية الله العلامة الطباطبائي، وآية الله مطهري والسيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني في المصرف الوطني وفي بنك «صادرات إيران» و«بنك التجارة» لمساعدة المقاومة الفلسطينية.

١٣٤٧/٦/٢٩ [١٩٦٨/٩/٢٠]؛

تحدث علي أكبر هاشمي رفسنجاني في جلسة «هيئة أنصار الحسين» عن جرائم أميركا في ڤيتنام، والاتحاد السوڤياتي في تشيكوسلوڤاكيا، والاستعمار الإنكليزي في الخليج.

١٣٤٧/٧/١٩ [١٩٦٨/١٠/١١]:

تحدث أكبر هاشمي رفسنجاني في جلسة هيئة أنصار الحسين، مشيراً إلى دور الدول الاستعمارية في إبقاء العالم الإسلامي على تخلّفه، وقال إن عدم قدرة المسلمين على مواجهة إسرائيل مردّه إلى عدم فهمهم الصحيح للقرآن.

١٣٤٧/٨/١٠ [١٩٦٨/١١/١]:

أشار أكبر هاشمي رفسنجاني في كلامه في مسجد القائمية إلى عدم انصياع إسرائيل مدعومة من أميركا لقرارات الأمم المتحدة للانسحاب من الأراضي [العربية] المحتلة.

١٣٤٧/٨/١٦ [١٩٦٨/١١/٧]:

تحدث هاشمي رفسنجاني في مسجد «النبي الأكرم» بمناسبة ولادة صاحب العصر (عج)، منتقداً عدم اكتراث المجتمعات الدولية لمصير اللاجئين الفلسطينيين، ولاعتداءات النظام الصهيوني المغتصب، مؤكداً على ضرورة مقاومة الشعوب للظلم والعدوان.

١٣٤٧/٨/٢١ [١٩٦٨/١١/١٢]:

انتقد الإمام الخميني في دروسه في بداية شهر رمضان، سكوت علماء إيران والنجف الأشرف عن جرائم الحكم البهلوي.

١٣٤٧/٩/٤ [١٩٦٨/١١/٢٥]:

أشاد أكبر هاشمي رفسنجاني في كلامه في «حسينية الإرشاد»، إلى سوء استغلال مفهوم الحرية في العالم، وسكوت منظمة الإمم المتحدة عن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق الفلسطينيين، كما هاجم انتشار مراكز الفساد والفحشاء في البلاد باسم الحرية.

١٣٤٧/٩/٢٢ [١٩٦٨/١٢/١٣]:

أشار هاشمي رفسنجاني في كلامه في مسجد «هدايت» إلى خطورة تغلغل الثقافة الغربية في البلاد وإلى سيطرة البهائيين على المؤسسات الثقافية والإدارية، وقال إن الضرورة تقتضي أن يتسلم أشخاص صالحون مهمة توجيه المرافق الثقافية.

١٣٤٧/١٠/٦ [١٩٦٨/١٢/٢٧]:

تكلم هاشمي رفسنجاني في جلسة «هيئة أنصار الحسين» عن موضوع «إحقاق الحق»، مشيراً إلى تقصير الحكومة في إيفاء الشعب حقوقه، ومنتقداً رجال الدين لسكوتهم عن طرح المشاكل اليومية، وبخاصة موضوع «القضية الفلسطينية».

١٣٤٧/١٠/٢٢ [١٩٦٩/١/١٢]:

اعتقل الحكم آية الله السيد «محمود طالقاني».

١٣٤٧/١٠/٣٠ [١٩٦٩/١/٢٠]:

مُنع السيد «علي خامنه إي» من السفر إلى العراق، حيث كان ينوي مقابلة الإمام الخميني.

٢/ ٢/ ١٣٤٨ [٢٢/ ٤/ ١٩٦٩]:

دعا حجة الإسلام سعيدي إلى الالتزام بوصايا الإمام الخميني، وانتقد بشدة علاقات الصداقة التي تربط حكم البهلوي بالصهاينة الغاصبين.

٥/ ٣/ ١٣٤٧ [٢٦/ ٥/ ١٩٦٩]:

عُقد في طهران اجتماع لوزراء «السنتو».

١٩/ ٣/ ١٣٤٨ [١٩/ ٦/ ١٩٦٩]:

اعتقلت الحكومة العراقية نجل آية الله الحكيم بتهمة الجاسوسية، وهكذا اضطر آية الله الحكيم أن يعود إلى النجف، التي تركها احتجاجاً على طرد الحكومة للإيرانيين من النجف.

كما اعتقل السيد مصطفى الخميني لزيارته آية الله الحكيم، ونقل إلى قصر أحمد حسن البكر.

٢٥/ ٣/ ١٣٤٨ [١٥/ ٦/ ١٩٦٩]:

التقى الإمام الخميني بآية الله الحكيم في الكوفة، وقررا زيادة رواتب الطلبة الشهرية، لتقوية معنوياتهم.

١٦/ ٦/ ١٣٤٨ [١٩٦٩]:

أصدرت الحكومة البعثية قراراً بإخراج آية الله الخميني من العراق، لذلك قام السافاك ببحث إمكانية نفيه إلى الباكستان.

١/ ٧/ ١٩٤٨ [٢٣/ ٩/ ١٩٦٩]:

أعلن طلاب جامعة شيراز اعتراضهم على قرار رئيس الجامعة بمنع دخول المحجبات إلى الجامعة، فتوترت الأوضاع في شيراز، وعمت موجة إضرابات واسعة، وقد دعم رجال الدين موقف الطلاب.

١٤/ ١٠/ ١٣٤٨ [١٤/ ١/ ١٩٧٠]:

أشار هاشمي رفسنجاني في كلامه في «مسجد همت» إلى مواجهة الصادق لحكام الجور، وأكد على ضرورة الاستفادة من السينما والمسرح وغيرها من الوسائل التثقيفية لمواجهة التغريب والفساد في المجتمع.

٢٣/ ١٠/ ١٣٤٨ [١٣/ ١/ ١٩٧٠]:

تقرر في الجلسة الأسبوعية التي عقدها «رجال الدين المناضلين» في منزل مرتضى مطهري، بناء على اقتراح «هاشمي رفسنجاني»، أن ينشر مطهري في مجلة «زن روز» [المرأة العصرية]، مقالات يرد فيها على ما نشر في المجلة نفسها من تحقير وإهانة للحجاب.

١٧/ ١٢/ ١٣٤٨ [٧/ ٣/ ١٩٧٠]:

أعلن عن أسماء العلماء «ممنوعي المنبر» في شهري صفر ومحرم، ومن بينهم منتظري وطالقاني وأكبر هاشمس رفسنجاني والسيد محمد رضا سعيدي.

٢٠/ ١/ ١٣٤٩ [٩/ ٤/ ١٩٧٠]:

تظاهر طلاب جامعة طهران ورفعوا شعارات معادية للشاه وللصهيونية، اعتراضاً على إقامة مباراة في كرة القدم بين إيران وإسرائيل.

١١/ ٢/ ١٣٤٩ [١/ ٥/ ١٩٧٠]:

صدر عن حوزة قم بيانٌ، يعارض إدخال الرساميل الأميركية، وينتقد سياسة الحكم الرامية إلى ربط البلاد بالغرب.

١٣/ ٢/ ١٣٤٩ [٣/ ٥/ ١٩٧٠]:

في الجلسة الأسبوعية لـ«رجال الدين المناضلين»، عرض علي أكبر هاشمي رفسنجاني قضايا متعلقة بمساعدة اللائجين الفلسطينيين، وتناول البحث استطلاع موقف الحكم من موضوع المرجعية بعد وفاة آية الله الحكيم.

٢/ ٣/ ١٣٤٩ [٢٣/ ٥/ ١٩٧٠]:

استشهد حجة الإسلام محمد رضا سعيدي على يد جلادي النظام.

٢٥/ ٣/ ١٣٤٩ [١٥/ ٦/ ١٩٧٠]:

وجه السافاك تحذيراً إلى رفسنجاني وطالقاني وعدد آخر من رجال الدين، من سوء الاستفادة من وفاة حجة الإسلام سعيدي.

١/ ٥/ ١٣٤٩ [٢٣/ ٧/ ١٩٧٠]:

أكد الإمام الخميني في بيان وجهه إلى الطلاب الإيرانيين في الخارج: في أميركا

وكندا، على ضرورة الاهتمام بدراسة الطرق الكفيلة بوضع «الحكومة الإسلامية» موضع التنفيذ.

١/٦/١٣٤٩ [٢٣/٨/١٩٧٠]:

بدأ المهرجان الرابع للفنون في شيراز، وقد عُرضت برامج مبتذلة على الطريقة الغربية، لم تُراعَ فيها العفة، فأثارت مشاعر الناس المعادية للنظام البهلوي.

٤/٩/١٣٤٩ [٢٥/١١/١٩٧٠]:

عمت الإضرابات الواسعة جامعة طهران، مما أدى إلى إقفالها.

٧/٩/١٣٤٩ [٢٨/١١/١٩٧٠]:

ألقى هاشمس رفسنجاني خطبة في «كلية الفنون» ـ جامعة طهران، بعنوان «الإسلام منهج حياة»، ومما قاله: ما من ذنب بنظر الإسلام أعظم من استخدام نفط المسلمين لتزويد آلات أعدائهم الحربية بالوقود.

١٩/١١/١٣٤٩ [٨/٢/١٩٧١]:

نُشرت رسالة الإمام الخميني التي يدعو فيها إلى طرح «القضية الفلسطينية» في مراسم الحج، وشرحها لحجّاج العالم، وقد اعتقل حجة الإسلام ناصري لهذا السبب.

٢٩/١١/١٣٤٩ [١٨/٢/١٩٧١]:

استدعي هاشمي رفسنجاني إلى مركز السافاك، ووجه إليه إنذار، بأنه سيلاحق إذا عاود طرح المواضيع ذات الطابع التحريضي.

١٠/١٢/١٣٤٩ [٢٩/٢/١٩٧١]:

تكلم أكبر هاشمي رفسنجاني في مسجد «فخرية» عن الآثار المهلكة للإعلام المرئي والمسموع والمقروء وللسينما والمسرح والتلفزيون على عقول الأطفال والشباب، وانتقد عدم وضع الدولة لضوابط بهذا الشأن.

١٥/١٢/١٣٤٩ [٥/٣/١٩٧١]:

تكلم هاشمي رفسنجاني في قاعة كلية «البوليتكنيك» ـ جامعة طهران، على تأثير «الهدف في العمل»، وهاجم أهداف أميركا وجرائمها في ڤيتنام.

٩/ ١/ ١٣٥٠ [٢٩/ ٣/ ١٩٧١]:

تحدث أكبر هاشمي رفسنجاني عن نضال الشعب الفلسطيني والمجازر التي ارتكبها الصهاينة بحق هذا الشعب، وحمل على الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة الذكرى الألفين وخمسمئة عام على تشكيل الامبراطورية الساسانية.

١٨/ ١/ ١٣٥٠ [٧/ ٤/ ١٩٧١]:

قتِل رئيس المحكمة العسكرية، لحظة خروجه من منزله، برصاص المهاجمين.

١٢/ ٢/ ١٣٥٠ [٢/ ٥/ ١٩٧١]:

قامت تظاهرات حاشدة اعتراضاً على احتفالات الألفين وخمسمئة عام في جامعتي «طهران» و«آريامهر» وبعض المعاهد الأخرى.

١٦/ ٢/ ١٣٥٠ [٦/ ٥/ ١٩٧١]:

هاجم الكيان الصهيوني الغاصب الأراضي السورية.

٢٦/ ٢/ ١٣٥٠ [١٦/ ٥/ ١٩٧١]:

بعث الإمام الخميني برسالة إلى الطلاب الإيرانيين في أوروبا، أكد فيها على ارتباط الحوزة والجامعة، وضرورة إحلال الثقافة الإسلامية مكان الثقافة الاستعمارية.

٢٦/ ١٣٥٠٣ [١٦/ ٦/ ١٩٧١]:

تجددت فاعلية حسينية الإرشاد بسلسلة مباحث للدكتور علي شريعتي بعنوان: «الحسين وارث آدم».

٢٩/ ٥/ ١٣٥٠ [٢٠/ ٨/ ١٩٧١]:

استدعي هاشمي رفسنجاني لإلقاء سلسلة من المحاضرات على مدى خمسة ليالٍ في «المجتمع الأدبي الإسلامي لشباب محافظة قزوين»، بعد محاضرته الأولى التي تحدّث فيها عن نضال الشعب الفلسطيني، استدعي إلى المخفر وأمر بمغادرة قزوين.

١٤/ ٧/ ١٣٥٠ [٦/ ١٠/ ١٩٧١]:

اعتقل هاشمي رفسنجاني، وتعرّض منزله للتفتيش، ونقل بعد استجوابه إلى سجن «القلعة».

١٣٥٠/٧/١٧ [٩/ ١٠/ ١٩٧١]:

صدر عن المحكمة العسكرية للقوى المسلحة الشاهنشاهية قرار بسجن هاشمي رفسنجاني بتهمة التآمر على أمن الدولة.

١٣٥٠/٧/٢١ [١٣/ ١٠/ ١٩٧١]:

نُقل هاشمي رفسنجاني من سجن «القلعة» إلى سجن «إڤين».

١٣٥٠/٨/٥ [٢٧/ ١٠/ ١٩٧١]:

مع قدوم رمضان، عاود رجال الدين ومناصري الثورة نشاطاتهم في مراكز مختلفة مثل: مسجد هدايت ومسجد الجواد، وحسينية الإرشاد والُمسجد الجامع في نارمك.

١٣٥٠/٨/٢٦ [١٧/ ١١/ ١٩٧١]:

أفتى الإمام الخميني بتقديم وجوه من سهم الإمام لعائلات المساجين الذين اعتقلوا بسبب قيامهم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣٥٠/٩/٢٤ [١٥/ ١٢/ ١٩٧١]:

قام كل من مرتضى مطهري علي أصغر مرواريد وعلي حجتي كرماني وزوجة رفسنجاني بمساعٍ للإفراج عنه لدى آية الله شريعتمداري والسيد موسى الصدر.

١٣٥٠/١٠/١١ [١/ ١٠/ ١٩٧٢]؛

أقدم الحكم العراقي على طرد عدد كبير من العلماء والإيرانيين المقيمين في العراق، وعُطّلت حوزة النجف.

١٣٥٠/١٢/٨ [٢٨/ ٢/ ١٩٧٢]:

حوّل هاشمي رفسنجاني بعد اكتمال ملفّه إلى المحكمة العسكرية، ثم نُقل من سجن «قزل قلعة» إلى ثكنة «عشرت آباد».

٣٥١١/١/٢٤ [١٣/ ٤/ ١٩٧٢]:

حكمت المحكمة الابتدائية على هاشمي رفسنجاني بالسجن لمدة عام واحد.

١٣٥١/٢/٥ [٢٥/ ٤/ ١٩٧٢]:

أفرج عن هاشمي رفسنجاني.

٩/ ٣/ ١٣٥١ [٣٠/ ٥/ ١٩٧٢]:

وصول نيكسون إلى طهران.

١٤/ ٣/ ١٣٥١ [٤/ ٦/ ١٩٧٢]:

هجوم قوات الأمن على حوزة قم، واعتقال عدد من الطلاب.

٢٣/ ٣/ ١٣٥١ [١٣/ ٦/ ١٩٧٢]:

سافر الشاه بصحبة فرح إلى أوروبا لقضاء العطلة الصيفية.

٢٧/ ٣/ ١٣٥١ [١٧/ ٦/ ١٩٧٢]:

وجّهت إدارة الساڤاك أوامرها إلى جميع المراكز التابعة لها بالقبض على هاشمي رفسنجاني المتواري، فور التعرف إليه، وإرساله إلى الدائرة المركزية.

٤/ ٤/ ١٣٥١ [٢٥/ ٦/ ١٩٧٢]:

بناء على تقرير هنري كيسنجر، وُضعت إيران على رأس لائحة الدول المستوردة للأسلحة.

٦/ ٦/ ١٣٥١ [٢٨/ ٨/ ١٩٧٢]:

اعتُقل هاشمي رفسنجاني في كرمان ونقل بعد يومين إلى طهران.

١٩/ ٧/ ١٣٥١ [١١/ ١٠/ ١٩٧٢]:

أفرج عن هاشمي رفسنجاني بعد التحقيق معه في سجن «قزل قلعة» شرط عدم مغادرة محيط طهران، وتغريمه مبلغ خمسين ألف ريال.

١٩/ ٨/ ١٣٥١ [١١/ ١١/ ١٩٧٢]:

وجه الإمام الخميني رسالة يعلن فيها دعمه للمجاهدين والمقاومين الفلسطينيين.

١١/ ١١/ ١٣٥١ [٣١/ ١/ ١٩٧٣]:

صورت لائحة بأسماء العلماء «ممنوعي المنبر»، وكان اسم رفسنجاني من بينها.

٥/ ١٢/ ١٣٥١ [٢٤/ ٢/ ١٩٧٣]:

توترت الأجواء في جامعة تبريز بسبب المظاهرات الطلابية.

٩/١٢/١٣٥١ [٢٨/٢/١٩٧٣]:

وجهت منظمة العفو الدولية إلى المسؤولين الإيرانيين رسالة استفسار عن أوضاع هاشمي رفسنجاني، والأحكام الصادرة بحقه.

١٨/١٢/١٣٥١ [٨/٣/١٩٧٣]:

أعلن طلاب «الجامعة الوطنية» الإضراب، وقد اعتقلت قوات الأمن مئة وواحداً وخمسين طالباً.

٢٢/٥/١٣٥٢ [١٣/٨/١٩٧٣]:

على إثر اغتيال رجل أمن في بازار طهران، أُبعِدَ خمسة وعشرون رجل دين من حوزة قم إلى مناطق نائية.

٢٣/٦/١٣٥٢ [١٤/٩/١٩٧٣]:

على إثر إبعاد رجال الدين من قم، أعلن الإمام الخميني أن الخطر الأساسي على الإسلام والمسلمين، هو العلاقات السياسية بين إيران من ناحية وأميركا وإسرائيل من الناحية الثانية.

١٠/٧/١٣٥٢ [٢/١٠/١٩٧٣]:

كُشفت شبكة ماركسية، كانت تعدُّ لاغتيال الشاه وفرح، وخَطْفِ وليّ العهد، وقد اعتُقِلَ أفرادها.

٢٤/٧/١٢٥٢ [١٦/١٠/١٩٧٣]:

في جلسة عُقدت في مجلس جاويد بعد أن تكلم مرتضى مطهري، طُرحت للمناقشة موضوعات متعلقة بتقديم المساعدات وإرسال سهم الإمام بواسطة هاشمي رفسنجاني من طريق سفير مصر، إلى المجاهدين الفلسطينيين.

٦/٨/١٣٥٢ [٧/١١/١٩٧٣]:

دعا آية الله الخميني زعماء المسلمين في رسالة وجّهها إليهم الاتحاد لمقاومة إسرائيل الغاصبة.

١/ ١٠/ ١٣٥٢ [٢٢/ ١٢/ ١٩٧٣]:

عُقد في طهران مؤتمر الدول المنتجة للنفط «الأوپك».

٣٠/ ١١/ ١٣٥٢ [١٩/ ٢/ ١٩٧٤]:

أُعدِمَ ستة عناصر من مجموعة «أبي ذر» بتهمة التخريب وحرق سينما «تاج» وماخور في نهاوند، وبعض سيارات الشرطة.

٢/ ١١/ ١٣٥٣ [٢٢/ ١/ ١٩٧٥]:

هددت أميركا الدول المصدّرة للنفط، في حال رفعت الأسعار مجدداً باحتلال آبار النفط.

٤/ ١١/ ١٣٥٣ [٢٤/ ١/ ١٩٧٥]:

استشهد آية الله «حسين غفاري» في السجن.

١١/ ١٢/ ١٣٥٣ [١/ ٣/ ١٩٧٥]:

أعلن الشاه عن تكريس نظام الحزب الواحد في إيران، وانتهاء مرحلة التجاذبات السياسية، وهدّد معارضي الدستور والنظام الشاهنشاهي وثورة ٦ بهمن، بالنفي أو بالسجن. وقد سمّي الحزب السياسي الأوحد حزب رستاخيز وقد عين الشاه هويدا رئيساً له، وأعلن عن حل «حزب الشعب» وحزب «إيران الحديثة» و«الاتحاد الإيراني» [پان إيرانيست].

١٧/ ١٢/ ١٣٥٣ [٧/ ٣/ ١٩٧٥]:

صدور معاهدة الجزائر لتسوية مشاكل الحدود بين العراق وإيران.

٢١/ ١٢/ ١٣٥٣ [١١/ ٣/ ١٩٧٥]:

دعا آية الله الخميني الشعب إلى مقاطعة الاستفتاء الذي قرّرت الدولة إجراءه بصدد تشكيل حزب رستاخيز.

١٠/ ٢/ ١٣٥٤ [٣٠/ ٤/ ١٩٧٥]:

بدأ مؤسسو حزب «رستاخيز» نشاطهم في طهران.

٢٩/ ٢/ ١٣٥٤ [١٩/ ٥/ ١٩٧٥]:

أعلن الشاه في أميركا: «ليس في إيران سجناء سياسيون».

٣٠/ ٤/ ١٣٥٤ [٢١/ ٧/ ١٩٧٥]:

آية الله منتظري الذي كان منذ مدة طويلة مبعداً في «خلخال» و«سقز»، اعتقل وأودع السجن.

٢١/ ٨/ ١٣٥٤ [١٢/ ١١/ ١٩٧٥]:

عاد هاشمي رفسنجاني بعد مدة ثلاثة أشهر في الخارج إلى إيران من طريق تركيا.

١/ ٩/ ١٣٥٤ [٢٢/ ١١/ ١٩٧٥]:

اعتقل رفسنجاني على يد الساڤاك ونقل إلى «المجلس المشترك لمكافحة الإرهاب»، حيث أخضع للتحقيق، كما تعرض منزله للتفتيش بحضور ممثل المحكمة العسكرية وممثل عن الساڤاك.

١٨/ ٩/ ١٣٥٤ [٩/ ١٢/ ١٩٧٥]:

قامت مجموعة من الطلاب الإيرانيين في روما بالتظاهر دعماً للسجناء السياسيين.

١/ ١٠/ ١٣٥٤ [٢٢/ ١٢/ ١٩٧٥]:

نُقل أكبر هاشمي رفسنجاني إلى سجن «إڤين».

١٠/ ١٠/ ١٣٥٤ [٣١/ ١٢/ ١٩٧٥]:

أعدمت مجموعة مكونة من عشرة عناصر، كانوا قد اتهموا باغتيال ضباط أميركيين.

٢/ ١٢/ ١٣٥٤ [٢١/ ٢/ ١٩٧٦]:

أصدر الإمام الخميني فتوى بصرف ثلث سهم الإمام لنشر الكتب السياسية ـ الإسلامية بعنوان «أفضل الخيرات».

٢٤/ ١٢/ ١٣٥٤ [٤/ ٣/ ١٩٧٦]:

اعتمد التاريخ الشاهنشاهي بدلاً من التاريخ الهجري الشمسي، وقد أدى هذا التغيير في التقويم إلى موجات من الاحتجاج عمّت أرجاء البلاد.

١٨/ ١/ ١٣٥٥ [٧/ ٤/ ١٩٧٦]:

قتل حجة الإسلام آبادي، وقد اعتقلت مجموعة مسماة «أهداف» [هدفى ها]، بتهمة اغتياله.

٢٦/ ٢/ ١٣٥٥ [١٦/ ٥/ ١٩٧٦]:

وقعت صدامات مسلحة في ٢٦ و٢٧ و٢٨ أرديبهشت بين المعارضة والنظام في طهران ورشت وقزوين وكرج.

٨/ ٤/ ١٣٥٥ [٢٩/ ٦/ ١٩٧٦]:

قُتل حميد أشرف وتسعة عناصر من مجموعته في إحدى المواجهات المسلّحة، وبتقل هؤلاء، تضعضعت منظمة فدائيي خلق.

٦/ ٩/ ١٣٥٥ [٢٧/ ١١/ ١٩٧٦]:

قتل في طهران ستة مستشارين أميركيين.

١٢/ ٨/ ١٣٥٥ [٣/ ١١/ ١٩٧٦]:

انتُخب جيمي كارتر رئيساً للولايات المتحدة الأميركية.

٢/ ١١/ ١٣٥٥ [٢٢/ ١/ ١٩٧٧]:

دعا الإمام الخميني، بمناسبة الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان، إلى مساعدة الجرحى والمنكوبين، وأفتى بتخصيص ربع سهم الإمام لهذا الغرض.

٥/ ١١/ ١٣٥٥ [٢٥/ ١/ ١٩٧٧]:

عُقد اجتماع موسع في هولندا بناء على دعوة منظمة العفو الدولية، احتجاجاً على انتهاك حقوق الإنسان، وسوء معاملة السجناء السياسيين في إيران.

٣١/ ١/ ١٣٥٦ [٢٠/ ٤/ ١٩٧٧]:

أعلن عن تأسيس «الجمعية الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان وحريته».

١٣/ ٢/ ١٣٥٦ [٣/ ٥/ ١٩٧٧]:

قابل الشاه في سفره إلى مشهد مجموعة من المعمّمين.

١٣٥٦/٢/٢١ [١٩٧٧/٥/١١]:

بدأ استجواب هاشمي رفسنجاني على يد محقق من المحكمة العسكرية.

١٣٥٦/٢/٣١ [١٩٧٧/٥/٢١]:

هجوم عنيف للشرطة على تجمع للطلاب في جامعة «البوليتكنيك» أدى إلى إصابة عدد منهم.

١٣٥٦/٣/١٥ [١٩٧٧/٦/٥]:

تظاهر طلاب جامعة طهران بمناسبة ذكرى حركة ١٥ خرداد ١٣٤٢ [١٩٦٣].

١٣٥٦/٣/٢٩ [١٩٧٧/٦/١٩]:

توفي الدكتور علي شريعتي بصورة مشبوهة في لندن.

١٣٥٦/٤/٣ [١٩٧٧/٦/٢٤]:

تظاهر البازار وطلاب الجامعات بمناسبة استشهاد الدكتور شريعتي.

١٣٥٦/٤/٦ [١٩٧٧/٦/٢٧]:

تفقد ممثلو الصليب الأحمر الدولي السجون السياسية في إيران.

١٣٥٦/٤/٨ [١٩٧٧/٦/٢٩]:

سافرت فرح إلى أميركا، سعياً وراء حل لمشاكل إيران السياسية.

١٣٥٦/٥/١٥ [١٩٧٧/٨/٦]:

استقالة أمير عباس هويدا وتعيين «جمشيد آموز كار» رئيساً للوزراء.

١٣٥٦/٥/٢٢ [١٩٧٧/٨/١٣]:

حكمت المحكمة الاستئنافية العسكرية على هاشمي رفسنجاني بالسجن ثلاث سنوات.

١٣٥٦/٦/١ [١٩٧٧/٨/٢٣]:

احتل ثلاثة عشر طالباً إيرانياً سفارة إيران في لاهاي.

١٣٥٦/٦/٧ [١٩٧٧/٨/٢٩]:

جُرِحَ عددٌ من الطلاب واعتُقل آخرون في التظاهرات والمواجهات الدامية بين الطلاب وقوى الأمن.

۱۳٥٦/٦/۲۲ [۱۹۷۷/۹/۱۳]:

تعرّضت سيارة أشرف ڤهلوي في جنوب فرنسا للهجوم، وقُتل مرافقها.

۱۳٥٦/٦/۲٥ [۱۹۷۷/۹/۱٦]:

أكد «رجال الدين المناضلون» في بيان لهم، عن متابعتهم طريق النضال، حتى الوصول إلى المجتمع التوحيدي.

۱۳٥٦/٦/۳۱ [۱۹۷۷/۹/۲۲]:

تظاهر الطلاب الإيرانيون في أميركا احتجاجاً على حضور أشرف پهلوي في منظمة الأمم المتحدة.

۱۳٥٦/۷/۱ [۱۹۷۷/۹/۲۳]:

أضرب «رجال الدين المقاومون» في پاريس عن الطعام بقيادة محمد منتظري.

۱۳٥٦/۷/٦ [۱۹۷۷/۹/۲۸]:

أعلن جيمي كارتر والحكومة الأميركية الاستعداد للدفاع عن النظام الإيراني.

۱۳٥٦/۷/٦ [۱۹۷۷/۹/۲۸]:

أكد الإمام الخميني في النجف على «غربة الإسلام في العالم».

۱۳٥٦/۷/۱٥ [۱۹۷۷/۱۰/۷]:

قامت تظاهرات في صحن حرم حضرة عبد العظيم تأييداً لآية الله الخميني، وللإفراج عن المعتقلين السياسيين، ووقف الرقابة على الصحف والمطبوعات.

۱۳٥٦/۸/۱ [۱۹۷۱/۱۰/۲۳]:

استُشهد السيد مصطفى النجل الأكبر للإمام الخميني.

۱۳٥٦/۸/۸ [۱۹۷۷/۱۰/۳۰]:

أقيمت ذكرى الأسبوع عن روح السيد مصطفى الخميني في مسجد أرك في طهران شارك فيها عدد من رجال الدين والشخصيات الوطنية.

١٣٥٦/٨/٢١ [١٩٧٧/١١/١٢]:

تحدث الإمام الخميني في جوابه عن رسائل التعزية التي وجهت إليه، عن القضاء السياسي الخانق في البلاد.

١٣٥٦/٨/٢٥ [١٩٧٧/١١/١٦]:

تظاهر طلاب جامعة «طهران» والكلية الصناعية ضد النظام.

١٣٥٦/٨/٢٥ [١٩٧٧/١١/١٦]:

وصلت مظاهرات الطلاب إلى أوجها في أثناء المباحثات بين الشاه وجيمي كارتر، وقد استخدمت الشرطة الغاز المسيّل للدموع لتفريقهم.

١٣٥٦/٨/٢٦ [١٩٧٧/١١/١٧]:

أعلن الشاه في مؤتمر صحفي موافقته على تثبيت أسعار النفط.

١٣٥٦/٨/٢٦ [١٩٧٧/١١/١٧]:

تظاهر في فرانكفورة الإيرانيون المعارضون للنظام.

١٣٥٦/٩/١١ [١٩٧٧/١٢/٢]:

بمناسبة مراسم أربعين الشهيد السيد مصطفى الخميني التي أقيمت في قم، قرئت رسالة تطالب بالإفراج عن المعتقلين السياسيين وعودة الإمام الخميني.

١٣٥٦/٩/١٦ [١٩٧٧/١٢/٧]:

قامت تظاهرات في طهران ضد الأميركيين.

١٣٥٦/٩/٢٠ [١٩٧٧/١٢/١١]:

أقفلت كلية الاقتصاد في جامعة طهران.

١٣٥٦/٩/٢٦ [١٩٧٧/١٢/١٧]:

اعتقل آية الله رباني في أعقاب خطبة له في شيراز.

١٣٥٦/٩/٢٨ [١٩٧٧/١٢/١٩]:

بناء على رأي «مجلس المحافظة على الأمن الاجتماعي» في مدينة مشهد أُبعد السيد علي خامنه إي إلى إيرانشهر لقضاء ثلاث سنوات في الإقامة الجبرية.

١/١٠/١٣٥٦ [٢٢/١٢/١٩٧٧]:

أصدر الإمام الخميني بياناً، طالب فيه بتقديم المساعدات إلى ضحايا المجازر الإسرائيلية في جنوب لبنان.

٦/١٠/١٣٥٦ [٢٧/١٢/١٩٧٧]:

بناء على تقارير الساڤاك اتخذ أكبر هاشمي رفسنجاني موقفاً ضد الماركسية وانتقاد كتاب «فلسفة التاريخ» لحبيب الله ـبيمان.

٧/١٠/١٣٥٦ [٢٨/١٢/١٩٧٧]:

على أعتاب، زيارة كارتر لإيران، فجر مركز «المنظمة الإيرانية الأميركية» على يد عناصر من مظمة «فدائيي خلق».

١٠/١٠/١٣٥٦ [٣١/١٢/١٩٧٧]:

وصل كارتر إلى طهران، فقام الطلاب بمظاهرات معادية.

١٠/١٠/١٣٥٦ [٣١/١٢/١٩٧٧]:

في بيان له ذكر الإمام الخميني وفاة نجله بعنوان: «اللطف الإلهي الخفي».

١٧/١٠/١٣٥٦ [٧/١/١٩٧٨]:

نشرت صحيفة «إطلاعات» مقالة بقلم «أحمد رشيدي مطلق» تحت عنوان «الرجعية الحمراء والسوداء»، ينال فيها من الإمام الخميني.

٢٠/١٠/١٣٥٦ [١٠/١/١٩٧٨]:

وصل كورت فالدهايم الأمين العام للأمم المتحدة إلى طهران.

٢٢/١٠/١٣٥٦ [١٢/١/١٩٧٨]:

أصدر كل من گلبايكاني ونجفي مرعشي في قم بيان احتجاج على مقالة أحمد رشيدي، وحادثة (١٩ دي).

٢٥/١٠/١٣٥٦ [١٥/١/١٩٧٨]:

أقفلت الجامعة الصناعية آريامهر [شريف]، على أعقاب تظاهرات الطلاب الدموية.

٢/ ١١/ ١٣٥٦ [٢٢/ ١/ ١٩٧٨]:

في رسالة وجهها الإمام الخميني إلى الشعب الإيراني، تعليقاً على مجزرة (١٩ دي) في قم عدَّ هذه الحادثة نقطة تحوّل في الجرائم الملكية.

١٠/ ١١/ ١٣٥٦ [٣٠/ ١/ ١٩٧٨]:

في رسالة وجهها الإمام الخميني إلى اتحاد الطلاب الإسلاميين المقيمين في الهند، بشّرهم بقرب سقوط الحكم البهلوي.

٢٩/ ١١/ ١٣٥٦ [١٨/ ٢/ ١٩٧٨]:

قمعت تظاهرات تبريز الدموية بمناسبة ذكرى أربعين شهداء قم، وأعلن الحكم العسكري في هذه المدينة.

٨/ ١٢/ ١٣٥٦ [٢٧/ ٢/ ١٩٧٨]:

وضح الإمام الخميني في رسالة بمناسبة حركة تبريز الدموية خطوط الثورة.

١٠/ ١٢/ ١٣٥٦ [٢٩/ ٢/ ١٩٧٨]:

أضرب الطلاب الإيرانيون في نيويورك عن الطعام احتجاجاً على الأوضاع السياسية في إيران.

١٨/ ١٢/ ١٣٥٦ [٨/ ٣/ ١٩٧٨]:

أعلن أساتذة كلية «پليتكنيك» في طهران عن الإضراب.

٢٥/ ١٢/ ١٣٥٦ [١٥/ ٣/ ١٩٧٨]:

وزعت حوزة قم العلمية بياناً حرّمت فيه عيد النوروز.

١٤/ ١/ ١٣٥٧ [٣/ ٤/ ١٩٧٨]:

عمّت مظاهرات الجماهير الغاضبة جميع المدن الإيرانية.

١٦/ ٢/ ١٣٥٧ [٦/ ٥/ ١٩٧٨]:

في حديث لصحيفة «**لوموند**» قال الإمام الخميني إن حركتنا هذه مقدمة لانفجار عظيم، وهدفنا الكامل إيجاد حكومة إسلامية.

١٣٥٧/٢/٢٠ [١٩٧٨/٥/١٠]:

في أعقاب التظاهرات الواسعة التي عمت قم وطهران، أصدرت الدولة بياناً شديد اللهجة تعلن فيه معاقبة المتظاهرين.

١٣٥٧/٢/٣٠ [١٩٧٨/٥/٢٠]:

ألغى الشاه مراسم احتفالات الرابع من آبان والسادس من بهمن.

١٣٥٧/٣/١٠ [١٩٧٨/٥/٣١]:

انتقد الإمام الخميني في خطبة له بمناسبة الذكرى السنوية لحادثة ١٥ خرداد الأوضاع الداخلية في البلاد.

١٣٥٧/٣/١٦ [١٩٧٨/٦/٦]:

ألغيت وزارة العلوم والتعليم العالي، ومنحت الجامعات استقلالاً ذاتياً.

١٣٥٧/٣/٢٩ [١٩٧٨/٦/١٩]:

في الذكرى السنوية لاستشهاد الدكتور علي شريعتي، عمت مختلف أنحاء البلاد مظاهرات معادية للنظام.

١٣٥٧/٤/١٢ [١٩٧٨/٧/٣]:

بسبب جرائم الشاه وجناياته حرّم الإمام الخميني الاحتفال بميلاد الإمام الحسين وصاحب العصر.

١٣٥٧/٤/٢٥ [١٩٧٨/٧/١٦]:

أصدر «العلماء المجاهدون» بياناً حرموا فيه الاحتفال بميلاد صاحب العصر.

١٣٥٧/٥/٢ [١٩٧٨/٧/٢٤]:

عدّلت وزارة [حكومة] آموزگار.

١٣٥٧/٥/١٦ [١٩٧٨/٨/٧]:

انتهت مظاهرات أصفهان إلى مجازر دموية.

١٣٥٧/٥/١٤ [١٩٧٨/٨/٩]:

أجرى الشاه وآموزگار، مباحثات حول إعطاء الديموقراطية وفتح الأجواء السياسية.

٢٠/ ٥/ ١٣٥٧ [١١/ ٨/ ١٩٧٨]:

أعلن الحكم العسكري في أصفهان.

٢٢/ ٥/ ١٣٥٧ [١٣/ ٨/ ١٩٧٨]:

أقدمت مجموعة توحيدي على تفجير مطاعم خوافسالار، وأحد مراكز الفجور الأميركية في إيران.

٢٣/ ٥/ ١٣٥٧ [١٣/ ٨/ ١٩٧٨]:

أبعد السيد علي خامنه إي من إيران شهر إلى جيرفت.

٢٨/ ٥/ ١٣٥٧ [١٩/ ٨/ ١٩٧٨]:

أضرمت النيران في سينما ركس في عبادان، وتوفي من جراء ذلك ثلاثمئة وسبعة وسبعون شخصاً.

٢/ ٦/ ١٣٥٧ [٢٤/ ٨/ ١٩٧٨]:

استشهد حجة الإسلام علي اندرزگو (الشيخ عباس طهراني) في مواجهة مسلحة في شارع إيران.

٥/ ٦/ ١٣٥٧ [٢٧/ ٨/ ١٩٧٨]:

عين جعفر شريف إمامي رئيساً للوزراء بدلاً من آموزگار. واستبدل بأمر منه التقويم الهجري الشمسي بالتقويم الشاهنشاهي، وأقفلت جميع مراتكز الفساد في البلاد.

٧/ ٦/ ١٣٥٧ [٢٩/ ٨/ ١٩٧٨]

اعترف الشاه بسهولة في مقابلة مع التلڤزيون الفرنسي، بأخطائه السابقة.

٨/ ٦/ ١٣٥٧ [٣٠/ ٨/ ١٩٧٨]:

كذّب مكتب الإمام الخميني شائعة مباحثاته مع الحكومة.

١٥/ ٦/ ١٣٥٧ [٦/ ٩/ ١٩٧٨]:

أعلنت الحكومة منع كلّ أنواع المظاهرات والمسيرات.

١٧/ ٦/ ١٣٥٧ [٨/ ٩/ ١٩٧٨]:

قُتل عددٌ كبير من أفراد الشعب في ميدان «جاله» [الشهداء] في أثناء المظاهرات.

١٨/٦/١٣٥٧ [٩/٩/١٩٧٨]:

أُعلِنَ الحكم العسكري في أكثر مدن إيران.

١٩/٦/١٣٥٧ [١٠/٩/١٩٧٨]:

عمّ الإضراب الكلي في مصفاة طهران.

٢٣/٦/١٣٥٧ [١٤/٩/١٩٧٨]:

وجه الإمام الخميني في رسالة بمناسبة أسبوع شهداء ١٧ شهريور [شهداء ميدان جاله] الدعوة إلى أفراد الجيش للانضمام إلى الجماهير الشعبية.

٢٥/٦/١٣٥٧ [١٦/٩/١٩٧٨]:

ضرب زلزال شديد مدينة طبس وأدى إلى خسائر جمّة.

٢/٧/١٣٥٧ [٢٤/٩/١٩٧٨]:

حاصر الجيش العراقي منزل آية الله الخميني في النجف الأشرف.

٢/٧/١٣٥٧ [٢٤/٩/١٩٧٨]:

أُعلِنَ الإضراب في مصفاة عبادان.

٩/٧/١٣٥٧ [١/١٠/١٩٧٨]:

حُلّ حزب «رستاخيز».

١٢/٧/١٣٥٧ [٤/١٠/١٩٧٨]:

قرر الإمام الخميني مغادرة العراق، ورفضت حكومة الكويت لجوءه إليها.

١٤/٧/١٣٥٧ [٦/١٠/١٩٧٨]:

هاجر الإمام الخميني إلى باريس وأصدر العلماء شريعتمداري، كلپايكاني، ومرعشي بياناً مشتركاً أدانوا فيه تصرف الحكومة العراقية غير الإنساني.

١٥/٧/١٣٥٧ [٧/١٠/١٩٧٨]:

حرّم الطلاب الدراسة على أنفسهم.

١٧/٧/١٣٥٧ [٩/١٠/١٩٧٨]:

عمّ الإضراب جميع المدارس في البلاد.

١٩/ ٧/ ١٣٥٧ [١١/ ١٠/ ١٩٧٨]:

وزّع في باريس أول شريط مسجّل لخطب آية الله الخميني. وساندت الصحف الثوار، وانفجرت قنبلة في حافلة للأميركيين في أصفهان.

٢٤/ ٧/ ١٣٥٧ [١٦/ ١٠/ ١٩٧٨]:

أقيمت مراسم الذكرى الأربعين لشهداء السابع عشر من شهر يور [شهداء ميدان جاله] في مقبرة الزهراء.

٢٤/ ٧/ ١٣٥٧ [١٦/ ١٠/ ١٩٧٨]:

انتهت مراسم أربعين شهداء السابع عشر من شهر يور في المسجد الجامع في كرمان بمجزرة كبيرة.

٢٥/ ٧/ ١٣٥٧ [١٧/ ١٠/ ١٩٧٨]:

صرّح الإمام الخميني بعد مجزرة كرمان في حديث لصحيفة الفيغارو، من الممكن أن أضطر إلى تغيير أسلوب النضال السلمي.

٢٨/ ٧/ ١٣٥٧ [٢٠/ ١٠/ ١٩٧٨]:

نزعت صور الشاه وفرح من جميع إدارات الدولة.

٣٠/ ٧/ ١٣٥٧ [٢٢/ ١٠/ ١٩٧٨]:

قابل المهندس بازرگان والدكتور ميناچي الإمام الخميني في پاريس.

٣/ ٨/ ١٣٥٧ [٢٥/ ١٠/ ١٩٧٨]:

أعلن الإمام الخميني يوم ٤ آبان يوم حداد وطني.

٤/ ٨/ ١٣٥٧ [٢٦/ ١٠/ ١٩٧٨]:

أفرج عن هاشمي رفسنجاني.

٨/ ٨/ ١٣٥٧ [٣٠/ ١٠/ ١٩٧٨]:

أضرب عمال شركة النفط الوطنية الإيرانية إضراباً عاماً.

٨/ ٨/ ١٣٥٧ [٣٠/ ١٠/ ١٩٧٨]:

أفرج عن آية الله طالقاني وآية الله منتظري.

١٣/٨/١٣٥٧ [٤/١١/١٩٧٨]:

قمعت مظاهرات التلاميذ والطلاب في جامعة طهران بعنف شديد.

١٤/٨/١٣٥٧ [٥/١١/١٩٧٨]:

عين أزهاري رئيساً للوزراء بدلاً من شريف إمامي، وأدلى الشاه بتصريح مهادن مبني على سماع البيان الأول للثورة.

١٥/٨/١٣٥٧ [٦/١١/١٩٧٨]:

احتل الجيش مكاتب الصحف الكبيرة، وعُطّلت المدارس لمدة أسبوع، واعتقل عددٌ من الصحافيين.

١٧/٨/١٣٥٧ [٨/١١/١٩٧٨]:

اعتقلت قوات الحكومة العسكرية هويدا .

٢٠/٨/١٣٥٧ [١١/١١/١٩٧٨]:

خرج الناس بمظاهرات حاشدة بعد أداء صلاة عيد الأضحى في جميع أنحاء البلاد.

٢٧/٨/١٣٥٧ [١٨/١١/١٩٧٨]:

أعلن آية الله الخميني أن الثورة الإسلامية غير محتاجة إلى حماية الروس، كما أعلن رأيه المعادي لأميركا.

٢٨/٨/١٣٥٧ [١٩/١١/١٩٧٨]:

أفرج عن مئتين وعشرة من المعتقلين السياسيين.

قابلت فرح پهلوي آية الله الخوئي في النجف.

٢٩/٨/١٣٥٧[٢٠/١١/١٩٧٨]

أعلن الإمام الخميني في مقابلة مع «اشپيگل»معارضته لتولية رضا پهلوي.

١/٩/١٣٥٧ [٢٢/١١/١٩٧٨]:

انتشرت تعليمات من الإمام الخميني بكيفية الاستفادة من مراسم عاشوراء.

٢/٩/١٣٥٧ [٢٣/١١/١٩٧٨]

قمعت المظاهرات الشعبية في حرم الإمام الرضا في مشهد بعنف شديد.

٣/ ٩/ ١٣٥٧ [٢١/ ١٢/ ١٩٧٨]:

وجه الإمام الخميني رسالة بعد فاجعة مشهد وأعلن الحداد الوطني.

٦/ ٩/ ١٣٥٧ [٢٧/ ١١/ ١٩٧٨]:

احتل الجيش الإذاعة والتلفزيون بعد إعلان العاملين فيهما بالإضراب.

١٠/ ٩/ ١٣٥٧ [١/ ١٢/ ١٩٧٨]:

قُمعت مظاهرات طهران الليلية في «سرچچمه» بعنف شديد.

١١/ ٩/ ١٣٥٧ [٢/ ١٢/ ١٩٧٨]:

صدر عن الخميني بيان متعلق بمجزرة «سرچچمه» طهران.

١٤/ ٩/ ١٣٥٧ [٥/ ١٢/ ١٩٧٨]:

دعا آية اللهطالقانيالشعب للمشاركة في مسيرات التاسوعاء والعاشوراء.

١٤/ ٩/ ١٣٥٧ [٥/ ١٢/ ١٩٧٨]:

صرّح آية الله الخميني في إحدى المقابلات: «يجب أن تعلم حكومة إيران الظالمة وغير الشرعية أن عودته مرتبطة به وحده».

١٨/ ٩/ ١٣٥٧ [٩/ ١٢/ ١٩٧٨]:

توقف العمل لمدة ٤٨ ساعة في مطار طهران خوفاً من عودة آية الله الخميني.

١٩/ ٩/ ١٣٥٧ [١٠/ ١٢/ ١٩٧٨]:

نظمت مسيرة حاشدة يوم التاسوعاء بدعوة من آية الله طالقاني.

٢٠/ ٩/ ١٣٥٧ [١١/ ١٢/ ١٩٧٨]:

سارت مسيرة حاشدة يوم العاشوراء.

٢٠/ ٩/ ١٣٥٧ [١١/ ١٢/ ١٩٧٨]:

صرح هنري كيسنجر أن الغرب ينظر إلى حوادث إيران أنها فاجعة.

٢٦/ ٩/ ١٣٥٧ [١٧/ ١٢/ ١٩٧٨]:

أعلنت ثماني مجموعات سياسية نهاية عمر حكم الشاه.

٢٧/ ٩/ ١٣٥٧ [١٨/ ١٢/ ١٩٧٨]

تلبية لأمر آية الله الخميني عمّ الحداد العام جميع أنحاء البلاد.

٦/ ١٠/ ١٣٥٧ [٢٧/ ١٢/ ١٩٧٨]:

بعد شائعة تأليف حكومة بختيار، أعلن الإمام الخميني رفض أي حكومة مرتبطة بالملك.

٨/ ١٠/ ١٣٥٧ [٢٩/ ١٢/ ١٩٧٨]:

كلَّف آية الله الخميني هيئة مؤلفة من المهندس بازرگان وأكبر هاشمي رفسنجاني والمهندس كتيرائي وشخصين آخرين للإشراف على إنتاج النفط.

٩/ ١٠/ ١٣٥٧ [٣٠/ ١٢/ ١٩٧٨]:

قبل شاهپور بختيار منصب رئاسة الوزراء، ولهذا السبب طُرد من الجبهة الوطنية.

١٠/ ١٠/ ١٣٥٧ [٣١/ ١٢/ ١٩٧٨]:

تكليف بختيار برئاسة الوزراء زاد من أمواج المعارضة للحكم.

١٣/ ١٠/ ١٣٥٧ [٣/ ١/ ١٩٧٩]:

عقد مؤتمر «گوادلوب» بمشاركة رئيسي جمهورية أميركا وفرنسا ورئيسي وزراء ألمانيا وانگلترا، لحل القضية الإيرانية.

١٦/ ١٠/ ١٣٥٧ [٦/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلن بختيار أسماء أعضاء حكومته، وأعلن الخميني ورجال الدين المقاومون يوم (١٨ دي) يوم حداد عام، وطلب آية الله الخميني في رسالة وجهها إلى موظفي الدولة أو لا يسمحوا للوزراء غير الشرعيين بممارسة مهامهم.

١٩/ ١٠/ ١٣٥٧ [٩/ ١/ ١٩٧٩]:

أفرج عن ٢٦٦ سجيناً سياسياً.

١٩/ ١٠/ ١٣٥٧ [٩/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلن بختيار أن الشاه سيغادر إيران قريباً، ودعا رجال الدين في طهران الشعب إلى مسيرة في الذكرى الأربعين [أربعين الإمام الحسين].

۱۳۵۷/۱۰/۲۳ [۱۹۷۹/۱/۱۳]:

تشكل مجلس شورى المملكة، ووجه الإمام الخميني بهذه المناسبة، وتحسّباً من حدوث انقلاب، رسالةً إلى الأمة.

۱۳۵۷/۱۰/۲۳ [۱۹۷۹/۱/۱۳]:

فتح الشعب أبواب الجامعات بمشاركة آية الله طالقاني .

۱۳۵۷/۱۰/۲٦ [۱۹۷۹/۱/۱٦]:

غادر الشاه إيران، وعمّ الفرح البلاد.

۱۳۵۷/۱۰/۲۷[۱۹۷۹/۱/۱۷]:

دعا الإمام الخميني الشعب إلى ضبط النفس والهدوء وأعلن أن الحكومة ستشكّل قريباً.

۱۳۵۷/۱۰/۲۸ [۱۹۷۹/۱/۱۸]:

طرد خبراء النفط الأجانب.

۱۳۵۷/۱۰/۲۹ [۱۹۷۹/۱/۱۹]:

سارت في الأربعين مسيرات حاشدة في طهران وبقية المدن، وعدّ الخميني هذه المشاركة الواسعة في المسيرات، تأييداً لقيام الجمهورية الإسلامية.

۱۳۵۷/۱۰/۳۰ [۱۹۷۹/۱/۲۰]:

وضع الإمام الخميني شرطاً لمقابلة السيد جلال الدين طهراني أن يُعلن هذا الأخير أن مجلس شورى المملكة غير قانوني.

۱۳۵۷/۱۰/۳۰ [۱۹۷۹/۱/۲۰]:

أعلن آية الله الخميني رسمياً عودته إلى إيران، وصرّح بختيار: «لسنا مستعدين لأن نمدّ آية الله الخميني بالقوّة والدعم». وأعلن آية الله گلپايگاني وآية الله مرعشي أن دولة بختيار غير قانونية.

١/ ١١/ ١٣٥٧ [٢١/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلن المهندس بازرگانأن مجلس شورى الثورة سيتشكّل قريباً. وكان الأعضاء الأوائل لمجلس شورى الثورة عبارة عن: مطهري، بهشتي، دكتورباهُنر، هاشمي رفسنجاني وموسوي أردبيلي..

١/ ١١/ ١٣٥٧ [٢١/ ١/ ١٩٧٩]:

طالب الإمام الخميني في مقابلة معه، عودة الشاه إلى البلاد ومحاكمته.

٢/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٢/ ١/ ١٩٧٩]:

توجه أهالي المناطق نحو طهران لاستقبال الإمام.

٢/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٢/ ١/ ١٩٧٩]:

قابل السيد جلال الدين طهراني آية الله الخميني.

٢/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٢/ ١/ ١٩٧٩]:

غادره الشاه وفرح مصر باتجاه المغرب.

٣/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٣/ ١/ ١٩٧٩]:

شكل رجال الدين المقاومون هيئة لاستقبال الإمام.

٥/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٥/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلنت الحكومة عن إقفال جميع مطاراتها لمدة ثلاثة أيام.

٧/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٧/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلن الإمام الخميني «إنني لن أستقبل بختيار أو أعترف به ما لم يستعفِ».

ـ ٨/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٨/ ١/ ١٩٧٩]:

تأخرت عودة الإمام الخميني إلى إيران من جديد.

٨/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٨/ ١/ ١٩٧٩]:

اعتصم رجال دين طهران بقيادة الدكتور بهشتي والأستاذ مطهري احتجاجاً على التأخير في عودة الإمام، في مسجد جامعة طهران.

٨/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٨/ ١/ ١٩٧٩]:

عُينت مدرسة الرفاه كمحل لإقامة آية الله الخميني.

٩/ ١١/ ١٣٥٧ [٢٩/ ١/ ١٩٧٩]:

أعلن بختيار في إحدى المقابلات قرار فتح مطار طهران.

١١/ ١١/ ١٣٥٧ [٣١/ ١/ ١٩٧٩]:

طار الإمام الخميني عند منتصف الليل من باريس، وكان ملايين الإيرانيين قد تجمعوا في طهران لاستقباله.

١٢/ ١١/ ١٣٥٧ [١/ ٢/ ١٩٧٩]:

عاد الإمام الخميني إلى طهران، ومشاعر الناس في أوج تأجّجها، وألقى خطبة في «جنة الزهراء» [مدافن الشهداء].

١٣/ ١١/ ١٣٥٧ [٢/ ٢/ ١٩٧٩]:

أعلنت إسرائيل عن قلقها من عودة الإمام الخميني إلى إيران.

١٤/ ١١/ ١٣٥٧ [٣/ ٢/ ١٩٧٩]:

أعلن بختيار عن استعداده للتعاون مع أنصار الإمام الخميني.

١٦/ ١١/ ١٣٥٧ [٥/ ٢/ ١٩٧٩]:

اختار آية الله الخميني المهندس بازرگان رئيساً للحكومة الموقّتة.

١٩/ ١١/ ١٣٥٧ [٨/ ٢/ ١٩٧٩]:

قابلت مجموعة كثيري المؤلّفة من ضباط وعناصر القوى الجويّة الإمام وأعلنت انضمامها.

١٩/ ١١/ ١٣٥٧ [٨/ ٢/ ١٩٧٩]:

أعلن بختيار أنه سيقاوم الإمام الخميني.

٢٠/ ١١/ ١٣٥٧ [٩/ ٢/ ١٩٧٩]:

أعلن المهندس بازرگان في خطبة له في جامعة طهران برامج الحكومة المؤقتة.

٢١/ ١١/ ١٣٥٧ [١٠/ ٢/ ١٩٧٩]:

أصدر قائد القوات العسكرية في طهران بياناً، زاد فيه ساعات منع التجول في طهران.

٢١/ ١١/ ١٣٥٧ [١٠/ ٢/ ١٩٧٩]:

أعلن الإمام الخميني في بيان له أن الحكومة العسكرية خدعة ومخالفة للشرع.

٢٢/ ١١/ ١٣٥٧ [١٠/ ٢/ ١٩٧٩]:

المجلس الأعلى للقوات المسلحة أعلن حياده [في الصراع السياسي].

٢٢/ ١١/ ١٣٥٧ [١٠/ ٢/ ١٩٧٩]:

سيطرت جماهير الشعب على الإذاعة والتلفزيون، وبثّت أصداء الثورة.

فهرس بالشخصيات والمواقع والأحداث

شخصيات سياسية ودينية

رجال الأمن

الأماكن

المناطق والبلدان

التنظيمات والمنظمات

أشهر الأحداث

المساجد والحسينيات

الكتب والمنشورات

السجون والمعتقلات

المدارس والمراكز

عايش هاشمي رفسنجاني المخاض الذي سبق ولادة الثورة الإسلامية في إيران، وكان له دور حاسم ومحوري في سقوط نظام الشاه، وتحوّل إيران إلى جمهورية إسلامية.

يعرض هذا الكتاب سيرة حياة هاشمي رفسنجاني، أحد صانعي الثورة الإسلامية الإيرانية وولّاديها، ويتطرّق إلى التطوّرات التي سبقت ورافقت قيام الجمهورية الإسلامية. ويستفيد رفسنجاني من موقعه في سدّة هرم «الجمهورية» ليتطرّق إلى أهم مفاصل سقوط نظام الشاه، وليكون «شاهداً» من أهل «الثورة» ويعرض إنجازاتها وإخفاقاتها، ولو تلميحاً، ويدوّن كثيراً من الخفايا التي ساهمت في جعل إيران «جمهورية إسلامية» يحكمها رجال الملا، وتدير ظهرها لتاريخ عريق من الحضارة الفارسية.

ويسلّط هذا الكتاب الضوء على الاعتقالات وأساليب القمع التي مورست بحق مناوئي نظام الشاه، ويستعرض الدور الحاسم الذي أداه رجال «السافاك» في قمع التظاهرات الطالبية المطالبة بالمشاركة السياسية، ويكشف النقاب عن كثير من الرسائل المتبادلة بين «مشاغبي» الانقلاب، كما عن وثائق خطرة لجهاز «السافاك» أمرت بتصفية كثيرين من قادة «الثورة».

ISBN 978-1-85516-457-4
9 781855 164574 >

DAR AL SAQI
دار الساقي